الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل:.....

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العلوم الإنسانية – تاريخ –

تخصص: تاريخ المغرب السياسي والحضاري في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

منير بقرار

إشراف الأستاذة الدكتورة:

نصيرة عزرودي

أعضاء لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أد/علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة	رئيسا
أ.د/نصيرة عزرودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د/إبراهيم بن مهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة	عضوا
د/ البشير بوقاعدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة	عضوا
د/رضا بن النية	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2–	عضوا
د/حسين بوبيدي	أستاذ محاضر أ	جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة2–	عضوا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ/2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

(أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).

[الحجرات: 13]

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

اعترافا بالجميل والفضل أدعو الله عز وجل أن يتغمد روح أستاذي الدكتور **بلقاسم فيلالي** بواسع رحمته وأن يشمله بوافر مغفرته وكريم عفوه، فقد كان أمينا وناصحا ومقوما وموجها لي طيلة عامين من تعهده لهذا العمل العلمي.

وإلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة **نصيرة عزرودي** أتقدم بجزيل الشكر وعميق الامتنان، لبذلها جهودا مضنية في سبيل إخراج هذا العمل، وتجشمها عناء قراءته طوال مدة البحث، فقد أحاطتني بالعناية الفائقة ورافقتني بالحرص الكبير على تصويب زلاته وتهذيب أفكاره وبناء فصوله، فلها مني أسمى عبارات الشكر والثناء.

كما أوجه شكري الخالص لكل من نصحني أو أرشدني أو وجهني أو ساهم معي في إعداد هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذيّ الفاضلين **رضا بن النية وعلاوة عمارة** على ما قدّماه لي من ملاحظات قيمة وتوجيهات دقيقة ونصائح ثمينة، كان لها الأثر في إعدادي لهذا العمل، فلهما مني كل معاني الإكبار والتقدير.

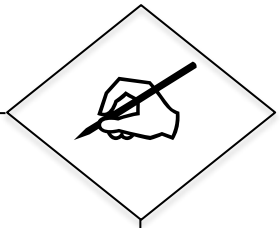

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

وألبسهما لباس الصحة والعافية.

وإلى الإخوة والأخوات.

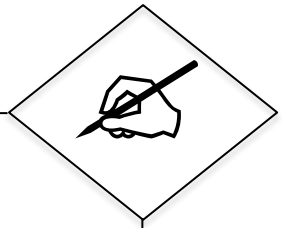

إهداء خاص

إلى أرواح شهداء غزة رمز حرية الأمــة

إلى أبناء الشعب الفلسطيني الأبيّ

الذين يذودون عن حياض

الأمة ومقدساتها

"أنتم جذوة أمل لا تنطفئ"

قائمة المختصرات

تح: تحقيق

تخ: تخريج

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقديم

ج: جزء

ط: طبعة

ص: صفحة

د ت: دون تاريخ

د م: دون مكان نشر

و: ورقة المخطوط

و: وجه ورقة المخطوط

ظ: ظهر ورقة المخطوط

ع: عدد

م: مجلد

N: Numéro

R.A: Revue Africaine.

T: Tome

المقدمة

أولا– أهمية الموضوع:

إن البحث في أصول المجموعات السكانية وتصنيفاتها الإثنية والإثنونيمية ببلاد المغرب خلال فترة العصر الوسيط، يعتبر من المواضيع الجديدة، التي يحتاج طرقها إلى تثوير أدوات نقدية تتميز بالدقة والتنوع، ويستوجب انفتاحا على مختلف العلوم لاسيما منها العلوم الاجتماعية والأنثربولوجية، بهدف توظيف مقارباتها المتقاطعة مع علم التاريخ، كما تساير مسألة البحث في التصنيف السكاني أثناء الحقبة الإسلامية الأولى ضرورة تقصي معطيات الحقول المعرفية لحضارات الفترتين القديمة والوسيطة، من نصوص تاريخية وأدبية وكتب الأنساب ووثائق مدونة ونقوش إيبيغرافية وتقارير خاصة بالأبحاث الأثرية، فضلا عن تجاوز الفواصل الزمنية بين الحقب التاريخية، وتسليط البحث على الجماعات الريفية والحضرية، المحلية والوافدة، المستقرة والبدوية، مع رصد جذور الهجرات الخارجية، والتحركات البشرية الداخلية، ضمن كتلة بشرية وجغرافية متجانسة، لأنّ دراسة التصنيفات السكانية والتقسيمات البشرية، يستدعي الرجوع إلى أصول السكان قديما، وتتبع التطور التاريخي لأسمائهم، ومشجرات نسبهم عبر الزمن المتعاقب، وتحديد وضعية الموجات البشرية وأسبابها العميقة، بداية من الفترات المتجذرة في القدم أو تلك التي شهدتها المنطقة خلال حقبة العصر الوسيط، ثم ربطها بالتحولات الاجتماعية والإسمية والمجالية التي طرأت على البنى السكانية ببلاد المغرب من القرن الهجري الأول إلى بداية القرن الهجري السابع/ القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين.

وبتسليط الأضواء على موضوع التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي، فإنّ معظم ما أنجز حتى فترة قريبة من هذا العهد لم يخرج عن التقليد الذي أسست له الكتابة الكولونيالية المبني على أساس الثنائيات التاريخية، من ثنائية الصراع الاثني بين "البربر والعرب"، إلى ثنائية "البتر البرانس"، وثنائية الصراع بين العرب "اليمنية والقيسية" أو "العدنانية والقحطانية"، وثنائية "العبيد الأبيض والعبيد الأسود"، وثنائية الهجرة الهلالية والسليمية إلى المغرب منتصف القرن الهجري الخامس/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، فضلا عن مركزية "البدو والحضر" في الكتابات التاريخية، ولئن كان هذا التوجه له ما يبرره بوضع دراسات ذات أغراض استعمارية، تبحث في طبائع الساكنة لتيسر إدارتهم للمنطقة، فإن أغلب ما أنجز مغاربيا بعد الاستقلال حتى نهاية القرن الماضي بقي رهن هذا المنحى وإن بدرجات متفاوتة تحكمت فيها طبيعة المواضيع المطروقة والسياقات التي تُناولت فيها، حتى مطلع القرن الحادي والعشرين الذي شهد صدور بعض الدارسات المتميزة على يد ثلة من الباحثين الذين أتَّتُوا لرؤية جديدة حول منهج البحث في المجموعات السكانية لبلاد المغرب في عمقها الإثني وملمحها الإثنونيمي وحراكها المجالي وما اتصل بها من طوارئ تحولات.

وضمن هذا المسعى تندرج دراستنا هذه التي تبحث في أحد فروع الجغرافيا التاريخية، وتروم بناءً عليه إلى دراسة الأصول الاثنية للمجموعات البشرية المستوطنة ببلاد المغرب من بداية القرن الأول الهجري إلى حوالي منتصف القرن الهجري السابع/السادس والثالث عشر الميلادي، وانتماءاتها القبلية مع تحديد الفروع المنحدرة منها، والتعاطي مع أصول التسميات المتعلقة بها، ورصد تحولاتها الإثنونيمية. إذ أنّ عملية إلحاق المنطقة بدار الإسلام خلفت جملة من الآثار والنتائج والتحولات المتعددة التي لم تبق المنطقة في وضعيتها القديمة، إن على مستوى الهياكل البشرية والاقتصادية، أو على مستوى الخارطة المجالية والأونوماستية، ففي جانب التصنيف السكاني مثلا صنفت النصوص الإخبارية والوصفية المجموعات البشرية المعروفة بالمور في العهد البيزنطي تحت إثنونيم "البربر"[1]، وخلال القرن الهجري الثالث/القرن التاسع الميلادي صُنِّفت مختلف الجماعات الريفية المنتشرة في المنطقة الواقعة بين غرب ميلة وشمال مدينة سطيف وصولا إلى جبال بابور تحت إثنونيم كتامة أهل الدعوة الإسماعيلية[2]، ومن أجل الكشف عن هذا التصنيف السكاني للجماعات البشرية المغاربية وإدراك خلفياته وأهدافه وأبعاده، ورصد تحولاته، كان لابد من اعتماد مجال زماني واسع نسبيا، يمتد من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد الموحدي، في حدود ستة قرون زمنية كاملة، مع إلزامية وضع اعتبار لواقعه خلال ماضيهم القديم، لإبراز جوانب المسألة السكانية وتحولاتها التي لا تكتمل صورتها إلا بمقتضى العمل بمعيار زماني طويل، وضمن مجال جغرافي مغاربي واحد.

وعليه، فإنّ الحدود الزمانية لهذه الدراسة تبدأ مع انطلاق أولى عمليات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب سنة (21هـ/642م)، وتنتهي ببداية تفكك الدولة الموحدية رسميا في تونس واستقلال السلطان أبو حفص بن عمر الهنتاتي بالبلاد التونسية سنة (625هـ/982م)، بداعي أن الدولة الموحدية قد تضعضعت قوتها، ودخلت في مرحلة ضعفها، وبدأت أركانها تتهاوى تدريجيا بفقدانها لأقاليمها الواحد تلو الآخر عبر مراحل زمنية متقطعة، وما لبثت المنطقة أن شهدت انعطافات تاريخية حاسمة قادت إلى تقويض الحكم الموحدي، ودخول المنطقة في عصر الإمارات المستقلة، الحفصية في تونس (625-982هـ/1227-1574م)، والزيانية في المغرب الأوسط (633-962هـ/1236-1555م)، والمرينية في المغرب الأقصى (668-869هـ/1269-1475م)، مما سيفضي إلى تغيرات عميقة على ساكنة المنطقة، ولذلك حددنا نهاية الربع الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي لتنتهي فيه دراستنا، وهو تحديد زمني يتفق مع معطيات الواقع السياسي والاجتماعي للبنى السكانية التي كانت

[1] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Studia Islamica, n.s., 2011, pp. 67-68.

[2] علاوة عمارة، الهجرة ودورها في تشكيل التركيبة الاجتماعية للمجالات الكتامية، مقال ضمن كتاب: الهجرات والحركات البشرية ببلاد المغرب وامتداداتها الراهنة، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 1444هـ/2023م، ص/153.

تستوطن رقعة جغرافية موحدة تحت لواء السلطة الموحدية ببلاد المغرب الإسلامي، بحيث أننا راعينا الوحدة السياسية والجغرافية المتصلة لمجال المغارب الممتد من المحيط الأطلسي شرقا إلى بلاد برقة وطرابلس غربا، بما يسهم في دراسة الهياكل البشرية بصورة تتسم بالدقة والشمولية بوصفها توزعت في مجال واحد وخضعت لسلطة واحدة هي السلطة الموحدية.

كما يتبين، عند دراسة التصنيف السكاني ضمن أطر بحثية ثلاث (الجذور العرقية، والأصول الإسمية، والتوطن البشري)، أنّ الموضوع يختزن بداخله ظواهر تاريخية معقدة للغاية سادت خلال الفترة الممتدة من القرن الأول الهجري إلى حوالي منتصف القرن السابع الهجري/بين القرنين السادس والثالث عشر الميلادي، ويلامس عدة موضوعات تتعلق بالجغرافيا التاريخية مثل حركة الأسلمة والتعريب، التركيبة البشرية والمشهد التعميري، الهجرات والحركات السكانية، الديموغرافيا، أهل الذمة "المسيحيون واليهود"، الحركات السياسية الموالية والمعارضة، وجغرافية الحركات المذهبية "المالكية، والإباضية، والصفرية، والإسماعيلية"، بالإضافة إلى حالة الوضعية الاقتصادية[1]. الأمر الذي يسمح فعلا بإمكانية وضع تفسيرات للظواهر التاريخية كالخريطة العمرانية وشبكات التوطين البشري للمركبين المحلي والعربي، كما يساعد في تفكيك مضمرات أسماء الأماكن الجغرافية التي تعبر عن مدى عمق الدلالات الطوبونيمية المرتبطة بعملية التعاقب البشري وتفاعلاته وبصمات عناصره الإثنية في المجال الجغرافي، وما من شأنه كذلك أن يعزز من رسم ملامح الهوية الوطنية للجماعات السكانية المغاربية وبناء ثوابتها، انطلاقا من تقصي أصولها وتتبع أسمائها، وتحديد مجالات توطنها.

ومن ثمَّ، فقد تقرر حسب رؤيتي أن يندرج ضمن هذا المسار البحثي، موضوع هذه الدراسة الموسومة بـــ:

"التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي"

ثانيا– أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في تقصي ملف أسماء المجموعات البشرية وتتبع تطوراتها من الفترة ما قبل الإسلامية إلى الربع الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، ومحاولة رصد التحولات العميقة التي طرأت على منظومة الأسماء السكانية ورصد مساراتها من خلال مقارنة معطيات المصادر القديمة مع ما قمت بتجميعه وتصنيفه من مادة خبرية تخص الفترة الوسيطة، كما أن الكشف عن مكونات التركيبة السكانية في بلاد المغرب الإسلامي خلال

[1] Boutheina Ben Hassine, «Le Peuplement au Maghreb médiéval :Un Etat des lieux», Le peuplement du Maghreb antique et médiéval Actes du troisième colloque international, Sousse, 2017, p.257-258.

القرون الستة الأولى من العصر الوسيط، يعد بمثابة مسح عام لمعظم التشكيلات البشرية سواء الريفية أو الحضرية، والمحلية أو الوافدة المستقرة جنبا إلى جنب في المجالات المغاربية.

- قلة الدراسات التاريخية المتخصصة في أصول السكان وجذور تسمياتهم وألقابهم وكُنَاهم، وهو ما حفزني على خوض غمار هذا البحث من أجل رسم مقاربة جديدة تسلط الضوء على موضوع السكان بما ينطوي عليه من أهمية قصوى في صياغة الهوية الوطنية لشعوب المنطقة وبناء ثوابتها وإرساء محدداتها، فضلا عن المساهمة في الاقتراب من الحقيقة التاريخية ذات الصلة بتغيرات القوائم الإسمية وإلحاق نماذج من الجماعات البشرية بجماعات أخرى أو صياغة أسماء وهمية ومشجرات أنساب تجانب الحقيقة التاريخية، وقد يعود ذلك إلى دوافع سياسية تتصل بهدف شرعنة الحكم واتخاذها مطية للوصول إلى السلطة، أو مذهبية لها علاقة بتقوية مجموعة قبلية متغلبة بمجموعات قبلية أخرى تتسمى باسمها، ذلك أنّ العديد من الباحثين قد تعاملوا مع المكونات الاثنية وأسماء العناصر السكانية بنوع من السطحية وحتى الذاتية أحيانا لا سيما في الدراسات الكلاسيكية، فنقلوها من المصادر التاريخية دون التمعن فيها ولا نقدا لأصول أسمائها، خصوصا إذا تعلق الأمر بمسألة "البربر" والانحدار السكاني من "البتر والبرانس" وأصول المجموعات القبلية الكبرى.
- أن هذا الصنف من الأبحاث يستهوي الدارس للبحث فيه، لما يستلزمه من مقاربات محينة مع طبيعته، وبما يستوجبه من مناهج وأدوات بدءًا بالانفتاح على حقول معرفية شتى، إلى جانب اعتماده على اللغات الأجنبية المتنوعة، ويوظف فيه نتائج الحفريات الأركيولوجية وتقارير الأبحاث الأثرية، مع تجاوزه للقطيعة الزمنية بين العصور القديمة والعصر الوسيط، ليدرك أهمية الدراسة الشاملة المبنية على الأدوات المنهجية والمعرفية الحديثة بهدف التنقيب في التركيبة البشرية وبحث أصولها إثنيا وإثنونيميا كلبنة يبنى عليها التاريخ السكاني للمجتمعات البشرية المغاربية بنوع من الدقة والشمولية.
- التأثر العلمي ببعض الدراسات المتخصصة في الجغرافيا التاريخية التي قامت بتغطية مجالات محددة من بلاد المغرب خصوصا في الجهة الشرقية وقد اتسمت بتميز نتائجها العلمية، حيث رصدت ضمن فصولها مسألة التحولات الاجتماعية والمجالية والطوبونيمية، وبحثت في التركيبة البشرية وأصول مكوناتها الاثنية ومواقعها الجغرافية والحراك السكاني والقبلي في المنطقة، وهو ما زاد من فضولي وألهم شغفي لإلقاء الضوء على مسألة التصنيفات البشرية في بلاد المغرب الإسلامي.

ثالثا– إشكالية الدراسة:

إن فكرة البحث في موضوع: "التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي"، يجعل إشكاليته تنطلق من رصد التحولات الاجتماعية والإسمية والمجالية العميقة التي عرفتها المجموعات السكانية والجغرافيا البشرية بالمنطقة، كما يُسهمُ الكَشفُ عن وضعية الهياكل البشرية وأسماءها ومجالاتها خلال ماضيها القديم، ومطابقتها بالتغيرات الاجتماعية ببلاد المغرب خلال الإطار الزمني المدروس، في تبلور الإشكالية وتجانسها مع قضايا الموضوع، والتي تسعى ضمن نسق تساؤلي يحفر في ملامح التصنيف السكاني ببلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي، ويحاول رصد السند المعياري الذي انبنى عليه، في ضوء مقاربة تركزت حول تعقّب مكونات التركيبة البشرية المحلية والطارئة فيها، وملاحقة التغيرات الإسمية التي حاقت بها، إلى جانب تتبع جغرافية التوزيع المجالي لها.

وللكشف عن هذه الإشكالية بصورة تجلي جوانب الموضوع وتتيح الخوض فيه، فقد اندرجت ضمنها جملة من التساؤلات الفرعية، هي كالتالي:

- ماهي المكونات الإثنية التي تشكلت منها التركيبة السكانية ببلاد المغرب من القرن الهجري الأول حتى نهاية الربع الأول من القرن الهجري السابع/بين القرنين السابع والثالث عشر الميلادي؟
- ما الثابت والمتغيّر في المنظومة الإسمية للمجموعات السكانية المغاربية بين معطيات الفترة القديمة والمستجدات الديموغرافية التي أفرزتها حركة الأسلمة والتعريب؟
- ما مرام الخلافة الإسلامية من تشجيع حركة التدوين حول تاريخ الإثنيات المغاربية؟ وما مدى نجاح هذا التوجه في التأسيس لمعطى يتناغم مع مستجدات المرحلة، ويروم في أساسه إلى ربط المجموعات البشرية المغاربية بأصول عربية ومشرقية؟
- ما هي أشكال المعايير التي استُنِد إليها في التصنيف السكاني لمكونات التركيب الإثني ببلاد المغرب الإسلامي؟ وهل اتخذت نسقا ثابتا، أم أنها تميزت بالتجدد والتباين في درجة تأثيرها تبعا لطبيعة التغيرات التي شهدتها المنطقة خلال الفترة محل الدراسة؟
- ما طبيعة الأدوار التي اضطلعت بها المجموعات اليمانية والقيسية عقب تمام عمليات الفتح واستقرارها ببلاد المغرب؟
- شكلت الأقليات العرقية إحدى مكونات التصنيف السكاني ببلاد المغرب الإسلامي، فما هي الأعراق التي اندرجت تحتها؟ وما أصولها؟ وأي موضع اتخذته ضمن هذا التصنيف؟ وما طبيعة حضورها في الحياة العامة خلال الفترة المعنية بالبحث؟

- ما أثر الإفرازات الإثنية التي أوجدتها الحركات السكانية والهجرات الهلالية ـ السليمية في نمطية الصورة المجالية للاستقرار البشري بالمنطقة؟
- أيّ دور اضطلع به المركب الهلالي- السليمي في رسم الخريطة الإثنو-جغرافية بمغرب ما قبل الموحدين؟ وإلى أي مدى أسهمت السلطة الموحدية بتدابيرها وإجراءاتها في احتواء المجموعات الهلالية وتوظيفها في مشاريعها؟ وكيف أثر ذلك على مدّ مجالات توطّن هذا المكوّن البشري إلى المغرب الأقصى؟

رابعا- هيكل الدراسة:

وَلِنَفِي إمكانية الإجابة عن إشكالية الموضوع، والتساؤلات التي طُرِحت خلال مراحله البحثية، بالإضافة إلى ما توفر من مادة علمية، انطلقت من هيكلة منهجية لخطة الدراسة، تتصدّرها مقدّمة وفصل تمهيدي وتبطنها خمسة فصول وتتذيلها خاتمة بمثابة إطار استنتاجي لما توصلنا إليه.

أمَّا بالنسبة للفصل التمهيدي، فقد خصصته لدراسة مكونات التشكيلة الاجتماعية لبلاد المغرب خلال الفترة الما قبل الإسلامية، وتعاطيت خلاله مع المجموعات السكانية التي استقرت بالمنطقة في الفترات القديمة، محاولا إبراز أصول التسميات المتعقلة بالجماعات الكبرى، وجغرافية توزيعها المجالي.

وتماشيا مع طبيعة الموضوع الذي وسم بالتصنيف السكاني بالمغرب الإسلامي، فقد آثرت طبقا لما تمليه المعايير المنهجية تخصيص فصل ثانٍ يتصدر الإطار التطبيقي، توقفت خلاله على معالجة إشكالية التحول الإثنونيمي لمركب المور من المجموعات القديمة، إلى إثنونيم البربر الذي أطلق على كل المجموعات خلال فترة العصر الإسلامي، وحاولت تتبع التصنيف الإثني والإثنونيمي لمركب البربر في المصادر المشرقية والمصادر المغربية، والدراسات الحديثة، لا سيما دراسات الجغرافيا التاريخية، كما عرجت على المعايير المعتمدة في هذا التصنيف السكاني، محاولا استكشاف أبعاده السياسية والعرقية، وواضعا التفسيرات التي تتمحور حول طبيعته.

وتضمن الفصل الثاني الموسوم: الجاليات القديمة والجماعات الفارسية والخراسانية ببلاد المغرب: الدلالات الإثنونيمية والخارطة المجالية، والذي يُعدُّ من الفصول المحورية في هذه الدّراسة، رصدا لأسماء الأقليات العرقية المستوطنة ببلاد المغرب، على غرار الجاليات القديمة مثل الروم والأفارق أو الجماعات الإثنية الداخلة مع الجند الإسلامي إلى المغرب مثل العجم والفرس والخراسانيين، حيث ركزت فيه على تتبع أصولها العرقية، وجذور أسماءها، ومجالات توطنها، وتواصلها الإثني والإثنونيمي أو اختفاءها طيلة الحقبة محل الدراسة.

وفي أعقاب ذلك أفردت فصلا ثالثا رصدت فيه هجرة المجموعات العربية إلى بلاد المغرب ومحاولات تحويز المجال الجغرافي خلال الثلاثة قرون الأولى للهجرة، وانعكاساتها الديموغرافية على تركيبة المجتمع المغاربي، وحاولت إبراز أسماء البطون العربية اليمانية والقيسية الوافدة إلى المنطقة منذ بداية مرحلة الفتح ، متوخيا في ذلك استعراض قوائم أسماءها، ومجالات توطنها، وإسهاماتها العسكرية والإدارية والمالية في تاريخ بلاد المغرب.

ولقد اختص الفصل الرابع في تناول المسالك التجارية وتبيان دورها في إثراء النسيج الإثني المغاربي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي، وقد قسمته إلى أربعة أقسام، أنجزت في القسم الأول خرائط جغرافية تتبعت من خلالها المسالك والطرق التجارية الداخلية الواصلة بين بلاد المغرب والسودان الغربي، وارتبط القسم الثاني بالطرق التجارية البحرية الرابطة بين بلاد المغرب والبلاد الأوروبية، ليأتي القسم الثالث، بيَّنت فيه بمنهج التقصي قائمة العبيد المجلوب من مختلف البلدان، ووقفت فيه على حضور مختلف صنوفهم من الجنس الأسود والجنس الأبيض ، كما حاولت تأصيل أسماءهم وأصولهم العرقية وأدوارهم المختلفة في الحياة العامة، وعرجت في القسم الرابع على استمراريتهم طيلة الفترة المدروسة.

أمَّا الفصل الخامس والأخير من هذه الدّراسة، فقد اهتم بالبحث في مسألة النزوح العربي الهلالي والسليمي وتحولات الخارطة الإثنو- جغرافية ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الخامس إلى الربع الأول من القرن الهجري السابع/11-13م، وبدأته بالتعاطي مع إثنونيمات العرب والعربان والأعراب والبدو ودلالاتها اللغوية، ثم تناولت أهم البطون العربية المشكلة لقبائل الهلاليين والسليميين الطارئين على المنطقة، فيما خصصت شقا آخر في تقديم صورة عن الحراك القبلي ببلاد المغرب بعد الانتشار الهلالي والسليمي، وإعادة تركيب المشهد الجغرافي السكاني لما بعد التغريبة الهلالية، وسلطت الضوء في الشق الأخير على صدى الهجرة الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب وآثارها على الاقتصاد والعمران في النصوص الإخبارية والوصفية وفي الدراسات التاريخية.

وذيلت الدراسة بخاتمة ضمّنتها جملة من الاستنتاجات المتوصل إليها حول الإشكاليات المندرجة في مقدمة البحث وفصوله، كما أشرت إلى الآفاق المستقبلية التي فتحتها الدراسة بهدف مواصلة البحث في موضوعها.

خامسا– منهج الدراسة:

وللإلمام بجوانب الموضوع وضبط العلميات الأساسيّة التي تطرحها الدراسة منهجيا ومعرفيا، من حيث التعاطي مع المظان المصدرية باستقرائها وجمعها وتصنيفها ومقارنتها وتحليلها، كان لابد من توظيف مناهج علمية عدة هي كالتالي:

1- المنهج الاستقرائي: تنبني الدراسة على النصوص الاخبارية والوصفية التي يحتويها الرصيد التاريخي المدون في إطار حركة الفتوح الإسلامية، وقد تباينت المظان المصدرية التي استندت إليها بين كتب التاريخ العام، وكتب التراجم والطبقات، ومدونات أدب الأنساب، والمصنفات الفقهية، حيث شكلت بتعدد حقولها المعرفية مرتكزا للدراسة، وتطلب الاستثمار الأمثل لها توظيف المنهج الاستقرائي لمعاينة المادة الوثائقية من مصادرها الأصلية واستخراج المعطيات التاريخية وتفكيكها ثم فرزها وتصنيفها بغرض استنباط التفسيرات التي يمكن أن تجيب عن التّساؤلات التي تُثيرها مباحث الدِّراسة.

2- المنهج الوصفي: الحاجة إلى المنهج الوصفي في الدراسة فرضتها المعطيات الأنثروبولوجية المستخلصة من النصوص الإخبارية والوصفية الجغرافية، كون أن وصف الخصائص الفيزيولوجية واللغوية للسكان ومحددات المأكل والمشرب واللباس، شكلت إحدى المعايير الأساسية في التصنيف السكاني ببلاد المغرب، ويتعلق الأمر برصد مظاهر حياة الجماعات السكانية من "البربر والروم والأفارقة" أو العناصر الطارئة على المنطقة، لاسيما العبيد الأسود والأبيض وأوصافهم وما يتميزون به من اختلافات عن بعضهم البعض.

3-المنهج التحليلي: باعتماد المنهج التحليلي يمكن الإجابة عن التساؤلات المطروحة التي تثيرها عناصر الدراسة، من خلال نظرة تفكيكية للنصوص الإخبارية والوصفية والفقهية، غايتها ملامسة وضعية البنى السكانية إثنيا وإثنونيميا ببلاد المغرب من بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية العهد الموحدي، من أجل رسم صورة عن التحولات الإسمية والمجالية، وتقصي أسبابها ورصد خلفياها، ومن منطلق ارتكاز الدراسة على إحدى القضايا المعقدة والمعروفة بالتصنيف السكاني، فإن المنهج التحليلي يتيح الغوص في النصوص المصدرية بناء على تثوير آليات التساؤل والقراءة المبنية على التشكيك في الروايات التاريخية، من أجل محاولة استجلاء الغموض الذي يحوز التصنيف السكاني الذي صنفت به المجموعات البشرية بالمنطقة، والإبانة عن تأثير الروايات التاريخية وأدب الأنساب على هوية السكان المغاربة من خلال إيجاد روابط عرقية للسكان المحليين مع سكان بلاد المشرق عن طريق دمج كل الشعوب في دار الإسلام بإلحاقهم بمشجرات نسب شرقية قديمة.

4- المنهج المقارن: تستدعي عملية استخراج النصوص من الحقول المصدرية المختلفة وتفحص معطياتها منهجا يرتكز على المقارنة، حيث أن إبراز حقيقة الروايات التاريخية المرتبطة بأصول سكان بلاد المغرب الإسلامي،

وصحة الروايات المتعلقة بأسمائهم وألقابهم ومشجرات أنسابهم، لا يتأتى إلا مقارنة معطيات المادة الخبرية وإثبات تطابقها أو تضاربها، بهدف الوصول إلى نتائج أقرب ما يكون إلى الحقائق التاريخية، ومنهج المقارنة هنا يظهر مستويات الاختلاف بين المؤرخين والنسابة والجغرافيين، كما يعكس مدى توظيف منهج النقل عند المصنفين في كل الحقول المعرفية الوسيطة، ومن خلاله يتوخى الباحث التمييز بين النصوص الأصلية الواردة في المصادر المتقدمة والنصوص المنقولة التي وردت في ثنايا المصادر المتأخرة.

سادسا– الدراسات السابقة:

يتميز موضوع التصنيف السكاني ببلاد المغرب الإسلامي بالجدة على مستوى الساحة الأكاديمية العربية، ولا يتعدى رصيده عددا من الأبحاث التاريخية المعمقة، لا سيما تلك التي أنجزت من طرف الباحث علاوة عمارة، إلى جانب بعض الدّراسات الأكاديمية التي نوقشت في السنوات الأخيرة بالاستناد إلى نفس المقاربة، لكنها أشارت إلى التصنيفات السكانية باقتضاب شديد، ذلك ما جعل هذا الموضوع يبقى حقلا خصبا يستدعي البحث والتنقيب في مختلف جوانبه. وبالمقابل يحسن التنبيه إلى أنّ هنالك دراسات أجنبية أعدّها الباحث رمزي رويغي على صلة مباشر بدراستي، وتتميز بعمق الطرح بالإضافة إلى تنوع المقاربات المنهجية المعتمدة في إنجازها، كما أن الموضوعات المتناولة في تخصص الجغرافية التاريخية لا سيما في تونس والجزائر قدّمت لي الكثير في الجانب المنهجي والمعرفي، إذ تكمن أهميتها في تقديم تصورات حول الدراسة مكنتني من فهم الجوانب العميقة لبحثي، وسأحاول عرض هذه الدراسات لنتبين مدى أهميتها في هذا الموضوع:

1– دراسات رمزي رويغي: أنجز الباحث رمزي رويغي المنتمي إلى جامعة كاليفورنيا الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية، والذي يعد من بين أبرز المهتمين بتاريخ السكان والإثنونيميا المغاربية، العديد من الدراسات المرتبطة بموضوع التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي، حيث تناول "إثنونيم البربر" وأصوله، ومراحل ظهوره، وتبلوره ثم انتشاره، متتبعا في مقاربته نقد كل الروايات التاريخية المشرقية والمغربية، وقد تركزت أغلب أبحاثه على تاريخ مصطلح "البربر" وجذوره في المصادر الإسلامية، وأصدر عدة دراسات شكلت القاعدة الأولى في دراستي، خصوصا في الفصل الأول المتعلق بتصنيف السكان الأصليين تحت صيغة "البربر"، ويمكن حصرها في ما يلي:

- "The Andalusi Origins of the Berbers"[1].
- "The Berbers of the Arabs"[2].

[1] Journal of Medieval Iberian Studies 2, 2010.
[2] Storica, 2017, Vol 23, Issue 67/68.

- "Berberization and Its Modern Artifacts"[1].
- Inventing the Berbers : History and Ideology in the Maghrib[2].
- "The Mediterranean between Barbaria and the Maghrib: Questions for a Return to History"[3].
- "La berbérisation et ses masques : le peuple berbère en question (viie-xe siècle"[4].

2-دراسات علاوة عمارة: يعتبر الباحث علاوة عمارة[5] من الباحثين السبّاقين الذين أشاروا إلى مسألة التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي، فقد تناول الموضوع في عدة دراسات أنجزها على علاقة مباشرة بتخصص الجغرافيا التاريخية، ويعد أول باحث يصدر دراسة متعلقة بفروع الجغرافيا التاريخية (المجال والطوبونيميا والجماعات البشرية والمسالك) لبلاد الزاب خلال العصر الوسيط[6]، كما يرجع إليه الفضل في توجيه البحث التاريخي نحو تخصص الجغرافيا التاريخية في الجامعة الجزائرية، الذي توّج بإصدار عدة دراسات متخصصة منها دراستي الباحثين الطاهر طويل وزياني الصادق وسنأتي على ذكرهما لاحقا، أما بالنسبة للمساهمات الجادة للباحث علاوة عمارة، التي أفادتني في دراسة موضوع التصنيف السكاني والقضايا المرتبطة به، فهي:

- الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي الوسيط، قراءة في نقاش تاريخي[7].
- التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/14 الميلادي.
- الهجرة ودورها في تشكيل التركيبة الاجتماعية للمجالات الكتامية (ق1-8هـ/7-14م)[8].

- "Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siècle VIII- XIV)"[9].
- "Entre le massif de l'Aurès et les oasis: apparition, évolution et disparition des -communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe XIVe siècle)"[10].

---

[1] Studia Islamica, n.s, 2011.
[2] University of Pennsylvania Press, 2019.
[3] al-Masāq: Journal of the Medieval Mediterranean, 2019.
[4] Les Berbères entre Maghreb et Mashreq (VIIe-XVe siècle), Madrid, Casa de Velázquez, 2021.
[5] لا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العظيم للأستاذ الدكتور علاوة عمارة الذي طرح هذا الموضوع ووقع عليه اختياري، وهو الموسوم بـ:" التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي"، كما أن أستاذنا جزاه الله عنا كل خير قد خصص لي من وقته حيزا، وجهني فيه إلى العديد من الدراسات والمصادر التاريخية وأرشدني إلى طرق تناول الموضوع الذي اكتمل في صورته الحالية.
[6] علاوة عمارة، التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي، مجلة تراث الزيبان، بسكرة، الجزائر، 1438هـ/2016م.
[7] مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة كلية الآداب والحضارة الإسلامية ع4، 1424هـ/2004م.
[8] مقال ضمن كتاب: الهجرات والتحركات البشرية ببلاد المغرب وامتداداتها الراهنة، ص/153.
[9] Vivre, circuler et échanger sur la bordure septentrionale du Sahara Antiquité-époque moderne (éd, S. Guédon), Ausonius éditions Scripta Receptoria 18, Bordeaux 2020.
[10] REMMM 132.

- L'islamisation du Maghreb central (VIIe XIe siècle)[1].

وقد ترجمت الدراسة الأخيرة من طرف الباحث عبد القادر مباركية، وساعدتني هذه الدراسات في معرفة التركيبة البشرية لمجالات الزاب والتصنيف الجديد لسكان بلاد المغرب تحت صيغة "البربر" وبالمقابل إلغاء المجموعات المورية المستوطنة في المنطقة خلال العهد البيزنطي، إلى جانب معرفة التصنيف البشري لعدة جماعات القبلية تحت صيغة كتامة، كما سمحت لي دراساته برصد عملية تتبع التواصل الإثني للجماعات اللاتينية والبيزنطية المستوطنة ببلاد الزاب ومنطقة الواحات والأوراس، وعلى إثر ذلك تطرق الباحث علاوة عمارة إلى التحولات الاجتماعية والمجالية والطبونيمية إلى جانب جغرافية الجماعات المذهبية الإباضية بالزاب على وجه الخصوص، كما أسهم بأبحاثه في تناول موضوع الهجرة الهلالية والسليمية إلى المغرب وأثرها في البنيات الاجتماعية والمجالية.

3- دراستا محمد حسن: الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/7- 15م[2] - الجذور التاريخية لبلاد المغرب جدلية السلطة والمجتمع والمجال(خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/السابع والثامن الميلاديين)[3].

بوصف الدراسة الأولى تختص بالجغرافيا التاريخية لإفريقية، وعلى اعتبار أن الباحث قد تناول فيها الحدود الجغرافية والتمصير الحضري والرباطات والمسالك الداخلية والخارجية والمليكات العقارية، فلقد أفادتني في معرفة خارطة التعمير البشري وتمصير المدن والقرى وأصناف العمارة في مجالات إفريقية، كما أنها خدمتني في مسألة التعرف على أهم الجماعات البشرية والمكونات الإثنية لتركيبة النسيج الاجتماعي خصوصا في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، بينما احتلت دراسة: "الجذور التاريخية لبلاد المغرب"، أهمية بالغة في دراستي لكونها من أحدث الدراسات التي صدرت للباحث في سنة 2022م، وشكلت بحثا شاملا لبلاد المغرب خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، وعلى الرغم من أنّ هذه الدراسة لم تصلني إلا في نهاية 2023م، إلا أنني استندت إليها في رصد جوانب من حياة الجماعات القديمة الروم والأفارقة المولدين وإشكالية البتر والبرانس، وتتبع تشكيلة المجموعات السكانية الأصلية، كما وضحت لي مراحل دخول الجند العربي إلى المغرب المنحدرين من القبائل اليمانية والقيسية والقرشية، وأبانت عن أدوار القادة المسلمين في عمليات الفتوح.

[1] Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éd. de la Sorbonne, 2011.

[2] ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 1424هـ/2004م.

[3] ط1، مجمع الأطرش، تونس، 1443هـ/2022م.

4-دراسة أحمد الباهي: سوسة والساحل في العهد الوسيط: محاولة في الجغرافيا التاريخية[1]: أبانت هذه الدراسة عن مكونات التركيبة البشرية في جهة سوسة وبلاد الساحل التونسي خلال العصر الوسيط، كما رصدت الجماعات السكانية القديمة المشكلة من "البربر والعجم والروم والأفارقة"، وحاولت إماطة اللثام عن الأصول السكانية من خلال فهرس أُونُوماستي للعناصر البشرية، كما أفادتني في تركيب المشهد التعميري لعرب الفتح الإسلامي وتشكل شبكة الأحياء والبلدات والقرى المنسوبة إلى القبائل العربية اليمانية والقيسية بإفريقية وتحديدا ببلاد الساحل وسوسة.

5-دراسة زياني الصادق: الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ[2]: على الرغم من اشتغال الباحث في دراسته على مجالات الزاب فقط، إلا أنها ساعدتني بشكل كبير في معرفة الجماعات والجاليات السكانية القديمة على غرار "البربر والعجم والروم والأفارقة"، وتتبع الإثنونيميا المحلية والتحولات التي طرأت على السكان وأسمائهم ومجالات توطنهم، كما خصّص حيزا منها للعناصر العربية المستوطنة في بلاد الزاب وأصولها الإثنية، والتي دخلت المنطقة ضمن تشكيلة الجند الفاتح، وقد تنوعت أصولها بين اليمنية والقيسية والقرشية والتميمية، إضافة إلى العنصرين الفارسي والخراساني، كما دعمت الدراسة بمعطيات عن الانتشار الهلالي بالمجالات الزابية والتحولات العميقة التي شهدتها المنطقة مجاليا واجتماعيا.

6-دراسة الطاهر طويل: الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط (ق 2-10هـ/8-16م) الأوراس أنموذجا - دراسة في المجال والعمران والمسالك-[3]: من خلال تخصصه في الجغرافيا التاريخية للمدينة الإسلامية بالمغرب الأوسط خلال مرحلة الماجستير، ومواصلته البحث في ذات التخصص في طور الدكتوراه، لكن هذه المرة تطرق لمجال جغرافي منحصر في منطقة الأوراس، وبعد توظيفه للمصادر القديمة والوسيطة مع اعتماده على المادة الأثرية وتكثيفه للخرجات الميدانية إلى مجال الدراسة، قدّم الباحث الطاهر طويل بحثا شاملا عن منطقة الأوراس في العصر الوسيط، من خلال الكشف عن الجماعات البشرية، والمجالات الجغرافية، وخارطة العمران، وشبكة المسالك والبنى الطوبونيمية، وما أفادني في بحثي هو الشق المتعلق بالمجموعات السكانية "البربر والروم والأفارقة والعجم" والتشكيلات القبلية المستوطنة في الأوراس على غرار هوارة ولواتة وجماعات زناتة وغيرها، وأهم التحولات التي طرأت على التركيبة البشرية، لأن الباحث بدأ التنقيب عنها من الماضي القديم إلى المرحلة الوسيطة، متعقبا التحركات البشرية والقبلية والحضور العربي في مرحلة الفتح ثم الهجرة الهلالية والسليمية.

[1] ط1، مركز النشر الجامعي، تونس، 1424هـ/2004م.

[2] أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1440هـ/2019م.

[3] أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1441هـ/2020م.

7- دراسة محمد مواق:

- «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie»[1].

تبرز الدراسة تواصل المجموعات البشرية من الفترة القديمة إلى فترة العصر الوسيط، فإلى جانب مجموعتي "الروم والبربر"، تعاطى الباحث مع تسمية الأفارقة المشتقة من الأفري، محاولا إعطاء تفسيرات مختلفة لإيضاح أصولها ودلالاتها وعلاقتها بطوبونيم إفريقية، ومدى حضور اللفظ في الأدبيات الإغريقية اليونانية والنصوص اللاتينية الرومانية، ثم مطابقتها مع ما تضمنته المصادر الاسلامية العربية.

8-دراسة أحمد مشارك:

- «Continuité de l'éthnonymie, continuité du peuplement au Maghreb, de l'antiquité à nos jours : le cas des avares (haouara) et dianenses ou zanenses (zanāta)»[2].

يشتغل الباحث أحمد مشارك على موضوعات دقيقة ومتميزة بالعمق والدقة في حقل التاريخ، فهو يتجاوز فكرة الانقطاع الإثني والإثنونيمي للمكونات البشرية التي استوطنت المنطقة مع ماضيها القديم، لذلك يقوم بتتبع التواصل الإثني والإثنونيمي للمجموعات السكانية بين الفترتين القديمة والعصر الوسيط، مسلطا الضوء على كل مجموعة إثنية على حدا، ومحاولا استنطاق أقدم المصادر الليبية المحلية والمظان اللاتينية واليونانية الإغريقية، إلى جانب اعتماده على معطيات البقايا الأثرية، والاستعانة بالنصوص الإخبارية والوصفية الإسلامية، من أجل ربط معطيات المادة المصدرية القديمة بمعطيات المصادر الوسيطة لإثبات التواصل الاثني والإسمي للبنيات البشرية، وقد استفدت منه في القسم المتعلق بتواصل بعض المجموعات القبلية من القديم إلى العصر الوسيط مع تغيرات جزئية في أسمائها.

9-دراستا فتحي بحري:

- «Des conversions, des hommes et des biens en Ifrīqiyya musulmane : le cas des 'aǧam»[3].
- «Les 'Adjam al-balad une minorité sociale d'origine autochtone en Ifrîqiyya aghlabide IIIe-IXe siècles»[4].

خصص الباحث فتحي بحري هاتين الدراستين لتحديد أصول إثنونيم "عجم" وإثنونيم "عجم البلد"، محللا لنصوص كتاب البلدان، وقد استندت إلى كتابات الباحث من أجل التعاطي مع إثنونيم العجم ولواحقه اللفظية

[1] l'apport de la toponymie et de la philologie, Rocznik Orientalistyczy, LXVI, Z. 1, 2013.
[2] l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2015.
[3] Africa XVI, Tunisie, 1998,
[4] Dans Mutations, identités en Méditerranée, 2000.

التي تعددت حسب ما أورده اليعقوبي، وحاولت أن أبرز بوضوح الجماعات البشرية المحلية أو التي وفدت إلى المنطقة عبر الحركات السكانية وتم تلقيبها بإثنونيم العجم، بل إني واصلت البحث للكشف عن المعيار المعتمد في تصنيفها تحت هذه الصيغة الإسمية المعروفة في النصوص الوصفية بالعجم أو عجم البلد أو العجم القدم وغيرها.

10- دراستا إيف موديران (Yves Modéran) :

- Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle)[1].
- «Botr et Branès: sur les origines du dualisme berbère médiéval»[2].

شكلت الدراسة الأولى أهمية بالغة في موضوعي، حيث أنها مكنتني من تحديد الأسماء القديمة للمجموعات البشرية المستقرة بالمقاطعات الإفريقية خلال الفترة الممتدة بين القرنين الرابع والسابع الملاديين، وتحولاتها في فترة العصر الوسيط الأول، كما أشار موديران عقب اطلاعه الدقيق على المصادر التاريخية الإسلامية إلى تصنيف السكان المور تحت لفظ "البربر" من طرف الإخباريين المسلمين، ونبه إلى الغموض الذي يلف هذا التصنيف السكاني، وتحدث بتفصيل عن المجموعات القبلية المورية لاسيما قبيلة لواتة ودورها سياسيا وعسكريا، أمّا الدّراسة الثانية فقد درس فيها ثنائية البتر والبرانس والتأصيل العرقي لسكان بلاد المغرب خلال العصر الوسيط.

11- دراسة بوبة مجاني: أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة[3]، مكنتني هذه الدراسة من رصد الحضور اليمني ببلاد المغرب، والكشف عن أدوارهم في حركة الفتح الإسلامي، ومدى إسهام القادة اليمنيين في إلحاق المنطقة بدار الإسلام، ثم التعرف على مجالات توطنهم وتوزيعهم بالمجالات الحضرية، كما استندت إليها لإبراز مساهمة القبائل اليمنية في الجوانب الحضارية وتأثيراتهم في الحياة السياسية والإدارية ببلاد المغرب.

ليس من شك، في أنَّ الدراسة المعنونة بـ: "**التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي**"، قد خدمتها مجموعة من الدراسات التاريخية الأخرى لا يسعني المقام للتفصيل فيها، ومع ذلك فقد فتحت هذه الدراسات آفاق مغايرة ساعدتني منهجيا ومعرفيا، ومكنتني من تناول الموضوع بجوانبه المختلفة، ومن بين هذه الدراسات دراسة يوسف عيبش[4] التي زودتني بقائمة المصادر اللاتينية والدراسات الأجنبية، وبينت لي مجالات النفوذ البيزنطي في بلاد المغرب، إضافة إلى الكشف عن وضعية السكان المغاربة الذين لقبهم

[1] Rome, École Française de Rome, 2003.
[2] dans Mutations d'identités méditerranéennes, Ed Bouchène, Paris, 2000.
[3] منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1425هـ/2003م.
[4] الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 1430هـ/2009م.

الباحث تارة بالمور وتارة بالأفارقة وطبيعة العلاقة التي تربطهم بالبيزنطيين، وقد سلطت الضوء على دور الكنفدراليات القبلية المحلية في تاريخ المنطقة على غرار قبيلتي لواتة وهوارة، إلى جانب ما قدمته الباحثة البلجيكية فيرجيني بريفوست (Virginie Prévost)[1] حول الجماعات المسيحية القديمة التي تواصلت في إفريقية، كما تقاطع اشتغال الباحث هشام جعيط[2] مع دراستي في موضوع الوضعية القانونية والسكانية لبلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي وتركيبة الجيوش الإسلامية وأصول الجماعات البشرية المغاربية، بالإضافة إلى مساهمة عبد الإله بنمليح[3] من خلال الإبانة عن وضعية الرقيق ببلاد المغرب الإسلامي، والكشف عن أسمائهم وصنوفهم وروافد استرقاقهم ومستويات حضورهم وأدوارهم، وما جادت به مساهمات راضي دغفوس[4] ومحمد بن ساعو[5] في موضوع القبائل الهلالية والسليمية واستيطانها ببلاد المغرب بعد منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

سابعا– صعوبات الدراسة:

إنّ اتصاف موضوع الدّراسة بالجدة وقلة الدارسات فيه، قد ظل هاجسا يراود الباحث متى عزم التعاطي مع مبحث من مباحثه، ومن الصعوبات المنهجية والمعرفية التي اعتورت إنجازه طيلة فترة الدراسة، ما يمكن أن نبديه فيما يلي:

- صعوبة دراسة تاريخ بلاد المغرب الإسلامي في القرون الأولى من العصر الوسيط، لشح المادة العلمية وتفرقها بين دواف المصادر الإخبارية والجغرافية وكتب التراجم والطبقات، بالإضافة إلى بعض المصادر الفقهية القليلة، ويزيد الموضوع صعوبة مع تسليط البحث على التركيبة السكانية في حد ذاتها، فلقد عرفت مجتمعات المنطقة تغييبا وإقصاء في مختلف الحقول المعرفية خلال فترة العصر الوسيط المبكر، كما أن غالبية المظان المصدرية التي دونت في إطار فن الفتوح ليست بالمظان المحلية، حيث أنّ ما جمع من مادة خبرية ووصفية على قلتها حول

[1] Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord, Revue de l'histoire des religions, 4. 2007.

[2] تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/السابع والثامن م، دار الطليعة، بيروت، 1425هـ/2004م.

[3] الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1423هـ/2003م.

[4] دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1425هـ/2005م. دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة في إفريقية وبلاد المغرب في أواخر العهد الوسيط، مقال ضمن كتاب: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1436هـ/2015م.

[5] الحضور الهلالي في المغرب الأوسط وأثره في النشاط الزراعي والحرفي والتجاري بين القرنين 5-7هـ/11-13م، أطروحة دكتوراه، إشراف: الطاهر بونابي، جامعة المسيلة، 1444هـ/2022م.

تاريخ بلاد المغرب قد كتبها إخباريون من بلاد المشرق الإسلامي، ولا نقف على نصوص مغربية في القرنين الأول والثاني للهجرة/7-8م تمدنا بمعطيات تاريخية تسعفنا في دفع الغموض عن المسألة السكانية من منطلق الفاعل المحلي في التاريخ وليس المفعول به.

- طبيعة الموضوع التي تتسم بالغموض وبالتعقيد المنهجي والمعرفي حسب شهادة الباحث علاوة عمارة، فالبحث مستحدث على الساحة الأكاديمية العالمية، وتندر فيه الدراسات السابقة حسب اطلاعي، كما أنّ التعاطي مع جوانبه محاط بالكثير من الإشكاليات التي تفرض على إعداد البحث جملة من العقبات والمطبات المتنوعة، وبمجرد العزم على المضي فيه، فإنّ الأمر يقتضي التمرس على آليات النقد التاريخي للروايات الإخبارية والوصفية ومضمون أدب الأنساب ومدونة التراجم والطبقات، لأنّ معطيات النصوص المكتوبة في العصر الوسيط لا تعبر عن حالة التركيبة السكانية ووضعية أسماء المكونات البشرية مما هو أكثر وضوحا وصدقا عن واقعها خلال الماضي القديم، بل يتعدى الأمر إلى اختراع مشجرات نسب وهمية ومنظومة إسمية تحمل إثنونيمات جديدة صنفت تحتها المجموعات البشرية المغاربية، ولذلك وجب تثوير آليات النقد والتمعن في معطياتها بدقة، ولابد من الابتعاد عن المسلمات التي تبنتها الدراسات التاريخية التي هي بمثابة امتداد لسلسلة من التصورات المصدرية الوسيطة.
- تقاطع الموضوع المتناول مع العديد من العلوم بما في ذلك العلوم الاجتماعية والأنثربولوجية، وهو ما يحيل إلى توظيف مقارباتها الحديثة، كما يستدعي التحكم في اللغات الأجنبية الحية، وحتى بعض اللغات القديمة كاللغة اللاتينية لفك مضمرات أسماء المجموعات البشرية ورصد واقعها خلال الفترة القديمة، ومطابقتها مع وضعية الأسماء السكانية خلال فترة العصر الوسيط الأول، لكشف التحولات العميقة التي طرأت على الإثنونيميا المحلية، وهذه عقبة أخرى من العقبات التي واجهتني أثناء إعداد هذا البحث. ولما كانت الحدود الزمنية والجغرافية للدراسة متميزة بالطول الزمني والاتساع الجغرافي، والتي قد جاوزت ستة قرون كاملة شمل فيها البحث في موضوع التصنيف السكاني مجال المغرب الإسلامي الموحد، فإنّ عملية التنقيب عن المادة الخبرية في المصادر الإسلامية عملية شاقة وصعبة، بل أيضا إنّ الرجوع في كل مرة إلى مصادر العصر القديم خلال العهد الروماني والوندالي والبيزنطي، والاستعانة بها في تتبع وضعية الهياكل البشرية وأسمائها، قد أدّى بي إلى بذل جهود مضنية واستثمار وقت طويل مع تحمل مشاق البحث في التاريخ القديم.
- فضلا عن العقبات التي طرحتها مسألة الحصول على المعطيات المصدرية من أصولها، وتشتت إشاراتها على مختلف النصوص الإخبارية والوصفية والفقهية، فإنّ نقص الإقبال على البحث في الميدان الأثري وربطه بموضوعات التعمير البشري لاسيما الحفريات المتخصصة في الفترة الإسلامية الأولى، وبالأخص في كل من ليبيا والجزائر

والمغرب الأقصى، شكّل إحدى الصعوبات التي واجهت الدراسة في ظل حاجتي إلى المعطيات الأثرية المتصلة بشبكات التوطن البشري، واللقى الأثرية المخلدة لأسماء الجماعات السكانية، بالإضافة إلى قلة الأدلة المادية المؤرخة لإسهامات بعض العناصر الاجتماعية في الحضارة المغربية الوسيطة، ويحسن التنبيه هنا إلى قطع الباحثين في تونس أشواطا هامة في حقل الحفريات الأثرية وتوظيفها معطيات في أبحاث الجغرافيا التاريخية.

ثامنا: عرض المصادر وتحليلها:

يتّوجه البحث التّاريخي في الدِّراسات الحديثة نحو حقول معرفية جديدة تمثل مصادرا لمعطيات متنوعة تسهل على الباحثين طرق موضوعاتهم البحثية، خاصة فيما يتصل بمواضيع التّاريخ الاجتماعي والسكاني التّي تفرض استثمار هذه المعطيات لدراسة قضايا تاريخ السكان وجوانبه المتعددة، أمام ندرة المادة المصدرية في حقل التاريخ السياسي، وتغييبه لتاريخ الهياكل والبنى الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة محل الدراسة.

تأسيسا على هذا المنطلق، اتجهنا في هذه الدّراسة إلى الاعتماد على جملة من المصادر بتباين حقولها، التاريخ العام، وكتب الرحلات والجغرافيا، وكتب الأنساب، والتراجم والطبقات، والمدونة الفقهية النوازلية، نظرا لما تحمله من أهمية محورية تسهم في تغطية كافة المباحث التي تخص موضوع التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي، ويمكن عرضها في ما يلي:

1- كتب التاريخ:

شكلت النصوص الإخبارية مصدرا هاما في موضوع الدراسة، نظرا لما تحتويه من معطيات عن أصول المجموعات السكانية، والجاليات اللاتينو-بيزنطية ومجالات توطنها، كما قدمت معلومات عن المكونات الإثنية للمقاتلة العربية أثناء حركة الفتوح الإسلامية، بالإضافة إلى القبائل العربية الداخلة إلى بلاد المغرب منذ الفتح إلى نهاية القرن السابع الهجري، وسمحت كذلك بمعرفة الموجات البشرية ومستويات الحراك القبلي بالمنطقة خلال الإطار الزمني المدروس، ومن بين أهم المصادر التاريخية التي استندنا إليها في هذه الدراسة ما يلي:

أ- كتاب التاريخ: أبو عمرو بن خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري (ت 240هـ/855م)[1]، تحدث ابن خياط عن الأحداث السياسية في بلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي، والتحركات البشرية عقب تقدم الحملات الأموية في المجالات الشرقية للمنطقة، وذكر المجموعات البشرية المستوطنة ببلاد المغرب من السكان المحليين الذين أطلق عليهم لفظ "البربر" إلى جانب الروم البيزنطيين والأفارقة، كما بيّن وضعيتهم القانونية والتشريعية تجاه السلطة

[1] تح: أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم، دمشق، 1397هـ/1976م.

العربية بعد إلحاق المنطقة بدار الإسلام، ووضعية الأرض وملكيتها، وتناول إسهامات القادة المحليين اليمانيين والقيسيين والقرشيين في حركة الفتوح ودورهم في تثبيت السلطة الإسلامية بالمنطقة، مشيرا إلى أهم الانتصارات الحربية العربية على الجيوش البيزنطية والمجموعات المغاربية المحلية.

ب- فتوح مصر والمغرب: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257هـ/871م)[1]، تهتم معطيات المؤلَف بتحركات المقاتلة العربية ببلاد المغرب في إطار حركة الفتوح، وإبراز العلاقة بين المجموعات السكانية المغاربية من جهة والفاتحين المسلمين من جهة أخرى، وفضلا عن إيراده لبعض البيانات الخبرية ذات الصلة بالخارطة البشرية للسكان الأصليين ببلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي، فإنّه يُبيّنُ الأصول العرقية للمركب الاثني المحلي، أضف إليها وقوفه على العديد من المجموعات والكنفدراليات القبلية المحلية، مستعرضا أسمائها الخاضعة لحركة التعريب في النصوص التاريخية العربية، مما أفادني للبحث في تقسيماتها وتصنيفاتها الاجتماعية والإسمية وتحديد ملامح توطنها وانتشارها.

ج- فتوح البلدان[2]: أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري (ت 279هـ/892م)، سلّط مؤلف فتوح البلدان الضوء على وضعية المغرب السياسية والإدارية أثناء عمليات فتحه، كما أشار إلى القادة الذين قادوا الحملات العسكرية العربية والمنحدرين من الأصول اليمانية والقيسية والقرشية، ثم عرّج على دور كنفدرالية لواتة في المجالات الشرقية زمنة الفتح الإسلامي للمنطقة، وقد أفاد الدراسة في تقديمه لرواية تاريخية مضطربة نقلها عن الراوي بكر بن الهيثم تهتم بالأصول الاثنية "للبربر"، حيث ينسبهم تارة إلى بر بن قيس عيلان، وتارة أخرى إلى الجبارين الذين ينحدرون من فلسطين، في حادثة إجلائهم من طرف داوود عليه السلام ليستوطنوا بلاد المغرب قديما ويصبحوا من سكانها، بالإضافة إلى أنه كشف عن وضعية العبيد السوداني بإفريقية خلال العهد الأغلبي.

د- الكامل في التاريخ[3]: أبو الحسن عز الدين ابن الأثير الجزري (ت 630هـ/1233م)، هو تأليف يستند إلى المنهج الحولي في التأريخ لحوادث التاريخ الإسلامي، ومكنّني الكامل في التاريخ من إماطة اللثام عن دور المركب اليماني والقيسي في حركة الفتوح الإسلامية، وتتبع سلسلة العمليات التي قام بها الفاتحون المسلمون في المنطقة، وتضمنت نصوصه معطيات عن أعداد العبيد خلال العهد الزيري وطبيعة علاقتهم بالسلطة الحاكمة، وأدوارهم في التصدي لنزوح بني هلال وبني سليم، وقد تعاطى ابن الأثير مع موضوع التغريبة الهلالية والسليمية من خلال

[1] تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م.

[2] دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1409هـ/1988م.

[3] تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

رصده لمجلاتهم في بلاد المشرق الإسلامي، ثم ذكره لدوافع هجرتهم إلى منطقة المغرب، مستحضرا في ذلك أصولهم الاثنية ومتعقّبا لفروعهم القبلية ومحددا لمواطنهم الجغرافية، دون أن يغفل عن إبراز علاقتهم بالدول المغربية، وخصوصا الدولة الموحدية التي نقلت جماعات منهم إلى المغرب الأقصى على مراحل محددة حسب شهادة ابن الأثير.

هـ- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب[1]: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ/1312م)، تكمن أهميته في دراستي في نقله لنصوص ضائعة على غرار ابن شرف القيرواني وابن أبي الصلت وابن رشيق، وهؤلاء من إخباريي البلاط الحمادي، حيث تركزت روايات البيان المغرب على الجماعات الهلالية والسليمية بعد وصولهم إلى المنطقة في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وأفادتني رواياته في تحديد مجالات السيطرة العربية لبني هلال وبني سليم ببلاد المغرب، كما تطرق بدقة لعلاقة المجموعات القبلية العربية بالبلاط الزيري والحمادي، إن على مستوى عرضه للتحالفات السياسية القائمة بين الطرفين، أو في جهة أخرى تتمثل الصراع العسكري بينهما.

و- نهاية الأرب في فنون الأرب[2]: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد النويري (ت733هـ/1333م)، هو من الكتب الموسوعية التي أرخت لكل بلدان العالم الإسلامي، وقد سمحت لي معطيات نهاية الأرب بمعرفة مكونات التركيبة البشرية لمجتمع المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، والكشف عن أسماء الجماعات السكانية مثل "البربر" والجاليات اللاتينية والبيزنطية مثل الأفارقة والروم، واستندت إليه في تحديد شبكة التعمير البشري لهذه التكوينات الاثنية، فضلا عن تعقبه للجموع العربية اليمنية والقيسية ومضارب استقرارها والحراك القبلي في الجهة الشرقية عندما دخل الفاتحون المسلمون إلى بلاد المغرب، وتزداد أهميته في موضوع فك المضمرات المرتبطة بمسألة دخول المركب الفارسي والخاراساني إلى المنطقة كمجموعة إثنية وصلت في فترة عصر الولاة مع حملة محمد بن الأشعث للقضاء على الخوارج، كما استوقفتني إشاراته إلى جغرافية الفرس والخراسانيين وتوزعهم على مدن الجهة الشرقية ببلاد الزاب وبلاد إفريقية.

ز- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر[3]: أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، على الرغم من تأخره بأقل من قرن عن الفترة محل الدراسة، إلا أنه يعد

[1] تح: ليفي بروفنسال وج.س. كولان، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1403هـ/1983م.

[2] دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ/2002م.

[3] تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1422هـ/2001م.

من بين أهم المصادر الرئيسية التي خصص فيها المؤلف الجزئين السادس والسابع للحديث عن المجموعات القبلية المحلية، فرصد أصولها وأسماءها ومواطنها وتحركاتها وأدوارها طيلة فترة العصر الوسيط، كما تحدث بتفصيل عن الأصل الاثني للسكان المغاربة، وقام بعرض كل الروايات المؤصلة لأنسابهم وجذورهم العرقية وفي مقدمتها الأصل المشرقي، وهو ما يعادل جهود مصادر الأنساب وقد يفوقهم أحيانا في قيمة ما قدّمه، لأنه عاش في بيئة مغاربية واحتك بالسلط السياسية التي خلفت السلطة الموحدية، واستفاد من الخطط والوظائف التي تولاها للحصول على نوادر المخطوطات والوثائق السلطانية ليوظفها في كتابة مصنفاته، ولم يتوقف عند هذا الحد، فلقد نقل عن مصادر محلية شفوية وأخرى مكتوبة خاصة الروايات المنقولة عن نسابة البربر من أمثال يوسف الوراق وأيوب بن أبي يزيد وسابق المطماطي وكهلان بن أبي لؤي، والتي فُقدت اليوم وأصبحت في عداد المصادر الضائعة، ويكتسي كتاب العبر أهمية بالغة في الدراسة بوصفه مصدرا محليا يُشخص بدقة عن هجرات المجموعات الهلالية والسليمية مكوناتهم الاثنية وتشكيلاتهم القبلية ومجالاتهم الجغرافية وأوضاعهم السياسية، ثمّ إنّه أسّس لنظريته المشهورة حول قيام الدول انطلاقا من استحضاره لمعطيات الواقع المستخلصة من ملاحظاته العميقة والعيانيّة والمشخصة لظاهرة العصبية وعلاقتها بالعمران البشري والملك، دون إقصاءه لظاهرة البداوة وأثرها في مجتمعات بلاد المغرب خلال العصر الوسيط.

2- كتب الأنساب:

تشكّل نصوص أدب الأنساب مادة مصدرية هامة في موضوع التصنيف السكاني ببلاد المغرب الإسلامي، إذ أنها تشير إلى الأصول الاثنية لمكونات المجتمعات المغاربية خلال فترة الدراسة، ولئن تميزت بقلة التعمق على مستوى مشجرات النسب الأصلية، وتضاربت رواياتها أحيانا أخرى، إلا أنّها تتضمن رصيدا هاما لا غِنىً عنه في طَرْقِ موضوع الانتماءات العرقية للجماعات البشرية المحلية والوافدة، كما أنَّها تقدم معلومات عن الهجرات القديمة إلى المنطقة، وتعكس صورة صراع الانتساب الاثني للتشكيلات الاجتماعية المغاربية، ودور النسابة في رسم ملامح الانحدار العرقي للتركيب البشري المحلي. وقد اعتمدنا في هذا الحقل المصدري ما يلي:

أ- نسب معد واليمن الكبير[1]: هشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ/819م)، يعتبر هذا التأليف في حقل الأنساب ذو قيمة جليلة في دراسة موضوع التصنيف السكاني، لكونه أقدم مصدر من مصادر الأنساب المشرقية التي قدّمت رواية تحدد النسب الاثني لسكان بلاد المغرب الإسلامي، كما أنّه اعتنى بتقسيمات القبائل العربية

[1] تح: ناجي حسن، ط1، عالم الكتب، الرياض، 1408هـ/1988م.

إلى قبائل الجنوب القحطانية وقبائل الشمال العدنانية، وأسهم في معرفة جوانب النسب العربي للمجموعات القبلية من حيث تأصيل الجذور القبلية للعرب اليمانية الداخلة إلى بلاد المغرب خلال مرحلة الفتوح الإسلامية، وأردف معطيات هامة تتعلق بالأصل الحميري القحطاني لقبيلتي صنهاجة وكتامة المغربيتين.

ب- جمهرة أنساب العرب[1]، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1063م)، خدمني هذا المؤلف في مسألة تحديد أنساب العرب الطارئين على بلاد المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح، إذ أنه أشار إلى نسب القبائل العربية التي دخلت المنطقة منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ومنها الجموع اليمنية والقيسية والتميمية والقرشية، وواصل ابن حزم تأصيله للمجموعات السكانية المحلية المعروفة عنده بتسمية قبائل "البربر" من جهة، والمجموعات الهلالية والسليمية من جهة أخرى، مما وفر لي مادة مصدرية أسهمت في تغطية جوانب النسب العربي و"البربري" لمكونات التركيبة البشرية المغاربية في دراستي، ولئن حفلت نصوصه بالمعلومات المفيدة في موضوعي، إلا أنّ التصنيفات الاثنية التي نقلها لنا ابن حزم تبقى خاضعة لإعادة النظر والتّمعن في معطياتها، على اعتبار أنّه تأثر بسابقيه من النسابة "البربر" والنسابة "العرب" في موضوع الأنساب والتقسيم الاثني للمجموعات السكانية المغاربية.

ج- مفاخر البربر[2]، مؤلف مجهول(ق 6هـ/12م)، من المصادر المغربية المحلية التي استندت إليها في معرفة النسب "البربري" والروايات المؤصلة له، ويؤشر صاحبه في هذه الروايات على فكرة الأصول الشرقية للمغاربة، كما يظهر تأثره إلى حد كبير بالنصوص الإخبارية المشرقية مثل نصوص ابن عبد الحكم وابن أعثم وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير ونهاية الأرب للنويري، وقد أعانني في بحث الثنائية المشهورة بالانقسام الاثني لمجموعتي "البتر والبرانس" والتي تحدث عنها بتفصيل وأمدنا بمعلومات ضافية حولها، وقد خصّص نصوصا هامة تتعلق بوضعية المجموعات القبلية المحلية، مستحضرا قوائم أسمائها، ومشيرا إلى مجالات انتشارها وتوزعها.

د- كتاب الأنساب[3]، صالح بن عبد الحليم الأيلاني(ق 8هـ/14م)، ينحدر المؤلف من بطن أيلانة الذي ينتمي لقبيلة مصمودة من قبائل المغرب الأقصى، ولذلك يُعدّ كتابه من النصوص المحلية المدونة في حقل الأنساب المغاربية، ولو كان متأخرا عن زمن الدراسة بأكثر من قرن من الزمن، فإن معطياته ساعدتني في تحديد الأصول الإثنية للمركب المعروف بـ:"البربر"، حيث أشار إلى انحدارهم من حام بن نوح إلى جانب القبط والسودان، ولا

[1] تح: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.

[2] تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1425هـ/2005م.

[3] تح: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1416هـ/1996م.

يخفى أنه اعتمد على النصوص العربية المشرقية المدونة في أدب الأنساب العربي في إثبات الأصل الحامي لسكان بلاد المغرب الإسلامي.

3- الرحلة والجغرافيا:

اعتنى الرّحالة والجغرافيون في هذا الصنف المصدّري بالظواهر البشرية، والاقتصاديّة، والعمرانيّة، والطّبيعيّة كالمناخ والتّضاريس والغطاءات النباتيّة، حيث استند الرحالة خصوصا في نصوصهم الوصفية إلى الملاحظة الميدانية المباشرة للأقاليم الجغرافية ومكوناتها، فركزوا على الخريطة العمرانية وعناصرها، والمسالك والدروب الداخلية والصحراوية والبحرية من خلال تسجيل مشاهداتهم العَيَانيّة، وهو ما ميَّزها عن باقي الحقول المصدرية الأخرى، وجعلها تتضمن محصلة للمعطيات القيّمة التي تشمل خريطة العمران وشبكات الطرق والتعمير البشري للمجالات الريفية والحضرية، والعوامل المساهمة في استقرار التجمعات السكانية، فضلا عن ذكر بعض روادها لمعطيات هامة تلامس وضعية الهياكل البشرية والإثنيات المشكلة لمجتمعات بلاد المغرب وأسمائها طيلة الفترة محل المعالجة، والتي توجَّب علينا استثمارها في هذه الدِّراسة:

أ- كتاب البلدان[1]: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي الكاتب(ت 284هـ/897م)، في أثناء زيارته إلى بلاد المغرب خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، دوّن اليعقوبي مشاهداته وتوصيفاته التي تنقل لنا معلومات جد هامة تفيد الدراسة في كونها تكشف عن وضعية التركيبة البشرية ومكوناتها الإثنية بالمنطقة، وتعد معطياته حجر الزاوية في معرفة صورة التوطين السكاني والتوزع الجغرافي لجاليات الروم البيزنطيين والأفارقة المولدين إلى جانب السكان المحليين، لذلك يحظى المؤَلَفُ بأهمية بالغة في موضوع التصنيف السكاني من بداية القرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الثالث، وعلى الرغم من المعلومات الضافية التي يقدمها كتاب البلدان حول قوائم أسماء الجماعات الاثنية القديمة مثل:"البربر الروم والأفارقة والعجم والفرس والخرسانيين"، إلا أنّ الجدير بالتنبيه هو اختلاط الأسماء الإثنية عليه، سواء أسماء العناصر المحلية أو الوافدة الواردة في نصوصه الوصفية، فمصطلح العجم ورد كثيرا في كتابته ملحقا بألفاظ أخرى على غرار "العجم القدم"، و"عجم البلد"، و"عجم من البربر" و"عجم خراسان" مما اضطرني إلى تفحص معلوماته بدقة وأقارنها مع معطيات المصادر الإخبارية، من أجل إماطة اللثام عن هذه التصنيفات السكانية ومحاولة تجلية الغموض الذي يحوزها.

[1] تح: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.

ب- صورة الأرض[1]، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي الموصلي(ت 367هـ/977م)، يغطي كتاب صورة الأرض مرحلة حكم الدولة الفاطمية لبلاد المغرب الإسلامي، وما يميز إفادته للدراسة هو إيراده لأقدم القوائم الإسمية الخاصة بالمجموعات القبلية المحلية بتفصيل، والمعروفة في نصوصه بالقبائل "البربرية"، وقد أعانتني معطيات صورة الأرض على تتبع خارطة التوطين السكاني للمجموعات السكانية وتحديد مجالاتهم الجغرافية بالمنطقة، كما أفادني في التعرف على عنصر العبيد الرومي، وكذلك على جماعة بشرية لاتينية تواصل وجودها من الفترة القديمة في مدينة طبنة ببلاد الزاب إلى غاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث ذكر هذا المركب الاثني تحت تسمية برقجانة، وقد أشار ابن حوقل إلى الطرق التجارية الواصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان مشيرا إلى أهم المسالك والدروب الصحراوية، دون أن يغض الطرف عن المدن المراسي وشبكة الطرق البحرية شمالا.

ج- المسالك والممالك[2]، أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري(ت 487هـ/1094م)، إنّ عناية البكري ببلاد المغرب كان نتيجة لشغفه بعلم الجغرافيا، إذ نقل معلومات على غاية من الأهمية في موضوع السكان وأحوالهم في المنطقة، ونبهني إلى جغرافية توطن الأفارق وتواصلهم بمدينة قابس في إفريقية، وتقسيمه لكورة بنطيوس إلى ثلاث مدن تستقر بإحداها الخوارج من الإباضية والواصلية، ويسكن المركب الفارسي في إحدى المدن الأخرى، ومما يزيده قيمة هو حديثه عن وضعية العبيد وتوظيفهم من طرف الجماعات الزناتية، ولا سبيل لإنكار أهمية كتاب المسالك والممالك في توضيح صورة الطرق التجارية الصحراوية والبحرية ومختلف المسالك الداخلية المغاربية.

د- الاستبصار في عجاب الأمصار[3]، لمؤلف مجهول عاش خلال(ق 6هـ/12م)، تدّعمت الدراسة بنصوصه التي تضمنت معطيات عن وضعية المغرب أثناء سيطرة القبائل الهلالية والسليمية على مجالاته في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ولئن تحامل المؤلف على الهلاليين والسليميين من خلال توصيفات التخريب والفوضى التي تخص معلوماته في العديد من مواضع الكتاب، إلا أنّني استندت إلى نصوصه في تتبع جغرافية التحركات الهلالية والسليمية ومجالات استيطانهم، بالإضافة إلى الإشارات التي خصصها للعبيد السوداني المستقرين بمدينة أودغست في الجنوب الغربي لبلاد المغرب الإسلامي.

[1] دار صادر، بيروت، 1356هـ/1938م.

[2] تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م.

[3] تح: عبد الحميد سعد زغلول، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1406هـ/1986م.

هـ- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق[1]، لأبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي (ت 560هـ/1164م)، يتضمن المؤَلَفُ معلومات تتصل بخارطة الانتشار الهلالي والسليمي ببلاد المغرب بعد منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، ومما يزيد من قيمة مادته الوصفية أنه تحدث عن الجماعات القديمة، وخصص لها نصا في غاية الأهمية يبين فيه تواصل جماعات الأفارقة أو "الأفارق" المتحدثون باللسان اللاتيني القديم في قفصة ومجالات الجريد التونسي، ويعود له الفضل كذلك في تحديد ملامح خارطة التوطين العربي في مدن المغرب وأريافه وجملة التغيرات المجالية التي حدثت عقب الهجرة الهلالية والسليمية، وبالتالي تتيح نصوصه تغطية الجغرافيا البشرية بالمجالات الحضرية والريفية، ويفيد في فهم جدلية العلاقة بين السكان المحليين والوافدين الجدد من العرب الهلاليين والسلميين الذين توزعوا بالمنطقة، كما يغطي نزهة المشتاق مرحلة تمتد طيلة النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لأنّ الإدريسي فرغ من تأليفه سنة 548هـ/1154م، وهي مرحلة تندر فيها النصوص الوصفية وكتب الرحلات والجغرافيا المهتمة ببلاد المغرب الإسلامي.

4-كتب التراجم والطبقات:

يحفل حقل التّراجم والطبقات والسيّر بمعطيات ثمينة تؤرخ للحياة العلمية وانتقال العلوم والمعارف وحركة رحلة العلماء بين البلدان المغاربية، وتسهم في الكشف عن أعلام النخب الفقهية والعلمية ومشاهير الأولياء وأقطاب الحركة الصوفيّة بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كما أنّها تتّضمن رصيدا هاما من المادة الخبرية التي تميط اللثام عن عناصر التركيبة البشرية وأوضاعها، ذلك أنّ انخراط النخبة العالمة في فعاليات الحياة الاجتماعية وثبوت أدوراهم الإصلاحية والتعليمية والقضائية، مع ما يميز علاقاتهم بالتشكيلات السكانية، قد أسهم في تقديم صورة عنهم بداية من الأصول الاثنية، ثم مرورا بأسمائهم وألقابهم، ووصولا إلى مضاربهم الجغرافية.

أ- طبقات علماء إفريقية[2]، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت 333هـ/944م)، مكنتني معلوماته من تشكيل صورة عن القادة الفاتحين في المغرب من خلال معرفة أصولهم وإسهاماتهم في عمليات الفتح الإسلامي ودورهم إلحاق المنطقة بفلك الإسلام، وعلى الرغم من طغيان أسلوب التمجيد الذي غلب على مظانه من خلال تبيان فضل أهل المغرب وأرضهم، وإيراده لبعض الأحاديث النبوية التي تدعم رواياته،

[1] ط1، عالم الكتب، بيروت، 1409هـ/1989م.

[2] دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1416هـ/1996م.

إلا أنني وظفت ما وفر لي من معطيات في الكشف عن العناصر المشكلة للنسيج الاجتماعي ببلاد المغرب، وتتبع أنثربونيمية الفقهاء المالكية للكشف عن أصولهم الاثنية المتنوعة.

ب- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونُسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم[1]: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت 460هـ/1068م)، أفادني رياض النفوس في التعرف على الصورة المتحاملة على الأصل "البربري" ونظرة بعض الفقهاء المغاربة من المالكية إليه بنظرة دونية، ما جعلهم يقفون موقفا سلبيا من الأصول العرقية "للبربر"، ومن خلال معطياته تمكنت من رصد وتتبع الجماعات البشرية الأصلية والجاليات القديمة، واستعرض قائمة الأسماء الإثنونيمية ذات الصلة بتركيبة السكان ببلاد المغرب، على غرار "البربر" و"العبيد الصقلبي و"السوداني" والخراسانيين" و"الفرس"، واكتشاف الدلالات الاثنية لمصطلح العجم الذي حمل معان عديدة، كما أجاد المالكي في تزويدنا بإشارات تبرهن على توظيف العبيد باختلاف أصولهم في الحياة المغربية، كما أبانت نصوصه على التواجد الفارسي والخراساني وأدوارهم السياسية والعسكرية في إفريقية خلال الفترة الأغلبية.

5-كتب النوازل:

امتدت ضرورة الاهتمام بالبحث التاريخي في موضوع السكان ومكونات التركيبة الاجتماعية ببلاد المغرب إلى المدونات الفقهية التي تُعدّ رافدا أساسيا من الروافد المعرفية التاريخية، حيث استعملت بعض نصوصها لاستيفاء قسم هام من الجوانب الاجتماعية التي من بينها رصد التحركات البشرية والتحولات المجالية بالمنطقة في أعقاب الانتشار العربي الهلالي والسليمي ببلاد المغرب، لأنه كلما سجّل الباحثون شُحّا في المادة المصدرية في النصوص الإخبارية والوصفية، يلجؤون إلى المدونة الفقهية والنوازلية بغرض تطويع معطياتها مع ما تمليه الحاجة إلى المادة الخبرية في البحث التاريخي الاجتماعي والاقتصادي والعمراني لإعداد الدّراسات التّاريخية.

لقد ساعدتني المدونة النوازلية في تتبع إثنونيمات البدو والعرب والأعراب والعربان ومدلولاتها، كما استقيت منها معلومات عن نشاط الأطراف التي وسمت في مصنفه بالتسميات السابقة، وعلاقتها بالحرابة في المجالات الريفية وعلى مستوى شبكة الطرق والمسالك والدروب، وتكتسي المدونة النوازلية أهمية في أنها تحتوي نصوصا نوازلية واقعية – وافتراضية تنظيرية- تُعين الدراسة على الفهم بشكل أكثر لموضوع التسميات التي أطلقت على الجماعات الهلالية والسليمية ببلاد المغرب، ومراحل تبلور المصطلحات التصنيفية التي عمل الفقهاء على تسمية

[1] تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

القبائل العربية بها في مدوناتهم، بالإضافة إلى المعطيات المتعلقة بحياة العبيد الذين وظفوا في خدمة البيوت والقصور وفي الفلاحة والتجارة، وهو ما مكنني من رصد أدوارهم وتتبع إسهاماتهم المختلفة، ومن بين أبرز المصادر التي أفادتني في هذا المقام:

أ- جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين من القضايا والأحكام[1]، أبو القاسم بن أحمد بن محمد البرزلي البلوي (ت 841هـ/1437م).

ب- الدرر المكنونة في نوازل مازونة[2]: أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسي المغيلي المازوني (ت 883هـ/ 1503م).

ج- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب[3]، أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي (ت 914هـ/1508م).

[1] تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2002م.

[2] تح : مختار حساني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1430هـ/2009م.

[3] تح : جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

الفصل التمهيدي:

مكونات التشكيلة الاجتماعية لبلاد المغرب خلال الفترة الما قبل الإسلامية

أولا– النوميد (**Numide**).

ثانيا– المور (**Maures**).

ثالثا– البقواط (**Baquates**).

رابعا– الباوار (**Bauares**).

خامسا– الجيتول (**Gaetulii**).

الفصل الأول: مكونات التشكيلة الاجتماعية في بلاد المغرب خلال الفترة ما قبل الإسلامية:

تكونت الجغرافيا البشرية لبلاد المغرب خلال الفترة القديمة من مجموعات سكانية متعددة، تنوعت أصولها العرقية، وتباينت مجالاتها الجغرافية، واختلفت أنماطها المعيشية، وانخرطت في الحياة البدوية والحضرية على السواء، ولا غرو أن تكون هنالك صلات اثنية جمعت سكان الفضاء المغاربي قديما بالمجموعات البشرية التي عاشت خلال فترة العصر الوسيط، لأنّ حضور أسماء المجموعات القبلية القديمة مثل لواتة وهوارة وزناتة ونفزاوة وجدالة في النصوص الإخبارية والوصفية الإسلامية، يبرهن على أنها قد شكلت القاعدة الاجتماعية لسكان بلاد المغرب خلال الفترة الوسيطة المبكرة، وعلى الرغم من انقطاع الإثنونيمات المعبرة عن المجموعات الكبرى في المصادر الوسيطة على غرار النوميد والمور والباوار والباقواط والجيتول والموسولامي والغرامانت والواردة في النصوص الأدبية اللاتينية والنقوش الأثرية كتصنيف قديم، إلا أنّ ذلك لا يؤكد على وجود تأثيرات غيرت من معالم البنية السكانية ببلاد المغرب خلال العصر الوسيط، وإنما يتعلق الأمر بالتحولات الاسمية والإثنونيمية المحلية على وجه الخصوص، ذلك أن السكان المغاربة المستوطنين بالمنطقة خلال العهد البيزنطي لهم امتداد عرقي يعود للفترة الوندالية والرومانية، وسيكون لهم حضور فعال خلال العصر الوسيط مأثرين ومتأثرين ضمن تواصل اثني تعود جذوره للمرحلة القديمة، لكن مع تصنيف إثنونيمي جديد ورد تحت صيغة "البربر"، فرضته مستجدات الكتابة التاريخية الإسلامية، وتبعات عملية التعريب الطارئة على المؤسسات والنظم والبنى السكانية لا سيما في أسمائها وأصولها.

أولا– النوميد (Numide):

بحثت العديد من الدّراسات التاريخية مسألة تأصيل كلمة "نوميد" دون أن تتوصل إلى جذورها التاريخية ودلالاتها اللغوية، وظلت كلمة غامضة وكأنها من أصول سامية، ومرد ذلك احتمالا إلى أثر مختلف الأنساق الكتابية المختلفة[1]، وقد جرت العادة في أغلب المصادر اللاتينية الرومانية المؤرخة للمنطقة أن تقترن فيها لفظة نوميد(Nomide) بكلمة نوماد(Nomade) ومعناها البدو الرحل الذين لم يتخذوا من نمط الاستقرار والسكن

[1] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1433هـ/ 2012م، ص/154.

الثابت نظاما لحياتهم، معروفين بتنقلاتهم الدائمة مع قطعانهم للرعي والظعن في المجالات الجغرافية ببلاد المغرب خلال الفترة القديمة.

بالرجوع إلى مصادر الفترة القديمة نجد تسمية "نوميد" تذكر بكثرة في نهاية مرحلة القرن الثاني وخلال القرن الأول قبل الميلاد، وهي المرحلة التي تم فيها توحيد المملكة النوميدية من طرف الملك ماسينسيا (Massinissa) ابن الملك غايا(Gaia)، ثم حافظت على اسمها إلا غاية اعتمادها رسميا كمقاطعة إدارية جديدة من المقاطعات الرومانية في شمال إفريقيا[1]، وأصبحت كلمة "نوميداي"(Numidae) تطلق على مجموعات بشرية محلية سكنت مجالات واسعة من البلاد المغاربية، ورغم تأسيس الممالك النوميدية المحلية "الماسيلية والمازاسيلية"[2]، إلى أنّ إيثنونيم "نوميد" الذي يعبر بشكل عام عن سكان بلاد المغرب في الأقاليم التلية والمناطق الداخلية لازال متداولا في المظان المصدرية اللاتينية[3]، لكن الجغرافي الإغريقي سترابون(Strabon)[4] أشار إلى سكان بلاد المغرب بلقب آخر تمثل في إيثنونيم "نوماد"، وهو بمثابة تسمية خضعت لتأثير المعطيات الإثنوغرافية الوصفية على المؤرخين القدامى[5] الذين يطلقون في نصوصهم لفظ "نوماد" على البدو المتنقلين، وتبلورت تسمية نوماد أكثر لتصبح شائعة في المصادر الرومانية التي نقلت عن المؤرخين الإغريق تأثرا بهم، لتدل على كل الشعوب البدوية الظاعنة التي تمارس نمط الرعي في معاشها وتتخذ من أسلوب التنقل والترحال نظاما لحياتها.

ولم يتبنى معظم الباحثين بالنظرية التي تشتق كلمة "نوميد" المحلية من كلمة "نوماد" الإغريقية، لأنّ سكان بلاد المغرب هم الليبيون وليسوا نوماد حسب هيرودوت(Herodotus)، وهو الذي يمثل أقدم مصدر إغريقي

[1] Marcel Le Glay, L'administration centrale de la province de Numidie de Septime Sévère à Gallien, Antiquités africaines, 27,1991, pp.84-85.

[2] من بين أقوى الممالك السياسية المحلية التي قامت في بلاد المغرب خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وقد لعب مركب الماسيل دورا في تأسيس المملكة الماسيلية، وينطبق الأمر ذاته على المازسيل الذين أسسوا المملكة المازسيلية، وغالبا ما اتسمت العلاقة بين الماسيل والمازاسيل بالعداء الشديد إلى درجة وقوع معارك ضارية بينهما، بسبب التوسعات المتكررة من الطرفين على حساب بعضهما البعض، بالإضافة إلى دور السلطة القرطاجية والرومانية في بعث الصراع وتغذيته، وسنبين في صفحات هذا المبحث أصول الممالك النوميدية ومجالاتها الجغرافية وأبرز ملوكها وأدوارهم.

[3] فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م، منشورات أيبك، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص ص/21-22.

[4] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م، ص/163.

[5] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص/156.

كتب عن شعوب شمال إفريقيا[1]، ويلقبهم سالوستيوس(Sallus-tius)[2] في معرض حديثه عن الشعوب المستوطنة في بلاد المغرب بنفس التسمية "الليبيون"، كما أنّ هذه المجموعات السكانية كانت عبارة عن مجتمعات زراعية تعيش حياة الاستقرار والتجمع البشري في أقاليم محددة، بينما يطلق على الجيتول لفظ النوميد، أمّا بوليبيوس (Polybius) فقد استعمل مصطلح نوميديا للدلالة على كيان سياسي محدد، وعلى شعب معين له خصائصه ونظمه، ومن اللافت للانتباه أنّ بوليبيوس قد استقى هذه الصيغة من الوثائق الرومانية الرسمية التي ظهرت في نصوصها لفظة نوميديا خلال القرن الثالث للميلاد، أي خلال حروبهم الضارية مع المملكة القرطاجية[3].

ومع أنّ غابريال كامبس(G.Camps)[4] ينسب كلمة نوميد ونوميداي ونوميدة إلى الجذر المحلي، ويعتبر أنه من الصعب دعم طرحه بنصين أثريين مزدوجين: لاتيني بوني ولاتيني ليبي، ورد فيهما اسمين مختلفين في مقابل الاسم اللاتيني نوميدا، إلا أنه يؤكد على الأصول المحلية للاسم باعتبار الحضور الكبير لأسماء الأعلام الليبية التي تبدأ بحرفي النون والميم (NM) في النصوص الأثرية، إضافة إلى وجود مجموعة من الصيادين البدائيين في موريطانيا يحملون اسم نوميداي (Numidae)، كما يفترض ستيفان قزال(S.Gsell)[5] بأنّ نوماديس ونوميداي قد يكونان من أصل محلي أهلي، لكن لا دليل يبرهن على ذلك، ولكنهما حسب ما يبدو مدينان للإغريق والرومان بالانتشار المتغير حسب حدود الدولة والولايات الإدارية.

إنّ التسمية الإثنية المعروفة بـ:"النوميد" والتي أطلقت على جزء كبير من سكان شمال إفريقيا لا سيما في القسم الشرقي منها، مختلف في أصولها بين جميع المؤرخين القدامي والدارسين المعاصرين، وسرعان ما تتراجع تسمية "نوميد" في العهد البيزنطي لصالح كلمة أخرى وردت تحت صيغة "المور"(Maure)، وعلى ما يبدو أن انتشار إيثنونيم المور في حد ذاته يرجع إلى الإدارة الرومانية التي وضعت أسماء إدارية لمقاطعاتها السياسية في شمال إفريقيا انطلاقا من إيثنونيم "المور"، فأصبحت بلاد المغرب مقسمة إلى مقاطعات إدارية تحمل في الشق الأول من أسمائها هذا الفظ –أي المور– مثل: موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية.

---

[1] هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1422هـ/2001م، ص/142 وما بعدها.

[2] سالوستيوس، الحرب اليوغرطية، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، د ت، ص/32.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص/164.

[4] في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ص/153 فما بعدها.

[5] ستيفان قزال، تاريخ شمال إفريقيا القديم، تر: سعود محمد التازي، ج5، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربي، الرباط، 1428هـ/2007م، ص/99.

- **الممالك النوميدية**: لقد تقاسمت العائلة النوميدية الحكم في بلاد المغرب خلال المرحلة القديمة، وأفضى التنافس القبلي بينها إلى تشكل مملكتين محليتين تنحدران من نفس الأصول النوميدية "الماسيل المازايسيل"، بحيث قامت في المجال الجغرافي الشرقي المملكة الماسيلية واتخذت من سيرتا عاصمة لها، وانتصبت سلطة المملكة الماسيسيلية في الجزء الغربي التي كانت سيقا عاصمة لها، مسيطرين بذلك على مجالات جغرافية امتدت على طول مساحة المنطقة المغاربية المتميزة بخصوبة أراضيها وتنوع مواردها الطبيعية، وسنستعرض فيما يلي بعض المعطيات الإثنو-جغرافية والسياسية المرتبطة بالممالك النوميدية:

- **المملكة الماسيلية "Massylie" (مملكة نوميديا الشرقية)**: تنسب إلى مجموعة بشرية ذات أصول محلية أطلق عليها اسم الماسيل (Massyles)، أسسوا مملكتهم في القسم الشرقي لبلاد المغرب[1]، وتحالفوا مع الرومان في الحرب البونيقية الثانية ضد قرطاجة سنة 146 ق.م[2]. وتنتمي مجموعات الماسيل إلى المركب الإثني المحلي الذي استقر بالغرب التونسي والشرق الجزائري حسب الخريطة الراهنة[3]، فهناك من يرى أن موطنهم الأصلي يمتد من سيرتا إلى تبرسوق في أعلى الأطلس التلي[4]، أمّا في الفترة القديمة فقد شكّل رأس تريتون(Cap Treton) في منطقة القل بالجهة الغربية الحد الفاصل بين الأراضي المازاسيلية ومجالات المملكة الماسيلية حسب ما ذكره الجغرافي سترابون[5]، وامتدت حدود مجموعات الماسيل السياسية شرقا إلى مجالات قرطاجة، لكن يحسن التنبيه إلى أن حدودها كانت متغيرة وخاضعة لجملة من الاعتبارات السياسية والعسكرية التي تغلب على إفريقيا الشمالية، ويمكن القول أنها كانت محصورة بين الأراضي القرطاجية في الشرق ومملكة المازسيل في الجهة الغربية[6]، لأنه وفي ظل التداخل المجالي بين الممالك القديمة في منطقة بلاد المغرب، ستكون الحدود السياسية للماسيل ليست بالحدود المستقرة والثابتة طيلة فترات الحكم النوميدي لها، فالمعطيات التي تزودنا بها المصادر الأدبية القديمة ليست دقيقة في كثير من الأحيان؛ ولا تمكننا من وضع خريطة مجالية دقيقة لمناطق انتشارهم، لأنّ الحديث عن انقسام النوميديين إلى الماسيل المازاسيل، وباعتبار أنّ المركب الأول قد عاش في شرق نوميديا –غرب تونس وشرق

[1] Vbique Populus, Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.), Préface de Marcel Le Glay, Éditions du Centre National dela Recherche Scientifique, Paris,1977, p.51.
[2] Tite live, Histoire roumaine, Paris, 1968, XXX, p.44.
[3] Voir La Carte de Lancel: Ouiza Ait Amara, Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghreb Antiquité et Moyen Age, Actes du quatrième colloque international, Sousse, 2017, p.25.
[4] Mansour Ghaki, Jean-Pierre Laporte et Xavier Dupuis, « Numides, Numidie », Encyclopédie berbère, 2012, pp.3-4.
[5] Géographie, XVII, trad. B. Laudenbach, Paris, 2014, 3, p.13.
[6] محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية، دار هومة، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص/18.

الجزائر–[1]، والجموع المازاسيلية استوطنت بين بلاد الماسيل إلى حدود موريطانيا الطنجية غربا، قد اعتمد بلا شك على ذكر الأسماء العرقية للقبائل القوية والمهيمنة على الساحة السياسية في المغرب، وهذا ينسحب على المملكتين الماسيلية والمازاسيلية، ولإثبات دور القوى القبلية الفاعلة في رسم الخريطة البشرية المغاربية، ينبغي رفع سقيفة الغموض عن نفوذ المجموعات السكانية الأخرى على غرار الجيتول[2] الذين اخترقوا الأطلس الصحراوي ومنطقة السباسب والسهوب ونزحوا باتجاه الجزء الشمالي، حيث يتراجع نظام الترحال والحياة الرعوية ويسود نمط الاستقرار والنظام الزراعي[3].

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تدقق كثيرا في أخبار الملوك الماسيل، فإنّ ورود بعض أسماء الأعلام الليبية في النصوص اللاتينية تدل على دور عناصر ملكية نوميدية في الأحداث السياسية والعسكرية في المنطقة، خصوصا صراع القرطاجيين مع نظرائهم من القبائل الأصلية على الصعيد الداخلي، أو مع القوى العسكرية الأخرى كالإمبراطورية الرومانية على الصعيد الخارجي[4]، وبروز هؤلاء الملوك الماسيل كقوة محلية أثرت في ترجيح كفة أحد الطرفين، ومما يبرهن على ذلك هي طبيعة العلاقات المتأرجحة بين التقارب والتنافر بين قرطاجة والملك النوميدي جايا، فعلى الرغم من مظهر الود والتعاون الذين كان غالبا على علاقاتهما السياسية خلال الحرب البونيقية الثانية 218-202 ق.م، إلا أنّ قيام الملك جايا باسترجاع إقليم مطل على الساحل المتوسطي استحوذت عليه القوات القرطاجية يؤكد على حدوث نزاع بينهما[5]، بالإضافة إلى تحالف الملك النوميدي يلماص (Ylmace) مع حاكم سرقوسة أغاثوكليس (Agathocles) في حملته العسكرية على قرطاجة بين سنتي 309-310 ق.م[6]، ولعل من بين القادة النوميد الذين ظهروا في المظان الأدبية الكلاسيكية في سياق عرض بوليبيوس أحداث الصراع القرطاجي النوميدي نجد شخصية نارافاس (Naravas)، هذا القائد المحلي الذي أبانت النصوص الأدبية عن وقوفه في وجه السلطة القرطاجية من خلال إعلانه الثورة عليهم[7]. ولعل أبرز إنجاز سياسي وحضاري في تاريخ المملكة

[1] Mansour Ghaki, «Questions autour d'un Siècle numide (205 – 105 av. J.C.)», Actes du colloque international La Numidie, massiNissa et L'histoire, Libyca 2, 2016, p.206.

[2] سنتناول ذلك في المبحث الموالي.

[3] Mansour Ghaki, Op, Cit., p.206.

[4] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص/33.

[5] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص/179.

[6] محمد البشير شنيتي، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م-40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ/ 1985م، ص/18. كيحل البشير عطية، قرطاجة والممالك النوميدية دراسة في الأصول التاريخية (من القرن 12 ق.م إلى 146 ق.م)، مجلة الدّراسات التاريخية، مج 21، ع1، 1442هـ/2020م، ص/57.

[7] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص/44.

الماسيلية النوميدية هو توسيع رقعتها الجغرافية في عهد الملك ماسينيسا (Massinissa) الذي شهدت فترة حكمه السيطرة على أراضي المملكة المازاسيلية[1]، لتمتد حدود مملكته من وادي الملوية غربا إلى السرت الكبير شرقا، ومن تخوم المجالات الجيتولية في حواف الصحراء جنوبا إلى البحر المتوسط شمالا[2]، كما احتل ماسينيسا مكانة رائدة في تاريخ إفريقيا الشمالية، ذلك أنه حكمها لأكثر من نصف قرن من الزمن، وقد أسهم في ازدهار المجال الزراعي بعد أن انتشرت فكرة فقر الأراضي النوميدية بالموارد والإمكانيات الطبيعية وعقمها عن الإنتاج الزراعي بمختلف أصنافه، كما أنّ له دورا كبيرا في توطين أغلب القبائل البدوية واستقرارها بالمنطقة، وقد أصبحت صورة الملك التي تركها المؤرخ اليوناني بوليبيوس راسخة إلى الآن[3]، حيث يذكر هذا المؤرخ أنّ ماسينيسا ملك النوميديين كان أعظم وأسعد ملوك عصره[4].

- **المملكة المازاسيلية "Masaessylie" (مملكة نوميديا الغربية)**: تنسب إلى مجموعة بشرية ذات أصول محلية أطلق عليها اسم المازايسيل، وظهرت مملكتهم في الجهة الوسطى والغربية لبلاد المغرب في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد واتخذوا سيقا عاصمة لهم[5]، أسستها قبائل المازاسيل التي من المرجح أنها من المجموعات السكانية التي استوطنت في مقاطعة موريطانيا الطنجية منذ عهود قديمة، وقد أشارت المصادر التاريخية لأول مرة إلى لفظ المازايسيل حوالي عام 220 قبل الميلادي، كما يذكر بوليبوس أنهم وجدوا ضمن جيش هانيبال المتوجه إلى روما في حملته العسكرية ذلك أنهم جندوا في فرقة الفرسان[6]، ويحدثنا الجغرافي سترابون[7] عن الحدود السياسية لمملكة المازاسيل، فيشير إلى أنّ بلادهم تبدأ من وادي ملوية (Molochat) وتنتهي عند رأس تريتون (Treton Cap) أو وادي الرمال بمنطقة القل (Collo) الحالية الواقعة شرق العاصمة سيقا[8]. وخضعت الحدود السياسية لمملكة المازاسيل إلى التمدد في عهد الملك سيفاكس (Syphax) سنة 205 ق.م[9]، حتى بلغت توسعاته حسب بعض النصوص التاريخية القديمة مدينة سيرتا (قسنطينة) وضمت أيضا مدينة مداوروش (Madarous) بسوق أهراس

---

[1] Ouiza Ait Amara, Op. Cit.,pp.31-32.158/العربي عقون، المرجع السابق، ص

[2] كيحل البشير عطية، المرجع السابق، ص/59.

[3] Ouiza Ait Amara, Op, Cit., p.29.

[4] Polybe, Histoire, XXXVI, trad, D. Roussel, Editions Gallimard, Paris, 1970, 16, 3-4.

[5] Rabie Oulmi et Ikram Boubaker, Op, Cit., p. 270.

[6] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص/112.

[7] Strabon, Op. Cit., p.13.

[8] تقع مدينة سيقا بالقرب من الغزوات في مدينة عين تيموشنت بالجزائر على الضفة الشمالية لوادي تافنة، على بعد تسعين كيلومترا شرق وادي الملوية، توجد آثارها حاليا في القرب من القرية المعروفة باسم تاكمبريت، كما أنها تبعد عن الساحل البحري بمسافة خمسة كيلومترات وميناؤها إلى الجنوب، يقع عند مصب النهر الواقع قبالة جزيرة رشجون. فرحاتي، المرجع السابق، ص/120.

[9] Tite live, Op. Cit., p. 123.

الحالية[1]، وأصبحت مملكة المازايسيل بعاصمة ثانية تقع في المنطقة الشرقية ممثلة في مدينة سيرتا[2]، والتي سيطر عليها الملك سيفاكس قبل وصول ماسينيسا إلى السلطة في نوميديا الشرقية، إلا أنها لم تشكل أهمية بالقدر الذي احتلته المنطقة الوهرانية لدى المملكة المازاسيلية[3]، لكون العاصمة القديمة سيقا قد شكلت مركز ثقل السلطة لدى المازايسيل منذ بداية تأسيس ملكهم، ومع أن المجال الجغرافي لمملكة نوميديا الغربية قد ظل في القسم الشرقي رهين منطق إثبات القوة، وخاضعا لنتائج الصراع العسكري بين الماسيل والمازايسيل، يضاف إليها مدى نجاح التحالفات السياسية المبرمة من طرف الممالك النوميدية المحلية مع القوتين القرطاجية والرومانية[4]، ولذلك لم تكن حدود هذا المجال الجغرافي للنوميديين الغربيين ثابتة ومستقرة، حيث خضعت للتمدد تارة والتقلص تارة أخرى، وإن كان توزع مجموعات المازاسيل في الجهة الوسطى والغربية لبلاد المغرب مجاورة للمجموعات المورية الأخرى، فإنّ حدودها الجنوبية قد وصلت إلى مناطق تمركز مجموعات الجيتول بالمناطق السهبية وعلى سفوح سلسلة الأطلس الصحراوي[5].

لقد ظهرت شخصية الملك سيفاكس في المصادر التاريخية كأشهر ملك حكم المملكة المازاسيلية، وعرف عهده بالتوسعات على حساب الأراضي الممتدة في الجهة الشرقية، بمعنى المراكز التابعة للمملكة الماسيلية ومجالاتها خصوصا في سنة 205 ق.م، فقد تحركت جيوشه باتجاه مدينة سيرتا واستحوذت عليها[6]، وأصبحت مملكته تتوفر على مركزين هامين استراتيجيا سيقا غربا وسيرتا شرقا، لكن سرعان ما انتزعهما القائد الماسيلي ماسينيسا من سيفاكس وألقى عليه القبض بعد أن وقع جريحا وطرد حكامه والحاميات العسكرية التابعة له[7]، وتعود انتصارات ماسينيسا بالدرجة الأولى إلى معرفته بالطابع التضاريسي للمنطقة وقوة حلفائه لا سيما الجيوش الرومانية[8].

ثانيا– المور (Maures):

[1] Mansour Ghaki, Jean-Pierre Laporte et Xavier Dupuis, Op. Cit., p.3.

[2] Mathilde Cazeaux, «Massinissa et Syphax Un diptyque barbare chez Tite-Live», Formes du portrait, p. 198.

[3] ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص/15.

[4] حول موضوع العلاقات النوميدية مع الكيانات السياسية الأخرى. أنظر: كيحل البشير عطية، قرطاجة والممالك النوميدية دراسة في الأصول التاريخية (من القرن 12 ق.م إلى 146 ق.م)، مجلة الدّراسات التاريخية، مج 21، ع1، 1141هـ/2020م، ص/58 فما بعدها. سي الهادي ذهبية، الملوك النوميد وعلاقتهم بالرومان، مجلة الحوار المتوسطي، مج10، ع3، 1440هـ/2019م، ص/212 فما بعدها.

[5] كيحل البشير عطية، المرجع السابق، ص/62.

[6] Elisabeth Fentress, Numidia and the Roman Army. Social, Military and Economie Aspects of the Frontier Zone, Oxford, 1979, p.51.

[7] فرحاتي، المرجع السابق، ص ص/77-78.

[8] Ouiza Ait Amara, Le rôle de Massinissa dans la deuxième guerre punique, Libyca, CNRPAH, 02, 2017, p.183.

كثيرا ما اقترنت أولى الإشارات إلى أسماء الجماعات السكانية المغاربية بمعطيات النصوص الإغريقية، وقد سبقت زمنيا المظان اللاتينية القديمة في ذكرها لإثنونيم المور(Maure)، فاللفظ استعمل في صيغته "موريزيا" لأول مرة من طرف الجغرافيين الإغريق القدامى للدلالة على الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا عن بلادهم من ليبيا والواقعة في أقصى الجهة الغربية[1]، ثم اتسعت دائرة توظيف لفظ المور في المصادر اللاتينية الرومانية، ليأخذ حيزا في كتاباتهم مع أنّ الكلمة اصطبغت بالصبغة الإدارية والسياسية، إذ أنها أصبحت تعني السكان المستقرين في المقاطعات الرومانية الغربية في بلاد المغرب، ونقصد بذلك مقاطعة موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية[2].

لقد أشارت النصوص الجغرافية القديمة في مقدمتها نص الجغرافي الإغريقي سترابون لمصطلح "مور" أو "موري"(Mauri)، معبرا به عن سكان بلاد المغرب خلال فترة الحكم الروماني[3]، حيث أنه يذكر تداول السلطة الرومانية لهذه التسمية إلى جانب الأهالي المغاربة، غير أنّ سترابون قد عدل عن استعمال إثنونيم "موري"، واتخذ من لفظ موريزي مصطلحا جغرافيا أطلق على ليبيا الغربية، بمعنى القسم الغربي من بلاد المغرب[4]، واعتبر أنّ الموريين "كانوا شعبا كبيرا وغنيا وبلادهم كانت متاخمة للساحل الإفريقي لمضيق أعمدة هرقل في مقابل أيبيريا"[5]، مما يؤكد على أنّ لفظة المور كانت تتسمى بها المجموعات السكانية المستوطنة بالمجال الجغرافي الغربي لمنطقة شمال إفريقيا، وعلى ما يبدو أن المقاطعات الرومانية الغربية قد استمدت تسمياتها من إثنونيم موري أو موريزي، ولذلك ينسب سالوسيتوس[6] الأصل الموري إلى الميديين الذين استقروا ببلاد إيبيريا مع الفرس، ويرجع تغيير تسميتهم إلى الليبيين الذين آثروا لقب المور على الميديين عندما نزحوا إلى بلاد المغرب الغربي، وقد أورد في نصوصه تسمية أحد زعماء القبائل المحلية بموروس(Maurus) أو الموريتاني.

يعتقد بعض الباحثين أن إثنونيم المور مستوحى من أصول لغوية مغاربية، حيث تلقب به السكان الأصليون بعد أن قاموا باشتقاقه من الجذر المحلي أور (Aour) الذي يقصد به الجبل أو المكان المرتفع من الجبل

[1] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/157.

[2] Jehan Desanges, Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar, 1962, p.36.

[3] Strabon, Op. Cit., p.,22.

[4] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/158.

[5] محمد اللبار، الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، فاس، 1420هـ/2000م، ص/29. عماد طويل، المرجع السابق، ص/68.

[6] حرب يوغرطة، ص/33، 139.

حسب اللسان المحلي[1]، وتبنى بوشار طرحا حول الأصل الإثنونيمي للفظ المور الذي يعود حسبه إلى اللغة الفينيقية، وبالتحديد إلى كلمة "ماحوريم"(Mahurim) التي تعني بلاد الغرب، وقد اشتق منها لفظ "مارو" ومنه لفظ "مور" أي الغربيون[2]، وأصبحت لفظة موريزيا تقابل كلمة ماحوريت أي البلاد الغربية[3].

لقد أومأت النصوص اللاتينية والإبيغرافيات الأثرية إلى إثنونيم المور، ليحمل دلالة إثنية وإدارية في آن واحد لاسيما في الجهة الغربية من شمال إفريقيا، ويشير المؤرخ كريستيان كورتوا[4] إلى استعمال لقب موري (Mauri) من طرف الكُتّاب الرومان خلال القرن الثالث الميلادي للدلالة على كل السكان المغاربة من غير المجموعات البشرية المترومنة والمستوطنة بالمقاطعات الرومانية في بلاد المغرب كما أشرنا إليه سابقا، لكن بداية التّسمي بهذا المصطلح من طرف السكان المغاربة كان مقتصرا على أقصى المجالات الجغرافية الغربية، ثم ما إن حدثت التوسعات السياسية للمملكة الموريطانية بداية من عهد الملك بوخوس الأول على حساب الأراضي النوميدية شرقا، حتى أخذت كلمة المور تتسع وتنسحب على كل السكان بما في ذلك المجموعات النوميدية والقبائل المحلية التي أضحت تلقب بالمور بدلا من إثنونيم النوميد[5].

في نصوص بروكوبيوس(Procope) يتضح أنّ إثنونيم المور أطلق على سكان المغرب القاطنين في مجالاته الممتدة من الشرق إلى الغرب، كما أن هذا الإثنونيم ألحق بأسماء المجموعات القبلية التي عاشت في مجالاته، وشكلت طرفا مهما ضمن حلقات العهد الوندالي وأحداث الصراع العسكري في كل من المجالات الطرابلسية والمزاق، وتنسب العديد من المجموعات إلى القادة الموريين الذين وردت أسماءهم في نصوصه على غرار القائد الموري أنتالاس والقائد يابداس[6]، وتسمية المور ظهرت في المصادر البيزنطية المكتوبة والأثرية خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين لتلقب بها كل الجماعات السكانية غير المترومنة، والمناهضة لسيطرة الإدارة الرومانية ونفوذها السياسي والحضاري، من ذلك المركب المحلي والقبائل الأصلية الثائرة في المجالات الريفية ضد الرومان، وكل المغاربة الرافضين لأشكال التبعية والخضوع للاحتلال الروماني[7].

[1] L. Rinn, Les premiers royaumes Berbères, Revue Africaine, 29, 1885, p.244-245.
[2] Samuelis Bocharti, Geographia Sacra, Caen, 1664, p.544.
[3] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/159.
[4] Christian Courtois, Les Vandales et l'Afrique. Paris, 1955, pp.426.
[5] محمد اللبار، المرجع السابق، ص/30.
[6] Procope, Histoire de la guerre des Vandales, traduit par Léonor de Mauger, libraire juré, paris, 1670, p.408.
[7] عماد طويل، المور والتحولات السياسية والعسكرية في المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية، رسالة دكتوراه، إشراف: بلقاسم رحماني، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 1439هـ/2018م، ص/67.

ولئن كانت ألفاظ الماسيل والمازاسيل يقصد بها المجموعات النوميدية وليست المورية[1]، إلا أن كوريب (Corripe) قد لقبهم إلى جانب الجيتول المستوطنين بجنوب الأطلس الصحراوي بلقب المور، وهو ما يجعل اللفظ ينسحب على المجموعات المقاتلة مع أو ضد القائد البيزنطي جون تروقيليتا (Jean Trogilita) في حروبه مع المجموعات المورية بين سنتي 546-548م[2].

ومن خلال دراسة الباحث حمدان بن رمضان[3] على النقيشة الأثرية المكتشفة ببير مقرة في مجال زغوان بتونس، يتعين علينا التمييز بين مجموعتين سكانيتين توزعتا في بلاد المغرب، الأولى هي مجموعة الأفري التي يعود ظهروها حسب نص النقيشة "تيبيكا"(Thibicaa) إلى قرنين قبل ظهور المسيحية، بينما المجموعة الثانية هي مجموعة المور الذين رفضوا الاندماج في التركيبة الاجتماعية والانصهار في المنظومة الثقافية والحضارية للرومان الأجانب، وقد تحول اسم الأفري إلى الأفارقة خلال فترة العصر الوسيط المتقدم[4]، كما أنّ مجالهم الجغرافي انحصر بين وادي مجردة ووادي تين حسب معطيات نقيشة شوّاش (Suas) وأوكولا (Uccula)، لكن نقيشة تيبيكا وسعت من حيزهم الجغرافي بنحو عشر كلم جنوبا[5].

وعلى الرغم من انقطاع إثنونيم المور في المصادر الإسلامية الوسيطة وتعويضه بمصطلح "البربر"، إلا أن العديد من أسماء الكنفدراليات القبلية والمجموعات البشرية المورية التي نجد لها حضورا إثنيا وإيثنونيميا في المصادر الرومانية والبيزنطية والوندالية، قد تواصلت في النصوص الإخبارية والوصفية خلال فترة العصر الوسيط المبكر، فظهرت في الأدبيات العربية قائمة للعديد من القبائل المورية المحلية عاشت جنبا إلى جنب مع بعضها البعض في المجال الجغرافي الممتد من أقصى الجهة الشرقية المغاربية بدءًا من مجالات البلاد الليبية إلى غاية ساحل المحيط الأطلسي غربا. ولا يثنينا المقام عن التنبيه إلى أهمية الدراسات القيمة[6] التي يشتغل عليها الباحث أحمد مشارك، والتي يسعى من خلالها إلى تتبع أصول أسماء الجماعات السكانية ورصد التحولات الإسمية والمجالية عبر الفترتين القديمة والوسيطة من خلال مساءلته لنصوص المصادر القديمة والبقايا الأثرية ومطابقتها مع معطيات المصادر

[1] للمزيد من المعطيات حول موضوع المملكة الماسيلية والمملكة المازاسيلية. أنظر: مبحث النوميد.

[2] عماد طويل، المرجع السابق، ص/70.

[3] Hamdane Ben Ramdane, «Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine», Actes du troisième colloque international. le peuplement du Maghreb antique et médiévale, Sousse, 2016, p.113.

[4] حول تطور التسميات المرتبطة بمجموعة الأفارقة، أنظر: المبحث الأول من الفصل الموالي.

[5] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/59.

[6] Ahmed M'charek, , Op. Cit., p. 445-477.

الإسلامية الوسيطة، بهدف التوصل إلى تحديد صورة التواصل البشري للجماعات السكانية المحلية عبر العصرين القديم والوسيط.

ومن بين أشهر المجموعات القبلية الموريةالمستوطنة في بلاد المغرب خلال العهدين الوندالي والبيزنطي، كنفدرالية لواتة[1] وقبيلة هوارة وكتامة[2] ونفزاوة وزناتة، وهذه التكوينات السكانية في معظمها ذات أصول محلية موريةكما خضعت أسماءها لحركة التعريب عقب وصول الطلائع العربية إلى بلاد المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع الميلادي، ويقابلها في المصادر الكلاسيكية والنقائش الأثرية أسماء وردت بصيغ تعود في الغالب إلى اللغة اللاتينية الرومانية القديمة، وتتحدث النصوص الإخبارية والوصفية العربية عن التواصل القبلي لمجموعات سكانية موريةسواء تعلق الأمر بالجوانب الإثنية أو الإسمية من بداية المرحلة الوندالية ثم مرورا بالفترة البيزنطية ووصولا إلى مرحلة حكم المسلمين لبلاد المغرب، وثمة إشارات مصدرية تبرهن على التحول الجزئي خلال الحقبة الإسلامية لأسماء بعض المجموعات القبلية على الرغم من استمرارية المكونات البشرية الموريةاثنيا وإثنونيميا بالمنطقة، ومن أجل إيضاح صورة الإثنونيميا المحلية سنستعرض قائمة لنماذج قبلية موريةتواجدت بالمغرب عبر مختلف المراحل الوندالية والبيزنطية والإسلامية في الجدول التالي[3]:

تسمية المجموعة السكانية باللاتينية	تسمية المجموعة السكانية بالأجنبية	تسمية المجموعة السكانية بالعربية
Laguautan/Levathae	Lawâta	لواتة
Austoriani/Austur	Hawwâra/Haouara	هوارة

[1] تناول الباحث إيف موديران بتفصيل موضوع تحركات كنفدرالية لواتة والقبائل الطرابلسية وأدوارهم السياسة والعسكرية خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، للمزيد من الاطلاع، أنظر:

Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit., p.125-126

[2] أشار كل من الباحثين موسى لقبال وعلاوة عمارة إلى النقش الأثري اللاتيني الذي عثر عليها في فج فيدول (Col de fedoules) شمال غرب ميلة في مقاطعة موريطانيا السطيفية، حيث تضمن هذا النقش تسمية المركب الإثني الأوكوتوماني (Ucutumani)، مما يؤكد على الأصول المحلية القديمة لجماعات كتامة واستيطانهم بموقع وسط بين ميلة وجيجل وسطيف، ولكن الجدير بالتنبيه أن علاوة عمارة يشير إلى غياب أي دليل تاريخي من شأنه أن يحدد مجالات الأوكوتوماني في المنطقة، خاصة وأنّ هذه المجالات الجغرافية عرفت استيطان مجموعات الباوار خلال أواخر العهد الروماني. أنظر: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م، ص/95.

Allaoua Amara, Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutãma, Alborav. Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, Granada, 2018, p.273.

[3] Voir: Ahmed M'charek, Op. Cit., p. 465-466. Allaoua Amara, Bône et la littoralisation du pays Kutāma », Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016, p. 141-152.

Dianenses/Zanenses	Zanãta	زناتة
Ucutumani/Ucutamii	Kutãma	كتامة

الجدول رقم(01): أسماء بعض المجموعات السكانية الموريةالواردة في المصادر البيزنطية والإسلامية.

خلافا للقطيعة التي أحدثتها أغلبية الدراسات التاريخية التي تبحث في تاريخ الجغرافيا السكانية لمنطقة بلاد المغرب خلال الفترة الوسيطة دون الرجوع إلى ماضيها القديم، فإنّ ما يمكن قوله أنّ التركيبة السكانية في بلاد المغرب عشية إلحاقها بدار الإسلام، لم تتغير في مكوناتها البشرية بشكل كلي، ولا في قوائم أسمائها الإيثنونيمية إلا بصورة جزئية، خاصة تلك المتعلقة بأسماء المجموعات القبلية، ولئن ظهرت الجموع العربية المشكلة من العناصر اليمانية والقيسية على مستوى الساحة المغاربية، فذلك لا يعني إلغاء الجماعات المورية من النسيج الاجتماعي، والتي كان لها حضور قوي في مختلف المقاطعات البيزنطية إلى جانب مركب الأفارقة المترومنين والمستقرين جنبا إلى جنب مع البيزنطيين، ولا شك أنّ النصوص الإخبارية المدونة في إطار فن الفتوح قد ترك أصحابها بصماتهم في مسألة تشكل إثنونيم "البربر" ضمن التصنيف السكاني الذي يجمع كل التشكيلات البشرية المحلية المكونة من النوميد والمور والباوار والباقواط والجيتول والغرامانت والموسولامي وغيرها تحت صيغة إسمية جديدة هي "البربر" خلفا للإثنونيميا القديمة أو على الأقل للفظ المور الذي أطلق في الأدبيات البيزنطية والإبيغرافيات اللاتينية على السكان الأصليين لبلاد المغرب[1].

وعلى أي حال، ينقسم المور إلى مجموعات قبلية كبرى منها قبائل الباقواط والباوار الموزعين على العديد من المجالات الجغرافية ببلاد المغرب خلال الفترة القديمة، ولا يمكننا أن نتصور تقصي المسألة الإثنية والإثنونيمية للباقواط والباوار مسألة هامشية تنفصل عن الملف الموري، لذلك وجب علينا طرقها في المباحث التالية من دراستنا.

ثالثا– البقواط (Baquates):

ذكرت المصادر التاريخية الأجنبية الممثلة في النقائش الأثرية والنصوص الأدبية اللاتينية مجموعة الباقواط تحت صيغ إسمية مختلفة منها: Baccuates – Baccuates – Baquates، وفي اللغة الإغريقية القديمة ورد

[1] حول تطور التسميات المرتبطة بمجموعة الأفارقة، أنظر: المبحث الثاني من الفصل الموالي.

اللفظ بالصيغة التالية: Βαχυοχτχι[1]. أمّا عن دلالته الإيثنونيمية فهو يشير إلى مجموعة سكانية محلية تنتمي إلى الأصل الموري استوطنت في المجالات الغربية لبلاد المغرب خلال العهد الروماني وبالتحديد في موريطانيا الطنجية[2]، ويصرح ديزانج[3] بأنّ الباقواط كانوا معروفين كذلك في قائمة فيرون بتسمية الباقواط الموريين، حيث أطلق عليهم هذا الإيثنونيم مثل الباوار البرابر، لتلحق التسمية الأولى بلفظ آخر ينسبهم إلى الأصل الإثني الموري المحلي، وقد ذكر يوليوس هونوريوس نهر ملوية كحد فاصل بين التجمعات السكانية لمجموعات الباوار والباقواط، مع أن حضورهم القوي كان بمدينة وليلي، فحسب فريزول[4] قد بلغ عدد الإشارات التي ذكرت فيها مجموعة الباقواط في النقوش الأثرية إحدى عشر مرة، تسعة منها وجدت في مدينة وليلي لوحدها.

وقد أشارت قائمة فيرون مثلما ذكرنا إلى المجموعات السكانية المورية الكبرى المستوطنة ببلاد المغرب خلال الفترة القديمة، ومن بينها مجموعة الباقواط الموريين الوارد ذكرهم في النقيشات الإبيغرافية والمصادر الأدبية اللاتينية إلى جانب العديد من المجموعات البشرية الأخرى على حسب ما يظهره الجدول[5] التالي:

تسمية المجموعة السكانية باللاتينية	تسمية المجموعة السكانية بالأجنبية	تسمية المجموعة السكانية بالعربية
Mauri Gensani	Mauri Quinquegentiani	كوينكوجينتياني الموريون
Mauri Mazazeces	Mauri Mazices	المازيس الموريون
Mauri Bavares	Mauri Bavares	الباوار الموريون
Mauri Bacautes	Mauri Bacuates	الباقواط الموريون

الجدول رقم(02): أسماء بعض المجموعات السكانية المحلية المنتشرة ببلاد المغرب خلال الفترة الرومانية.

لقد ذكرت المظان المصدرية العربية[6] في الفترة الوسيطة المبكرة إثنونيم برغواطة للدلالة على مجموعة بشرية محلية، والتي يتطابق اسمها إلى حد بعيد مع تسمية الباقواط القدامى خلال فترة العصر القديم، وقد ألغى الإخباريون

[1] Lionel Galand, «Baquates et BarghwâTa», Hesperis,35, 1948, p.205.
[2] Edmond Frézouls, «Rome et la Maurétanie tingitane: un constat d'échec ? », Antiquités africaines, 16,1980. p. 66.
[3] Jehan Desanges, «Baquates», Encyclopédie berbère, 9, 1991, p.1.
[4] «Les Baquates et la province romaine de Tingitane», Bulletin d'archéologie marocaine, 2, 1957, p. 66.
[5] Jérôme Carcopino, «La fin du Maroc romain», Mélanges d'archéologie et d'histoire, 57, 1940, p.391.
[6] ابن خلدون، المصدر السابق، 276/6. البكري، المصدر السابق، 819/2. السلاوي، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1418هـ/1997م، ص/113.

العرب من لفظ برغواطة صيغة نطقها المحلية باللفظ "البربري" الذي كان يشار إليه بكلمة "إبرغواطن"[1] وحلت محلها كلمة برغواطة على غرار بقية الإثنونيميا البشرية ببلاد المغرب الوسيط، واستمرت هذه المجموعة السكانية في مجالها إلى الفتح الإسلامي ثم عهد الولاة[2]، وإذا اعتبرنا أن مركب برغواطة هم فعلا الباقواط فإنّ هذه الاستمرارية الإثنونيمية والإثنية لمركب الباقواط من فترة العصر القديم إلى مرحلة العصر الوسيط، يؤكد على استمرار الحضور البشري المحلي بالرغم من التحولات الاجتماعية والمجالية التي مست الخريطة البشرية المغاربية عقب تمام عمليات الفتح الإسلامي.

هذه المجموعة الإثنية المحلية أشارت إليها النصوص الإخبارية والوصفية العربية خلال فترة العصر الوسيط المبكر تحت تسمية برغواطة[3]، ويشير صاحب الاستبصار إلى رواية لا يمكن حقيقة التعويل عليها في قضية التأصيل الإيثنونيمي لتسمية برغواطة، فهو يربطها بتسمية جغرافية لموضع بالأندلس يدعى برباطي، والذي ينحدر منه الشيخ صالح بن طريف بن شمعون زعيم قبيلة برغواطة، مصرحا بأنّ "هذا الشيخ الملعون من برباط قيل لكل من دخل دينه برباطي فأحالتها العرب بألسنتها فقالت برغواطي، فمن أجل ذلك سموا برغواطة"[4]. وانتشرت مجموعة برغواطة في إقليم تامسنا وسكنت جماعات منهم في نواحي فاس والسوس الأقصى وتمددت مجالاتهم باتجاه الجنوب حيث استقر فصيل منهم في مدينة سجلماسة[5]، ويحدد ابن خلدون[6] توزيعهم الجغرافي المنحصر بين سهول تامسنا وريف البحر المحيط أي "المحيط الأطلسي" متخذين من مدينة سلا وإقليم أزمور وأنقى وأسقى مواطنا لهم.

وبالنسبة لخريطة التوطين البشري لمجموعات الباقواط خلال الفترة القديمة، فإننا نحدد مواطنهم ومجالات تحركاتهم في أقصى الجهة الغربية من بلاد المغرب[7]، حيث استقرت جموعهم بمواضع جغرافية تقع ضمن مقاطعة

[1] Lionel Galand, Op. Cit., p.205.

[2] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص ص/160-161.

[3] أنظر: ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص/56. ابن حوقل، المصدر السابق، 1938م، ص/444. السلاوي، المصدر السابق، 113/2. ومن الدراسات في موضوع برغواطة. أنظر: محمد الطالبي وإبراهيم العبيدي، البرغواطيون في المغرب، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1420هـ/1999م، ص ص/45-46.

[4] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/198.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/444.

[6] كتاب العبر، 276/6.

[7] Christine Hamdoune, «Ptolémée et la localisation des tribus de Tingitane», Mélanges de l'École française de Rome, Antiquité,105,1993, pp. 261-262.

موريطانيا الطنجية بصفة دائمة مشكلين إمارات قبلية وكيانات سياسية[1]، أمّا عن الإقليم الرئيسي الذي كانت تشغله جموعهم بالتحديد فيضم مدينة وليلي ومجالاتها السهلية، إذ كانت شعوب الباقواط تمارس الرعي في المجالات المحيطة بالمدينة مما يدل على توطين جموعهم في غرب موريطانيا[2]، كما توزعوا على أجزاء من نهر ملوية وتساكنوا على الجوار مع مجموعات الباوار الموريين في نفس الإقليم[3]، وذلك ما برهنت عليه المعطيات التاريخية ليوليوس هونوريوس الذي أشار إلى مجرى نهر ملوية كحد فاصل بين جموع الباواريين المستقرين على إحدى ضفتي النهر، واستيطان مجموعات الباقواط في الضفة الأخرى[4]، مما يبرز دور العامل الطبيعي المتمثل في شبكة المياه[5] وأثر المجال الرعوي كمصدر حيوي متحكم في التوزيع البشري للمجموعات السكانية القديمة ببلاد المغرب، لاسيما وأنّ النمط الاقتصادي السائد وقتئذ كان يرتكز على النظام الرعوي.

الخريطة رقم(01): مجالات التوزع الجغرافي لمجموعات الباقواط في بلاد المغرب من خلال ألواح بوتينجر.

وعلى الرغم من وجود أدّلة أثرية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك على استيطان الباقواط في إقليم وليلي والأقاليم المحيطة بها وانتشارهم على أجزاء من ضفاف وادي ملوية بالجهة الغربية لبلاد المغرب[6]، إلا أنّ كاركوبينو[7]

[1] Edmond Frézouls, «Les Baquates et la province romaine de Tingitane», Op. Cit., pp.88-89.
[2] Wouter Vanacker, «Ties of resistance and cooperation. Aedemon, Lusius Quietus and the Baquates», Mnemosyne, 2013, p.18.
[3] Jehan Desanges, Op. Cit., p.1.
[4] Edmond Frézouls, «Rome et la Maurétanie Tingitane : un constat d'échec ?», Op. Cit., p.66.
[5] René Rebuffat, Op. Cit., p.27.
[6] Edmond Frézouls, «Nouvelles inscriptions de Volubilis», l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 96, N. 3, 1952, p, 397.
[7] Edmond Frézouls, «Rome et la Maurétanie Tingitane : un constat d'échec ?», Op. Cit., p.75.

يصرح بأنّ الباقواط كانوا يستوطنون في منطقة أورانيا بمقاطعة موريطانيا القيصرية، وعقب قيامهم بعملية غزو طالت مدينة كارتيناي أو تنس الحالية خلال حكم الإمبراطور هادريانوس[1]، عمدت الإمبراطورية الرومانية إلى ترحيلهم من مجالات أورانيا الواقعة بموريطانيا القيصرية باتجاه الأطلس الأوسط في غرب البلاد المغاربية[2]، ولعل سيطرتهم على المناطق التلية في الجزء الشمالي الشرقي لسفوح الأطلس الأوسط، يبرهن على كثرتهم وقوة شكيمة هذه القبائل الرعوية[3].

وعليه، فقد أملت الضرورة الأمنية على السلطة الرومانية إخماد ثورتهم ووضع حدّ لتهديداتهم الداخلية في مقاطعتي موريطانيا الطنجية والقيصرية، خصوصا وأنّ ثوراتهم قد مست المجال الجغرافي الممتد بين مدينة وليلي غربا إلى مدينة كارتيناي شرقا[4]، وذلك ما أكدته المعطيات التاريخية المرتبطة بسياسة روما في تطويقهم وعزلهم في أقصى الجهة الغربية لبلاد المغرب، خصوصا في ظل الثورات التي قاموا بشنها والفوضى التي أحدثوها في موريطانيا القيصرية وتحديدا غزوهم لمدينة كارتيناي الواقعة على ساحل البحر المتوسطي[5]، حيث أصدرت السلطة الرومانية قرارا يسمح لهم بالاستقرار في السهول الواقعة بالقرب من وليلي التي شكلت أهم مركز إداري في موريطانيا الطنجية، فتحكمت مجموعات الباقواط في مجالها الجغرافي وممراتها الحيوية والمناطق المحيطة بها لما تتوفر عليه من موارد مائية وفضاءات رعوية غنية[6].

وقد شهدت موريطانيا الطنجية قيام تحالفات سياسية وعسكرية بين قبائل الباقواط وقبائل الباوار في عهد ألكسندر سيفير 222-235م[7]، ثم تحالفت قبائل الباقواط مع قبائل الماسينيت[8]، وعلى ما يبدو أنّ التوتر بين المجموعات القبلية المحلية والسلطة الرومانية كان في كثير من الأحيان ينتهي بعقد حلف بينها لمواجهة الجيش الروماني[9]، وقد اعتمد القائد الروماني لوسيوس كوييتوس على مجموعات الباقواط المحلية للقيام بحركة تمرد على السلطة الرومانية في موريطانيا الطنجية، وتم تعيينه قائدا لها أو ممثلا عنها[10]، وذكرت المصادر التاريخية أن مجموعات الباقواط واصلت ثوراتها على الرومان عقب إقدام الإمبراطور الروماني هادريانوس على إعدام لوسيوس

[1] Marcel Bénabou, La résistance africaine à la romanisation, La Découverte, Paris, 2005, pp.144-145.
[2] Jehan Desanges, Op. Cit., p.2.
[3] Edmond Frézouls, «Rome et la Maurétanie Tingitane : un constat d'échec ?», Op. Cit., p.76.
[4] Wouter Vanacker, Op. Cit., p.15.
[5] Marcel Bénabou, Op. Cit., p.146.
[6] Wouter Vanacker, Op. Cit., p.17.
[7] عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص/101.
[8] Jérôme Carcopino, Op. Cit., p.391.
[9] Edmond Frézouls, «Nouvelles inscriptions de Volubilis», Op. Cit., p, 389.
[10] Wouter Vanacker, Op. Cit., p.18.

كوبيتوس بسبب تنامي نفوذه وحركة التمرد التي قادها[1]، وعززت روما من التواجد الروماني في المنطقة الغربية من خلال إرسال وحدات عسكرية جديدة تمركزت في مقاطعة موريطانيا الطنجية[2]،كما برزت أسماء أنثربونيمية لملوك محليين تمردوا على السلطة الرومانية[3] تعود أصولهم لمجموعات الباقواط مثل الملك كانارث (Canarth) والذي ألحق بتسميته لقب روماني فأصبح يدعى أوريليوس كانارث(Aurelius Canarth)، وقد قام الجيش الروماني بأسر ابن هذا الملك المحلي المدعو ميمور (Memor) وأخذه إلى روما عاصمة الإمبراطورية كرهينة بعد توتر العلاقة بين كانارث ملك قبائل الباقواط والإدارة الرومانية في موريطانيا الطنجية[4].

وما يحسن التنبيه إليه في هذا المقام هي طبيعة العلاقة بين مجموعات الباقواط والسلطة الرومانية التي اتخذت منحى آخر يتسم بالود والتقارب في فترات مختلفة[5]، وسمحت لنا بعض الكتابات اللاتينية والنقائش الأثرية التي وجدت في مدينة وليلي بالمغرب الأقصى على التوصل إلى بعض المؤشرات المبرهنة على العلاقة الودية بين الحكام الرومان وزعماء القبائل المحلية من الباقواط، وتظهر خصوصا في اللقاءات المنعقدة بين ممثلي روما من جهة وممثلي الباقواط من جهة أخرى[6].

رابعا– الباوار (Bauares):

هي مجموعة بشرية محلية انتشرت انتشار واسعا في أغلب المقاطعات الرومانية في بلاد المغرب ما بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين، لا سيما في موريطانيا القيصرية وموريطانيا السطايفية وأجزاء من مقاطعة نوميديا، وقد ذكرت المصادر الأدبية والنقوش الإبيغرافية القديمة هذه المجموعة البشرية تحت مسميات إثنونيمية متعددة، فوردت بصيغة الباوار (Bauares) التي يمكن اعتبارها التسمية المرجحة والأكثر تداولا في المصادر اللاتينية وحتى في الدارسات الحديثة ولدى الباحثين حاليا[7]. بينما أطلق عليهم المؤرخ الروماني أميان مرسلان[8] خلال القرن الرابع الميلادي تسمية الداوار (Dauares) التي خضعت من دون شك لتحريف طال حرف الباء ليتحول إلى حرف الدّال، وانتقل التعدد الإثنونيمي إلى الدّراسات الأجنبية، فآثرت الدّراسات الغربية الفرنسية

[1] Ibid., p.14.
[2] Ibid., p.14
[3] Edmond Frézouls, «Les Baquates et la province romaine de Tingitane», Op. Cit., pp.76-77.
[4] Wouter Vanacker, Op. Cit., p.16.
[5] Edmond Frézouls, «Les Baquates et la province romaine de Tingitane», Op. Cit., pp.75-76.
[6] Wouter Vanacker, Op. Cit., p.16.
[7] مهنتل جهيدة، قبائل البوار إمارة مورية في مواجهة الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث الميلادي، مجلة الباحث، مج14، ع1، 1444هـ/ 2022م، ص/91.
[8] Ammien Marcellin, Histoire Romaines, edit, M.A.Marie, paris, 1984, XXXIX,V, p.33.

خاصة تلقيبهم بلقب البافار (Bavares)، متأثرة إلى حد كبير بالترجمات الفرنسية الحديثة للمصادر الرومانية اللاتينية القديمة[1]، وأضافت لهم بعض النقوش الأثرية والنصوص الأدبية اللاتينية صيغة إسمية أخرى هي البابار (Babares)[2] التي تتشابه في جذرها الإثنونيمي لتسمية البربر (Barbar) الموظفة في الأدبيات اليونانية والرومانية لتدل على الشعوب غير الخاضعة لثقافاتهم وسلطتهم السياسية والعسكرية، ويكون من المستبعد الأخذ بهذا اللفظ الذي يماثل في أصله البابار (Babares)[3]، فعند الإغريق والرومان القدامى أطلق لفظ البربر على عمومه ليدل إيثنونيميا على المجموعات البشرية الخارجة عن الوعاء الحضاري الإغريقو– روماني، وبالتّالي فهو لقب يتسم بالعمومية في معناه، إذ صنفت به المجموعات السكانية غير المتحضرة حتى وإن لم تكن منتمية إلى بلاد المغرب القديم جغرافيا أو عرقيا[4].

إذن، فلقد تنوعت الأسماء الإثنية التي ذكرت بها مجموعة الباوار في المصادر التاريخية القديمة، ولئن تباينت ألقاب هذا المركب الإثني المغاربي بين مختلف النصوص الأدبية والأثرية والترجمات الحديثة لتنحصر في أربعة ألقاب "باوار وداوار وبافار وبابار"، فإنّ الصيغة الإسمية "باوار" هي التسمية المشهورة في مختلف المظان المصدرية اللاتينية القديمة والمتفق عليها في الدراسات التاريخية المعاصرة.

من الناحية الجغرافية، ومنذ أواخر القرن الثاني الميلادي ظهرت مجموعات الباوار المحلية على مسرح الأحداث في بلاد المغرب القديم، وكشفت النقوش الأثرية على ذكر مجموعات الباوار خمسة عشر مرة في الإبيغرافيات النقائشية اللاتينية حتى عام 1955م[5]، كما دلت معطياتها على تمدد المجالات الجغرافية لقبائل الباوار الذين توزعوا على مختلف المناطق الشرقية والغربية لبلاد المغرب القديم[6]، فقد سكنوا في المغرب الأقصى بمدينة وليلي وتوزعوا على إحدى ضفتي نهر ملوية[7]، قبالة مواطن البقواط الذين استوطنوا على الضفة الأخرى للنهر،

[1] مهنتل جهيدة، المرجع السابق، ص/92.

[2] Gabriel Camps, «Bavares», in Gabriel Camps (dir.), Baal – Ben Yasla, Aix-en-Provence, Edisud, encyclopédie berbère, 9, 1991, p.1.

[3] David Prescott Barrow,. «Berbers-and-Blacks:-Impressions-of-Morocco,-Timbuktu,-and-the-Western-Sudan», New York and London, The Century Co., 1927, pp., 20-21-22.

[4] هيرودوت، المصدر السابق، ص/29.

[5] عبد الحق مسعي، دور منطقة سطيف في مقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الرابع الميلادي، الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف، دار بهاء الدين، قسنطينة، 1432هـ/2011م، ص/148.

[6] Nora Yahiaoui, «Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne», Sciences de l'Homme et Société, Ecole pratique des hautes études, paris, 2003, pp. 26-27.

[7] مهنتل جهيدة، قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع18، 1436هـ/ 2014م، ص/429.

كما تواجدت جماعات منهم بالونشريس الغربي وبجبال الظهرة[1]، وتقترب معطيات قائمة فيرون المؤرخة خلال القرن الرابع الميلادي من تحديد نفس المواقع الجغرافية بموريطانيا القيصرية غربا، بحيث أنها ذكرت مراكز استيطانهم بين مجموعتي المازاكس والبقواط، كما استقرت جموع الباوار بمجالات جبال الأطلس الأوسط ببلاد المغرب القديم[2].

وفي نواحي مقاطعة موريطانيا السطايفية تعتبر سلسلة جبال بابور وقرقور وسفوحها الواقعة في الجهة الشمالية لمنطقة سطيف أكثر المراكز الاستيطانية لمجموعات الباوار، كما أشارت إلى ذلك خريطة غابريال كامبس[3] الذي تمكن من تحديد موقعهم انطلاقا من النصوص الأدبية والمؤشرات الأثرية، كما نرجح من خلال المعطيات الطوبونيمية[4] أنّ المنطقة قد اكتسبت تسمية بابور المستوحاة من إيثنونيم مركب الباوار المستحوذين على المنطقة منذ القرن الثالث الميلادي، لكن ستيفان غزال ينفي صحة هذا الطرح، معتبرا مواطنهم الأصلية تتحدد في مقاطعة موريطانيا السطايفية حسب المعطيات الأركيولوجية التي تضمنتها نقيشة ثنية المسكن بعين الروى الواقعة في منطقة سطيف[5].

ومن الشواهد المادية الدّالة على حضور مجموعة الباوار في المجال الغربي لسطيف، نقيشة ثنية المسكن[6] التي عثر عليها في منطقة عين الورى، والمتضمنة لمعطيات عن النظام السياسي لقبائل الباوار وتنظيماتهم السلطوية، فقد زودتنا هذه النقيشة بثلاثة أسماء لملوك محليين حكموا قبائل الباوار وانتصرت عليهم الجيوش الرومانية هم تاغانيم (Taganim)، وماسمول (Masmule)، وفاييم (Faiem)[7]، وهذا ما يبرهن على استقرار المجموعات الباوارية في منطقة الهضاب العليا بسطيف وتوزعت على كذلك على سهولها الداخلية والسلاسل الجبلية الممتدة من بابور شمالا إلى قرقور غربا[8]، ما جعل غابريال كامبس يقسم شعوب الباوار إلى مجموعتين يجمع بينها الأصل

[1] Gabriel Camps, Op.Cit, p.1.

[2] مهنتل جهيدة، قبائل البوار إمارة مورية في مواجهة الاحتلال الروماني، ص/91.

[3] Voir: Gabriel Camps, «les Bavares, peuples de Maurétanie Césarienne», Rev, Afr.,99 , 1955, p.271.

[4] انتشرت عدة أسماء للمواقع الجغرافية التي على ما يبدو أنها استمدت هويتها المكانية من إثنونيم البوار حسب ما أشار إليه الباحث محمد العربي عقون، فهو يقول بأنّ قرية صغيرة تقع في إقليم النمامشة بالأوراس الشرقي قد احتفظت باسم باوار، وفي الدريعة بسوق أهراس لا زالت إحدى القبائل تسمى بني بربار (آث بربار). حول الموضوع أنظر: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ص/160.

[5] محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1419هـ/1999م، ص/344.

[6] تتواجد نقيشة ثنية المسكن بحديقة الأمير عبد القادر بمدينة سطيف.

[7] عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص/99. مهنتل جهيدة، قبائل البوار إمارة مورية، ص ص/93-94.

[8] Gabriel Camps, «les Bavares, peuples de Maurétanie Césarienne», Op. Cit., pp.245-246.

الإثني المشترك، بحيث تستوطن المجموعة الأولى في الجهة الشرقية، والمجموعة الثانية في الجهة الغربية لبلاد المغرب[1]، تتحدد مجالاتها في جنوب شرشال وتأخذ في التمدد إلى تلال وهران حسب نقيشتان مؤرختان في 366-496م، وتصل إلى وليلي بالمغرب الأقصى.

ومن المؤشرات الأركيولوجية التي تبرهن على وجود قبائل الباوار في المجالات الجنوبية الغربية لموريطانيا القيصرية وصراعهم مع الجيوش الرومانية، لا سيما بين مجالات منطقة الهضاب العليا ومقدمة الأطلس الصحراوي، نقيشة أثرية[2] تم اكتشافها في سنة 2014م بمنطقة "خناق عزير" التي تبعد عن مدينة البيض بخمسة كلم من طرف أحد السكان المحليين، وقد قام الباحث الأثري سليم دريسي بتقديم دراسة تحليلية لمضمونها، ليؤكد على أنها أقدم نص أثري يبرهن على التواجد البواري في منطقة السهوب الوسطى بالجزائر.

الشكل رقم (01): النقيشة المكتشفة بمنطقة "خناق عزير" في البيض وعليها اسم مجموعة البوار[3].

[1] عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص/99.

[2] الخصائص المادية والقياسات الطولية والعرضية التي اختصت بها نقيشة البيض هي أنها عبارة عن لوحة من الحجر الكلسي، يتحدد علوها بـ0.80م وعرضها بـ0.70م، أما سمكها فيقدر بـ0.15م، ومكتوب عليها نص باللغة اللاتينية يتشكل من ثمانية أسطر ذات كتابة متقنة. سليم دريسي، قراءة وتحليل للكتابة الأثرية المكتشفة بالبيض، ص/21.

[3] Salim Drici, «Inscription inédite des Bavares d'El Bayadh et les troubles au Maghreb ancien», IKOSIM, A.A.S.P.P.A , 4, 2015, p. 52.

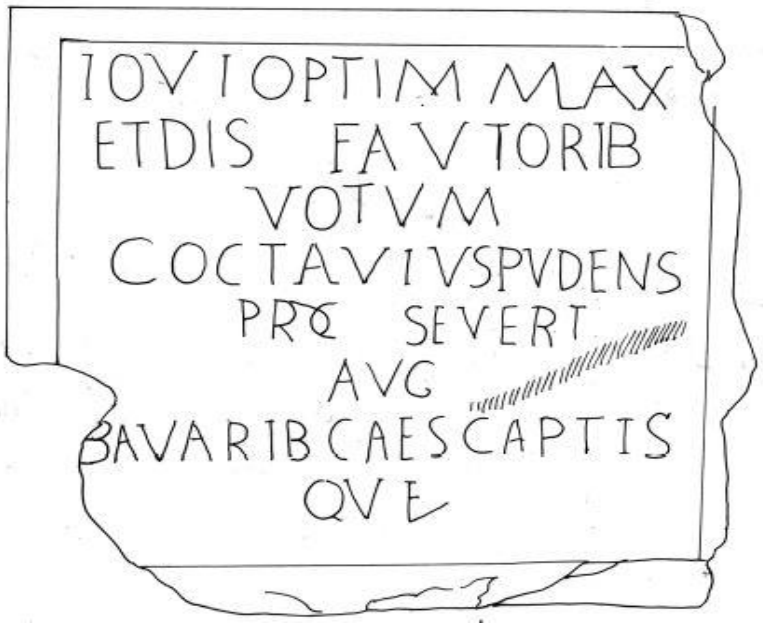

الشكل رقم(02):الكتابة الحرفية المسجلة على النقيشة الأثرية المكتشفة بمنطقة "خناق عزير" في البيض[1].

وتعددت مراكز التجمع السكاني لمجموعات الباوار على الرغم من صمت المصادر اللاتينية الرومانية عن ذكر أخبارهم ومواطن استقرارهم بدقة، فقد تحكمت جموعهم في عديد المواقع جغرافية في الفضاء الداخلي لليمس بمقاطعة نوميديا وموريطانيا القيصرية إلى جانب مقاطعتي موريطانيا السطايفية وموريطانيا الطنجية، مشكلة وحدات استيطانية[2]، ففي أثناء تخليدها لانتصارات الجيوش الرومانية وقادتها على مجموعات الباوار في الكتابات الأثرية بمقاطعات بلاد المغرب خلال الفترة القديمة، نجد النقائش الإبيغرافية ترصد لنا أسماء المقاومين المحليين من البوار وبعض القادة منهم، وتكشف بطريقة غير مباشرة عن مدى الحضور العسكري لمركب الباوار ودوره في المقاومة المحلية[3]، مما يثبت استقرار هذه المجموعة البشرية في مختلف المقاطعات المغاربية أو على الأقل تحركاتها المستمرة خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الثاني الميلادي إلى القرن الخامس الميلادي[4].

[1] L'inscription d'El Bayadh Dessin J.-P. Laporte. Voir: Nacéra Benseddik et J. Pierre Laporte, «Les Bavares transtagnenses, peuple de Maurétanie césarienne Bibliographique Détails», Fait partie de: Les auxiliaires de l'armée romaine : des alliés aux fédérés : actes du sixième congrès de Lyon 23-25 octobre 2014, p. 411.

[2] سليم دريسي، قراءة وتحليل الكتابة الأثرية المكتشفة بالبيض، ص/30.

[3] Gabriel Camps, «les Bavares, peuples de Maurétanie Césarienne», Op.Cit, pp.272-273.

[4] Jehan Desanges, Op.Cit, 1962, p.47.

وعلى الرغم من السيطرة الرومانية على المراكز الحضرية وفي ظل موجة الرومنة التي تعرضت لها المنطقة المغاربية، إلا أنّ مجموعة الباوار قد وقفت في وجه التوسعات الرومانية وأطماعها من نهاية القرن الثاني الميلادي إلى أواخر القرن الخامس الميلادي[1]، وبرهنت النقائش الإبيغرافية المكتشفة مثل نقيشة لامبيز "تازولت" على تمدد المجالات الجغرافية لقبائل الباوار إلى نوميديا وصراعهم العسكري مع الجيوش الرومانية، وعلى ما يبدو أن مواطنهم تصل حسب كورتوا إلى البلاد الخلفية لشط الحضنة[2]، لكن لا يجعلنا نجزم قطعا باستيطانهم في هذه المقاطعة، لأنّ الحتمية الحربية قد تكون هي السبب الذي أرغمهم على مواجهة الرومان في مقاطعة نوميديا وبالتالي فهو في الواقع ميدان حرب بين الجيش الروماني وقبائل الباوار، وبالتالي فلا يعبر بالضرورة عن اتخاذه موطن استقرار لهم[3].

خامسا– الجيتول (Gaetulii):

يؤشر نص المؤرخ الروماني تيت ليفي[4] إلى ذكر إيثنونيم الجيتول(Gaetulii) لأول مرة للدّلالة على مجموعة سكانية تواجدت ببلاد المغرب خلال الفترة الرومانية، مع أنّ هيرودوت قد سبق وأشار إلى السكان الليبيين المستقرين بالمجالات الممتدة بين سرت شرقا إلى سواحل المحيط الأطلسي غربا، إلا أنّه لم يزودنا بأيّ معطيات تاريخية تتعلق بمركب الجيتول[5]، لربما يرجع ذلك إلى عنايته بتاريخ الجماعات البشرية المستوطنة ببلاد الساحل والأقاليم الداخلية لبلاد المغرب، بينما شهدت مجتمعات المناطق السهبية والبلاد الطرفية الجنوبية الواقعة جنوبا خلف سلاسل الأطلس الصحراوي تغييبا في كتاباته التاريخية[6]، على الرغم من حضورها الفعال في تاريخ بلاد المغرب وأحداثه، وبوصفها مركبا بدويا متميزا بكثرة قبائله وقوة شوكتها[7]، وتعد كذلك من بين أهم المجموعات السكانية المحلية على حد تعبير الجغرافي الإغريقي استرابون[8].

---

[1] Gabriel Camps, «Bavares», Op.Cit, p.4.

[2] Christian Courtois, Les Vandales et l'Afrique, Paris, 1955, pp.97-98. Nacéra Benseddik et J. Pierre Laporte, Op. Cit, p.415.

[3] Jérôme Carcopino, «L'Insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana récemment découverte», Rev Afr, 1919, p. 272-273.

أنظر أيضا: عبد الفتاح خنيش، المرجع السابق، ص/100. جهيدة مهنتل، قبائل البوار إمارة مورية في مواجهة الاحتلال الروماني ، ص/99.

[4] Tite live, Histoire roumaine, Paris, 1968, XXXIII, p. 596.

[5] هيرودوت، المصدر السابق، ص/142 وما بعدها.

[6] Laurent Callegarin et Julien Moreau, «Le Getule: Cet Autre insaisissable», Figures de L'Etranger Autour de La Méditerranée Antique, Université de Paris I,2009, p.205.

[7] Pomponius Mela, Chorographie, l'édition d'Abraham Gronovius, paris, 1804, p.223.

[8] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/165.

كشفت أقدم الإشارات التاريخية الواردة في المصادر الأدبية اللاتينية عن لفظ الجيتول الذي أطلق إيثنونيميا على السكان المحليين من المغاربة المتمركزين ما بين بين مجالات الإثيوبيين جنوبا ومرتفعات الأطلس الصحراوي[1]، وهي بذلك تعني المجموعات البشرية الجنوبية القاطنة بالأراضي السهبية للمغرب بين تخوم المجال الصحراوي شمالا وحدود المجال التلي جنوبا[2]، أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل والصحراء المتميز بالاقتصاد الرعوي[3]، ولا يستبعد أن يكون نمط الترحال سائدا لدى القبائل الجيتولية، فهم عادة يتشكلون من البدو أو أنصاف البدو المستقرين في المجالات الغنية بمتطلبات النظام الاقتصادي القائم على الرعي والانتجاع[4]، ولئن أخذت كلمة الجيتول تتسع دائرتها لتلقب بها كل الأراضي الممتدة من سرت الصغرى إلى شاطئ المحيط الأطلسي في أقصى الجهة الغربية[5] حتى أصبحت تسمى بجيتوليا[6]، إلا أنّ تسمية الجيتول ومعانيها ستبقى غامضة ومحل نقاش في ظل ندرة المعطيات التاريخية والأثرية المرتبطة بمدلولاتها واشتقاقاتها وأصولها الإيثنونيمية خلال الفترة القديمة.

في كتابه حرب يوغرطة يشير سالوستيوس إلى مركب الجيتول وأدوارهم في المنطقة خلال القرن الثاني الميلادي في قوله:" في البداية كان الجايتولي Gaetuli والليبيون Libyes يسكنون أفريقيا وهم شعوب خشنة وغير متمدنين ويتغذون على لحوم الحيوانات المتوحشة وعلى ما يجمعون من الأرض مثل الحيوانات تماما"[7]. ومما يستشف من هذه الإشارة أن أصول المجموعات الجيتولية محلية كما أنها اختلطت بالمجموعات السكانية الأخرى التي سكنت بلاد المغرب خلال العهد الروماني، والدليل هو اختلاط الفرس الطارئين على المنطقة مع الجايتولي عن طريق رابطة الزواج حسب معطيات سالوستيوس[8].

بدأت لفظة الجيتول في الظهور في المصادر الأدبية اللاتينية عقب مشاركتهم في الأعمال الحربية وانخراطهم العسكري في صفوف جيش القائد هانيبال[9]، ولعل البداوة التي تميزوا بها وقوة الشكيمة التي استمدوها من نمط

[1] Tite live, Op. Cit., p. 596.

[2] سالوستيوس، المصدر السابق، ص/34.

[3] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص/165.

[4] Laurent Callegarin et Julien Moreau, Op. Cit., p. 207.

[5] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine, Op. Cit., p.450.

[6] Jehan Desanges,, «Les territoires gétules de Juba II», Revue des Études Anciennes, 66, 1964, p.34.

[7] سالوستيوس، المصدر السابق، ص/32.

[8] المصدر نفسه، ص/32.

[9] Tite live, Op. Cit., p.596.

معيشتهم ونظام حياتهم الذي هو في حد ذاته انعكاس لفقر المجالات الجنوبية بالموارد الرعوية وقساوة المناخ وطبيعة السطح[1]، جعلتهم يصطدمون بصعوبة التأقلم مع هذه الظرفية الجغرافية، ووضعتهم أما حتمية أخرى تتمثل في اختراق سلسلة الأطلس الصحراوي والانتقال إلى الأقاليم الداخلية للاستيطان في البلاد النوميدية وجنوب قرطاجة[2]، وكذلك نزوحهم إلى الجهة الغربية، لأنّ غالبية المناطق الداخلية تحتوي على ثروات هائلة من غطاءات نباتية وموارد مائية متنوعة، شكلت مصدرًا لرخاء السكان الأصليين من جهة والرومان الأجانب المتمركزين بها من جهة ثانية[3]، وهذا ما يفسر نزوحهم باتجاه مقاطعتي موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية التي اتخذوها أقاليم لاستقرارهم ومجالات لتحركاتهم ومواطن لقطعان ماشيتهم[4]، حسب ما تظهره جليا المعطيات الواردة في ألواح بوتينجر[5]:

[1] Laurent Callegarin et Julien Moreau, Op. Cit., p. 206.

[2] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص/163. محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/165.

[3] Edmond Frézouls, «Rome et la Maurétanie tingitane: un constat d'échec ? », Op. Cit., p. 66.

[4] Ibid, pp.69-70.

[5] Voir: Bülent Özükan, Tabula peutingeriana, MMXVII, Costantinople, Turkey, 2000, p. 2.

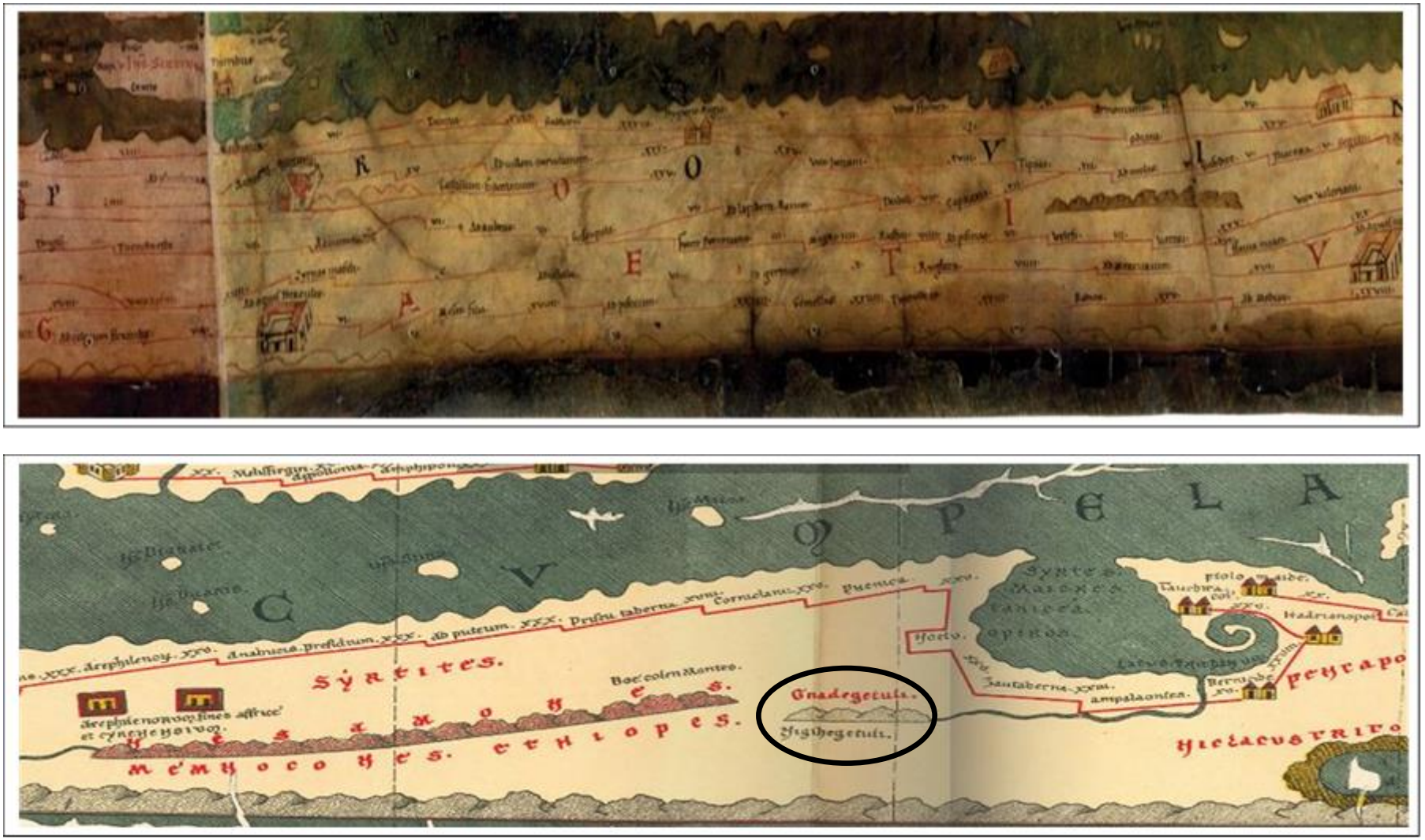

الخريطة رقم (02): مجالات التوزع الجغرافي لمجموعات الجيتول في بلاد المغرب من خلال ألواح بوتينجر.

تظهر خارطة التوزع البشري لمجموعات الجيتول عبر كتلة جغرافية متجانسة تبدأ من المحيط الأطلسي غربا إلى فزان شرقا، وهذه الكتلة تمثل إقليما انتقاليا ما بين الصحراء الكبرى وشريط التل الساحلي، محتويا على شبكة من التضاريس المتنوعة مثل بلاد الواحات والوديان والشطوط والمرتفعات والهضاب الصحراوية[1]، أمّا في الجهة الجنوبية فيعتبر وادي نقريس حدا طبيعيا فاصلا بين المجموعات الجيتولية والمجموعات الإثيوبية[2]، وتوزعت جموع الجيتول على المناطق السهبية وجنوبا في سفوح الأطلس الصحراوي، وكانوا ينتجعون بقطعانهم إلى غاية سرت ببلاد الساحل الشرقي[3]، وظلت معظم هذه المجموعات البدوية خارج السيطرة الرومانية، وبلغوا في عهد الممالك النوميدية بلاد الأطلس التلي متخذين من جغرافيتها فضاءً لتحركاتهم البشرية، ممّا جعلهم يقيمون علاقات مع المجموعات النوميدية. ففضلا عن استعمالهم من طرف الملك ماسينيسا لتقوية جيوشه، تحالفوا أيضا مع الملك المحلي يوغرطة في ثورته سنة (107 ق.م)، حيث جندهم في جيشه ضد الرومان بهدف استرجاع عرشه ومملكته[4]. وخلدت العديد من المواقع الأثرية والكتابات الجنائزية أسماء العناصر الجيتولية على غرار سيتيفيس وتبسة وسيرتا وجميلة ومداوروش وحيدرة ولامبيز وقالمة وكذلك قرطاجة، وقد تركزت أهم الوثائق المتعلقة بالجيتول في إقليم نوميديا وجنوبي البروقنصلية[5]، وفي نواحي بلاد الجريد بالجنوب التونسي فقد استقروا بمدينة قفصة وتوزر ومجالات نفطة وتواجدت مجموعات منهم في مدينة ثيلابت بالقرب من تبسة وتمددوا شرقا نحو بلاد فزان وسرت الكبرى وتمركزوا بساحل البلاد الطرابلسية[6].

كما شهدت مقاطعة موريطانيا الطنجية هجرات بشرية جيتولية استوطنت فيها أشهر قبائل الجيتول المعروفة بالأتولول على سواحل المحيط الأطلسي وفي بعض جزره مثل جزيرة موكادور وجزيرة فورنتاس "الكناري"[7]، ويذكر بليني الكبير جزر الجيتول التي اكتشفها يوبا الثاني وأخضع سكانها إلى سلطته وعمل على استغلالها كمستثمرات لصناعة الأصباغ الأرجوانية[8]، لذلك اشتهرت المنطقة الغربية التي استحوذت عليها مجموعات

[1] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/165.

[2] Jehan Desanges,, Op. Cit., p.44.

[3] Vbique Populus, Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.), Préface de Marcel Le Glay, Éditions du Centre National dela Recherche Scientifique, Paris,1977, p.128.

[4] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص/165.

[5] محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، ص/166.

[6] Jehan Desanges,, Op. Cit., p.45.

[7] René Rebuffat, «Les tribus en Maurétanie Tingitane», Antiquités africaines, 37, 2001, p.29.

[8] فتيحة غديري والسعيد شلالقة، الجيتول أحد شعوب بلاد المغرب القديم في المصادر الرومانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15، ع2، 1443هـ/2022م، ص/774.

الجيتول بالصناعات الأرجوانية[1]، وتوزعت العديد من قبائلها على جنبات الأودية مثل استقرار قبيلة البانيور على ضفاف وادي سبو، واستيطان جماعات من الجيتول على وادي درعا حتى لقبوا بجيتول درعا[2]، وقد سكنت جماعات منهم على جنبات وادي ماسا كما أنهم توزعوا على الأقاليم المحيطة بمدينة سلا[3] إضافة إلى عدد من الموانئ المطلة على الساحل الأطلسي[4].

وهذه المعطيات تظهر إلى حد بعيد صورة المشهد التعميري لمجموعات الجيتول الذين جذبتهم المجالات الغنية بالموارد الطبيعية والخيرات المتنوعة، خصوصا في ظل نمط الإنتاج الرئيسي القائم على النظام الرعوي، ومع التغيرات المناخية الخطيرة التي شكلت عامل طرد لهم في الجنوب الصحراوي والمناطق السهبية وسفوح الأطلس الصحراوي.

وأيا ما كان الأمر، فقد لاحظنا انقطاعا لإثنونيم الجيتول الذي لم يظهر في مصادر الفترة المبكرة من العصر الوسيط، وهو ما يعكس صورة التحولات الإسمية للمجموعات البشرية القديمة التي تميزت أسمائها بنوع من التغير الجزئي أو الكلي[5]، لذلك حمل أحفاد الجيتول الغربيين في الفترة الإسلامية تسميتين جديدتين هما جدّالة وقزولة، وهاتين القبيلتين من صنهاجة الجنوب عصبية الدولة المرابطية[6]، ولكون تسمية الجيتول اندثرت في نهاية الفترة القديمة وحلت محلها تسميات أخرى على غرار الأتولول ويحرف اسمهم إلى الجالول، لتظهر في العصر الإسلامي باسم مغاير تحت صيغة جدالة وقزولة[7].

ولعل أن الأدوار العسكرية لمجموعات الجيتول قد تجلت في مشاركتهم في الحرب إلى جانب ماسينيسا وكذلك الملك يوغرطة سنة 107 ق.م ضد الجيوش الرومانية حسب ما صرح به سالوستيوس[8]، وشنهم لهجمات متتالية على حصن أميدرة أو حيدرة[9] بالقرب من مدينة القصرين في تونس، وإلحاقهم أضرارا كبيرة بالفيالق

[1] Laurent Callegarin et Julien Moreau, Op. Cit., pp.206-207.
[2] Pline l'Ancien, Naturalis historiae libri XXXVII. I, Interpretatione et notis illustravit Joannes Harduinus, usum Serenissimi Delphini, 1685, p.524. Vbique Populus, Op. Cit., p.129.
[3] Jehan Desanges, «Gétules», Encyclopédie berbère, 20, 1998, p.2.
[4] Ibid, p.2.
[5] Voir: Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit, p. 13. Ahmed M'charek, Op. Cit., 2015. pp.245- 477.

[6] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص/165.

[7] فتيحة غديري والسعيد شلالقة، المرجع السابق، ص/776.

[8] حرب يوغرطة، ص/117.

[9] وردت في اللغة اللاتينية تحت تسمية "Ammaedara" وهو موقع أثري روماني يتواجد بمدينة حيدرة التونسية.

العسكرية الرومانية[1]، وغالبا ما كانوا يمتنعون عن طاعة الرومان وحلفائهم، حيث يتحدث ديون كاسيوس عن ثورة الجيتول ضد القائد المترومن يوبا الثاني، وقيامهم بتخريب بعض المجالات المجاورة لموريطانيا القيصرية، وقتلهم للعديد من القادة الرومان[2]، وعلى الرغم من سيطرة الإمبراطورية الرومانية على كافة بلاد المغرب القديم، إلا أنّ اسم الجيتول قد ارتبط في المصادر اللاتينية بالثورات والمواجهات العسكرية المتكررة وكل أشكال المقاومة ضد سلطة الاحتلال الروماني[3]، فعملوا على تعميق الأزمة الأمنية داخل حدود الليمس بتحالفهم الدائم مع النوميد والمور[4]، لكن السلطة الرومانية عمدت إلى توظيف الجيتول واستغلالهم في الجيش والإنتاج وإدارة الأقاليم المغاربية، وتبرهن النصوص التاريخية على ذلك من خلال استعمالهم من طرف ماريوس الذي وطّنهم بمقاطعة البروقنصلية في فترة حكمه واستفاد منهم كثيرا[5]، ولذلك بذلت الإدارة الرومانية جهودا مضنية للحد من تحركاتهم الجماعية والعمل على تشتيتهم وإخماد ثوراتهم بالقوة العسكرية من جهة، أو في بعض الأحيان حاول الرومان تقريبهم والاستفادة من مخزونهم البشري وقوتهم في تدعيم فرق الجيش المساعدة وهو ما تؤكده الوثائق الأثرية[6].

إنّ تتبع أصول إثنونيم الجيتول وخارطة توزيعهم ودورهم في تاريخ بلاد المغرب القديم، وبقدر ما أفصحت عنه المصادر اللاتينية الأدبية والبقايا الأثرية، يبقى مبهما في صورته الحقيقية التي تعتريها الضبابية، لا سيما في ظل تركيز المؤرخين القدامى على تخليد انتصارات المجموعات الرومانية وإنجازات أباطرتها وحكام المقاطعات الإفريقية وقادتها العسكريين، ولابد أن يتغير أسلوب التأريخ لديهم كلما ارتبط بالسكان الأصليين لبلاد المغرب وبقية الأقاليم الرومانية، حيث نلحظ تغييبا واضحا للمجموعات السكانية الأصلية لأنها كانت مصدر خطر لهم، ولئن أشير إليهم في بعض المواضع والنصوص المصدرية الكلاسيكية، فإنّ ذلك لا يخلو من التحامل عليهم وإصدار الأحكام الاستباقية بشأنهم، والدّليل على ذلك هو لائحة التوصيفات المختلفة لجموع الجيتول من خلال نعتهم بالمتوحشين والشعوب الهمجية والخشنة وغير المتحضرة، وتسمية إقليمهم الجغرافي الذي يقطنون فيه بإقليم ليبيا الحيوانات المتوحشة.

[1] Laurent Callegarin et Julien Moreau, Op. Cit., p.207.

[2] حفيظة لعياضي، القبيلة والمغرب الروماني، مجلة دراسات تراثية، مج7، ع1، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 1439هـ/2017م، ص/258.

[3] فتيحة غديري والسعيد شلالقة، المرجع السابق، ص/776.

[4] سالوستيوس، حرب يوغرطة، ص/127.

[5] Vbique Populus, Op. Cit., p141..

[6] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ص/166.

الفصل الأول:

التصنيف السكاني للمجموعات البشرية الكبرى ببلاد المغرب: من المور إلى البربر

–دراسة في التحول الإثني والإثنونيمي –

أولا– المور والبربر: إشكالية التصنيف السكاني: أي غموض؟

ثانيا– معايير التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي.

الفصل الأول:

التصنيف السكاني للمجموعات البشرية الكبرى ببلاد المغرب: من المور إلى البربر

– دراسة في التحول الإثني والإثنونيمي –

أولا– المور والبربر إشكالية التصنيف الإثني والإثنونيمي: أي غموض؟

رغم اعتقادنا الجازم بأنّ الوصول إلى نتائج يقينية في موضوع الأصل الإثنونيمي للفظ البربر يعد أمرا صعبا للغاية، لكونه يرتكز على تفسيرات إيديولوجية محضة، ولا يكاد يخلو من مزالق منهجية وتناقضات في الأحداث التاريخية، فإنّ ضبط إثنونيم "البربر" وأصوله والإبانة عن دلالاته هو بمثابة محاولة يحوزها الكثير من التعقيد والضبابية ويطبعها اضطراب كبير، كما تستوجب من جهة أخرى توسيع فضاء التنقيب والبحث في مصادر الفترة المتأخرة من العصر القديم لتحديد ملامح التحولات الاجتماعية والاثنية والإثنونيمية للجماعات السكانية المغاربية قصد مقارنتها بمعطيات النصوص العربية[1] مع بداية الفترة الإسلامية الأولى.

وفي هذا المقام يجدر بنا التساؤل عن أسباب التواصل الإيثنونيمي لأسماء المجموعات القبلية ببلاد المغرب الإسلامي بالرغم من التحولات الفيليلوجية الجزئية التي طالت أسماءها مثل لواتة وهوارة وصنهاجة وزناتة وكتامة ونفوسة، وهل أنّ حضور أسماء هذه الكنفدراليات القبلية في المنطقة يقابله اختفاء مفاجئ لمصطلح المور من مختلف الصنوف المصدرية المتقدمة وتعويضه بمصطلح البربر؟

---

[1] تنطوي الألوان المصدرية العربية التي أرخت لحركة الفتح الإسلامي والصراع البيزنطي العربي على أهمية محورية، خاصة فيما يتصل بدراسة أحداث المرحلة المتأخرة من الحكم البيزنطي، ذلك أنها تتضمن رصيدا هاما لا غنى عنه في طرق جوانب متعددة من التاريخ البيزنطي، وهو ما جعل انفتاح الباحثين على هذه الصنوف المصدرية لا يقتصر فقط على المتخصصين منهم في تاريخ الإسلامي الوسيط، بل تجاوزه إلى أبعد من ذلك إلى وقائع العصر الوندالي والبيزنطي، لتصبح رافدا من روافد البحث التاريخي لدى الباحثين في المرحلة الوندالية والفترة البيزنطية. أنظر حول موضوع توظيف المصادر الإسلامية في الدّراسات البيزنطية:

Abdelatif Mrabet, «l'état économique de l'Afrique byzantine d'après les récits des chroniqueurs arabes», Africa XIII, 1995, pp., 123-133. Canard Marius, «Les sources arabes de l'histoire byzantine aux confins des Xe et XIe siècles». In: Revue des études byzantines,tome 19, 1961. pp. 284-314. Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIesiècle), Rome, École Française de Rome, 2003, P. 711.Belkhodja Khaled, L'Afrique byzantine à la fin du VIe et au début du VIIe siècle , Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°8, 1970. unica. p.,61.

يوسف عيبش، المرجع السابق، ص/20.

لقد أفضت عملية الأسلمة والتعريب في بلاد المغرب إلى تحولات اجتماعية وإثنونيمية، مسّت جوانب مختلفة منها أسماء السكان وقوائم تسميات الكنفدراليات القبلية والجماعات البشرية في المجالات الحضرية والريفية، فإشارة النصوص الإخبارية والوصفية إلى لفظ البربر بما يحمله من معنى أحادي أطلق على الجماعات الأصلية المتوطنة بالمنطقة مع ذكر إثنونيمات الجالية اللاتينو-بيزنطية المعروفة بالروم والأفارقة[1] خلال ثلاثة قرون الأولى بعد تمام عمليات الفتح الأموي، يقابله اختفاء غير مبرر لمصطلح المور بشكل غامض وسريع من ساحة التوطين وحضور لفظ البربر في المظان المصدرية بشكل كبير[2]، ولاشك أنّه الإيثنونيم الذي أُقحِم في مختلف المصادر والدّراسات التاريخية طيلة الفترة الوسيطة دون تحفظات مذكورة، أو دراسة ظاهرة "البربرة" من مرحلة ظهورها، تبلورها وآليات توظيفها إلى الفترة الراهنة. إنه لأمر يجعلنا نثير تساؤلا مشروعا عن أسباب الانقطاع الإثنونيمي والاختفاء الغامض والسريع لمصطلح المور وبروز لفظ "البربر" في مختلف الصنوف المصدرية المتقدمة؟ ومن زاوية أخرى كيف نبرر غياب إثنونيم تم استخدامه بشكل واسع في المصادر البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي للدلالة على مجموعات سكانية محلية واسعة التمدد والانتشار ببلاد المغرب ثم اندثر تداوله وحضوره في مصادر العصر الوسيط المتقدم؟

وفي هذا المقام يجدر بنا التساؤل عن أسباب التواصل الإيثنونيمي لأسماء المجموعات القبلية ببلاد المغرب الإسلامي بالرغم من التحولات الفيليلوجية الجزئية التي طالت أسمائها مثل لواتة وهوارة وصنهاجة وزناتة وكتامة ونفوسة، وهل أنّ حضور أسماء هذه الكنفدراليات القبلية في المنطقة يقابله اختفاء مفاجئ لمصطلح المور من مختلف الصنوف المصدرية المتقدمة وتعويضه بمصطلح البربر؟

صحيح أنّ عملية الأسلمة والتعريب في بلاد المغرب أفضت إلى تحولات اجتماعية وإثنونيمية، مسّت جوانب مختلفة، منها التحولات الفيليلوجية الجزئية التي طالت أسماء قوائم تسميات الكنفدراليات القبلية والجماعات البشرية في المجالات الحضرية والريفية، مثل لواتة وهوارة وصنهاجة وزناتة وكتامة ونفوسة التي تواصل حضورها الإثنونيمي خلال فترة ما بعد الفتح، على عكس مصطلح المور الذي اختفى من دون مبرر وبشكل غامض وسريع من ساحة التوطين القبلي في المظان المصدرية لهذه المرحلة[3]، وأُستعيض عنه بلفظ البربر بما يحمله

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/272.اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/188-189.

[2] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/101.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من معنى أحادي أطلق على الجماعات الأصلية المتوطنة بالمنطقة إثنونيمات الجالية اللاتينو–بيزنطية المعروفة بالروم والأفارقة[1] خلال الثلاثة قرون الأولى بعد تمام عمليات الفتح الأموي[2].

إنّ إثنونيم البربر الذي أُقحِم في مختلف المصادر والدراسات التاريخية المعاصرة التي عنيت بالموضوع من غير تحفظ طيلة الفترة الوسيطة، أو دراسة ظاهرة "البربرة" من حيث ظهورها، وتبلورها وآليات توظيفها حتى الفترة الراهنة، لأمر يجعلنا نثير تساؤلا مشروعا عن أسباب الانقطاع الإثنونيمي والاختفاء الغامض والسريع لمصطلح المور وبروز لفظ "البربر" في مختلف الصنوف المصدرية المتقدمة؟ ومن زاوية أخرى كيف نبرر غياب إثنونيم تم استخدامه بشكل واسع في المصادر البيزنطية خلال القرن السادس الميلادي للدلالة على مجموعات سكانية محلية واسعة التمدد والانتشار ببلاد المغرب ثم اندثر تداوله وحضوره في مصادر العصر الوسيط المتقدم؟

إنّ النقيشة الإبيغرافية المؤرخة لمملكة مورية، والتي عثر عليها في موقع ألتافا بأولاد ميمون الواقعة شرق مدينة تلمسان تعود إلى الملك المحلي ماسونا (Masuna)[3]، وتحمل هذه القطعة الأثرية مصطلح المور الذي كان يطلق على سكان بلاد المغرب خلال الفترة الرومانية المتأخرة، وقد ورد في هذه النقيشة ضمنيا أنّ الملك ماسونا هو "ملك شعب المور والرومان أو ملك الشعوب المغاربية والرومانية"، مما يبرهن على وجود مجموعات بشرية من السكان الأصليين إلى جانب المركب الروماني بالمنطقة المغاربية تتسمى بهذه التسمية الإثنية، ويمكن لنا أن نتبين ذلك من خلال عرض ما سجلته لنا النقيشة الأثرية من معطيات إيبيغرافية نرى صورتها كالتالي:

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/188-189. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/272.

[2] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/101.

[3] يطلق عليه اسم ماسونا (Masuna) أو ماسوناس (Massonas).

الشكل رقم (03): نقيشة[1] ألتافا المنسوبة إلى الملك الموري المحلي ماسونا (Masuna)

[1] الترجمة الحرفية الكاملة باللغة الفرنسية لمعطيات النقيشة الأثرية كما نقلها الفرنسي غابريال كامبس:

«Pro sal(ute) et incol(umitate) reg(is) Masunae gent(ium) [ou gent(is)]/ Maur(orum) et Romanor (um) Castrum edific(atum) a Mas/givini pref(ecto) de safar, Iider proc(urator) cast/ra Severian(a) quem Masuna posuit/ et Maxim(us) proc(urator) Alt(avae) perfec(erunt) (anno) pp(rovinciarum) CCCCLXIIII. « Pour le salut et la sécurité de Masuna, roi (du) des peuple(s) maure(s) et romain(s). Forteresse construite par Masgivin, préfet de Safar. Iider, procurateur de Castra Severiana affecté par Masuna à Altava, et Maximus, procurateur d'Altava, l'achevèrent en l'an des provinces 469 (= 508)». Gabriel Camps, «Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles», Antiquités africaines, 20,1984. pp. 194-195.

لقد أكدّت النقيشة أعلاه على الحضور الإثنونيمي لمصطلح المور الذي كان يطلق على السكان المحليين ببلاد المغرب خلال العهد الروماني، ويتدعم هذا الدّليل أيضا بما عثر عليه في منطقة ألتافا من إبيغرافيات دينية ونصب جنائزية ونقائش مختلفة لأسماء الآلهة والديانات الوافدة والمحلية في المنطقة[1]، ومن ذلك ما أشارت إليه نقيشة الآلهة المورية المحلية بعدما عرف سكان المنطقة اعتناقا للمسيحية والوثنية والعديد من المعتقدات الدينية الرومانية والمغاربية المحلية[2]، كما أنّ أقوى دليل يبرهن على وجود لفظ المور في منطقة المغرب خلال الفترة البيزنطية ما دلت عليه النقيشة الأثرية للملك المحلي ماستياس، والتي عثر عليها في منطقة آريس بالأوراس سنة 1945م، وهنا يمكن لنا عرض نص هذه النقيشة التي تبرز وضعية الملك ماستياس وعلاقته بالرومان والمور، وتعهده للسلطة الرومانية بالطاعة والخضوع لها في فترات السلم والحرب[3].

[1] محمد وابل وآخرون، الطقوس والممارسات الدينية في مدينة أولاد ميمون (ألتافا) من القرن الثاني إلى السادس ميلاديين، مجلة أنثروبولوجية الأديان، ج 17، ع01، تلمسان، 2021/1442م ص/567.

[2] حول البقايا الأثرية المورية بما فيها نقيشة الآلهة المورية أنظر الدراسة الثرية بصور الإبيغرافيات والنقائش واللقى الأركيولوجية للباحثة:
Nora Yahiaoui, des Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne. Humanities and Social Sciences, thèse doctorat, Ecole pratique des hautes études - EPHE PARIS, 2003, p., 196.

[3] الترجمة الحرفية الكاملة باللغتين اللاتينية وما يطابقها باللغة الفرنسية لمعطيات النقيشة الأثرية كما نقلها كل من كاركوبينو وموريزات وإيف موديران:
- En latin D.M.S. (Dis manibus sacrum?) Ego Masties, dux annis LXVII et imp(e)r(ator) annis X, (?) qui nunquam periuravi neque fide(m) fregi, neque de Romanos neque de Mauros, et in bellu parui et in pace, et adversus facta mea sic mecu(m) Deus egit bene. Ego Vartaia hunc edificium cum fratrib(us) meis feci,in quod erogavi sil(icas) (?) centu(m).
pendant soixante-sept ans et préposé au limes pendant quarante et un Moi, Masties, j'ai été duc :- En français Romains, ni me suis jamais parjuré et n'ai jamais rompu la foi que j'avais engagée, ni envers les ans. Je ne paix. Aussi, au vu de mes actions, Dieu pendant la guerre et pendant la envers les Maures. Je suis resté soumis Moi Vartaïa j'ai élevé ce monument avec mes frères. Il m'a coûté cent siliques. m'a-t-il accordé sa bénédiction. Jérôme Carcopino, «Un «empereur» maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès», Revue des Études Anciennes, Tome 46, 1944, n°1-2. pp. 95-96. Pierre Morizot, «Pour une nouvelle .Yves Modéran, Les Maures et 266lecture de l'elogium de Masties», Antiquités africaines, 25,1989. pp. 265-l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op, Cit, p. 402.

الشكل رقم (04): نقيشة آريس للملك ماستياس يظهر فيها مصطلح المور معروضة بالمتحف الوطني للآثار في الجزائر العاصمة[1].

خلال العهد البيزنطي المتأخر تشير المصادر اللاتينية في مقدمتها حرب الوندال إلى إثنونيم "المور"[2] الذي يعبر عن السكان المغاربة في العديد من مواضع الكتاب، حيث تحدث بروكوبيوس عن الجماعات المحلية الملقبة بالمور والمشاركة في ثورة الملك المحلي يابداس ضد السلطة البيزنطية، كما ارتبط هذا المصطلح بقبيلة لواتة وهوارة لسيطرتهما على المجال الشرقي في المغرب وانتشارها الواسع على تخوم المجال الصحراوي[3]، وقد ذكرت إلى

[1] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op, Cit, p. 399.
[2] Procope, Histoire de la guerre des Vandales, traduit par Léonor de Mauger, libraire juré, paris, 1670, pp., 389, 408.
[3] Ibid, p., 422.

جانبها مجموعة من الكنفدراليات القبلية الكبرى مثل كتامة وصنهاجة ومسوفة وأغلب الجماعات السكانية السابقة للفترة الإسلامية[1].

في القرن السادس الميلادي ومع مصدر لاتيني آخر ممثل في كتاب الجوهانيد لكوريبوس[2]، يتواصل استخدام مصطلح المور ليدل على الجماعات البشرية والفصائل السكانية المتسببة في إحداث الفوضى والبلاء والعداء تجاه السلطة البيزنطية في المنطقة، وقد انعكست هذه الصورة السلبية لسكان المقاطعات الإفريقية في مقاومة جماعات المور المحليين للبيزنطيين الأجانب خلال القرن السادس للميلاد، على غرار مقاومة الأمير يابداس بالأوراس وابن الأمير كوتزيناس التي وصفتها النصوص على أنها حرب مورية (Maurorum Bellum)[3].

لقد أوضحت الدّراسات التاريخية لكل من كريستيان كورتوا[4] وشارل ديهل[5] وإيف موديران[6] ويوسف عيبش[7] أنّ العنصر الموري انتشر انتشارا واسعا في كل المقاطعات الإفريقية وعلى حدودها الجنوبية المتاخمة للمجالات الصحروية خلال القرن السادس الميلادي، وبالتّالي فلفظ المور يشكل قطعا وبلا شك التسمية الأصلية التي كان تعرف بها المجموعات السكانية ببلاد المغرب خلال الفترة البيزنطية، مع تواجد بعض أسماء القبائل المغربية في المصادر اللاتينية كلواتة(Laguatan) وهوارة(Austuriani) وكتامة(Ucutumani)، إلى جانب أسماء الإثنيات المستوطنة بالمدن كالرومان والأفارقة وبقي هؤلاء المور معروفون بتنظيماتهم القبلية[8]، بيد أنّ انتقال المنطقة من فترة الحكم البيزنطي القديم إلى مرحلة الحكم الإسلامي تجعلنا نلاحظ انقطاعا واختفاء لمصطلح

[1] Ahmed M'charek, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb, de l'antiquité à nos jours : le cas des avares (haouara) et dianenses ou zanenses (zanāta)», l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2015. p. 445-477.

[2] حسب رأي يوسف عيبش أنّ الطابع الشعري الذي تميزت به قصيدة الجوهانيد (Johannide) لكوريبوس، جعلها تمثل سجلا إثنوغرافيا وحيدا في المصادر القديمة، ففضلا عن كونه إفريقيا وعلى دراية تامة بتطورات المجتمع، يبدو أنه كان يدافع عن طبقة الأفارقة، وبالتالي جاءت قصيدته لتمجيد أعمال القائد العسكري البيزنطي جون تروجليتا، ولذلك كرس الشاعر خطابا يجعل المور هم سبب البلاء والهموم التي عرفتها إفريقيا، بل يصفهم بكل صور العداء والاحتقار، وهي الصورة التي وجدناها تتكرر عند العودة إلى الشخصيات المورية مثل أنتلاس ويبداس أو قبائل لواتة وهوارة، إلا أنّ حرصه على إثبات قناعته، تجلى في محاولته إعطاء جرد كامل لهذه القبائل المورية، خصوصياتها الإقليمية. يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص/218.

[3] يوسف عيبش، مقاومة المور خلال القرن 6م دراسة نموذجية لأمرين نومديين، مجلة المعالم، ع10، ربيع الأول 1430هـ/مارس 2009م، ص ص/58-66.

[4] Christian Courtois, Op, Cit, pp. 244-230.

[5] Charles diehl, Op, Cit, pp. 26-23.

[6] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op, Cit, p. 266-270.

[7] يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص/217 وما بعدها.

[8] المرجع نفسه، ص/218.

المور الذي لا نجد له حضورا في مختلف الحقول المصدرية خلال فترة العصر الوسيط، وعلى العكس منه، فقد فرضت لفظة "البربر" نفسها على الإخباريين المسلمين لتعوض إثنونيم المور الوارد في المصادر الأثرية والمكتوبة خلال فترة العصر القديم، والغياب الكلي لهذا اللفظ وتوظيف مصطلح "البربر" خلفا له قد يعود بالأساس إلى طبيعة الانتقال اللغوي وخصوصيات الحروف الصوتية والصامتة، يضاف إلى ذلك غياب كلي للخلفية التاريخية القديمة في النصوص العربية، حيث لا نلمس أي إشارة إلى الممالك النوميدية ولا شخصيات الفترة الرومانية، بل حتى الإمارات المورية المعروفة في مصادر القرن السادس الميلادي، نجدها غائبة في هذه النصوص الإخبارية العربية[1]، وكأن حركة الأسلمة والتعريب قد أدّت بالفعل إلى تحول جذري في الجوانب الإثنية والاجتماعية والإسمية للسكان المغاربة، وأنّ هنالك قطيعة مع الهوية القديمة للمجتمعات البشرية المستوطنة ببلاد المغرب ما قبل الإسلام[2]، لتجمع بذلك كل التكوينات البشرية مثل النوميد والمور والجيتول في مركب إثني واحد صنفته المصادر الإسلامية الوسيطة تحت تسمية "البربر"، وهو ما لم تبين لنا أصوله ولا خلفياته ولم تحدد لنا السياقات الزمنية التي ظهر فيها وطبيعة الغموض الذي اكتنفها، لاسيما خلال المرحلة الانتقالية بين فترة العهد البيزنطي والفترة الإسلامية الوسيطة، ولذلك لا تزال تُردد هذه التسمية عبر مختلف العصور إلى زمننا الراهن لتطلق على سكان بلاد المغرب.

1- التصنيف السكاني في المصادر المشرقية:

الثابت أنّ استخدام الرواية المشرقية لإثنونيم "البربر" أو "البرابر" أو " البرابرة" الذي جمع كل المجموعات البشرية باستثناء الجاليات اللاتينية والبيزنطية ببلاد المغرب الإسلامي تحت هذه التسمية الاثنية، سيلغي نهائيا لفظ المور من مصادر الفترة الإسلامية، ويتم تداول واستعمال كلمة "البربر" في كل النصوص الإخبارية والجغرافية والفقهية والمذهبية وكتب التراجم والطبقات والأنساب سواء المشرقية أو المغربية منها، ونظرا لغياب البعد النقدي لهذا التصنيف الاجتماعي فلا يزال يلف الغموض الكثير من الروايات المؤسسة لإثنونيم البربر وأصولهم العرقية، بسبب قلة المهتمين بها، واكتفاء الباحثين بالتعاطي مع هذا التصنيف الاثني في أعمالهم دون رؤية نقدية لأصوله، وعوامل ظهوره، وسياقات إنتاجه، ودور المؤلفين العرب في بلورته وتطور مدلوله، وكذا حضوره وآليات توظيفه في مصادر العصر الوسيط سواء المتقدمة منها أم المتأخرة.

[1] يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص/296.

[2] زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب، ص/101.

مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وإلحاق العديد من الجماعات البشرية في فلك دار الإسلام، وتزايد انشغالات الإدارة السلطتين الأموية وثمّ العباسية بالتنظيمات الإدارية والاجتماعية، كان لزاما على علماء الأنساب الانفتاح على حقول شتى، حيث سعى رواده إلى رسم صورة ملحمية عن شخصيته الأجداد، مع تعقب لتطور خصائصها الخلقية والفكرية والذهنية[1]، وتتبع سيرهم العامة والخاصة من عوائد وأنماط معيشة، ومجالات حراكهم وآثارهم[2]، فأسهم هذا التوجه في توسيع دائرة ارتباطاته بعلوم كثيرة وتداخلت اهتماماته معها، على غرار الطب والتاريخ وعلم الاجتماع والأنثربولوجيا[3].

ومن الناحية اللغوية، لفظ "البَرْبَرُ" مشتق من كلمة "البَرْبَرَةِ" ويعود أصلها في المعاجم العربية إلى الفعل بَرْبَرَ، وبَرْبَرَ في الكلام بلا منفعة، وقد بربر في كلامه بربرة إذ أكثر منه، والبربرة: كثرة الكلام والجلبة باللسان[4]، ووردت اللفظة لتدل على الصوت، والكلام من غضب[5]، وبَرْبَرٌ جيل من الناس يقال إنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان، والبرابرة الجماعة منهم[6].

ويُعدّ هشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ/819م) أول مصدر مشرقي يشير إلى الأصل الاثني لسكان بلاد المغرب الإسلامي، وكانت روايته مرتبطة بالملك اليمني أفريقش بن قيس بن صيفي الذي "افتتح افريقية وسميت به، وقتل ملكها جرجير، ويومئذ سميت البربر، قال لهم: ما أكثر بربرتكم"[7]، وبالتالي فمصطلح "البربر" الذي استعمل للدلالة على الجماعات السكانية المغاربية في مختلف النصوص العربية وفي مقدمتها كتب الأنساب، مرتكزا إلى حد بعيد بالمعيار اللغوي الفيلولوجي باعتباره واحدا من أهم محددات التصنيف السكاني الوارد ذكره في المعرفة الأدبية والتاريخية المشرقية، فيتضح حسب "الأسطورة اليمنية" أنّ الوعاء اللغوي الذي يستعمله سكان بلاد المغرب والكلمات التي ينطقون به غير مفهومة وغامضة، ومع ذلك فقد اعتبر الإخباريون والنسابة لفظ "البربرة" المنسوب إلى الملك أفريقش بمثابة آلية لتسمية المغاربة باثنونيم "البربر".

---

[1] ديري بيار، علم الأنساب، مجلة الدوحة، الرباط، ع3، 1417هـ/1997م، ص/94.

[2] محمد المعزوزي، علم الأنساب على مر العصور، ط1، طوب بريس، الرباط، 1428هـ/2008م، ص/67.

[3] رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، 5/1.

[4] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، ط2، ج10، دار الهداية، الكويت، د ت، ص/159.

[5] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/1987م، ص/588.

[6] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ/2004م، ص/56.

[7] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/548.

إنّ التركيز على أسطورة الملك أفريقش بن صيفي وحلوله ببلاد المغرب وتسميته لإفريقية باسمه والسكان المحليين بلفظة "البربر"، ستكون أرضية خصبة ومنطلقا من بين أكثر المنطلقات التاريخية المعتمدة في تحديد الأصل العرقي والاسمي لسكان بلاد المغرب بالرغم من صعوبة التسليم والإقرار بصحتها[1]، وكما أنها رواية أُنتِجت معطياتها في بلاد المشرق الإسلامي خلال مرحلة الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، وكان لها حضور في أغلب النصوص الاخبارية المشرقية[2]، سيتم تداولها على مدى قرون من الفترة الوسيطة في المصادر المغربية وهو سنوضحه خلال المبحث الموالي من هذا الفصل.

على الرغم من أنّ التدوين التاريخي لأحداث الفتح الأموي لبلاد المغرب الإسلامي بدأ خلال الربع الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، إلا أن أقرب ما وصلنا منه يبعد عن زمن أحداث الفتح بأكثر من قرن ممثلا في رواية الواقدي (ت 207هـ/822م)، ومع ذلك فقد اندرجت في عداد النصوص المفقودة، ومن حسن الحظ أنّ البلاذري[3] نقل لنا أجزاء منها عن شيخه ابن سعد عن الواقدي[4]، وقد درج الإخباري العراقي ـ الذي قدّم لنا حول فتوح المنطقة معطيات على تسمية المجموعات البشرية بمصطلح "البربر"، ضمن تصنيف اجتماعي جديد طرأ على منظومة الأسماء البشرية خاصة المجموعات السكانية الكبرى، وأحدث بذلك قطيعة تاريخية مع العهد البيزنطي، أي ماضي المنطقة إثنونيميا واجتماعيا.

إنّ تبلور الهوية الاسمية لسكان بلاد المغرب من خلال جمعهم تحت مصطلح واحد هو "البربر"، نجد لها حضورا في كتابات خليفة بن خياط(ت 240هـ/854م) الذي يستخدم لائحة من الأسماء الاثنية الدالة على

---

[1] مما هو جدير بالذكر أنّ المعطيات الإخبارية التي طرحتها المصادر العربية تؤكد على تواتر المصادر المتقدمة والمتأخرة لرواية الهجرة السكانية للمغاربة من بلاد الشام إلى بلاد المغرب، حيث رصدنا العديد من الإشارات التاريخية التي تومئ إلى قيام الملك أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك اليمن بنقل "البربر" من سواحل الشام إلى المنطقة المغاربية، لكن مضمون هذه الرواية يُعلي من شأن الأصل المشرقي "للبربر" ويبلور أكثر التصور الوهمي لانتمائهم الاثني، ولعل ما يشهد لواجهة ذلك هو ندرة المادة المعرفية في هذه المسألة الاثنية الحساسة، كما أنّ ندرة المادة الوثائقية جعل حضور الرواية الوحيدة بشكل كبير في مختلف المصادر الإسلامية، ولا يوجد اختلاف في التدليل أو محاولة التساؤل عن صحتها أو بطلانها. ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2. المسعودي، أخبار الزمان، ص/103.

[2] للوقوف على تعاطي المؤرخين المشارقة لرواية الهجرة "البربرية" من بلاد الشام نحو المغرب في مصنفاتهم تحت أمر الملك اليمني أفريقش. أنظر: ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2. البغدادي، المحبر، ط1، تح: إيلزة ليختن شتيتر، د ت، ص/365. ابن مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط2، ج1، سروش، طهران، 1420هـ/2000م، ص/68. ابن الأثير، المصدر السابق، 176/1. ابن الوردي، المصدر السابق، 83/1.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص/222.

[4] عن موضوع التدوين التاريخي حول حركة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب، أحيلك على دراسة الأستاذ علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار بين الروايات العربية والقراءات الغربية، ص/33.

السكان المغاربة على غرار لفظ "البربر" الذين مثلوا المقاومة المحلية من خلال مواجهتهم لحسان بن النعمان وإلزامهم بالخراج بعد الهزيمة التي ألحقها بهم، وقد أعقب مصطلح "البربر" بلفظ "البرابر" في معرض حديثه عن الحملة الأولى لموسى بن نصير ضد الجماعات التي قتلت عقبة بن نافع في تهودة ببلاد الزاب، دون أن ننسى إثنونيم "البرابرة" وطرحه من طرف الإخباري في مؤلفه[1].

عموما، فإنّ التوجه نحو تقييد نسب الجماعات السكانية المغاربية في المعرفة التاريخية المشرقية كان ممنهجا، فبعد أن حصل الرحالة والجغرافيون على معلومات تبقى ناقصة عن جغرافية بلاد المغرب والهياكل الاقتصادية والاجتماعية للمغاربة كما تظهره نصوصهم الوصفية[2]، كان من الضروري أن يتساءل الإخباريون في بلاد المشرق عن أصل هذه الجماعات المعروفة – حسبهم- بـ"البربر"[3]، وذلك تمشِّي مقصود يهدفون من خلاله إلى دمج الجماعات المغاربية –"البربرية حسبهم"- في حركة التاريخ بطريقتهم الخاصة دون معطيات اثنية دقيقة، أي طبقا لقواعد ذاكرتهم الجماعية المبنية على قصص ونصوص من الروايات الإسرائيلية، وهو المنهج الذي انطلقوا منه في دمج العديد من المجموعات البشرية التي التحقت بدار الإسلام عن طريق حركة الفتوح[4].

علاوة على ذلك، استمرت المصادر الإخبارية خلال الربع الثاني والربع الثالث من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في استعمال مصطلح "البربر" لتلقيب الجماعات البشرية ببلاد المغرب الإسلامي، وبينت بأنه المكون الرئيسي من مكونات التركيبة السكانية إلى جانب الجاليات البيزنطية واللاتينية، فقد برز واضحا من خلال مجاراة كل من أبي جعفر البغدادي (ت245هـ/860م)[5] وابن عبد الحكم (ت257هـ/870م) لسابقيه من علماء الأنساب في عرضهم للأصل الاثني والموطن الجغرافي للمغاربة، حيث تقدم في روايته أنّ البربر من ولد حام ثم إنّهم كانوا "...بفلسطين، وكان ملكهم جالوت، فلما قتله دواد خرج البربر متوجهين إلى المغرب، حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية...فتفرقوا هنالك، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب، وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس وهي برقة، وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة،

[1] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/380.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/177 وما بعدها. ابن حوقل، المصدر السابق، ص/10 فما بعدها. المقدسي، المصدر السابق، ص/243.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص/222. الطبري، المصدر السابق، 207/1. ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2.

[4] Shatzmiller Maya,«Le mythe d'origine berbère (aspects historiques et sociaux)», Rev. de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, 1983. P.148.

[5] المحبر، ص/365.

ونزلت نفوسة مدينة سرت، وجلا كل من كان بها من الروم من أجل ذلك، وأقام الأفارقة وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم"[1].

إنّ هذه المعطيات التاريخية تؤشر أولا على الأصول الشرقية والجغرافية للمغاربة الذين ينحدرون من النسب الحامي من أرض فلسطين، كما تؤكد الرواية من جهة أخرى على أنهم استوطنوا بلاد المغرب قديما قبل الفترة الإسلامية، وإن كان ابن عبد الحكم يستجمع كل التكوينات البشرية المغاربية تحت إثنونيم "البربر" من ناحية، فإنه من ناحية أخرى بات الأمر أكثر تعقيدا عندما يضع تصنيفا اجتماعيا جديدا يُقسّم فيه السُّكان المغاربة إلى قسمين اثنين هما: "البربر البتر" و"البربر البرانس"[2] بناء على معايير أنثربولوجية تتحدد في نوع اللباس ونمط المعيشة المتمثل في الاستقرار والارتحال، فالبرانس هم المستقرون الذين يرتدون البرنس وهو الرداء الصوفي الطويل، أمّا البتر وهم البربر الرحل الذين يلبسون الثياب القصيرة[3].

إنّ القراءة الأولية لشهادة ابن عبد الحكم، تبرهن على مفارقة تاريخية تشكك في مصداقية رواياته، فهو في عملية بناء وإنتاج لنصوص تاريخية تؤسس لتسمية جديدة أطلقت على سكان المغرب، ألا وهي لفظة "البربر" التي وظفها للتعريف بالهوية الإسمية لهذه الجماعات البشرية وتحديد مجالات توطنها بالجزء الغربي لدار الإسلام كوحدة جغرافية أطلق على سكانها ايثنونيم "البربر"[4]. إنّ هذه النصوص تُعرِّف بالوعاء البشري والجغرافي المغاربي عند سكان بلاد المشرق الإسلامي الذين يجهلون هذا الإقليم الجديد، بالإضافة إلى وجود لفظ "بربر" في الشرق الأدنى القديم قبل تداولها في بلاد المغرب، كما يفهم من إشاراته التي ربط فيها أصول جماعات لواتة والسوس بالبربر، عندما يروي نقلا عن رواية الليث بن سعد قائلا:"كتب عمرو بن العاص على لواتة من البربر في شرطه عليهم أنّ عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية"[5]، هذا ما يدفعنا للتأكيد على استكمال

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28 فما بعدها.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6.

[3] عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1436هـ/2015م، ص ص/28-29، أنظر كذلك:
Bulliet Richard W., Desaive Jean-Paul. Botr et Beranès : hypothèses sur l'histoire des Berbères, Annales. Economies,sociétés, civilisations. 36e année, N. 1, 1981, pp. 104-116.

[4] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques : le peuple berbère en question (VIIe-Xe siècle)», Op. Cit., pp.38-39.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197.

عملية "بربرة" الفضاء المغاربي الجديد، من خلال إلحاق أسماء الكنفدراليات القبلية الكبرى بلفظ "البربر" على غرار لواتة وأهل السوس[1].

وبالرغم من تسجيله للحملات الأموية وانتصارات الفاتحين عسكريا على الجبهة المغربية، خصوصا حملة حسان بن النعمان على الكاهنة التي لقبها بملكة "البربر"[2]، إلا أنّ ابن عبد الحكم ليس بحوزته الكثير من المعطيات حول الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ووضعية الهياكل الاقتصادية والاجتماعية الخاصة به، فبينما يعطي لمصر اهتماما معتبرا تشغل بموجبه الحيز الأكبر في كتاباته، يقدّم الجماعات البشرية بالمغرب على أنهم "بربر"، لينسحب هذا الإثنونيم على السكان المغاربة، في محاولة منه لتغطية جهله بالهوية الاسمية والإثنية الخاصة بهم وعوزه الكبير إلى المعطيات التاريخية حول جذور تسميتهم وأصول نسبهم، وتعبيرا كذلك عن الأيديولوجية المنتشرة بمصر خلال القرن الثالث الهجري/القرن التاسع الميلادي التي تسميهم بـ"البربر". وواضح من هذا أنّ ندرة المادة الوثائقية والإخبارية قد جعلت من موضوع السكان الأصليين-أي"البربر"- وموطنهم المغرب مفعما بالتفسيرات الوهمية والقصص الأسطورية[3].

وفي منحى التسليم بالأصل المشرقي لسكان بلاد المغرب الإسلامي الذين ينحدرون من الكنعانيين بفلسطين، يبرز خلال الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي مصطلح البربر في نصوص البلاذري (ت 279 هـ /892م)، الذي تنطبق روايته إلى حد بعيد مع ما أورده ابن عبد الحكم، ومن المرجح نقله لنفس رواية الليث بن سعد الذي ربط فيها لواتة المستوطنة في برقة بـ "البربر"[4]، بيد أنّه لا يذكر إثنونيم البربر في تعاطيه مع الجماعات البشرية المستوطنة بمجالات المغرب الخاضعة للسيطرة البيزنطية ويكتفي بذكر "أهل إفريقية" كمجال سياسي وبشري وجغرافي متميز عن باقي المجالات الجغرافية[5].

[1] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», Op. Cit., p.39.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/228.

[3] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», Op. Cit., p.39.

[4] البلاذري، المصدر السابق، ص/227.

[5] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Les Berbères entre Maghreb et Mashreq (VIIe-XVe siècle)[en ligne]. Madrid : Casa de Velázquez, 2021, p.57.

لقد تبين حسب الإشارة التي أوردها يعقوب الفسوي (ت 277هـ/890م)[1] وأبو زرعة الدمشقي (ت 281هـ/895م)[2] في تاريخه، عن شيوع لفظ البربر في الكتابة التاريخية بالمشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ويفسر ذلك بتوظيف المنهج النقلي لدى الإخباريين الذي كان من نتائجه تبني التصنيف الاثني الوارد في المصادر المتقدمة، وتعميم استعمال إثنونيم البربر للتدليل على سكان بلاد المغرب الإسلامي، سيما في مصادر القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، إذ لا يخرج اهتمام الإخباريين في المشرق عن تبني التقليد السائد في اعتبار "البربر" مكون بشري ينتمي مجاليا إلى منطقة المغرب دون تأصيل لتسميته أو نقد وتمحيص للروايات الأولى التي وظفته أو الإخباريين الذين استعملوه في إطار فن الفتوح أو علم الأنساب العربي.

إنّ استمرارية حضور مصطلح البربر نلمسه خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م)[3] والفتوح لابن أعثم (ت 314هـ/926م)[4]، اللذين لقبا سكان بلاد المغرب الإسلامي بـ"البربر"، ولم يثيرا أي تساءل عن أصول هذا الاسم الاثني، أو مسارات دخوله في الكتابة التاريخية، ولا عن آليات توظيفه في حقول المعرفة المشرقية، بل تواصل إثنونيميا في معظم نصوص القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[5]، كما أنّ استعماله من طرف المؤلفين لم يؤثر على مصداقيتهما العلمية لأنّ الإثنونيم ليس جديدا على الكتابة التاريخية التي طرحته بكثرة في تلك المرحلة وهو بمثابة إسقاط من الإسقاطات الآنية المفتعلة لسابقيهما على المغاربة من خلال تلقيبهم بمصطلح "البربر" في القرن الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد[6]، وبالتالي فالانتقال المصطلحي للفظ "البربر" بين نصوص المؤرخين المشارقة لم يكن مقصورا على الطبري أو المسعودي كما رأينا أو حتى أنه كان مقيدا بالمنهج النقدي التاريخي لاستجلاء حقيقة اللفظ وجذور تسمية المجموعات السكانية في المغرب باسم "البربر".

---

[1] المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، ط2، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م، ص/154.

[2] تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تح: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1417هـ/1996م، ص/251.

[3] تاريخ الرسل والملوك، 255/4.

[4] الفتوح، تح: علي شيري، ط1، ج 2، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ/1991م، ص/269.

[5] أنظر كذلك: المقدسي، البدء والتاريخ، ج4، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ص/68. المسعودي، التنبيه والإشراف، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د ت، ص/79.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/224. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28، 197، 246. البلاذري، المصدر السابق، ص/223.

وعليه، يتواصل استعمال إثنونيم "البربر" في المصادر المشرقية[1] خلال القرون الثلاث التي أعقبت القرن الرابع الهجري أي خلال القرن الخامس والسادس والسابع الهجري/الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي[2]، متطابقا في مدلوله الإثني بين مختلف النصوص ليدل اللفظ على الهوية الاسمية للمجموعات البشرية المستقرة ببلاد المغرب الإسلامي، ومن شواهد ذلك على سبيل المثال ما ورد في نصوص ابن مسكويه[3]حول أسطورة هجرة "البربر" من فلسطين إلى بلاد المغرب قبل الفترة الإسلامية، أو حضور لفظ "البربر" الذي لا ينفك ملازما لكتابات ابن الأثير[4] وهو الذي اتصل بنصوصه أوثق اتصال، بحيث أصبح من المستحيل فصله أو انفكاك تسمية المغاربة عن الكلمة المعروفة "بالبربر".

ستبقى هذه الدّلائل التاريخية تدعو إلى الاعتقاد المطلق بمحاكاة النصوص المتأخرة التي دونت بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي للمصادر المتقدمة في استخدامها لاثنونيم "البربر"، لاسيما نصوص القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أو روايات الفتوح[5] التي أسست لهذه التسمية المعروفة بـــ"البربر"، وهذه المحاكاة النقلية ناتجة عن ثلاث أسباب رئيسية:

[1] تضمنت مجمل النصوص التراثية في علم الأنساب والتاريخ والجغرافيا والفقه والطبقات والأدب والحديث دلائل على أنّ تسمية سكان بلاد المغرب الإسلامي هي "البربر"، وبإمكاننا تتبع استعمال لفظ في مختلف الألوان المصدرية التي تبنت هذا الإثنونيم خلال القرون الثلاث التي تلت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وتجنبا لمراكمة المصادر بمختلف أجناسها سنكتفي بالإشارة إلى نماذج من المصادر الإخبارية والجغرافية في الهامش الموالي مباشرة.

[2] يعكس اثنيا توظيف مصطلح البربر في المصادر المشرقية السكان المغاربة، ويوظف في مختلف المصادر الإخبارية والجغرافية وكتب الأنساب والمدونات الفقهية وكتب الطبقات والتراجم... خلال القرون الثلاث التي أعقبت القرن الرابع الهجري أي خلال القرن الخامس والسادس والسابع الهجري/الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي، ومن الأمثلة الدّالة على استعماله في مصادر القرن الهجري الخامس نذكر ما يلي: ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط2، ج5، شروس، طهران، 1420هـ/2000م، ص/439. وفي القرن الهجري السادس: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ص/297. ابن القلانسي، تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1403هـ/1983م، ص/1. أمّا في القرن السابع فنحيل إلى: ابن الأثير، المصدر السابق، 63/3. أبي شامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين، تح: محمد الزيبق، ط1، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ص/72. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، دت، ص/111.

[3] تجارب الأمم، 321/5.

[4] الكامل في التاريخ، 176/1.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/227 وما بعدها. خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/224. البلاذري، المصدر السابق، ص/223. ابن أعثم، المصدر السابق، ص/266 وما بعدها.

- **الدافع الأول**: الغياب شبه الكلي للمصادر البيزنطية سواء الأثرية أو المكتوبة[1]، جعل من الروايات الإخبارية العربية أساسا للتدوين التاريخي لأحداث المغرب خلال مرحلة الفتوح الإسلامية في العصر الوسيط الأول[2]، وفي ظل هذه الندرة الوثائقية فإنه قلما نجد المصادر تتضمن شذرات تسجل لنا وقائع الفترة البيزنطية المتأخرة، فضلا عن عدم ذكرها لإثنونيمات المجتمع المغاربي عدا لفظ "المور"[3] أو عرضها لقوائم الكنفدراليات القبلية الكبرى أو السكان الذين تشكلت منهم عناصر تركيبة المجتمع المغاربي على عكس المرحلة الرومانية[4]، مما سيكون له تأثير مباشر على مصادر نقل الخبر في الفترة الإسلامية الوسيطة، من حيث أن المؤرخ أضحى يرتكز على المظان العربية كمصادر أحادية الاتجاه، يستقي منها معطياته التاريخية دون أن يتحرر من أخطائها، أو يحتكم إل منهج حصيف في نقد مضامينها[5]، بالرغم عن كونها لا تعدو روايات شفوية دونت في فترة متأخرة زمنيا عن الأحداث الهامة التي نقلتها لنا خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فظلت بذلك العديد من الحقائق مبهمة والوقائع التاريخية في المنطقة غامضة.

[1] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers»,Op. Cit., p.68.

[2] من أعقد الفترات التاريخية دراسة هي فترة العصر الوسيط المتقدم نظرا للغياب شبه التام للمصادر البيزنطية واللقى الأثرية والبقايا النمسمائية، وبسبب التدوين المتأخر لأحداث الفتح الإسلامي، ما جعل الباحثين الكلاسكيين ينسجون خيالات تاريخية اعتمادا على روايات متأخرة ويساهمون في التأسيس لصورة قادة أسطوريين تحت طائلة ربط المعلم بذاكرة تاريخية مشوهة ومغلوطة، لا يمكن للدراس التسليم بها مع علم نقد النصوص والمعطيات الأثرية المتوفرة، وبالتالي لابد من قراءة تاريخية جديدة تتوخى إزالة مختلف الترسبات الخرافية والأسطورية ذات الملامح غير القابلة للإدراك والتي تشكلت عبر الزمن بفعل العملية الخيالية التي ساهم الرواة في تشكيلها، وذلك بهدف الوصول إلى بعض الملامح الحقيقية والواقعية لهذه الشخصيات كما في التاريخ، لابد اذن من قراءة واعية ونقدية لمختلف هذه النصوص من خلال طرق التمحيص والمقارنة الحديثة. أنظر حول الموضوع: علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار، ص/31. خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1433هـ/2012م، ص/69.

[3] Procope, Op, Cit., p. 388.

[4] من أهم الدراسات الأنوماستية (الأنثروبونيمية والإثنونيمية) المتخصصة في مغرب الفترة الرومانية القديمة ما أنجزه الباحث زهير بخوش حول موضوع الألقاب والأسماء والكنى في ريف الأوراس، والتي مكنته من تحديد مواقعية مجموع الصيغ الأونوماستية المتعددة لأفراد المجموعات السكانية حسب انتماءاتها الجغرافية، كما اندرج عمله في إطار تحيين التدوين الإيبيغرافي ومنه الأنوماستي لجميع المكونات الاجتماعية بالإقليم الأوراسي. أنظر: زهير بخوش، التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني –دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية بـ"أوراس"، أطروحة دكتوراه، اشراف: محمد المصطفى فيلاح، جامعة الجزائر 2، 1438هـ/2017م.

[5] من الممكن القول أن ابن خلدون اشترط على المؤرخ أن لا يصدق بما يرويه الرواة أو الناقلون للوقائع التاريخية، ولأجل أن يكون التاريخ صحيحا ويحسن فهمه، وجب وضع طريقة أكيدة لتحقيق الوقائع التاريخية وعرض القوانين التي تعمل طبقها النظم الاجتماعية، وأنجع وسيلة لاجتناب هذا النوع من الخطأ هي أن تستخدم منهج التجريح والتعديل التي ابتدعها المحدّثون، ومؤداها البحث الدقيق الذي يجب اجراؤه للتحقق من أمانة المحدث وصدقه، ونفس الأمر بالنسبة للراوي والمؤرخ الذي يقتضي أن يتصف بالأمانة والصدق وسلامة الذهن. أنظر: ابن خلدون المقدمة، ص/6. طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد، تر: محمد عبد الله عنان، دار الكتب والوثائق القومية، 1426هـ/2006م، ص/40 وما بعدها. علي الوردي، منطق ابن خلدون، ط2، دار كوفان، بيروت، 1414هـ/1994م، ص/144.

- **الدافع الثاني**: إذا كانت الروايات الإخبارية تعبر عن سكان المغرب بلفظة "البربر"[1]، فإنّ علم الأنساب العربي[2] قد صنفهم قبلا تحت اسم "البربر" في مشروع يهدف إلى دمج المجموعات السكانية المغاربية في القاعدة الاجتماعية وتكريس الوحدة البشرية لدار الإسلام وتجسيد الانحدار العرقي الواحد لهذا المركب الاثني من الأصل المشرقي[3]، متأثرة بروايات النسب الواردة في المصادر الدينية وبخاصة التوراة والنصوص الإسرائيلية، حيث اندرجت آراء النسابة العرب ضمن المساعي السياسية الحثيثة التي بذلتها من أجل ربط الأجناس البشرية بانتمائها الاثني للأصل المشرقي وتنظيم الجغرافيا البشرية لدار الإسلام[4]، ويبدو ذلك من عملية "البربرة" التي كانت منطلقاتها السياسية حجر الأساس في التمييز بين السكان المغاربة والأجناس البشرية الأخرى لا سيما الجنس العربي[5]، ولا يعني ذلك بداية الصراع العرقي بين العرب والمغاربة "-البربر-"، لكن أعني أنّ السلطة الأموية ثم العباسية ستبني سلطتها السياسية على أيديولوجية اثنية تستمد مشروعيتها من علم النسب وأعلامه، الذين عادة ما كانت كتاباتهم موجهة لخدمة البلاط وسلطة الخلافتين، وكان لها دور تنظيمي تشريعي يتجلى في توزيع الأعطيات على ذوي القربى والمسلمين، وفي أحقية الخلافة الإسلامية ومختلف الضرورات التشريعية والتنظيمية، وقد كان الأولى بهم أن يمجدوا الأصول القرشية للخلفاء الأمويين والعباسيين على السواء[6]، وتفضيلهم على باقي العناصر الاجتماعية الأخرى لإضفاء الشرعية على حكمهم للبلاد الإسلامية.

---

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/227 فما بعدها. ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2. ابن الأثير، المصدر السابق، 409/2 فما بعدها. النويري، المصدر السابق، 22/24 فما بعدها.

[2] ابن الكلبي، المصدر السابق، 548/2. السمعاني، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، ط1، ج2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1382هـ/1962م، ص/130. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م، ص/132.

[3] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op. Cit., p.96.

[4] حول تنظيم المجال البشري والعمراني في الجغرافيا الوصفية، أنظر: لطفي دبيش، الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية قراءة في نصوص الجغرافيين والرّحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1431هـ/2011م، تونس، ص/457 فما بعدها. زهير هواري، السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11-132هـ/612-750م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1423هـ/2003م، ص/252 وما بعدها.

Su, I-Wen, «Writing History under the Patronage: the Representation of Sulaymān b. ʻAbd al-Malik in the Ansāb al-ashrāf and Its Relation to the ʻAbbāsid Court Culture, p.,4.

[5] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», Op. Cit., pp. 33-34. Voir aussi :«The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op. Cit., p. 100.

[6] علي صدقي أزايكو، تاريخ المغرب والتأويلات الممكنة، ط1، مركز طارق بن زياد، الرباط، 1422هـ/2002م، ص ص/101-102. علي صدقي أزايكو، النسب والتاريخ وابن خلدون، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد11، 1405هـ/1985م، ص/6 وما بعدها.

- **الدافع الثالث**: التصنيف العرقي لأسماء الجماعات الاثنية خلال العصر الوسيط الأول، خضع على ما يبدو لميول وأهواء أصحاب المصادر الذين كتبوا للبلاط وكانوا ينضوون تحت سلطة سياسية معينة[1]، فلم تخرج آراؤهم عن هذه الدوائر الرسمية التي ينتمون إليها، وواقع الحال أنّ الصراع العرقي بين العرب وغيرهم من الأجناس البشرية الأخرى في إطار ما عرف بالشعوبية[2] أو حركات الموالي، جعل من الإثنونيميا المحلية التابعة لدار الإسلام تتغير كرونولوجيا مع مرور الزمن ومجاليا من إقليم إلى آخر مع نهاية الفترة القديمة ثم مع بداية المرحلة التي أعقبها والمعروفة بصدر الإسلام، لتشهد تحولات كبيرة في العصر العباسي مع بداية عمليات التدوين التاريخي. لقد عمد خلفاء الدولة الأموية والعباسية إلى تشكيل تسمية جديدة لمجموعة بشرية أخذت لقب "البربر"، وقد كان تصنيف هذا المركب الاثني الجديد في نظرهم مبني عن تفرقة اثنية غايتها إضفاء الشرعية السياسية على مجموعة سكانية تميزت بأدوارها وإسهاماتها المؤثرة في بلاد المغرب[3]، وكان لها تأثير على السلطة العربية في المنطقة من بداية الفتح إلى قيام الدول المستقلة أو المعارضة المغاربية تحت لواء الصفرية والإباضية، والتي لقبت "بالبربر" في مختلف مصادر الأنساب والنصوص الإخبارية والوصفية والفقهية.

وصار بذلك بديهيا اصطلاح لفظ "البربر" على كل سكان المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة[4]، بالرغم من أنّ الأدلة التاريخية تصير في نهاية المطاف إلى استعمال مصطلح "البربر" في مجالات جغرافية متعددة،

---

[1] عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، 1420هـ/2000م، ص/147-148-149.

[2] إنّ التحولات التي مست الجغرافيا السكانية لدار الإسلام والسعي إلى إدماج الشعوب المجاورة في المجتمع الإسلامي، قابلها تطلّع من هذه الشعوب لإثبات وجودها وتمايزها وفضائلها ومآثرها وتفوقها، وهو ما خلق مشكلة التمايز الإثني التي عصفت بالعلاقات الاجتماعية بين العرب والموالي، لاسيما في العصرين الأموي والعباسي، وبالرغم من وجود تراتبات بين القبائل العربية تبعا لموروثها الجاهلي والإسلامي، إلا أنه كان هناك اتفاق بينهم على الموقع الدوني للموالي، والنظرة المحتقرة لهم ولغير العرب بالمقارنة مع العرب، ولعل كثرة المؤلفات اللاحقة تعبّر عن مدى عمق هذه المعضلة وطابع الصراع الذي اندلع بشأنها، فقد أشار ابن النديم إلى تأليف أبي عبد الله الجهمي (حيا 247هـ/861م) لعدة كتب منها أنساب قريش وأخبارها وكتاب الابتصار في الرد على الشعوبية، كما ألف ابن قتيبة كتابا عنوانه: الرد على الشعوبية، و الجاحظ ل كتاب البيان والتبيين والرسائل السياسية. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م، ص/28. ابن عبد البر الأندلسي، العقد الفريد، تح: ، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ/1983م، ص ص/355-356. الجاحظ، الرسائل السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط2، دار ومكتبة هلال، بيروت، 1423هـ/2002م، ص/51. أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، ط1، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص/6.ابن النديم، الفهرست، ، تح: إبراهيم رمضان، ط 2، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص/141. حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار جيل، بيروت، د ت، ص/149 وما بعدها.

[3] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op. Cit., pp.73-74.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/15. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، 1/38-39. النويري، المصدر السابق، 24/30-31.

ليس فقط في بلاد المغرب، فاللفظ سابق لوجوده قبل تطبيقه على المغاربة ومعروف في كل من مصر وبلاد السودان الشرقي أي طوبونيم بربرة وفي افريقيا جنوب الصحراء وحتى في بلاد الهند[1]، كما تضمنته الكتابات الإغريقية واللاتينية ليدل على الشعوب غير المتحضرة في صورتها المتبربرة على ما ينطوي عليه هذا اللفظ من احتقار وتمييز وتحامل[2]، وتجلى دور العرب المسلمين، نسابة ومؤرخين في تسمية السكان بالبربر اقتصر على تبني المصطلح كاسم جامع شامل لكل سكان المنطقة محاكاة لمن سبقوهم في المنطقة، ويعني هذا أنهم لم يكونوا أول من ابتدعه أو أطلقه، أمّا سر تمسكهم به، فهدفه التيسير والالتزام بالعرف المألوف دون أن يكون في اعتبارهم ملاحظة المعنى السيء الذي كان يلازم الكلمة في أذهان القدماء، ويلازمه الآن عند بعض المحدثين[3]، وقد قام ببلورة لفظ "البربر" وتنميته الإخباريون[4] والجغرافيون في العصر الوسيط المتقدم، وهو مشتق من الحضارتين الإغريقية والرومانية، ومتأصل في المعرفة العربية خلال الفترة السابقة للإسلام كما ذهب إليه الباحث رمزي رويغي[5].

على صعيد آخر، تكشف لنا المصادر الجغرافية المشرقية استعمال لفظة بلاد بربرة[6] أو ساحل بربرة للإشارة إلى مجال جغرافي موضعه على الساحل الجنوبي للبلاد المصرية بين الحبشة وبلاد الزنج أو البحر الأحمر غرب شبه الجزيرة العربية[7]، هذا الطوبونيم له أصول قديمة تمتد إلى ما قبل الفترة الإسلامية، وأول من أشار إليه الجغرافي اليوناني الشهير بطليموس في كتابه صورة الأرض تحت مسمى "بربايا"[8]، ومنه اشتقت لفظة "البربر" لتنسحب على كل الأراضي الواقعة غرب مصر ولتطلق على السكان المغاربة المستوطنين بين التخوم الغربية

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/21. الحموي، المصدر السابق، 369/1.

[2] أطلق الرومان تسمية "البرابرة" على كل الشعوب الجرمانية والوندال الذين هاجموا امبراطوريتهم خلال القرن الخامس الميلادي، أنظر: سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1413هـ/1993م، ص ص/79-80.

[3] موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص/48.

[4] يعتبر ابن خلدون أول مؤرخ يساهم إلى حد كبير في بلورة لفظ "البربر" من خلال تأسيسه لنظريات الأصول "البربرية" وتحديد تمايزهم الاثني عن باقي الشعوب الإسلامية وتصنيفهم إلى صنفين هما مجموعتي البتر والبرانس والحاقهم بالجد المشترك، ويظهر لنا ذلك في قوله " وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإنّ علماء النسب متفقون على أنهم جذمان عظيمان هما برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا ابنا برنس...إن البرانس من نسل مازيغ بن كنعان، والبتر بنو قيس بن عيلان...". أنظر، ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6.

[5] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers»,Op. Cit., p.87.

[6] في زمننا الراهن تقع مدينة بربرة على الساحل البحري لدولة الصومال، وقريبة من مضيق باب المندب قبالة الساحل اليمني.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، 21/1. الإدريسي، المصدر السابق، 43/1. الحموي، المصدر السابق، 369/1.

[8] الخوارزمي، كتاب صورة الأرض من جغرافية بطليموس في المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، تح: هانس فون مزيك، دار ومكتبة بيليون، لبنان، د ت، ص/54.

المصرية والمحيط الأطلسي، وهو أكثر المصطلحات الغامضة في المصادر التاريخية التي احتوت على أحداث بلاد المغرب ما بعد العهد البيزنطي.

في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي تبرهن المعطيات الواردة في كتاب البلدان لليعقوبي(ت بعد 284هـ/897م)، على ارتباط إثنونيم "البربر" بأسماء الكنفدراليات القبلية القديمة كلواتة ومزاتة وهوارة[1]، وإلى جانب "البربر" يزودنا المؤلف بإثنونيمات الجماعات البشرية التي استوطنت المنطقة في العهد البيزنطي مثل الجاليات اللاتينية والبيزنطية كالأفارقة والروم التي تواصل حضورها الإثني والإثنونيمي في الفترة الوسيطة الأولى، كما اقترن مصطلح "البربر" بلفظ "العجم"، فمجانة "أهلها قوم يقال لهم السناجرة...وبها أصناف من العجم من البربر وغيرهم"، "وفي مدينة القيروان أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب ...وبها عجم من عجم البلد البربر والروم وأشباه ذلك"[2]. إنّ الملاحظ من خلال هذه المعطيات هو اعتماد اليعقوبي على المعيار اللغوي في تصنيف الجماعات البشرية المحلية، بمعنى أنه يركز على اللغات واللهجات المتداولة في المنطقة للتمييز بين عناصر النسيج الاجتماعي، فألحق إثنونيم "البربر" بمصطلح العجم الذي عادة ما كان يطلق على العناصر غير العربية، ولذلك صنف السكان المحليين للمغرب ضمن مجموعة واحدة أطلق عليها تسمية "البربر"، وبدوره فقد دمج هذا المركب في تصنيف آخر، إذ سموا بـــ"العجم القدم" لكلامهم ولهجاتهم غير المعروفة عند العرب.

ويتواصل حضور إثنونيم البربر في النصوص الوصفية الجغرافية خلال القرون التي أعقبت القرن الرابع الهجري/10-11م ليعبر عن السكان المحليين لبلاد المغرب الإسلامي، واستعمل في مسالك الإصطخري (ت346هـ/957م)[3] للدلالة على الجماعات المتوطنة بجزيرة بني مزغنا وبجانة وسطيف وبوادي طنجة، بينما في تقاسيم المقدسي (ت 380هـ/990م) فمواطن "البربر" في كورة السوس بالمغرب الأقصى، وقد نعتهم بـ "شر الأجناس" عندما تحدث عن صنوف العبيد والخدم الذين يحملون إلى عدن باليمن[4]، كما أشار بنيامين

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/184.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/188.

[3] الإصطخري، المسالك والممالك،، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2004م، ص/38 فما بعدها.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص/242-243.

التطيلي(ت 569هـ/1173م)[1] إلى مصطلح "البربر" في معرض كلامه عن الجماعات البربرية التي كان يستأجرها الروم في حروبهم ضد السلاجقة الأتراك.

ويتعاطى الباحث رمزي رويغي[2] مع معطيات النصوص الأدبية والشعرية لتأكيد دليله حول توظيف لفظ البربر مشرقا قبل الفترة الإسلامية، وينبني دليله على أبيات قصيدة شعرية لامرؤ القيس يذكر فيها إثنونيم البربر من جهة، كما تبرز كلمة البربر في قصيدة شعرية أخرى لعدي بن زيد، مما يبرهن على أنّ اللفظ قد اشتهر عند العرب خلال العصر الجاهلي في الفترة القديمة، وبعد تمام العمليات العسكرية الأموية ببلاد المغرب وفتح مجالاته وإلحاق المنطقة بدار الإسلام، أصبحت تتسع دائرة المعنى للإثنونيم الذي غالبا ما رددته المظان المصدرية في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي لينعت به سكان المغرب الإسلامي على أوسع نطاق، بحيث لا نجد على وجه الخصوص لفظ "البربر" ينطوي على مركب اثني آخر أو يشترك فيه المغاربة مع غيرهم من الأجناس البشرية.

ومن القضايا المعقدة في البحوث التاريخية الراهنة هي البحث في الأصول العرقية لمركب "البربر"، على اعتبار أن المؤرخين في العصر الوسيط محكمون بالنظام الأبوي ومولعون كثيرا بسلاسل الأنساب اللامتناهية، فتلك الأساطير المتعلقة بسلاسل أنساب "البربر"[3]، قد ربطت أصول المغاربة المعروفين في الإسطوغرافيات العربية بلفظ "البربر" بالأصول المشرقية[4]، وهو ما لا يمكن إثباته على أي حال والفصل فيه، نظرا للتصنيف الإثني الأحادي لهم في كونه ينبني على نظريات تتميز أغلبها بكونها تبحث عن ربطهم بأمم قديمة ومشهورة بتاريخها في الشرق الأدنى القديم[5]، وذلك ما رددته كتب الأنساب العربية وتأثر به مجمل الإخباريين والمؤرخين به في مصنفاتهم.

وكما أنّ نظريات الأصول العرقية لمجموعات "البربر" عند النسابة والمؤرخين المشارقة على اختلاف معطياتها تتفرع من الروايات المشرقية الأولى كذلك نظريات النسب المغربية[6]، إذ بعثت من المصادر الرئيسية التي

---

[1] بنيامين التطيلي، رحلة التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1422هـ/2002م، ص/44.

[2] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers»,Op. Cit., p.71.

[3] غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 2014م، ص/63.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. البلاذري المصدر السابق، ص/222. الطبري، المصدر السابق، 207/1.

[5] محمد حقي، البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة اثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م-422هـ/1031م)، ط1، شركة النشر والتوزيع المدراس، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1422هـ/2001م، ص/17.

[6] تأسست مدرستان متخصصتان في أنساب المجموعات البشرية التابعة لدار الإسلام خلال فترة الإسلامية الوسيطة، انبثقت المدرسة الأولى ببلاد المشرق الإسلامي وكان من أشهر أعلامها هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت204هـ/819م) والمعروف بكتاباته الشهيرة على غرار كتابه الموسوم

ألفها علماء الأنساب العرب، ممثلة في رواياتهم المتفق عليها والمتطابقة في ما بينهم حول الأصل الشرقي للسكان المغاربة من جهة، والمتعارضة في آن واحد حول ما تعلق بالأب الأول لمركب البربر أو بتعبير آخر إعادة بناء شجرة النسب لعنصر "البربر" وتأصيل الانحدار الاثني للمغاربة في علاقتهم بأبيهم الأول من جهة

بـ: "نسب معد واليمن الكبير"، أمّا المدرسة الثانية فقد تشكلت في بلاد الغرب الإسلامي وتكونت من مجموعتين رئيسيتين، تنتمي المجموعة الأولى إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وتتكون من علماء الأنساب الأندلسيين مثل محمد بن يوسف الوراق (ت ق10/4م) وابن حزم القرطبي (ت456هـ/1063م) وابن عبد البر النميري (ت463هـ/1070م)، وأبو عبيد البكري (ت487هـ/1094م)، بينما تصدر علماء النسب من الأصول المحلية "البربرية" قائمة المجموعة الثانية على غرار أبو سهل النفوسي وسابق بن سليمان المطماطي وهاني بن يصدور الكومي وكهلان بن أبي لوا الأوربي وهاني بن بكور الضريسي، وأيوب بن أبي يزيد بن مخلد. وعلى الرغم من غزارة الإنتاج المغاربي في حقل الأنساب، إلا أنّ مؤلفات هؤلاء مفقودة وضائعة ولا نملك منها سوى ما نقله لنا ابن خلدون في كتابه العبر أو بعض المرويات النسبية في كتب علماء الأنساب الأندلسيين. أنظر: أبي القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1411هـ/1991م، ص/144. بن النية رضا، أشراف المغرب الأوسط، 20/1. صدقي علي أزايكو، تاريخ المغرب أو التأويلات الممكنة، ص/24. .Maya Shatzmiller, Op. Cit., p.148

أخرى، وكان لهذه التصورات عاملا على انتشارها مستترة خلف النصوص الدينية، خاصة التوراة والروايات الإسرائيلية[1] التي أثرت بشكل كبير على الكتابة العربية، وشكّلت مصدرا لعديد من الكتّاب والمؤلفين العرب خلال المرحلة الأولى من العصر الإسلامي.

وفيما يتصل بهذه النظريات سنتناول بالشرح أهم روايات الأصول "البربرية" التي وضعها المؤلفون في العصر الوسيط، وتبعا لذلك يحسن بنا أن ندرجها في الجدول التوضيحي التالي:

[1] بات يسيرا أن نقيم الدليل على توظيف المصادر الدينية كالتوراة مثلا لتأسيس روايات تؤصل الانتماءات الاثنية وتُشجِّر لأنساب الأجناس البشرية في الحضارة الإسلامية على غرار مركب "البربر" الذي هو مقصد دراستنا. للمزيد من الاطلاع أنظر على سبيل المثال لا الحصر: الطبري، المصدر السابق، المسعودي، أخبار الزمان، 85/1. ابن حزم، المصدر السابق، ص/463.

النسابة/المؤرخ	نص الرواية	الأصل الاثني	الأصل الجغرافي	المصدر/الصفحة
ابن الكلبي (ت207هـ/822م)	وأفريقش بن قيس بن صيفيّ، وهو الذي افتتح افريقية، وسميت بهِ، وقتل ملكها جرجير، ويومئذٍ سمِّيت البربر، قال لهم: " ما أكثر بربرتكُم.	/	/	نسب معد واليمن الكبير، 584/2.
ابن عبد الحكم (ت257هـ/870م)	وكان البربر بفلسطين، وكان ملكهم جالوت؛ فلما قتله داود عليه السلام خرج البربر متوجّهين إلى المغرب؛ حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية– وهما كورتان من كور مصر الغربيّة.	– الجباروت قوم جالوت	فلسطين	فتوح مصر والمغرب، ص/197.
ابن قتيبة (ت276هـ/889م)	إفريقيس بن أبرهة ثم ملك بعده ابنه إفريقيس بن أبرهة بن الرائش، غزا نحو المغرب في أرض بربر، حتى انتهى إلى طنجة ونقل البربر من أرض فلسطين، ومصر، والساحل إلى مساكنهم اليوم وكانت البربر بقية من قتل يوشع بن نون.	الجباروت قوم جالوت	فلسطين	المعارف، ص/628.
البلاذري (ت279هـ/892م)	وحدثني بكر بْن الهيثم، قَالَ: سألت عَبْد اللَّهِ بْن صالح عَنِ البربر، فقال: هم يزعمون أنهم ولد بر بْن قيس وما جعل اللَّه لقيس ولدا يقال له بر، وإنما هم منَ الْجَبَّارِين الَّذِينَ قاتلهم داود عَلَيْهِ السلام وكانت منازلهم عَلَى أيادي الدهر فلسطين وهم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به.	– الجباروت قوم جالوت	فلسطين	فتوح البلدان، ص/222.
الطبري (ت310هـ/922م)	وعمليق هو أبو العمالقة، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح، ما خلا صنهاجة وكتامة، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ.	– العمالقة قوم سام –صنهاجة وكتامة يمنيون	/	تاريخ الرسل والملوك، 207/1.
ابن أعثم (ت بعد 320هـ/932م)	كان البربر فيما مضى منازلهم بأرض فلسطين، وكان ملكهم جالوت بن جلهم الذي قتله داود النبي عليه السلام، فلما قتل انجلت البربر من أرض فلسطين إلى أرض المغرب فنزلوها وتفرقوا فيها. قال: والبربر قبائل شتى.	– الجباروت قوم جالوت	فلسطين	الفتوح، 269/2.

المسعودي (ت346هـ/957م)	وقد تنازع الناس في بدء أنساب البربر، فمنهم من رأى أنه من غسان وغيرهم من اليمن، وأنهم تفرقوا حول تلك الديار حين تفرق الناس من بلاد مأرب عندما كان سيل العرم ومنهم من رأى أنهم من قيس عيلان". "وكان آخر أمر حام أن هرب الى مصر، وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى، إلى موضع يعرف اليوم بأصيلا، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الأندلس إلى ناحية القبلة... ولما مات حام خرج بعضهم من ذلك الموضع فأقاموا بمكان البربر، وكان عمر حام أربعمائة سنة وإحدى وأربعين سنة.	- غساسنة من اليمن - قوم من حام	اليمن	مروج الذهب، 112/3. أخبار الزمان، ص/86.
ابن حزم (ت456هـ/1063م)	قال قوم: إنهم من بقايا ولد حام بن نوح- عليه السلام وادّعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل، لا شك فيه. وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر أصلاً ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرّخي اليمن.	- قوم من حام - حمير من اليمن -من قيس عيلان	اليمن	جمهرة أنساب العرب، ص/594.
ابن عبد البر النمري (ت463هـ/1070م)	وقد قيل إن قيس بن عيلان ولد أربعة رجال خصفة وسعد وعمرا وبرا فجعل قائل هذا القول بر بن قيس ولد في طوائف من البربر... وأنكر أكثر أهل العلم بالنسب وأيام العرب أن يكون لقيس بن عيلان ولد يقال له بر ولم يعرفوا لقيس ولدا إلا الثلاثة المذكورين ومنهم تشعبت شعوب قيس وقبائلها كلها...	- قيس بن عيلان	/	الإنباه، ص/67-68.
مجهول (ق6)	أنّ الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فوقعت بينهما مناوشات، كانت الدائرة فيها لسام وبنيه، وكان أمر حام أن خرج نحو المغرب وقدم مصر وتفرق مصر وتفرق بنوه حتى بلغ السوس الأقصى، وخرج بنوه في أثرة يطلبونه، فكل طائفة من ولده بلغت موضعا وانقطع عنهم خبره، أقامت هنالك بالموضع وتناسلوا فيه ووصلت إليه طائفة أقاموا مغه وتناسلوا هنالك، فكان عمر حام أربعمائة وثلاثة وأربعون عاما...وقال آخرون: إنه لما تفرق أولاد نوح، أقبل البرابر نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا.	- قوم من حام	/	مفاخر البربر، ص/195.
ابن الأثير (ت630هـ/1232م)	وأما من بقي من الجبارين فإن إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبإ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها إلى إفريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية فافتتحها، وقتل ملكه جرجير، وأسكنهم إياها، فهم البرابرة. وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة، فهم فيهم إلى اليوم.	- الجبارون قوم جالوت -صنهاجة وكتامة - حميريون من اليمن	ساحل الشام	الكامل في التاريخ، 176/1.

ابن خلدون (ت 808هـ/1406م)	وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كثيرا، وبحثوا فيه طويلا. فقال بعضهم: أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه، وقد تقدّم ذكره عند ذكر إبراهيم عليه السلام. وقال آخرون: البربر يمنيون وقالوا أوزاع من اليمن. وقال المسعودي: من غسان وغيرهم، تفرقوا عند ما كان من سيل العرم. وقيل: تخلفهم أبرهة ذو المنار بالمغرب وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس. فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر النزول، فعبروا النيل، وانتشروا في البلاد. وقال أبو عمر بن عبد البر: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبإ. قال: ورأيت في كتاب الاسفنداد الحكيم: ان النعمان بن حمير بن سبإ كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره، فراجعوه في ذلك، وزعم عليهم، وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفو ابا مسوفة ومرطا أبا هسكورة وأصناك أبا صنهاجة ولمط أبا لمطة وإيلان أبا هيلانة، فنزل بعضهم بجبل درن، وبعضهم بالسوس وبعضهم بدرعه.	– غساسنة – لخم وجذام – حميريون	اليمن فلسطين	العبر، 6/121-122.
الجدول رقم (3): الأصول الإثنية لسكان بلاد المغرب الإسلامي من خلال بعض مصادر الأنساب والتاريخ.				

التعليق:

إنّ الحفر في معطيات النصوص المصدرية في نظرنا يجعلنا نستبعد يقينية هذه المعطيات التاريخية، لأنّ لا شيء يبررها كونها ملائمة للنصوص المقدسة في التوراة[1]، وقد تناقلها أغلب النسابة والمؤرخين[2] وأعادوا إنتاجها استنادا إلى ما كتبه أسلافهم في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي في موضوع تحديد الأصول العرقية للشعوب الإسلامية، بدليل تردد نفس الرواية الخاصة بالتقسيم العرقي الذي اعتمدوه في مختلف النصوص المصدرية، وذلك ما يعبر عنه في النص الصريح التالي:" ولد نوح ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث، فولد سام العرب وفارس والروم، وولد حام السودان والبربر والقبط، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج"[3]. لقد أضحى ذلك الأمر تقليدا موروثا بين النسابة والمؤرخين العرب، وسرعان ما ظهرت نتائجه في شجيرات النسب الاثني لسكان دار الإسلام عموما ومنطقة المغرب خصوصا، وهو ما لا يمكن التعويل عليه في إثبات أصول المجموعات السكانية التي تفرعت كلها حسبهم من سلالة نوح عليه السلام.

الروايات الواردة في الجدول ارتكز أصحابها على نصوص دينية تستعير مادتها من القرءان (انهيار سد مأرب– طوفان نوح، حادثة قتل داوود لجالوت...)[4]، أو من والروايات الإسرائيلية بسبب اعتماد المنهج النقلي في مصنفات النسابة والإخباريين المسلمين ونقل الروايات وأشجار النسب الواردة في التوراة[5].

---

[1] هناك تقارب وتشابه بين سلاسل المجموعات البشرية الإسلامية وسلاسل الأنساب المسيحية واليهودية المدونة في أوروبا خلال فترة العصر الوسيط، ونتبين بصورة جلية أنّ تأثير النصوص المقدسة خصوصا التوراة في اختيار العرب والبربر لأجدادهم من الشخصيات التوراتية واضح جدا، وقد هدف النسابة من وراء عمليات تدوين الأنساب والانتماءات الاثنية، إلى تعظيم وإثبات عراقة الأجناس البشرية، أو لتبرير اغتصاب السلطة، وإضفاء الشرعية على عمل سياسي وغيرها من الخلفيات والدوافع الاجتماعية والسياسية، كما شكلت التوراة أهم الروافد المصدرية في أعمال النسابة، مثلما صرح به ابن خلدون قائلا: "وقد جمع المتقدّمون في ذلك وأوعوا، إلّا أنّ كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغثّ والسّمين والمقبول والمردود. والسّبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنّما غلبت عليهم البداوة والأمّيّة. وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوّق إليه النّفوس البشريّة في أسباب المكوّنات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التّوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النّصارى. وأهل التّوراة الّذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلّا ما تعرفه العامّة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الّذين أخذوا بدين اليهوديّة. فلمّا أسلموا بقوا على ما كان عندهم ممّا لا تعلّق له بالأحكام الشّرعيّة الّتي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وهؤلاء كعب الأحبار ووهب بن منبّه وعبد الله بن سلام. فامتلأت التّفاسير من المنقولات عندهم في هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست ممّا يرجع إلى الأحكام فيتحرّى في الصّحّة الّتي يجب بها العمل". ابن خلدون، المقدمة، ص/554..Maya Shatzmiller, Op. Cit., p.146

[2] أنظر: الطبري، المصدر السابق، 475/1. المسعودي، أخبار الزمان، ص/85. ابن الأثير، المصدر السابق، 75/1. ابن حزم، المصدر السابق، 463/1. السمعاني، المصدر السابق، ص/286.

[3] ابن قتيبة، المعارف، 24/1. ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص/130.

[4] محمد حقي، المرجع السابق، ص/18.

[5] Maya Shatzmiller, Op. Cit., p.146.

تعكس المعطيات المندرجة في الجدول أنّ النسّابة والإخباريين المشارقة قد وضعوا نظريات أسطورية تحمل العديد من المتناقضات مؤداها أنّ الأصل الاثني لمركب "البربر" ينحدر من سكان الشرق الأدنى القديم، عقب الهجرات والتحركات البشرية التي عرفتها من شبه الجزيرة العربية نحو شرق إفريقيا في الفترات القديمة، وعلى الرغم من هذا التواؤم الاثني بين الروايات والتأويلات التي تضمنتها النصوص المشرقية والمغربية في الإقرار بالأصل المشرقي لسكان المغرب، إلا أنّ ما يجمع بينها أكثر هو الانطلاق من المنهج النقلي السائد وقتئذ في التدوين العربي، وهو المنهج الذي صِيغَت به معايير التصنيف العام لكل الشعوب الإسلامية في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع.

انقسمت آراء تأصيل النسب "البربري" إلى عدة نظريات ألحقت مركب "البربر" إلى المجموعات البشرية المستوطنة في شبه الجزيرة العربية قبل الفترة الإسلامية، ونذكر من أشهرها ما يلي:

- **المجموعة الحامية أو الكنعانية**: ينسب "البربر" إلى فاروق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام[1]، وفي رواية أخرى ينحدرون من كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[2].
- **المجموعة السامية أو العماليق**: ينسب "البربر" إلى بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح عليه السلام[3].
- **المجموعة القحطانية (السامية)**: ينسب "البربر" إلى لخم وجذام ابنا عدي بن عمرو بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يعرب بن قحطان[4].
- **المجموعة الحميرية (السامية)**: تتفرع عن المجموعة السابقة، ينسب "البربر" إلى ملك من ملوك التتابعة اليمنيين وهو إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبإ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب

[1] عماد الدين المؤيد، المختصر في أخبار البشر، ط1، ج، المطبعة الحسينية المصرية، 1325هـ/1907م، ص/97. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1996م، ص/83.

[2] ابن خلدون، العبر، 9/2. المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح: فردناد واسطون فيلد، ط1، جوتنجن، ألمانيا، 1263هـ/1847م، ص/31. السلاوي، الاستقصا، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1375هـ/1956م، ص/120.

[3] الطبري، المصدر السابق،1/ 207.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 9/2.

بن قحطان[1]، أو نسبة النعمان بن حمير بن سبأ[2]، وفي رواية أخرى ألحق الأصل الاثني لكتامة وصنهاجة فقط بقبيلة حمير اليمنية[3].

- **مجموعة الجَبَّارِين أو الجبابرة (السامية)**: ينسب "البربر" إلى الملك جالوت بن جلهم الذي قتله النبي داوود عليه السلام بفلسطين[4]، وانجلت البربر عنها بعد أن نقلهم من سواحل الشام إلى إفريقية الملك اليمني إفريقش بن قيس بن صيفي بن سبإ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[5].
- **مجموعة الغساسنة (السامية)**: ينسب "البربر" إلى غسان بن سبأ اليمني[6].
- **قيس بن عيلان (الحامية)**:: ينسب "البربر" إلى بر بن قيس بن عيلان[7].

لا نستطيع في الواقع أن نرجح رأيا على آخر إمّا بلاد الشام وتحديدا فلسطين[8] أو بلاد اليمن قديما، بمعنى الانحدار العرقي من الجماعات المتوطنة بجنوب الجزيرة العربية، فنسبة المغاربة عموما أو المركب المعروف بـ: "البربر" في النصوص الوسيطة إلى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، ومن ناحية أخرى إلى المجموعات الحميرية والغساسنة[9] ولخم وجذام[10]، وانتماء كتامة وصنهاجة[11] إلى عرب الجنوب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان على وجه الخصوص، يجعلنا نقف على جملة من النظريات التأصيلية لنسب البربر، واستحالة ثبوت النسب الدقيق لهذا المركب العرقي بناءً على معطياتها، ففضلا عن ندرة المادة الأركيولوجية وأدوات البحث الأثري، هنالك نقص فادح في الدراسات الألسنية واللغوية الفيلولوجية[12]، مع إحداث قطيعة زمنية بين العصور

---

[1] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، ص/251.

[2] ابن خلدون، العبر، 121/6-122.

[3] ابن الكلبي، المصدر السابق، 584/2. الطبري، المصدر السابق، 207/1. ابن الأثير، المصدر السابق، 74/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 16/1. ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، ج5، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1986م، ص/39.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197. البلاذري، المصدر السابق، ص/222. ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2.

[5] ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1412هـ/1992م، ص/628.

[6] ابن الكلبي، المصدر السابق، 132/1-133. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر مروج الذهب، تح: كمال حسن مرعي، ط1، ج3، المكتبة العصرية، 1425هـ/2005م، ص/112.

[7] المسعودي، مروج الذهب، 112/2.

[8] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197. ابن الوردي، المصدر السابق، 83/1. النويري، المصدر السابق، 331/19.

[9] المسعودي، مروج الذهب، 112/2. ابن خلدون، العبر، 121/6-122.

[10] ابن خلدون، كتاب العبر، 121/6-122.

[11] الطبري، المصدر السابق، 442/1. السمعاني، المصدر السابق، 336/8. ابن خلدون، كتاب العبر، 16/1.

[12] حسب عدد من الباحثين فإنه ينبغي فحص المعطيات الألسنية والأنثربولوجية تباعا، والعودة إلى ماضي المنطقة لفهم كيفية تعميرها بشريا منذ أقدم العصور، مع التركيز على القرابة اللغوية بين المجموعات "البربرية" وباقي الشعوب، وتسليط الضوء على العلاقة التي تربط اللهجات واللغات المحلية

التاريخية، والتي ميزت أغلب البحوث التاريخية لاسيما بين المرحلتين القديمة والوسيطة[1] ، كما ترتب عن تراكم الدّراسات الاثنوغرافية والإستشراقية واستئثار المدراس الأوروبية بالتفاسير الأيديولوجية في موضوع المسألة البربرية[2]، وهو ما يكشف عن طابعها السياسي وتداول هذه المدراس التاريخية والأنثروبولوجية الحديثة لمسألة الهوية وأصول الأجناس البشرية بما في ذلك سكان المغرب بنظرة متأثرة إلى حد بعيد بالعوامل السياسية والتاريخية لتحقيق أغراض استعمارية حتى الزمن الراهن.

بالمغرب مع أقاليم الحوض المتوسطي، بل ومجالات جغرافية بعيدة، لأنّ المعطيات المتعلقة بأسماء الأماكن والأعلام والمفردات اللغوية وشهادات المؤلفين القدامى أو العرب في العصور الوسطى من شأنها أن تضع تقريبات للأصل المشترك الذي انحدرت منه هذه الأجناس البشرية، وبحكم أن اللغة تعتبر اليوم الخاصية الأكثر أصالة والأشد تمييزا للمجموعات "البربرية" المنتشرة في الربع الشمالي الغربي للقارة الإفريقية. غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص/89 وما بعدها. العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية، ط1، مطبعة الرباط، الرباط، 1432هـ/2010م، ص/20 وما بعدها.

[1] سنضع في اعتبارنا أنّ الفترة المتأخرة من العهد البيزنطي في بلاد المغرب قد لاقت تغييبا واضحا في الكتابات التاريخية العربية الكلاسيكية، فالمتتبع لمسار الدراسات التاريخية –على قلتها– في العصر الوسيط الأول يجدها تلقي الضوء على الفتح الأموي للمنطقة مهتمة بالجانب السياسي والعسكري فقط، حيث انصب تركيزها على الأحداث السياسية والعسكرية كالمعارك والحروب التي جرت بين العرب والسكان الأصليين في بلاد المغرب خلال القرن السابع الميلادي، من ذلك ماكتبه على سبيل المثال سعد زغلول وموسى لقبال ومحمد علي دبوز دون إبراز الهياكل والبنى والمقومات البشرية والاقتصادية الموروثة عن السلطة البيزنطية أو ملامسة التحولات الاجتماعية والثقافية والمجالية لمجتمع المغرب الإسلامي في المرحلة المتأخرة من العصر القديم وبداية الفترة الإسلامية، ومع ذلك فإننا نبه إلى بعض المحاولات الجادة التي درست الفترتين البيزنطية القديمة والفترة الإسلامية المتقدمة، ففي حقل الدراسات الأجنبية البيزنطية زاوجت العديد من الكتابات بين المصادر المكتوبة والبقايا المادية والأثرية لتقدم لنا صورة عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية في المغرب البيزنطي. منها على سبيل المثال لا الحصر دراسات شارل ديهل وكريستيان كورتوا وإيف موديران، والدّراسات الهامة للباحث أحمد مشارك، أمّا المنجزة باللغة العربية فنستحضر دراسات يوسف عيبش ومحمد الطاهر منصوري، بينما في طليعة الدراسات الميدانية الهامة تأتي كتابات الباحث الأمريكي وولتر كيجي الذي تميز بقدرته على إعادة قراءة تاريخ الفتح الإسلامي تضاف إليها أبحاث رمزي رويغي، وبعض البحوث الأوروبية خاصة أعمال دومينيك فاليرون وإليز فوجي وفرنجيني بريفوست ومحمد مواق، أو الكتابات المغاربية مثل دراسات علاوة عمارة وحياة عمامو في موضوع الأسلمة والتعريب، أو ما تناول قضايا هامة في إطار التاريخ العام لبلاد المغرب الإسلامي كدراسات هشام جعيط وعبد الله العروي وأحمد الطاهيري...، للمزيد من التفاصيل حول الدّراسات الحديثة المتخصصة في تاريخ المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط الأول. راجع: Boutheina Ben Hassine, , Op, Cit., p. 257-265.

[2] استغلت المدراس التاريخية الغربية لا سيما المدرسة الفرنسية كتابات ابن خلدون في موضوع النسب "البربري" وتوظيفه لمصطلح "البربر" في مصنفه "كتاب العبر" لأغراض استعمارية بحتة، فقد ترجمت نسخة من الجزء الثالث من أعمال ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية بشكل سريع ومنقوص من طرف المستشرق الايرلندي الأصل البارون دي سلان (1801-1879م) وهو من أعلام الاستشراق الاستعماري الفرنسي، لكي تكون طريقة لإثبات الوجود والسبق الفرنسي في البحر المتوسط، وكذلك مواجهة اللغة الإنجليزية في المنطقة، والتنافس مع الإنجازات العثمانية. وبذلك فتح دي سلان أمام الباحثين الأوروبيين ميدانا فسيحا للدرس والبحث بما قدم من المعطيات والتفصيلات عن بلاد المغرب الإسلامي، راجع في الموضوع: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/321. أحمد بوسعيد، البارون دي سالان (De Slane1801-1879م) وحركة نشر المخطوط الجزائري، مجلة رفوف، ع11، مارس 2017م، ص/130-131. Houari Touati, Entre érudition et colonisation, de Slane éditeur et traducteur d'Ibn Khaldoun (1840- 1868), Actes du colloque Ibn Khaldoun et sa réception, 2006, Alger, pp., 6-9.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

صيغت جملة من النظريات العرقية حول أصول "البربر" من طرف الباحثين، وذهب كل اتجاه نحو مجال جغرافي معين اعتبره الموطن الرئيسي الذي أتى منه مركب "البربر"، فتباينت الفرضيات من اتجاه يرى انحدار أصولهم من الميدين والفرس، إلى الشام وبلاد كنعان، ثم إلى اتجاه آخر يحدد الهند وجنوب البلاد العربية (اليمن) كموطن لهم، ويصاحب هذا الرأي تحديد آخر يجعلهم من بحر إيجة وآسيا الصغرى، ويتعدى الأمر إلى ربطهم بالأصول الأوروبية شمالا وشبه الجزيرة الإيبيرية وجزر المتوسط والأطلسي وشبه الجزيرة الإيطالية، وإجمالا يمكن حصر هذه النظريات في ما يلي: أولا/النظرية الأوروبية: صاغتها المدرسة التاريخية الاستعمارية الفرنسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتزعم هذه النظرية بأنّ "البربر" من أصل أوروبي. ثانيا/النظرية الحامية: هي نظرية ظهرت في ألمانيا ثم انتقلت إلى فرنسا، وتقول بوجود عرق حامي أصله من الجزيرة العربية، هاجر إلى السودان ومناطق أخرى، لكن سرعان ما تخلى الألمان عن طروح هذه النظرية لنقائصها وعدم وجود وحدة لغوية داخلية حقيقية تختص بها. ثالثا/النظرية الأنثروبولوجية: هي نظرية تزعم أن "البربر" من جنس يسمى "جنس البحر الأبيض المتوسط"، لقد حاولت هذه النظرية أن تربط ضفتي المتوسط تمشيا مع سياسة الادماج والإلحاق التي تجسد فكرة الأصل المشترك بين "البربر" والأوربيين ما يساعد على نجاحها[1].

2- التصنيف السكاني في المصادر المغربية:

[1] أنظر: محمد المختار العرباوي، الهجرات القديمة إلى شمال أوروبا، ، مقال ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق افريقيا قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره، ط1، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1425هـ/2005م، ص ص/201-202-203. العربي عقون، الأمازيغ عبر التاريخ، ص/19 وما بعدها. غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ص/55 وما بعدها.

نحن نرى أنّ الحقول المعرفية التاريخية في بلاد المغرب الإسلامي، أسهمت إلى حد بعيد بألوانها المتعددة الإخبارية[1] والجغرافية[2] والفقهية[3] وكتب الأنساب[4] ومؤلفات السير والطبقات والتراجم[5]وكتب الأدب المناقبي[6] كما هو الشأن بالنسبة للحقول المعرفية ببلاد المشرق في بلورة استخدام لفظة "البربر" ضمن خطابها التاريخي طيلة فترة العصر الوسيط، ومن هنا ينبغي التنبيه إلى تعدد المنطلقات الأيديولوجية والسياسية ودورها في وضع التفسيرات الإثنونيمية للأصل الإسمي والعرقي لمجموعات السكان المغاربة "البربر" تبعا لتعدد الاعتبارات التي أسست لهذا التصنيف السكاني في بلاد المغرب الإسلامي، وسيكون ذلك بمحاولة تحليل الخطاب التاريخي في المصادر المشرقية والمغربية على السواء، لأنهما معا في ارتباطهما وتكاملها يبحثان في الأصول الاثنية والتقسيمات البشرية للسكان المغاربة دون تقصي أصل تسمية هذه المجموعات البشرية المعروفة في مؤلفاتهم باسم "البربر".

وعليه، فهذا التقاطع بين المصادر يظهر في مسألة البحث عن الأصول الاثنية للمغاربة من زاوية تحديد أصول نسبهم ومحاولة إلحاقهم بالأب الأول مع تحديد انتمائهم الجغرافي[7]، أمّا إذا تحدثنا عن تسمية "البربر" أو التصنيف الاثني للجماعات البشرية بالمغرب الإسلامي، فإنّ المعرفة التاريخية المشرقية هي نفسها من أنتجت

[1] القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1406هـ/1986م، ص ص/27، 62. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/20، 69. ابن خلدون، كتاب العبر، 182/6. ابن عذاري، المصدر السابق، 20/1، 35.

[2] البكري، المسالك والممالك، 587/2. مجهول، الاستبصار، ص/114. الإدريسي، المصدر السابق، 112/1-113.

[3] مالك بن أنس، المدونة، 574/2. البرزلي، المصدر السابق، 217/5.

[4] على الرغم من أنّ كتب الأنساب المغربية تصنف في خانة المؤلفات الضائعة والمفقودة، إلا أنّ النسابة الأندلسيين والإخباريين المغاربة قد أخذوا من هذه المدونات قبل ضياعها وحفظوا لنا شذرات من معطياتها وروايات النسب التي وضعها أعلامها مثل: أيوب بن مخلد وسابق بن يوسف المطماطي وأبا سهل الفارسي النفوسي وأبا بكر البرزلي الإباضي. أنظر: ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص/295. ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6.مفاخر البربر، ص/195 وما بعدها.

[5] المالكي، المصدر السابق، 155/1. الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، د ت، 46/1-47. أبو زكريا، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص ص/50-51. ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، ط ، دار الصحوة، القاهرة، د ت، ص/73.

[6] ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1417هـ/1997م، ص/66. أبو العباس العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)، تح: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، ص/59.

[7] أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. مفاخر البربر، ص/195. ابن خلدون، كتاب العبر، 116/6.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

واستخدمت لفظ "البربر" للتدليل على سكان المغرب الإسلامي، مثلما توحي به كل الدلائل التاريخية خلال الربع الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[1].

لكن علينا أولا أن نقر بأنّ كلمة "البرابرة" (βάρβαροι) قد استعملت في المصادر الإغريقية اليونانية[2] قبل المصادر الإسلامية، ليتوقف معناها على كل الشعوب والفصائل غير الاغريقية، وهذا دليل على خطأ سوء في التقدير والانحراف في المفهوم الصحيح، وأساس ذلك استعلاء جنسي وثقافي كان يشعر به سكان شبه الجزيرة اليونانية، وعنصر الإغريق عموما، تجاه غيرهم من الشعوب[3]، والكلمة بالمعنى الحالي لا تتوفر على مقاييس صحيحة الاستعمال أو الاشتقاق، بل يطبع معناها تمييز عرقي واضح بين الشعوب أساسه التفوق الحضاري الإغريقي.

وبالجملة، فإنّ هذه الكلمة قد شاعت في الأدبيات الإغريقية اليونانية بصيغة "البرابر" (βάρβαροι) واللاتينية الرومانية كذلك بنفس الصيغة (barbari)[4]، بينما وردت في نظيرها من المصادر الإسلامية المشرقية بصيغة "البربر" لتساير النصوص الإغريقية واللاتينية في تصنيفها الأيديولوجي، وقد اكتفى المؤرخون المغاربة بنقل التصورات الوهمية حول هذه التسمية الواردة في النصوص المشرقية، لأنه لن يكون هناك اسم يحل محل هذا المصطلح الشائع في كل مصادر العصر الإسلامي، ففضلا عن إيرادها لمصطلح "البربر" الذي لم تستخدم أي أصول في نقده أو يدخر أصحابها جهدا في التنقيب عن بواعث ظهوره وآليات بلورته[5]، عمدت إلى إشاعة ونشر هذه اللفظة النابع أصلها من النصوص الإخبارية والوصفية العربية، وذلك ما يطابق تماما التصنيف البشري الأيديولوجي الذي تمسكت به الساحة الثقافية المشرقية المنتمية إلى دار الإسلام.

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، 548/2. خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/224.

[2] Procope, Op, Cit., pp., 307-312-401.

[3] موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص/46.

[4] وردت على سبيل المثال عند بروكوب ثلاث وثمانين مرة لتدل على كل القبائل والشعوب غير المتحضرة في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا، أنظر: Procope, Op, Cit., pp. 403-404-405.

[5] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIesiècle),Op. Cit, p. 696.Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op, Cit., p.72.

إنّ القراءة المتفحصة لمصادر الفترة الإسلامية الأولى، يبرز بوضوح ثلاث مصطلحات إيثنونيمية تتحدد بها أسماء المجموعات البشرية المكونة لتركيبة السكان ببلاد المغرب، حيث يشير ابن عبد الحكم[1] واليعقوبي[2] إلى الخريطة الاثنية في المنطقة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، والتي تميزت بتواجد العنصرين اللاتيني المعروف بالأفارقة أو المولدون بالإضافة إلى عنصر الروم البيزنطيين[3]، بينما ظهرت المجموعات "البربرية" منتشرة بقوة في المنطقة وعبرت عن السكان الأصليين المالكين للبلاد والمستوطنين بها منذ الفترة القديمة.

إنّ تعميم إيثنونيم "البربر" على سكان بلاد المغرب في الخطاب التاريخي السائد خلال القرنين الثاني والثالث الهجري/الثامن والتاسع الميلاديين[4]، سيطرح إشكالية معقدة تتمثل في إلغاء لفظ المور وتعويضه بلفظ "البربر" على ما يحمله هذا الجذر الإثنونيمي من غموض في أصله وخلفيات إنتاجه. فبعد أن فرض هذا التصنيف نفسه في روايات الفتح والمصادر التاريخية والأدبيات العربية ليطلق على كل المجموعات التي قاومت حركة الفتح الإسلامي ووقفت في وجه الحملات الأموية من السكان الأصليين[5]، سيستخدم مطابقا في معناه الاثني حسب ما أوردته النصوص المشرقية ليدل على المجموعات السكانية المحلية ماعدا الجاليات اللاتينية والبيزنطية في مصادر المعرفة التاريخية المغاربية.

لا يخفى أنّ مرحلة العصر الوسيط الأول ببلاد المغرب تعتبر من بين أبرز المراحل التاريخية التي تطرح صعوبات جمة في البحث التاريخي، لما تتميز به من ندرة مصدرية ووثائقية من جهة، ومن جهة أخرى تأخر تسجيل الروايات المرتبطة بالفتح وبأحداث المنطقة بحوالي قرن من حدوثها لاسيما الانتقال من الفترة القديمة إلى

---

[1] فتوح مصر والمغرب، ص/229 وما بعدها.

[2] البلدان، ص/181 وما بعدها.

[3] أنظر: الفصل الموالي.

[4] المالكي، المصدر السابق، 33/1. الرقيق، المصدر السابق، ص/45 وما بعدها. مفاخر البربر، ص/195.

[5] لقد طرحت فكرة استبدال كلمة "البربر" بلفظ "المور" نفسها سريعا على الرواة والإخباريين المسلمين في مرحلة العصر الوسيط المبكر، فاستعملوها في نصوصهم واعتمدوها في مصادرهم دون أي بحثٍ في أصولها أو تحديدٍ لمبررات ظهورها، وبالفعل فمنذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي على أقل تقدير لا تزال هذه اللفظة أي "البربر" تطرح في مختلف الحقول المصدرية بتباين ألوانها، وعلى النحو نفسه استمدتها الدراسات والبحوث التاريخية فأصبحت مفردة يستحيل الاستغناء عنها في أعمال الباحثين، على الرغم من التتابع الخاطئ في استعمالها والغموض والضبابية التي تنطوي عليهما، وتجاهل هذه الصيغة التي هي في الأصل نتاج للروايات الأولى المرتبطة بمرحلة تاريخية لها ظروفها، وأعني بذلك مرحلة الفتح الإسلامي ببلاد المغرب. أنظر: Yves Modéran, Op. Cit, p.11.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

العصر الوسيط[1]. والواقع أنّ التجديد في الكتابة التاريخية والتوصل إلى نتائج حاسمة في البحث التاريخي، والإجابة اليقينية عن الإشكاليات والقضايا العالقة في هذه المرحلة المبكرة من العصر الوسيط، يُلزم الباحث بضرورة الاستعانة بنتائج البحث الأثري خلال المرحلة المتأخرة من العهد البيزنطي وبداية الفترة الإسلامية الوسيطة، وهي مرحلة لم ترق فيها الحفريات الأركيولوجية إلى ما ينشده المؤرخون والأثريون إن على المستوى الكمي أو على المستوى النوعي[2].

ومن المؤكد أنّه ليس بحوزتنا مادة أثرية ووثائقية أو شهادات تاريخية تعود إلى الوجود الإسلامي المبكر في بلاد المغرب[3]، والتي يمكن الاستناد إليها في معرفة الصورة التي رسمها الفاتحون الأوائل عن سكان بلاد المغرب وهياكلهم الاجتماعية وتنظيماتهم الاقتصادية وخصوصياتهم الاثنية، إلا بعض البقايا واللقى التي لا حاجة لنا بها في موضوع تحديد أصول إثنونيم "البربر"، ففضلا عن الدينار الذي ضرب باللغة اللاتينية في عهد حسان بن النعمان سنة(80هـ/699م)[4]، وقيام موسى بن نصير بضرب هو الآخر دينارا بنفس اللغة، هناك وثيقة بردية مؤرخة في سنة (94هـ/712م) تشير إلى تعريب الأسماء الجغرافية والطبونيمية لإفريقية في مشروع أموي يهدف إلى تحديد الأراضي البيزنطية القديمة في بلاد المغرب[5].

وقبل استعراض صورة حضور إثنونيم البربر في المصادر المغربية الوسيطة تحسن الإشارة إلى أنه من العسير أن نحيطها بها في كلها لضخامة موروثها، وتنوع مشاربها ومرجعياتها، إلى جانب تشتت أخبارها بين مختلف

[1] تأخر التدوين التاريخي لأحداث الفتح الإسلامي ببلاد المغرب إلى غاية النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، كما أنّ المصادر الإخبارية المؤرخة للمرحلة المبكرة من العصر الوسيط، اهتمت بالحراك السياسي والعسكري في المنطقة على غرار المعارك ومسار الحملات العسكرية وتحرك الجيوش الإسلامية والصراع الأموي البيزنطي، واندرجت معطياتها ضمن التأريخ للدوائر السياسية والعسكرية على حساب البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. أنظر على سبيل المثال لا الحصر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/221 وما بعدها. خليفة بن خياط، المصدر السابق، ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ص/355. الطبري، المصدر السابق، 296/7 فما بعدها.

[2] Anna Leone, Ralf Bockmann - Philipp von Rummel, «From Africa to Ifrīqiya The Transition from Byzantine to Islamic North Africa: an Introduction», », Deutsches Archäologisches Instjtut, Palilia, 34, Harrassowitz Verlag, 2019, pp. 2-1.

[3] نقص الشواهد المادية المتعلقة بالفترة الإسلامية الأولى ببلاد المغرب، وتركيز الحفريات الأثرية الأجنبية لا سيما التنقيبات الاستعمارية على الفترة الرومانية والبيزنطية المتقدمة، ينتهي بالباحثين إلى تجاوز هذا النقص من خلال استثمار المعطيات الاخبارية والوصفية المتوفرة للخوض في القضايا والموضوعات المرتبطة بهذه المرحلة التاريخية.

[4] Abdelhamid Fenina, «L'arabisation du monnayage d'Ifrīqiya : étapes et signification », in Jean- Luc fournet, Jean- Michel moutonet Jacques paviot(dir),Civilisations en transition (II), Paris, 2016, pp. 134-138.

[5] Allaoua Amara,«L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, p.57.Walter E. Kaegi, «Seventh-Century North Africa Military and Political Convergences and Divergences», Deutsches Archäologisches Instjtut, Palilia, 34, Harrassowitz Verlag, 2019, p. 23.

الملظان المصدرية، وهو ما اضطرنا إلى تنميطها في مجموعات بحسب قواسمها المشتركة وفق معيارين أساسيين، أولهما عام يتعلق بالانتماء المذهبي الذي اصطبغت به، والثاني خاص بالمصادر السنية المالكية التي آثرنا أمام ضخامة ما تقدمه لنا من مادة، وتنوع روافدها، أن نرصدها موزعة بحسب الحقول المعرفية التي أثيرت فيها.

أمّا النصوص الفقهية، فقد جمع فقيه القيروان سحنون بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م)[1] في المدونة الكبرى مجموعة كبيرة من المسائل الشرعية وأجوبة صدرت عن عالم المذهب مالك بن أنس (ت 179هـ/795م)[2]، وقد اندمجت لفظة "البربر" في المتن الفقهي بشكل عفوي إيضاحي لصيغة الفتوى أو حكمها الشرعي، فأشار إلى مصطلح "البربر" الذي ورد في العديد من الفتاوى محددا مدلوله من الناحية الاثنية بعدما ربطه بالجماعات السكانية المستوطنة بالمغرب الإسلامي، وميزهم عن باقي العناصر الاجتماعية المستقرة في دار الإسلام بهذا الإثنونيم، فأطلق عليهم لفظ "البربر"، والدّليل أنه سئل عن معادن البربر التي ظهرت في أرضهم؟" فكان جوابه كالتالي: أرى ذلك للسلطان يليها ويقطع بها لمن يليها ويأخذ منها الزّكاة[3].

كما تواصل استخدام إثنونيم "البربر" في مدونة سحنون ليعكس في بعض النصوص الفقهية المالكية طبيعة العلاقة بين مركب "البربر" وحضورهم في تجارة العبيد ببلاد المشرق الإسلامي[4]، حيث سئل يحي بن يحي الليثي عن من ابتاع غلاما حاسبا كاتبا بوصفاء يسميهم فليقلل أو يكثر من البربر أو من السودان إلى أجل فليس بذلك بأس...[5]، وسئل الإمام مالك بن أنس في مسألة أخرى عن "الرجل يحلف بعتق كل مملوك يملكه

---

[1] يشير الباحث علاوة عمارة إلى تغير أوضاع التوجه المالكي مع سحنون بن سعيد التنوخي، الذي تمكن من تصحيح المرجعية المغربية لفقه مالك بكتابته للمدونة كبديل عن الأسدية، في محاولة للوصول إلى فقه مالك النقي البعيد عن المؤثرات العراقية مثلما بدت عليه الأسدية لأسد بن الفرات، وقد نجحت المدونة المرتبطة بالواقع المغربي في فرض نفسها، وتميزت بتعدد جذورها، مدينية عن طريق ابن القاسم، عراقية عن طريق أسد بن الفرات وإفريقية عن طريق سحنون، لكن يبقى مالك هو الأصل والمحور الأساسي في بلورة خطابها الفقهي. علاوة عمارة، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة، مقال ضمن كتاب: دراسات وبحوث مغربية مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1428هـ/2008م، ص/182.

[2] تعتبر المدونة أساس الفقه المالكي وتنسب إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وتبلغ مسائلها ستا وثلاثين ألف مسألة، وقد طبعت تحت اسم "المدونة الكبرى" برواية سحنون أو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الملقب بـ"سحنون"، ولي القضاء بالقيروان وانتهت إليه رياسة العلم بالمغرب في زمانه، وصنف كتاب المدونة، توفي سنة 240هـ. مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة، 1422هـ/2001م، ص/352. أحمد الشنقيطي، خبر الواحد وحجيته، ط1، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، 1422هـ/2001م، ص/369.

[3] مالك بن أنس، المدونة الكبرى، رواية: سحنون بن سعيد التنوخي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ص/337.

[4] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», Op. Cit.,pp. 34-35.

[5] مالك بن أنس، المصدر السابق، 56/3.

من الأجناس..."، فأجاب: كل مملوك أملكه من الصقالبة أو البربر أو الفرس أو مصر أو من الشام فيما يستقبل فهو حرّ؟[1]. إنّ ما يفهم من هذه القضايا أنّ استعمال لفظ "البربر" يعبر عن جماعة بشرية تتميز بخصوصيتها الإثنية والجغرافية بين المجموعات البشرية المنضوية تحت لواء دار الإسلام[2]، بل وجهت السلطة الفقهية خطابا يساوي بينهم وبين مركب العرب في محاولة لتقريبهم ودمجهم في المجتمع الإسلامي بما يجنبهم الصراع الاثني ويضمن ولاءهم للسلطة المركزية، وتحفظ لنا المدونة نصوصا تبرز إلغاء التمييز بينهم، من ذلك نص المسألة التي طرحت على الإمام مالك بن أنس، حيث سئل:...أرأيت لو قال لرجل من الفرس أو البربر: يا عربي؟ قال: لا حدّ عليه في هذا[3].

إنّ الأمر الذي تجدر ملاحظته هنا هو أنّ هذه الفتاوى الفقهية تؤرخ لظهور لفظ البربر خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ونستنتج بأنّ هذه النصوص الشرعية والفتاوى المالكية، تفيد بأنّ المصطلح أطلق على مجموعة بشرية مغاربية قبل سنة (179هـ/795م)، وبالتالي فإنّ لفظ "البربر" استعمله الإمام مالك بن أنس في حياته لتلقيب مركب بشري ينتمي إلى منظومة دار الإسلام.

تبرز المصادر الإباضية فضائل البربر وأسبقيتهم في الإسلام وأولويتهم في الدفاع عن الدين والعقيدة الإسلامية، محاولة متونها تقديم صورة نموذجية عن هذا المركب الاثني[4]، فاعتمدوا على نفس منهج التأليف القائم على مدح الجماعات "البربرية" وغالبا ما وظفوا لفظ "البربر" في نصوصهم، حيث نجد له حضورا في مؤلفاتهم سواء في المصادر المتقدمة أو المتأخرة، وخصصوا له حيزا في كتاباتهم تبنوا فيها التصنيف الوارد في المصادر المشرقية، كما هو الحال في بدء الإسلام لابن سلام اللواتي وسير الأئمة لأبي زكريا وطبقات المشائخ للدرجيني.

لقد استعمل ابن سلام اللواتي (ت 274هـ/887م) صاحب أقدم نص مغاربي حمل عنوان "بدء الإسلام وشرائع الدين"[5] إثنونيم "البربر" في إطار ذكره لفضائل "البربر" ومفاخرهم، وبما أنّه يمثل وجهة نظر الجماعات

[1] المصدر نفسه، 391/2.

[2] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op. Cit., p.85.

[3] مالك بن أنس، المصدر السابق، 497/4.

[4] Boutheina Ben Hassine, «L'image des Berbères dans les sources ibadites», dans Abdellatif Mrabet (éd.), Géographie historique du Maghreb antique et médiéval. État des lieux et perspectives de recherche, Sousse, Université de Sousse, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 2015, pp. 289-298.

[5] وصف حسن حسني عبد الوهاب وفيرجيني بريفوست هذا المؤلف بأنه أقدم المؤلفين الأفريقيين. ابن سلام اللواتي، بدء الإسلام وشرائع الدين، تح: فيرز شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، فرانزشتايز، فيسبادن، ألمانيا، 1406هـ/1986م، ص/6.

الإباضية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فإنّ الطريقة التي برز فيها لفظ "البربر" من خلال نصوصه، تتحدد في دورهم في حفظ الدين الإسلامي وتجديده[1]، وذلك ما يظهر جليا في تقديمه لقائمة الأحاديث النبوية[2]والمأثورات التي تمجد مركب "البربر" وتعدد فضائلهم في الإسلام[3]، ففي حديث عائشة رضي الله عنها يخبرنا ابن سلام أنّ جبريل أوصى النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "يا محمد أوصيك بتقوى الله وبالبربر، فهم الذين "يحيون دين الله بعد إذ يموت ويجددونه بعد إذ يبلى..."[4].وعليه، فالأسطغرافيا الإباضية تلجأ إلى اختراع وتشكيل نسيج من العلاقات المبكرة بين هؤلاء البربر وعاصمة الخلافة أو رموزها من آل بيت النبوة، أو من الصحابة الكبار، ولا يختلف اثنان في طبيعة الخطاب الديني لهذه المصادر الإباضية التي حاولت أن تنقل أيديولوجية جماعتها لتضع "البربر" في سياق الأحداث العامة للخلافة الإسلامية، وربط أصولهم بالسلف انطلاقا من علاقاتهم بالصحابة لإيجاد أصول تاريخية للمذهب تعود لهؤلاء الأئمة الكبار مثل أبي بكر وعمر وعلي وعبد الله بن مسعود وحقيقة الخلاف مع عائشة رضي اللهم عنهم أجمعين[5].

في مقابل ذلك، لم يكتب ابن سلام اللواتي عن خصوصية "البربر" الاجتماعية ولا عن أصول تسميتهم الإثنية، ولكنه ظل يكرس أيديولوجية تمجيد الجماعات "البربرية"[6]، ووضع مركب "البربر" في دائرة تاريخ الإسلام العظيم وأنهم سيدافعون عن هذا الدين ويشاركون في حركة الفتح الإسلامي بالأندلس[7]، ويرابطون في الرباطات والمحارس ليصدوا غارات دار الكفر على سواحل المغرب الإسلامي، وهو ما أشارت إليه النصوص الإخبارية

Virginie Prevost, «L'Ibadisme berbère La légitimation d'une doctrine venue d'Orient», La Légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval De l'orientalisation à l'émancipation politique,Etudes réunies par A. Nef et E. Voguet, Casa de Velazquez,V. 127, Madrid, 2011., p.2.

[1] ابن سلام اللواتي، المصدر السابق، ص/121 فما بعدها.

[2] عند تتبعي للأحاديث المروية في الصحاح الستة لم أقف على حديث واحد من ما أورده ابن سلام اللواتي حول فضائل البربر في مؤلفه.

[3] المصدر نفسه، ص ص/123-124.

[4] المصدر نفسه، ص ص/122-123.

[5] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، 492/2. Boutheina Ben Hassine, «L'image des Berbères dans les sources ibadites», Op, Cit., pp. 290-291.

[6] ابن سلام اللواتي، المصدر السابق، ص/121-122.

[7] Boutheina Ben Hassine, «L'image des Berbères dans les sources ibadites», Op, Cit., pp. 290-291.

لاسيما الرمزية المقدسة التي تميزت بها مدينة المنستير[1] في الحديث النبوي، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" المنستير باب من أبواب الجنة يقال له الأنف ودونه قنطرة من قناطر الأولين"[2].

وقد قدّم ابن سلام لفظ "البربر" مقترنا بقبيلة لواتة القديمة التي تحولت إلى الإسلام[3]، حيث أورد شهادة يقول فيها أنّ عمر بن الخطاب رحمه الله قدم عليه قوم من البربر من لواتة أرسلهم إليه عمر بن العاصي من مصر إذا كان بمصر واليا في خلافة عمر فدخلوا على عمر وهم محلقون الرؤوس واللحى فقال لهم عمر: ممن أنتم؟ قالوا من البربر من لواتة...[4] وفي نص آخر...قال علي بن أبي طالب: يا أهل مكة ويا أهل المدينة أوصيكم بالله وبالبربر فإنهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعد إذ تضيعونه وهم الذين ذكرهم الله في كتابه[5]:﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[6].

ومن الملفت، من جهة أخرى، أنّ معطيات كتاب بدء الإسلام وشرائع الدين تبرهن على أنّ استخدام إثنونيم "البربر" ارتبط بالمجالات الجغرافية التي عمرتها الجماعات الإباضية، فكلمة "البربر" أطلقت على تجمعات السكان الأصليين من "البربر" المعتنقين للفكر الخارجي ومبادئ المذهب الإباضي خلال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، كما أنّ توظيف كلمة "بربر" كانت ملحقة بشكل متكرر بأسماء المجموعات البشرية المغربية كهوارة وزناتة ونفوسة ولواتة[7]، وبالقدر الذي عرج فيه ابن سلام عن فضائل هذا المركب الاثني، بالقدر نفسه

[1] حول محرس المنستير خلال فترة العصر الوسيط. أحيلك إلى الدراسات التالية: أحمد الباهي، المحرس في العصر الوسيط من القصر إلى القرية، مجلة إفريقية، ع23، وزارة الثقافة، تونس، ص ص/9-40.

Sánchez, «Rabita-s, ribat-es y al-munastïr-es. Bibliografía comentada con una introducción Francisco Franco historiogràfica», Bibliografía comentada con una introducción historio gràfica, Universitat d'Alacant, 2004, pp. 351-377.

[2] أبو العرب، المصدر السابق، ص/4.

[3]Allaoua Amara,«L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op, Cit.p.60.

[4] ابن سلام، المصدر السابق، ص ص/121-122.

[5] المصدر نفسه، ص/124-125.

[6] سورة المائدة (الآية:54).

[7] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers»,Op. Cit., p.85.

يشير إلى الحراك البشري والسياسي للجماعات الإباضية بطرابلس وسرت ونفوسة والقيروان، بعدما سيطروا على أقصى المجالات الشرقية لإفريقية[1].

وعلى نحو آخر، يشير ابن الصغير المالكي(ت 300هـ/900م) في كتابه أخبار الأئمة الرستميين إلى المجموعات البشرية الكبرى في بلاد المغرب الإسلامي فحصرها في العجم[2] والعرب، ولم يستعمل كلمة "البربر" إلا في إشارة واحدة، حيث صرح "...وكان لهوارة رؤساء مقدمون يقال لهم الأوس ويعرفون ببني مسالة قد ذكر لي بعض الإباضية أنه كانت ابنة جميلة لبعض رؤساء البربر إمّا لواتة أو غيرهم، فخطب مقدم الأوس على نفسه أو على ابنه فأجابوه إلى ذلك..."[3].

ونعتقد من خلال معطيات الشواهد النصية أنّ ابن الصغير كان لديه مواضع عديدة تتيح له توظيف مصطلح "بربر" بالمعنى العام، إلا أنه اكتفى باستعمال أسماء الجماعات السكانية المهيمنة على المشهد السياسي والمجال الجغرافي في الدولة الرستمية مثل لواتة وهوارة ونفوسة ومزاتة وزواغة[4] ولأنه كذلك، فقد فرض الصراع بين هذه المجموعات الإباضية انتقاء ألقابها الاثنية وطرحها في نصوص عديدة من مؤلفه[5]، وبالمقابل اختفاء لفظ "البربر" الذي لم يستعمل إلا مرة واحدة عند حديثه عن رؤساء جماعة لواتة[6].

وقد يكون الأمر من وجه آخر انعكاسا لاستناد ابن الصغير على الرواة الإباضيين في جمع معطيات كتابه[7]، فطابع الرواية الشفوية لشيوخ الإباضية على ما يبدو قد تمحور بشكل كبير حول دور المجموعات البشرية المغاربية في تاريخ الدولة الرستمية، إذ ليس من الضروري أن يستعمل مصطلح "البربر"، لاسيما في ظل غياب حلف سياسي "بربري" يجسد مشروعا يستهدف الوصول إلى سلطة الإمامة[8]، وإلى ذلك عمدوا في روايتهم

[1] ابن سلام، المصدر السابق، ص/117 وما بعدها.

[2] أنظر: مدلول ايثنونيم "العجم" ومواطنهم واسهاماتهم في بلاد المغرب الإسلامي في الفصل الموالي لهذه الدراسة.

[3] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وبحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص/45.

[4] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op. Cit., p.83.

[5] أنظر: ابن الصغير، المصدر نفسه، ص ص/46-47.

[6] Allaoua Amara,«L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, pp.60-61.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص/41-52-54.

[8] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs Moors and berbers», Op, Cit., p.83.

وأخبارهم إلى الإبانة عن أسماء التكوينات البشرية دون الإشارة إلى انتمائها الاثني العام أو اسمها الجامع المعروف في الفترة الوسيطة بـ"البربر".

لكن من ناحية أخرى، يجب التنبيه إلى استمرارية إثنونيم "البربر" خلال القرون الموالية، في سير أبي زكريا (ت 474هـ/1081م) [1] وطبقات المشائخ للدرجيني (ت 670هـ/1272م)[2]، ذلك أنّ المؤلفين قد خصصا حيزا اهتما فيه بذكر فضائل "البربر" ومفاخرهم منذ بداية العهد الرسولي، حيث لم تتغير صورة "البربر" ولا موقعهم الاجتماعي في المصادر الإباضية المتقدمة[3] والمتأخرة ولا حتى دورهم الإيجابي تجاه مسألة حفظ الدين الإسلامي الجديد، على عكس المصادر المالكية[4] التي غالبا ما كانت تمجد الانتساب إلى العنصر العربي، وبذلك تشترك النصوص الإباضية حسب العديد من المؤشرات في إبراز أولية "البربر"في العقيدة الإسلامية ومفاخرهم وأدوارهم. وهكذا يتسع مجال استخدام تسمية "البربر" في المظان المصدرية الإباضية لتلقب بها العناصر الاجتماعية الأصلية بالمنطقة، وهذه المصادر المذهبية هي من أولى الحقول المعرفية المحلية التي اعتنت بتدوين تاريخ الجماعات السكانية في بلاد المغرب الإسلامي، وأقرت بالتصنيف الإثنونيمي لسكانه الذين تجمعهم تسمية "البربر"، ولذلك فالتأريخ لهذا المركب على ما يبدو ورد وفق مسار أيديولوجي، إذ أنه شكل العصب الرئيسي للإباضية، وهو الأمر الذي استلزم الإشادة بهذا المكوّن والإعلاء من شأنه، وإيجاد تموضع له يزيد من شأن دولتهم.

تُقدّم لنا النصوص الإسماعيلية من المعطيات ما يبرهن على حضور مصطلح "البربر" في مظانها خلال حكم الدولة الفاطمية، ويخبرنا الأستاذ جوذر (ت 390هـ/1000م)[5] عن هذا المركب الإثني في مصنفه، بيد أنّ كلمة "البربر" لا تأخذ بنصيب كثير في مؤلفه ما عدا ذكرها في مناسبتين فقط، الأولى أثناءقيام الخليفة الفاطمي المعز بفتح الأوراس ومعه وجوه "البربر" وقوادهم، أمّا في المناسبة الثانية فكانت ذا صلة بشكوى قدّمها صافي الإكريكي الذي كان واليا على قصر الإفريقي للأستاذ جوذر يذكر فيها تحالف البربر وتناصرهم عليه[6].

---

[1] كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص/50 وما بعدها.

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م، ص/15.

[3] ابن سلام، المصدر السابق، ص ص/121-122.

[4] أنظر: المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م، ص ص/253-254.

[5] سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الخلفاء الفاطميين، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د ت، ص/84.

[6] الجوذري، المصدر السابق، ص/93.

في حين اتجه القاضي النعمان(ت 363هـ/973م) في المجالس والمسايرات[1] وابن حماد الصنهاجي(ت 628هـ/1231م) في أخبار بني عبيد[2]، والداعي إدريس القرشي (ت 872هـ/1467م) في عيون الأخبار[3]، إلى استعمال تسمية "البربر" بشكل متكرر لتقليب الجماعات السكانية ببلاد المغرب خلال العهد الفاطمي، ونمتلك من الأدلة كما أشرنا ما يؤيد تقليد ونقل المصادر الإسماعيلية للتصنيف السكاني الوارد في المصادر المشرقية، وبالتالي فلا غرابة أن يكون لفظ "البربر" نقطة التقاء مشتركة بين مختلف مصادر التاريخ الفاطمي في دوره المغربي.

وأيا ما كان الأمر، فالفرق بين النصوص الإسماعيلية يتجلى في المنهج الذي يختلف من مؤلف لآخر، والدليل أنّ كتاب الأستاذ جوذر في أصله عبارة عن رسائل تصدرتها سيرته ودخوله في خدمة الفواطم، وتذيلتها مجموعة من الرسائل أقرب ما تكون إلى الرسائل الديوانية التي كانت ترسل بينه وبين الخلفاء الفاطميين[4]، والتي تركز اهتمامها على معالجة الشؤون السياسية ومهام التسيير الإداري داخل أجهزة الدولة الفاطمية[5]، لذلك فمستوى حضور إثنونيم "البربر" دلت عليه إشارتان فقط، أمّا القاضي النعمان والداعي إدريس القرشي[6] فيميلان أكثر إلى تدوين الأحداث المرتبطة بالدولة الفاطمية وخلفائها بالتفصيل منذ فترة قيامها إلى مرحلة انتقالها نحو مصر، ومدار هذه الأحداث هو التفصيل في الإبانة عن طبيعة علاقة السلطة الفاطمية بالتكوينات البشرية والقبلية المحلية على غرار كتامة وصنهاجة وزناتة، مما يجعلنا نلاحظ التركيز على استخدام لفظ "البربر" بشكل

[1] المجالس والمسايرات، تح: الحبيب الفقي وابراهيم شتوح ومحمد اليعلاوي، ط1، دار المنتظر، بيروت، 1416هـ/1996م، ص ص/138-139-190-194-322.

[2] للتفصيل أكثر أنظر: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص/53 وما بعدها.

[3] تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب" القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م، ص ص/133-197-206-271.

[4] حول هذه الرسائل السياسية، أنظر: الجوذري، المصدر نفسه، ص/60 وما بعدها.

[5] حول دور الأستاذ جوذر في الإشراف على شؤون الإدارة الفاطمية يقول فرحات الدشراوي أنّ سلطة جوذر تطورت تطورا سريعا عقب اعتلاء المعز للعرش، فاتخذت شكل مؤسسة منظمة ودائمة، ومنذ ذلك الحين برزت ملامح مهمته، حيث تم تثبيت دوره كسفير في شكل ديوان مركزي مكلف بالتنسيق والإشراف على سائر المصالح العمومية وربط الصلة بينها وبين سلطة القصر والسهر على تنفيذ قرارات الخلفاء الفاطميين. للمزيد من التفاصيل راجع: فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1994م، ص ص/452-453.

[6] القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص/323 وما بعدها. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص/51 وما بعدها.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

كبير وفي كل مرة دون انقطاع لهذا الإثنونيم، وبحسب الحاجة التي تطلبتها النصوص الإخبارية وسياقات إنتاجها في كتاباتهما.

وإذا تأملنا التصنيف السكاني لمركب المغاربة في جمهرة أنساب العرب لمؤلفه ابن حزم (ت 456هـ/1063م) فإننا لا نجد ما يقابل مصطلح "البربر" سوى أنّ الإثنونيم ينطبق على الجماعات السكانية ببلاد المغرب الإسلامي، كما أنه يسلط الضوء على روايات النسب العربية في موضوع انتماء "البربر" إلى الأصول الحميرية، رافضا رفضا قاطعا انحدارهم الاثني من المجموعات اليمنية الجنوبية، ويتبين ذلك من قوله" إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس بن عيلان، وهذا باطل لا شك فيه، وما علم النسابة لقيس عيلان ابن اسمه بر أصلا، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن..."[1].

ويرتكز ابن حزم في هذا الشأن على موارد النسابة "البربر" كروايات يوسف الوراق وأيوب بن أبي يزيد بن مخلد لإثبات نسب زناتة[2] التي تنحدر من الأصل الكنعاني الحامي أي من شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج...إلى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وبالتالي فقد أعطى ابن حزم البربر أصلًا كنعانيًا ينحدر من بلاد الشام، وهي حقيقة تشير إلى تأسيس قرطاج على يد الفينيقيين[3]، كما ينقل في موضع أخر عن نسابة البربر مؤداها الأصل القبطي لجماعات البدو الإباضية سدراتة ومزاتة ولواتة[4].

والملاحظ أنّ النسابة الأندلسي ابن حزم يُقدّم لنا جدولًا بأسماء القبائل "البربرية" التي خضعت ألقابها لحركة التعريب بعد الفتح والمجموعات البشرية التي تفرعت عنها[5]، ومن خلال قائمة البيوتات المكونة للمجتمعات

[1] ابن حزم، المصدر السابق، ص/495.

[2] بالاعتماد على أعمال الباحث أحمد مشارك يمكن التأكيد على ملامح التحولات الإيثنونيمية التي طرأت على لوائح أسماء الجماعات القبلية القديمة وانتقالها من الفترة القديمة إلى الفترة الوسيطة، وهذا ما يؤشر عليه الباحث في مقاله حول استمرارية ايثنونيم زناتة من مرحلة العصر القديم الجذر الإثنونيمي التالي: (Dianenses/Odianenses/Zanenses/Auzanenses) إلى فترة العصر الوسيط الأول طبقا للأسماء الآتي ذكرها:(BanuDjāna/Banu Zāna, Zanāta). لمزيد من التفصيل، أحيلك إلى الدّراسة التّالية:
Ahmed M'charek, Op. Cit, pp.464-465. Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, pp.62-63.

[3] Ibid., pp. 62-63.

[4] ابن حزم، المصدر السابق، ص/498.

[5] للاطلاع أكثر، أنظر: ابن حزم، المصدر نفسه، ص/495 فما بعدها.

القديمة ببلاد الأندلس يذكر مستوطنة "بربرية" حافظت على تسميتها خلال فترة العصر الوسيط المبكر، مما يبرهن على تصنيف السكان المغاربة قبل الفترة الإسلامية تحت مسمى "البربر"[1].

يتواصل التصنيف السكاني للمغاربة تحت اسم "البربر" في مسالك وممالك البكري (ت 486هـ/ 1094م)، ويفهم من المعطيات التي أوردها المؤلف أنّ "البربر" كانوا مستقرين بفلسطين في الفترة القديمة، لكن بعد هزيمة ملكهم جالوت نزحوا إلى بلاد المغرب فاستوطنوا لوبية ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية[2]، وبالتالي ينقل البكري نص الرواية التأسيسية لنسب "البربر" وجذورهم الإثنية الواردة في المظان المشرقية خاصة فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، والتي ترجع هؤلاء المغاربة إلى سكان الشرق الأدنى القديم،كما يشير إلى أسبقية امتلاك الافرنج لبلاد المغرب قبل أن يسيطر عليها "البربر" ويتوزعوا على مجالاتها الجبلية والريفية، وتتراجع بدورها جماعات الإفرنج نحو المراكز العمرانية والشبكات الحضرية إلى غاية الفتح الأموي للمنطقة وجلاء الروم البيزنطيين منها[3].

وبديهي أن تشكل المعطيات المصدرية التي يزودنا بها البكري[4]حجر الأساس في التصنيف البشري لسكان بلاد المغرب الإسلامي، فقد تبلورت ملامح التركيب الإثني لمجتمعات المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي من خلال معطيات المسالك والممالك التي من شأنها الكشف عن التواصل الإثنونيمي لأسماء الجماعات السكانية ومجالات استيطانهم واللغات المتداولة بينهم، كما زودنا بقائمة الأسماء الجغرافية والمواقع الطوبونيمية "البربرية" التي تعبر عن البعد المحلي في مدلولها. وبما أنّ المحددات الأنثروبولوجية كانت مقياسا للتصنيف السكاني[5]، فالمعيار الأساس في تصنيف المكوّن السكاني المغاربي تحت تسمية "البربر" عند البكري هو المعيار اللغوي الفيلولوجي بمعنى اللغات واللهجات المستعملة من طرف المجموعات البشرية المستوطنة في المنطقة، إلى جانب شكل اللباس المميز لكل جماعة عن الجماعة الأخرى. وعليه، فيعتبر على سبيل المثال

[1]Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», op. cit, pp.62-63.

[2] البكري، المصدر السابق، 651/2.

[3] المصدر نفسه، 651/2 فما بعدها.

[4] المصدر نفسه، 651/2 فما بعدها.

[5]Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op, Cit., pp.62-63.

سكان سرت عبيدا يطلق عليهم عبيد قرلة[1]، وبالتالي فهم لا ينحدرون من السكان الأصليين المعروفين بـ"البربر"، ذلك أنّ لهم كلاما "يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي لا يعرفه غيرهم..."[2]، كما استوطنت مجموعات العرب وجاليات الأفارقة الذين يتحدثون باللسان اللاتيني بمدينة قابس، أمّا حولها فانتشرت جماعات تنتسب إلى مكون "البربر" مثل لواتة ولماية ونفوسة ومزاتة وزواغة وزواوة[3].

إنّ ثالث مصدر أندلسي بعد البكري وابن حزم ينبهنا إليه الأستاذ الباحث علاوة عمارة[4]، هو كتاب طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي (ت 462هـ/1070م) الذي احتوى على إشارات إلى التصنيف السكاني للسلالات البشرية في العالم، وصُنف فيه مُكوِّن "البربر" ضمن الأمة الرابعة إلى جانب عنصري الأقباط والسودان[5]، ويفسر ذلك بتأثير التصنيف المشرقي على التصنيف الإثني للجماعات البشرية وحضوره في المؤلفات الأندلسية خلال العهد الأموي[6].

من جهة أخرى، برز إثنونيم "البربر" في مصادر الطبقات والتراجم[7] المغربية، ليطلق لفظا على العناصر الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي، وينفرد بذلك المركب الإثني المكون من السكان الأصليين بهذا المصطلح المعروف في الأدبيات المغربية بلفظ "البربر"، وعلى الرغم من ربط النصوص الإخبارية لكلمة "البربر" و"البربري" بأسماء الأعلام البشرية للقادة والفقهاء والعلماء المترجم لهم، فإنّنا لاحظنا تضمين الأحداث تاريخية تتعلق بالمقاومة

---

[1] قال الشاعر يهجوهم:

عبيـــد قرلة شرّ البرايـــا معاملـــة وأقبحـــهم فعالا
فلا رحم المهمين أهـل سرت ولا سقاهـــــم عذبا زلالا

وقال شاعر آخر:

يا سرت لا سُرَّت بك الأنفس لسان مدحي فيكم أخـــرس
ألبستـم القبـح فلا منـــظر يروق منـكم لا ولا ملـــبس
بخستـم في كـــل أرومـــة وفي الخنا واللـوم لم تبخـسوا

[2] البكري، المصدر السابق، 252/2.

[3] المصدر نفسه، 666/2.

[4] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op, Cit., pp.62-63

[5] ابن صاعد الأندلسي، كتاب طبقات الأمم، تح: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1330هـ/1912م، ص/6.

[6] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op, Cit., pp.62-63

[7] حول موضوع استعمال كتب التراجم والطبقات والصورة التاريخية التي يمكن الحصول عليها من مظانها. راجع تفاصيل ذلك: عمر بن حمادي، كتب التراجم والنخب العلمية الوجه والقفا، مقال ضمن أعمال الملتقى الدولي: النخب والسلطة السياسية من خلال كتب الطبقات، الأطلسية للنشر، أريانة، تونس، 1435هـ/2014م، ص ص/14-50.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

المحلية لحركة الفتح الأموي لبلاد المغرب الإسلامي لاسيما في الجهة الشرقية، وكثيرا ما كان يُوظف لفظ "البربر" لتلقب به الكنفدراليات القبلية المواجهة لحملات الفتح والعمليات العسكرية الإسلامية[1]، لاسيما الصورة المقدسة التي رسمت حول القائد عقبة بن نافع الفهري وفتوحاته في المنطقة وطريقة استشهاده، فأبو العرب (ت 333هـ/944م) في معرض تحديده للجماعات التي قتلته بتهودة، ينقل حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر، وأهل أحد، والله ما بدلوا حتى ماتوا، واشوقاه إليهم"[2]، وقال شهر بن حوشب: سألت التابعين عن هذه العصابة، فقالوا ذلك عقبة وأصحابه، قتلتهم "البربر" والنصارى بتهودة[3].

وهذا الأمر لا يتناقض مع مدلول المصطلح الذي ينقل في الطبقات بوصفه اسما يطلق على المغاربة، بل بحمولته الإثنية يصور لنا أبو العرب الجماعات التي اضطلعت بالقضاء على عقبة بن نافع على أنهم "بربر"، وهذه الجماعات هي رمز للمقاومة المحلية المغربية من ناحية، وكذلك سيكون لهم دور في الثورات والاضطرابات الأمنية التي شهدتها بلاد المغرب بعد إلحاق المنطقة بدار الإسلام، فقاضي القيروان أبا كريب قتلته جماعات "البربر" الذين سيطروا على مدينة القيروان، حيث يقرر في قضية مقتله "أنّ البربر ضربوا على سرح القيروان يومئذ، فخرج إليهم أهل القيروان فخرج فيهم القاضي أبو كريب لقوتهم، فقتل في ذلك الوادي الذي يقال له وادي أبي كريب"[4]. وهذا دليل ثانٍ يعزز من صحة الخطاب المفعم بالكراهية والتمييز الإثني في نصوص الطبقات تجاه مكون المغاربة[5]، ثم إنّ ما يفهم من هذه الشهادة هو تجاهل صاحبها "للبربر" كمكون اثني يتموقع ضمن قاعدة التركيب البشري لمدينة القيروان، حتى وإن ظل مجالا حضريا سادت فيه سيطرة العنصر العربي منذ اتخاذها كمعسكر، وبالتالي فقد اكتفى أبو العرب بذكر لفظة "أهل القيروان" عندما أشار إلى سكانها، بينما يربط إثنونيم "البربر" بالجماعات

[1] أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/226. ابن أعثم، المصدر السابق، 270/2. النويري، المصدر السابق، 289/2.

[2] لم أقف على هذا الحديث في الصحاح الستة.

[3] أبو العرب، المصدر السابق، ص ص/9-10.

[4] المصدر نفسه، ص/250.

[5] على الرغم من الجهود التي بذلها أبو العرب في وضعه لقوائم أنثربونيمية لأعلام إفريقية، لكن المعطى الأول الذي يتبدى من خلال فحص نصوصه، يجعلنا نستخلص تحامله في توظيف إثنونيم "البربر" وهو مؤشر على الأيديولوجية التي كان يكتب بها وقتئذ لصالح العنصر العربي، بحيث تكرر لفظ "البربر" في كتاب "طبقات علماء إفريقية" ستة مرات، خمسة منها تشير إلى الدور السلبي "للبربر" في تاريخ المغرب الإسلامي، ومعظم المترجم لهم في طبقاته من أصول عربية. للمراجعة، أنظر الصفحات التالية: 9-10-30-58-250.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

المستوطنة في مجالات تقع خارج القيروان، وهي الجماعات التي قضت على القاضي أبا كريب وكان لها دور بارز وأثر عميق في خرق الأمن وإثارة الفوضى والفتن بإفريقية.

في الاتجاه ذاته، تؤكد شهادة أبي بكر المالكي (ت 474هـ/1081م) وحسب ما نحوزه من نصوص أن بعض فقهاء المنطقة وعلمائها كان لهم موقف سلبي ومعادي إزاء مركب "البربر"، حيث ظلت النظرة الدونية عالقة بأصولهم الإثنية، وربما هذا الإقصاء من الانتماء الإثني غير المرغوب فيه "للبربر" تشير إليه النصوص التي وردت للتعريف بفقهاء وعلماء المغرب، فالفقيه أبو إبراهيم بن العربي[1] سأل عن نسبه في برقة، ولما تأكد أنّه من العجم كتب كتابا أرسله إلى إخوانه بجزيرة شريك يقول فيه:" قد كنت انتسبت عندكم إلى البربر، فتقصيت في بلدي عن نسبي، فإذا بي من العجم، فنحمد الله تعالى الذي لم يجعلني من البربر"[2]. ويبرر تبرأه من الانتساب إلى "البربر" لخوفه من أحاديث رويت في ذمهم[3]، حتى أنّه ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا قال فيه:" قسم الله تعالى الخبث على سبعين جزءا فجعل البربر تسعة وستين جزءا والثقلين جزءا واحدا"[4]، ومن غريب ما نقله لنا المالكي في شهادته حول "البربر" رواية عن شيخ ثقة من أهل الإسكندرية أنّ سليمان بن داود عليهما السلام أرسل بربريا مع شيطان في حاجة، فرجع الشيطان يتعوذ بالله عز وجل من البربري[5].

وفي عهد عبد الوهاب بن أفلح إمام الدولة الرستمية، برز رجل يدعى نفاث بن نصر أخذ العلم عن الإمام، ثم توجه إلى مدينة بغداد مركز دار الإسلام ببلاد المشرق وأثناء إقامته بها عرضت لأمير المؤمنين مسألة بحث عن إجابة لها واضطلع بالأمر نفاث بن نصر[6]، فلما قدم على الخليفة العباسي وسأله عن أحواله وبلده

---

[1] أبو إبراهيم بن العربي من الزهاد والعباد المرابطين المشهورين أصله من برقة واستوطن جزيرة شريك بالوطن القبلي لتونس. أنظر ترجمته: المالكي، المصدر السابق، 2/253-254.

[2] المصدر نفسه، 2/354.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] لم أقف على هذا الحديث في الصحاح الستة، وإنما ورد في المعجم الأوسط للطبراني، عن اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي قَيْسٍ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخُبْثُ سَبْعُونَ جُزْءًا، فَجُزْءٌ فِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَتِسْعَةٌ وَسِتُّونَ فِي الْبَرْبَرِ». الطبراني، المعجم الأوسط، تح: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، ط1، ج8، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م، ص/292.

[5] المالكي، المصدر السابق، 2/254.

[6] مؤسس فرقة النفاثية المعادية للسلطة الإباضية في تاهرت طوال فترة حكم الدولة الرستمية، رحب به العباسيون في بغداد بوصفه ثائرا على الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وقد لقي حظة وحفاوة في البلاط العباسي وتعاون معه بنو العباس لإسقاط الحكم الرستمي، لكنه لم يوفق في النيل من سلطان تاهرت في أقاليم الدولة الشرقية، بل نجح في احداث انقسام مذهبي سياسي وتكوين فرقة عرفت بالنفاثية. أنظر: أبو زكريا، المصدر السابق،

ونسبه ومولده، قال له نفاث، "يا أمير المؤمنين أنا رجل من البربر، والبربر ليس معهم أدب، فأريد أن تأذن لي أن أتكلم في مجلسك بما بدا لي"[1].

إنّ هذه النصوص الإخبارية المدونة في كتب الطبقات والتراجم والسير تلتقي حول تصور محدد يقدح في النسب "البربري" ويؤسس لانطباعات سلبية تختص بالمنتمين إليه، والواقع أنّ محاولة تقديم الأدلة لإثبات ذلك، يجعلنا ندعم رأينا بحادثة تكررت مرة أخرى لكن مع فقيه القيروان البهلول بن راشد[2] الذي صنع طعاما وقدّمه لجماعة من أقرانه فقالوا له "...يا أبا عمرو لما صنعت هذا الطعام وليس عندك شيء يصنع الطعام، فقال لهم أني كنت خائفا أن أكون من البربر لما جاء فيهم من الحديث، فسألت عن أصلي من يعلمه، فأخبرت أني لست من البربر فأحدثت لذلك هذا الطعام"[3].لقد شاعت هذه الصورة السلبية المتعلقة بجزء كبير من السكان المغاربة في العصر الإسلامي المتقدم، وكانت مرتبطة بلا شك بمعارضة البربر سياسيا ودينيا ومذهبيا للسلطة الأموية ثم العباسية، إذ بدأ تصنيفهم تحت مسمى "البربر" مع بداية الفتوح ومرورا بمراحل الحكم الأموي للمنطقة خلال عصر الولاة ثم على عهد الدولة الأغلبية، حيث شُيّد صرح من التصورات القادحة في نسب "البربر"[4]، ورويت عنهم أحاديث ومأثورات أقرب إلى الوضع لأننا لم نقف على درجة صحتها[5]،كما يبين ذلك أنّ السكان المستوطنين حول إفريقية وأحوازها غالبا ما كانوا يوصفون في المصادر بالخارجين على السلطة والثائرين على نظام الخلافة الأموية[6].

ص/142. محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى،1406هـ/1985م، ص ص/186-187.

[1] أبو زكريا، المصدر السابق، ص/142.

[2] البهلول بن راشد أبو عمرو الحجري الرعيني، ولد سنة 128هـ/745م،كان معروفا بورعه واجتهاده وعلمه، له كتاب في الفقه على مذهب الإمام مالك، عاش في مدينة القيروان بإفريقية وتوفي بها في سنة 183هـ/799م. أنظر ترجمته: أبو العرب، المصدر السابق، ص/52 وما بعدها، القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: عبد القادر الصحراوي، ط1، ج3، مطلعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى، 1389هـ/1970م، ص/87. الزركلي، الأعلام، ط15، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1422هـ/2002م، ص/77.

[3] أبو العرب، المصدر السابق، ص/58.

[4] ابن الآبار، المصدر السابق، 264/1 وما بعدها، المالكي، المصدر السابق، ص ص/253-254.

[5] لم أقف على هذا الحديث في الصحاح الستة.

[6] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, pp.62-63.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وعلى الرغم من كل التحولات الاجتماعية والدينية التي طرأت على الجماعات السكانية ببلاد المغرب الإسلامي، وأسلمة الجماعات المستقرة بالمدن المغربية[1]، مع اندماج الإثنيات العربية و"البربرية" في تركيبة بشرية واحدة لاسيما في الحواضر الكبرى[2]، فإنّنا نلاحظ أنّ الخطاب التاريخي على امتداد القرون الثلاث الأولى ظل يستعيد في كل مرة نصوص الماضي لتصوير "البربر" بأشنع الأوصاف، ورميهم بأقبح النعوت التي وردت في المظان المصدرية، فكانت بحق صورة باهتة ونزعة سلبية لا يمكن أن نستسيغها في ظل الأيديولوجية العربية المؤسسة لها خاصة السلطة الفقهية في العهد الأغلبي.

وهنا لابد من إبراز الدور الذي لعبه بعض الفقهاء المالكية المنضوين تحت لواء السلطة العربية خلال العهد الأغلبي في بناء صورة سلبية عن "البربر"، وعن أصولهم الإثنية غير المرغوب فيها، فتفاعل فقهاء المالكية مع السلطة الأغلبية من خلال شغلهم لمناصب قضائية ودينية[3] ومساندتهم للسلطة القائمة[4]، سيجعلهم يواجهون الحركات الخارجية الوافدة في إطار صراع مذهبي بينهم وبين المذاهب الجديدة "الإباضية والصفرية" والمعتنقين لها من المجموعات القبلية "البربرية"، لأنّ هذا المركب الاجتماعي في الحقيقة سيشكل خزانا بشريا لحركات الخوارج المناهضة للأغالبة الذين كانوا عمال الخلافة العباسية وأداتها في إفريقية[5]، ولقد ارتبط نجاح الحركات الخارجية باعتناق السكان الأصليين المغاربة لهذه الأيديولوجية المذهبية سواء الإباضية أو الصفرية المعارضة لممثل السلطة العباسية في منطقة المغرب.

---

[1] عن حركة الأسلمة والتعريب في بلاد المغرب وتحول الجماعات السكانية الحضرية والريفية إلى الإسلام، أنظر الدراسات الصادرة حديثا:
Allaoua Amara, L'islamisation du maghreb central (VIIe XIe siècle), in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011, pp.,111-112. Cyrille Aillet, Islamisation et arabisation dans le monde musulman médiéval : une introduction au cas de l'Occident musulman (VIIe-XIIe siècle), in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011, pp.,13-14-15. Yassir Benhima, Quelques remarques sur les conditions de l'islamisation du Maġrib al-Aqṣā : aspects religieux et linguistiques, in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011, pp.326-327.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[3] شغل العديد من الفقهاء المالكية منصب القضاء على عهد الدولة الأغلبية نذكر منهم: أسد بن الفرات، سحنون بن سعيد التنوخي، عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، خالد بن أبي عمران التجيبي، أنظر: المالكي: المصدر السابق، 155/1. البغدادي، أخبار القضاة، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط1، ج3، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1366هـ/1947م، ص/215. القاضي عياض، المصدر السابق، 259/5. الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج9، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م، ص/6.

[4] علاوة عمارة، المذهب المالكي، ص/188.

[5] محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص/187.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

إذن استخدمت لفظة "البربر" في بلاد المغرب لوصف الشعوب التي واجهها الفاتحون المسلمون، حيث بدأ استعمالها في الروايات التي نقلها الإخباريون مثل الواقدي وابن عبد الحكم[1] ليعرف بها أولاً سكان برقة، ثم انتقلت تدريجياً إلى الجهة الغربية وصولا إلى مدينة طنجة، وطُبّق تصنيف "البربرة" على مجموعات بشرية عُرفت بمقاومتها الشديدة للفاتحين العرب[2]، ثم ثوراتها وحركاتها المناوئة للسلطة العربية في عصر الولاة والعهد الأغلبي، فتبلورت أكثر وأضحت كلمة "البربر" تسمية مسلمة تطلق على مركب المغاربة في جميع النصوص العربية خلال الفترة الوسيطة.

بينت معطيات "أنساب البربر" لابن عبد الحليم (ق14/8م) اعتماده على خطاب المصادر العربية في تحديد الأصول الإثنية للتكوينات السكانية في دار الإسلام، ولئن ركز على الأصل الإثني والجغرافي لمركب "البربر" إلا أنه لم يترك هامشا لجذور المصطلح ودلالاته الإثنونيمية، كما أنّه يخبرنا بأنّ "البربر" والقبط والسودان ينحدرون من حام بن نوح[3]، وهذا التصنيف الإثني للمغاربة خاضع بلا شك إلى تأثير ممارسة الكتابة بالأسلوب التقليدي المعتمد في أدب الأنساب العربي، حيث تدل معطياته على حضور التقسيم القديم للمجموعات البشرية الإسلامية الوارد في مصادر النسب العربية، والذي ينطوي على مركزية الانحدار العرقي من أبناء نوح عليه السلام[4]، مما يؤيد ذلك تكراره لرواية انحدار العرب من نسل سام، والترك من نسل يافث، والبربر والأقباط والسودان حاميون من نسل حام بن نوح، وبينما يبرهن على الأصل الشرقي الكنعاني "للبربر" فإنه يؤكد على قصة نزوحهم من فلسطين إلى بلاد المغرب وصراعهم مع الإفرنج خلال الفترة القديمة، وسيطرتهم على المجالات الجغرافية في المنطقة واستيطانهم بها[5]، وتوافقت هذه الرواية مع معطيات البيان المغرب لابن عذاري المراكشي(ت بعد 712هـ/1312م)، فبعد أن تصدر كتابه نصوصا تبرز فضل المغرب الإسلامي من خلال عرضه لأحاديث نبوية، يشير إلى الصراع "البربري" "الإفرنجي" على المجال الجغرافي لبلاد المغرب وانحصار "البربر" في سكنى الجبال واستقرار الإفرنج بالمدن والمراكز العمرانية[6].

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197.

[2] Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., p.83.

[3] ابن عبد الحليم الأيلاني، المصدر السابق، ص/20-24.

[4] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, pp.65-66.

[5] ابن عبد الحليم الأيلاني، المصدر السابق، ص/22-26.

[6] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، 20/1.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وحرصا منه على إثبات مكانة "البربر" وتشريفهم في الإسلام أكمل ابن عبد الحليم مؤلفه بالحديث عن فضائل البربر وأولويتهم في الإسلام كما هو الشأن بالنسبة للنصوص الإباضية، فأرجع إسلام البربر إلى العهد الأول من زمن نبوءة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة[1]، أمّا الخليفة عمر بن الخطاب فقد نقل عنه أثر يصرح فيه بدور "البربر" في بعث الدين الإسلامي وإحيائه، ونلمس من معطيات نص آخر احتضان "البربر" للحسن والحسين من آل بيت النبوة عندما لا يجدون ملجأ لهم في خضم التحولات السياسية بمركز دار الإسلام[2]، وعلى كلٍ يمكن القول أنّ مكون "البربر" من بين المكونات البشرية المهمة التي لها مكانة سامية في تركيبة المجتمع الإسلامي، لاسيما أنهم قد ظلوا مرتبطين ببلاد الشرق الأدنى منذ الفترة القديمة[3].

علاوة على ذلك، لقد شاع استخدام هذه التسمية في نصوص مفاخر "البربر" لمؤلف مجهول (عاش خلال القرن 8هـ/14م)[4]، والملاحظة الأولى التي نبديها أنّ عنوان المؤلف قد حمل ايثنونيم "البربر"، في تبني مطلق وصريح للفظ، ولا نستبعد تقليده لعناوين الأبواب المتصدرة لبعض الأعمال التاريخية المغربية، إذ هي دلالة واضحة على العنوان الذي اختاره لمصنفه مثل: "محاسن أهل المغرب" و"فضائل البربر" و"مفاخر البربر" و"فضائل أهل المغرب"[5]، كما لا يخفي صاحب الكتاب إعجابه بالنسّابة صالح بن عبد الحليم الأيلاني صاحب كتاب الأنساب، وقد التقى به وأخذ عنه روايات بخصوص نسبه إلى أيلانة، ونقل عن كتابه "الأنساب" أصول القبائل المستوطنة بالمغرب الأقصى على غرار المصامدة: حاحة ورجراجة ووريكة وهزميرة وجدميوة وهنفيسة وهزرجة ودكالة وهنتاتة وبنو ماغوس وتحلاوة وقبائل السوس وما حول جبل درن[6].

تكشف معطيات مفاخر البربر عن استمرارية مؤلفي القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي في ذكر محاسن البربر وفضائلهم، وذلك من خلال استحضار جملة من الأحاديث النبوية لربطهم بالإسلام الأول زمن البعثة المحمدية وتشريفهم بأحاديث مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال في إحداها: "إنّ لله فرسانا في السماء" يعني الملائكة، "وفرسانا في الأرض" ويعني البربر. كما روي في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه

[1] ابن عبد الحليم الأيلاني، المصدر السابق، ص/76.

[2] المصدر نفسه، ص/76.

[3] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, p.66.

[4] كان حيا في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وقد عاصر النسّابة صالح بن عبد الحليم الأيلاني.

[5] Maya Shatzmiller, Op. Cit., p.152.

[6] مفاخر البربر، ص ص/171-172.

وسلم قال فيه: "إنّ لله أنصارا ولذريتي، فأنصاري الأنصار الذين آووا ونصروا، وأنصار ذريتي البربر آووهم وبروا وأكرموا"[1].

ومن ثم فقد برزت في صورة "البربر" كل الخصائص النبيلة والصفات الحميدة التي تعبر عن مدى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والأئمة الكبار لهم، ولما كانت ظاهرة الثناء عليهم وإكرامهم بهذه المكانة الاجتماعية المتميزة قد تعاطينا معها في مناقشة النصوص الإباضية حول أولوية البربر وأسبقيتهم في الإسلام[2]، فلربما تماشيا وخصوصية المرحلة، ارتفعت مستويات الاهتمام بأنسابهم وتكوين صورة مثالية عنهم من خلال تخصيص فصول أو أبواب لسرد مفاخرهم وفضائلهم، بعد أن عرفت السلالات البربرية صعودا لافتا في الجانب السياسي، وقد شكل موضوع البحث في أصولها ومحاسنها، أمرا مثيرا للاهتمام بين فئة المهتمين بالخبر التاريخي الموجه لخدمة البلاط في مغرب الموحدين وما بعده[3].

إنّ كتاب مفاخر البربر يؤشر على فكرة الأصول الشرقية للمغاربة من خلال عرضه لقائمة من الروايات التي تشير إلى انتمائهم العرقي الشرقي. ففي الرواية الأولى يذكر انحدارهم من نسل حام بن نوح بقوله: "إنه لما تفرق أولاد نوح، أقبل البرابر نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا منه"[4]، أمّا الرواية الثانية فتنطبق مع معطيات النصوص المشرقية كالفتوح لابن عبد الحكم ولابن أعثم والكامل ابن الأثير ونهاية الأرب للنويري[5]، والتي تضمنت كلها انتماء "البربر" اثنيا إلى الأصول الكنعانية عندما نزحت جماعات منهم من مجالاتها بفلسطين إلى بلاد المغرب عقب انهزام ملكهم جالوت ومقتله، إضافة إلى رواية ثالثة تنسب "البربر" إلى قيس عيلان من العرب[6]،

---

[1] يجدر التنبيه إلى قائمة طويلة من المأثورات والأحاديث النبوية كانت قد تضمنها كتاب مفاخر البربر والتي ترتبط محاسن البربر وفضائلهم في الإسلام، وقد اقتصر عملي على الاستدلال بحديثين فقط منسوبين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أما الآثار والمرويات الواردة في شأن "البربر" وعلاقتهم بالخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي عديدة ولا يسعني المقام لذكرها. أحيلك إلى: مفاخر البربر، ص ص/181 وما بعدها.

[2] أنظر: ابن سلام، المصدر السابق، ص/122-123. أبو زكريا، المصدر السابق، ص/50 فما بعدها. الدرجيني، المصدر السابق، 15/1.

[3] آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص/62.

[4] مفاخر البربر، ص/195.

[5] أنظر: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197. ابن أعثم، المصدر السابق، 269/2. ابن الأثير، المصدر السابق، 409/2. النويري، المصدر السابق، 331/19.

[6] نظم يزيد بن خالد الطبني قصيدة شعرية يمدح فيها البربر وينسبهم إلى قيس عيلان، مما جاء فيها:

أَيُّهَا السَّـــائِلُ عنْ أُصولِنَا قَيْسُ عَيْلَانَ بَنِي العِــزِ الأَوَّلِ

نَحْنُ مَا نَحْنُ بَنُـــو بَرِ النَّـدَى طَرَّادُ الأَزْمَــانِ نَحَّــارُ الإِبِــلِ

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

كما أورد في شهادة أخرى التصنيف السكاني الذي يصنف فيه المجموعات "البربرية" إلى مجموعتين هما: البرانس والبتر، "فالبرانس هم بنو بربر بن برنوس ابن سفكو بن وانوخ بن خانوخ بن كذا بن فلان بن فلان بن مازيغ بن حام بن نوح"[1]، وبالتّالي مما يؤخذ على هذا النص أنّ البربر يرتبطون بالجد المشترك بينهم وهو مازيغ الموجود في النصوص القديمة تحت اسم مازاكس(Mazax) ويتشكل وفق هذا الرابط الإثني التقليد الذي يربط البربر بكنعاني بلاد الشام[2].

وعليه، نلحظ أنّ الجذور الإثنية لمركب "البربر" وفضائلهم هي الأكثر تناولا في كتاب مفاخر البربر، بالإضافة إلى ذكره لجغرافية القبائل المغربية وأصولها ومواطن توزعها، أمّا عن أصول تسمية "البربر" ومدلولاتها وجذور اشتقاقها، فيمكن الوقوف عليها في إشارة واحدة استعمل فيها المعيار اللغوي كمبدأ رئيسي لتصنيف سكان بلاد المغرب تحت تسمية "البربر"، حيث نقلها عن الطبري في أنّ البربر ينحدرون" من كنعان ومن العماليق، فلما قتل داوود جالوت تفرقوا في البلاد، وغزا إفريقش المغرب فنقلهم من سواحل الشام وأسكنهم إفريقية، وإنما سموا بربرا لأنّ إفريقش الملك الحميري قال لهم: ما أكثر بربرتكم"[3].

لقد حظي إثنونيم "البربر" ونسبهم الإثني في الأدب العربي خلال الفترة المتأخرة من العصر الوسيط بأهمية قصوى لم تكن بمستوى الأهمية التي نجدها في الأعمال التاريخية اليونانية واللاتينية في الفترة القديمة، ولا في المؤلفات العربية التي وصلتنا في فترة العصر الوسيط الأول حول "البربر"[4]. لقد قدّم ابن خلدون (ت 808هـ/

وَبَنُو بَرٍّ بَن عِيلَانَ الذِي عَرَفَ ... المَـجْدُ وَفِي المَـــجْدِ وَجَـــلّ
وارْتَدَى سَيْـفَ المجدِ هَـــلَا ... وَبُرُودًا وَاكْتَسَى مِنـــهَا حُـلَلّ
ابْتَنَى المجْـــــدُ وَأَرْوَى زَنْـدَ ... هُوَ كَفَى كُلَ ذِي خَطْبٍ جَلَلّ
إنَّ قَيْسًـــا تَعْتَزِي بِرَبّهَـــا ... وَبِبِرٍ تُعَـــزِي قَيْـــس أَجَـــلّ
وَلَنَا الفَخْـــرُ بِقَيْـــسٍ أَنَّهُ ... جَدُّنَا الأَكْبَرُ فكَّـــاكُ الإِبِـــلِ
إنَّ قَيْسًـــا قَيْسُ عَيْلَانَ هُـمْ ... مَعْدَنُ الحَـــقِّ عَلَى الخَيْرِ دَلَلّ
حَسْبُـكَ البَرْبَرُ قَـوْمِي أَنَّهُـمْ ... مَلَكُـوا الأَرْضَ بِأَطْرَافِ الأَسَلِ
وَبِيضٌ تَحْـمِلُ السِّهَـــامَ بِهَا ... بِأَيْدِي مَنْ كَانَ عَلَى الحَقِّ نَكلّ
أَبْلِغُوا البَرْبَـرَ عَنِّي مَدْحًـــا ... حِيـكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْرٍ مُنْتَحَلِ

[1] مفاخر البربر، ص/158.

[2] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, p.66-67.

[3] مجهول، مفاخر البربر، ص/196.

[4] Michael Brett, Elizabeth Fentress, The-Berbers. Oxford and Cambridge, MA: Blackwell, 1996, p.,8.

1406م) في أواخر القرن الهجري الثامن/القرن الرابع عشر الميلادي عملا ضخما وسمه بـ"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"[1]، حيث يبدأ تاريخ السلالات "البربرية"[2] مع هذا الكتاب في الجزأين الأخيرين منه، أي في الكتاب الثالث وقد وسمه: "في أخبار البربر والأمة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم"[3].

[1] هكذا صرح ابن خلدون بالعنوان الكامل لكتابه راجع: المقدمة، ص/10.

[2] الملفت للنظر أنّ المعرفة التاريخية التي أنتجها ابن خلدون في مصنفه الموسوم بـ: " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " قد لاقت اهتماما كبيرا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، وأول من شد انتباه المستشرقين والإثنوغرافيين الأوربيين إلى قيمته التاريخية، هو الأديب الفرنسي سلفستر دو ساسي "Silvester de Sacy" (1758-1838م) الذي وقف على الروابط الأدبية في ثنايا النصوص العربية خلال فترة العصر الوسيط، ثم نشر بعده مباشرة المستشرق الإيرلندي الأصل ويليام ماك جوكان المعروف بالبارون دي سلان " William MacGuckin Baron de Salane" (1801-1879م) وهو من أعلام الاستشراق الاستعماري الفرنسي، ترجمة باللغة الفرنسية للأجزاء التي ركزت على تاريخ المغرب تحت عنوان "تاريخ البربر والسلالات الإسلامية في إفريقيا الشمالية"، وبذلك فقد أصبحت هذه النسخة المترجمة عن العمل الخلدوني هي أهم مصدر عن بلاد المغرب الإسلامي وسكانها في العصر الوسيط على الرغم من ما تحمله من مزالق منهجية وأخطاء لغوية، أفضت إلى إذ انصب اهتمام دي سلان على تكييف ومطابقة اللغة التي يترجم بها مع اللغة السائدة في الأوساط الأكاديمية الفرنسية والدوائر العلمية الاستعمارية وقتئذ، فوظف على سبيل المثال مصطلحات إيديولوجية حديثة كلفظ "العرق" الذي يقابله في نصوص ابن خلدون لفظ "الجيل" و"الأمة" و"الشعب"، كما ركز على تأسيس وبلورة ما عرف بلفظ "البربرة" كموضوع له محورية هامة للدرس وشكل حقلا خصبا في البحث التاريخي الحديث انطلاقا من النصوص الخلدونية، دون تقديم رؤية عن الأعمال السابقة لكتاب العبر في مصادر العصور الوسطى، وما يعاب عليه كذلك هو محاولة إبرازه للدين الإسلامي على أنه دين جديد طارئ على الجماعات "البربرية"، وصوّر سكان المنطقة على أنهم ضحايا للسيطرة والتوسع العربي وعقيدتهم الشرقية، كما درج على انجاح الفكرة المؤسسة للمسألة البربرية في الجزائر ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي في شمال افريقيا القائم على تحقيق هدف استراتيجي يتمثل في الغاء الوجود التاريخي للشعوب المغاربية، من حيث أسسه المادية ومقوماته الحضارية، وقد تحددت معالم هذا المشروع الاستعماري الذي يستهدف البنية الاجتماعية والحضارية في فكرة تقسيم السكان المغاربة لاسيما في الجزائر والمغرب الأقصى وتصنيفهم إلى بربر وعرب على ما بدا من مضامين إخبارية في كتاب العبر، ولتوفير الشروط الملائمة لبقاء الاستعمار في المنطقة وتهيئة الظروف لتكوين كيانات محلية قائمة على التمايز اللغوي والخصوصية الاثنية. للمزيد راجع: ناصر الدين سعيدوني، المسألة البربرية، مجلة عالم الفكر، ع4، مج32، جمادى الأولى 1425هـ/جويلية 2004م، ص/141. تاديوش ليفيتشكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار وريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، د ت، ص/10.

Ramzi Rouighi, «Berberization and Its Modern Artifacts», Op. Cit., pp., 22-23. Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., p.83.

[3] إنّ المنهج الذي اعتمده ابن خلدون في تقسيمه لمصنفه "العبر" يحلينا على ثلاث كتب اهتم في الكتاب الأول منها بالعمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب، أمّا الكتاب الثاني فقد خصصه لأخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد، وفيه من الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والإفرنجة، وفي حديثه عن "البربر" وسكان بلاد المغرب الإسلامي، فقد اعتنى الكتاب الثالث بأخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بديار المغرب خاصة من الملك والدول. وقد وسم الكتاب الثالث بـ: "في أخبار "البربر" والأمة الثانية من أهل المغرب وذكر أوليتهم وأجيالهم ودولتهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم". أنظر: المقدمة، ص/9. كتاب العبر، 116/6.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وعليه، فالملاحظة الأولى التي نسجلها من خلال هذا العنوان تتمثل في أنّ إثنونيم "البربر" يعبّر عن مكون بشري له مجال جغرافي-أي بلاد المغرب- يستوطنه وهو من المكونات الإثنية الرئيسية في دار الإسلام[1]، ويبقى ابن خلدون حريصا على نقل روايات أنساب الجماعات السكانية المغاربية انطلاقا من النسابة "البربر"، وكانت شهادات ابن خلدون حول نسب "البربر" مستمدة من البيئة التي عاش فيها، فقد سنحت له فرصة توليه وظائف مرموقة في بلاطات الدويلات الحفصية والمرينية والزيانية واطلاعه على خزائن الكتب واحتكاكه بالرواة "البربر" في رصد مجموعة من الشهادات ونوادر المخطوطات والمصادر ذات القيمة التاريخية الكبيرة[2]، لذلك وردت نصوص إخبارية في ثنايا "كتاب العبر" على علاقة وثيقة بالرواية المحلية التي أدلى بها نسابة مشهورون في تاريخ المغرب خلال مرحلة العصر الوسيط، وتتجلى أهمية هذه النصوص في كونها مقتبسة من كتابات محلية ضائعة، ولا غرو أنّه صرح بقائمة اسمية لهؤلاء النسابة والإخباريين مثل أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني وسابق المطماطي وكهلان بن لوا بن يصلاص[3] وأبي بكر بن يكنى الإباضي البرزالي وهانئ بن يصدور بن مريس الكومي[4]، وهانئ بن بكور الضريسي، وسابق بن سليم بن حراث بن مولات بن دويسر المطماطي[5].

وتتفق المصادر[6] على أنّ ابن خلدون ينحدر من أسرة عربية قديمة سكنت مدينة إشبيلية عقب استيطان العرب في الأندلس، ولم يكن لانحداره الإثني من عرب إشبيلية ببلاد الأندلس تأثيرا على اختياره لها موطنا أو الاستقرار بها، بل إنّه عاش ببلاد المغرب الإسلامي معظم مراحل حياته خصوصا عقب نزوح الأسر الأندلسية

[1] يُركّز ابن خلدون في تاريخه على موضوع التأريخ للسلالات الكبرى الحاكمة في دار الإسلام من العرب والعجم والبربر، ويقرر فيها أنّ التحام النسب القبلي أو النسب المصطنع ضرورة لتكوين عصبية فاعلة خصوصا العصبية البدوية التي تحركها الدعوة الدينية، وذلك لأنّ العلاقة بينهما علاقة تآزر وتعاضد بهدف تأسيس الكيان السياسي، وقد شغلت ابن خلدون مشكلة أساسية، ملكت عليه تفكيره، ووجهت أبحاثه، هي كيف تقوم الدول، وما عوامل ظهورها وتطورها وأسباب سقوطها واضمحلالها. لقد نظر ابن خلدون إلى الدولة وظاهرة الحكم عموما، كإحدى "العوارض الذاتية للعمران" أي كواقعة اجتماعية تستلزمها ضرورة الاجتماع والتعاون بين بني البشر لحفظ الذات وبقاء النوع. أنظر: محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص/189 وما بعدها.

Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., p.149.

[2] عن الوظائف والمهام التي شغلها ابن خلدون، أنظر ترجمته بالتفصيل: ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م، ص/27 وما بعدها.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 8/7.

[5] المصدر نفسه، 124/6.

[6] ابن خلدون، الرحلة، ص/27 وما بعدها. ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص/377.

نتيجة التوسع الصليبي في الأندلس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث والرابع عشر الميلاديين، وفضلا عن دخوله في خدمة سلاطين الدويلات الثلاث الحفصية والمرينية والزيانية متقلدا وظائف سياسية هامة في مراحل مختلفة[1]، ترك ابن خلدون بصمة بارزة في الجانب العلمي من خلال اسهامه في الكتابة التاريخية المغربية وطرقه لموضوع مهم يتعلق بتاريخ السلالات "البربرية" الحاكمة في المغرب الإسلامي، ذلك أنّه ألّف أشهر موسوعة تتحدث بتفصيل عن الأصل الاثني والإثنونيمي "للبربر" وتصنيفهم بين المجموعات البشرية وتنظيماتهم الإثنية وتقسيماتهم القبلية وجغرافية انتشارهم، ولئن زخرت خزانات الكتب في بلاد المغرب بالتآليف التاريخية، إلا أنّ كتاب العبر لا يضاهيه مصنف آخر في التدوين التاريخي لكونه أعطى مكانة خاصة وأهمية قصوى للسكان الأصليين الذين لم ينالوا نصيبهم في المعرفة التاريخية –المشرقية خاصة– من بداية فترة الفتح إلى نهاية القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي[2].

إنّ استخدام إثنونيم "البربر" عند ابن خلدون لم يكن استخداما شخصيا ولا إنتاجا معرفيا ذاتيا خلال فترة القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد، بل كان تأثرا بالمعطيات الواردة في المصادر المشرقية ومصادر الأنساب "البربرية" التي تناقلت المصطلح بالاعتماد على الرواية الشفوية للرواة المحليين الذين لمحنا لهم قبلا. لقد حاز ابن خلدون قصب السبق في الكتابة عن موضوع "البربر" وبلورة الإثنونيم الذي لقبت به المجموعات السكانية في المنطقة المغاربية ليصبح أساس الدّراسات الحديثة، وذلك من خلال بحثه المستفيض في أصولهم وأنسابهم وتقسيماتهم ومواطن استقرارهم.

لقد لمسنا خضوع التصنيف السكاني لمركب "البربر" لأسس لغوية اقتبسها ابن خلدون من رواية إخبارية على ما أشارت إليه أنّ الملك أفريقش بن صيفي[3]من ملوك التتابعة لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار، رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم، فقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة ويقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة[4]. ويفهم من

[1] تولى ابن خلدون مناصب رفيعة منصب "كتابة العلامة" في تونس و"الكتابة والتوقيع" ثم وظيفة "خطة المظالم" ثم منصب "كتابة السر" في فاس المرينية، ووظيفة الحجابة ببجاية وغيرها من الوظائف. أنظر: ابن خلدون، الرحلة، ص/64 وما بعدها.

[2] Michael Brett, Elizabeth Fentress, Op. Cit., p.,8.

[3] أنشد الملك أفريقش عند حلوله بالمغرب شعرا يومئ إلى الأصل الكنعاني الشرقي "للبربر"، من ما ذكره الرواة البيت التالي:

بربرت كنعـــان لمـا سقـــتا من أراضي الضنك للعيش الخصيب

[4] ابن خلدون، كتاب العبر،59/2.

الرواية الأولى أنّ ابن خلدون يحاكي النسّابة ابن الكلبي في نقل معطيات كتابه حول الأصل الإثنونيمي لمصطلح "البربر"، لأنّ النسّابة ابن الكلبي هو أول من صرح بالأصل الكنعاني لهم، كما أورد المعيار اللغوي في تصنيفه السّكاني للمجموعات المغاربية من خلال سرده لقصة قدوم الملك أفريقش إلى بلاد المغرب وتسميته للسكان الأصليين بلفظ "البربر" في تعقيبه على كلامهم "وبربرتهم" غير المفهومة، وكذلك سميت المنطقة بإفريقية نسبة لهذا الملك اليمني[1].

يوجد في نصوص العبر ما يؤكد اكتمال معنى مصطلح "البربر" الذي لا يخرج مدلوله عن تسمية اثنية استخدمت لتلقيب سكان بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة محل الدراسة[2]، وتوسيع نطاق استعمال هذه اللفظة في النصوص التي صاغها ابن خلدون يهدف إلى مشروع رئيسي هو التبني المطلق "للبربرة" التي وردت في المصادر الإسلامية الأولى[3]، فمن خلال تضمينه لمعطيات إخبارية عن اللسان "البربري" يضيف في موضع آخر مصرحا "ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم"[4]. وعليه، تعكس هذه الإشارة اعتبار الظاهرة اللغوية والخطاب المنطوق مبدأ من مبادئ التصنيف السكاني التي يحدد طبقا له السكان المغاربة ويصنفون من خلاله تحت تسمية موحدة ومكتسبة عرفت بلفظة "البربر" التي اخترعها النسابة ابن الكلبي خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وطورها ابن خلدون في خطابه عن التمايز الإثنونيمي وأصل التسمية الإثنية لمركب السكان المغاربة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.

دأب ابن خلدون على تحيين معطياته حول نسب "البربر"، وكان أول من توصل إلى جمع روايات المتقدمين والمتأخرين في موضوع الأصول الإثنية "للبربر" وقام بتحليلها ومقارنتها ثم نقدها، ونجد آراءه التي تضمنها كتابه التاريخي "العبر" قد حاز فيها على فضل السبق بين المهتمين بنسب "البربر"، ومن غير المبالغة القول أنّ إدراكه لأهمية العودة إلى الرواية البربرية في أعمال النسابة البربر[5]، وأعمال النسابة العرب[6]قد شكل نقطة فارقة في

[1] المصدر نفسه، 59/2.

[2] المصدر نفسه، 116/6-117.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. البلاذري، المصدر السابق، ص/222.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 116/6.

[5] حول اقتباس ابن خلدون من روايات الأنساب "البربرية" في موضوع أصول "البربر". أنظر: كتاب العبر، 117/6.

[6] عن نقول ابن خلدون من مصادر النسابة "العرب" في موضوع الأصول "البربرية". أنظر: كتاب العبر،16/1.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

أهمية آرائه في نسب هذه الجماعات، كما أعطته دفعا قويا لتعميق مباحثه متفوقا بذلك على المتقدمين والمعاصرين له.

لقد حاول ابن خلدون وضع تأصيل اثني لسكان بلاد المغرب بعيدا عن رصيد نظريات الأنساب العربية التي تعكس مشاركة "البربر" في المنظومة السياسية والاقتصادية للخلافة الإسلامية، وترجع أصولهم الاثنية والجغرافية إلى بلاد الشام أو بلاد اليمن خلال الفترة القديمة[1]، وعلى ما يبدو أنّ تأثير التحولات السياسية والاجتماعية وما أفرزته المرحلة من ظروف تاريخية أعقبت تشكيل الخلافة الإسلامية والدعوة إلى بناء الذاكرة الجماعية تجمع معظم التنظيمات السكانية في دار الإسلام تتقدمها السلالات العربية، يُفسّر عدم الاستقرار المعرفي لنظام التصنيف السكاني للشعوب الإسلامية وتبقى صحته نسبية[2]، ذلك لأننا نجد صورة التنظيمات الإثنية للمجموعات البشرية المغاربية في علم الأنساب العربي هي نفسها صورة البنية البشرية للعرب في شبه الجزيرة العربية، إذ توهم علماء الأنساب أنّ مجتمعات "البربر" عبارة عن اتحادات قبلية[3] وعشائر وأفخاذ منحدرة من الجد الأول الذي تنتمي إليه المجموعة السكانية، وهو ما لا يتعارض مع التصنيف الاثني للعرب، ويجعله مطابقا للمبادئ التصنيفية التي تصورتها تماما المخيلة العربية ضمن الإطار القبلي والانحدار من الجد الأول.

وعليه، فإنّ "البربر" وبطونهم حسب شهادة ابن خلدون "يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس وماذغيس. ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس، وهما معا ابنا برنس وبين النسّابين خلاف هل هما لأب واحد؟"، وفي هذا الصدد لابد لنا من التنويه إلى إشكالية مصدرية هامة تتعلق بالصّمت التام لمصادر الفترة الرومانية والوندالية والبيزنطية عن ذكر مسألة التقسيم الكلاسيكي للبربر والمعروف بثنائية "البتر" و"البرانس"، إذ حقيقة لا نملك نصوصا أو معطيات تاريخية سُجّلت قبل القرن السادس الميلادي تشير إلى التقسيم السكاني لمجموعات "البربر" حسب القسمين المذكورين سابقا. وفي المقابل ورد هذا التصنيف البشري في المصادر الإسلامية الأولى، حيث ذكرت تسميات "البتر" و"البرانس" بداية مع ابن الحكم في فتوحه، ونجد الفكرة قد تبلورت أكثر في كتاب العبر لابن خلدون الذي أعطى لهذا التقسيم الاجتماعي بُعدا سلاليّا، فالبرانس اشتق اسمهم من جدهم الأكبر برنس، أمّا البتر فيرجع أصلهم إلى مادغيس ابن الأبتر، كما

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، 548/2. ابن حزم، 495/1.

[2] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», op. cit., pp. 38.

[3] تبقى مؤسسة القبيلة ومدلولاتها محل دراسة حتى الآن نظرا لتعدد محددات بنيتها وتنوع أبعادها الجينيالوجية. راجع في الموضوع: جاك بيرك، في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا، مقال ضمن كتاب: الأنتربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1408هـ/1988م، ص ص 114-125.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

ساد تفسير آخر يرتبط بأنماط المعيشة، أين تميز فرع البرانس بحياة الاستقرار والتحضر، على النقيض منه طبعت البداوة والترحال حياة البتر، والدليل حسب ابن خلدون أنّ "البربر هم سكان المغرب القديم ملؤوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس. ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج. وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة". هذا، وقد تبع ذلك تفسير آخر أساسه البعد الثقافي، فقد اعتبر بعض الباحثين أنّ احتكاك البرانس بالوافدين الأجانب جعلهم عرضة للتأثير الخارجي، وبالتالي التمرس في الحياة الحضرية[1].

أمّا بالنسبة للانتماء الإثني "للبربر" فيتبنى صاحب العبر رواية ابن حزم الأندلسي وقد وصفه بالثقة، حيث يذكر أنّ "البرانس هم من نسل مازيغ[2] بن كنعان، والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلا أنّ رواية ابن حزم أصح لأنّه أوثق". ومما يستشف من هذه الرواية أن الأصل الإثني "للبربر" يعود إلى الأصول الكنعانية ببلاد الشام أي الشرق الأدنى القديم. ولئن استعرض ابن خلدون شهادات مختلفة حول أصول المجموعات البشرية المغاربية التي تنحدر من العرب إمّا من بلاد اليمن أو بلاد الشام قبل الفترة الإسلامية، ويحاول نقد هذا الانتماء الإثني من خلال تشكيكه في روايات النسّابة وتقديمه لجملة من الأدلة والشواهد التاريخية التي تفند ذلك، بيد أنّه في نهاية المطاف ينساق خلف روايات النسب العربي بميله إلى إظهار

[1] أنظر الدراسات التالية: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص/58 وما بعدها. رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر دراسة اجتماعية، ط1، دار توكل للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 1436هـ/2015م.

Bulliet Yves Modéran, Botr et Branès: sur les origines du dualisme berbère médiéval, Op. Cit, pp.,53-65. Richard W., Desaive Jean-Paul. Botr et Beranès, hypothèses sur l'histoire des Berbères, Annales. Economies sociétés, civilisations. 36e, N. 1, (1981), pp., 104-116

[2] يشير الباحث محمد مواق إلى الأصول القديمة لإثنونيم "أمازيغ" الذي ورد عند المؤلفين اليونانيين واللاتينيين في قوالب متعددة وصيغ متباينة ليطلق على مجموع السكان والكنفدراليات القبلية الأصلية في شمال إفريقيا، وتختلف صيغ هذا المصطلح إلى حد ما تبعا لاختلاف النصوص الإخبارية والسياقات التاريخية التي دوّن فيها، لكنه غالبًا ما يكون قريبًا في بنائه من جذر "مازيغ" الذي يتممن خلاله تحديد الهوية الإسمية لمجموعة اثنية معينة، ولعل من بين أبرز هذه الصيغ التركيبية التي ورد فيها هذا الإثنونيم نذكر ما يلي: "Mazax- Mazikes- Mazices-Mazaces -Maxyes..."."إنّ هذه المصطلحات لا تشير إلى موقع جغرافي معين استوطنه السكان المغاربة، ولكن على ما تظهرهلوائح القبائل الأفريقية الموثقة في العصور القديمة حسب دراسة جيهان ديسانج، أن مايكيس تم العثور عليها منتشرة في جميع أنحاء شمال أفريقيا: في موريتانيا الطنجية وفي موريتانيا القيصرية وفي بعض المواقع بفرنسا. وعلى ما يبدو أن انتشار كلمة "مازيس" "Mazices" خلال الفترة القديمة انطلاقا من معطيات النصوص اليونانية واللاتينية كان بنفس مستوى انتشار إثنونيمات "مور" (Maures) – "جيتول" (Gaetulii) – "أفري" (Afri). أنظر:

Mohamed Meouak, Op. Cit, p. 66. Jehan Desanges, Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil, Op. Cit, p.,113.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

الأصل المشرقي لمركب "البربر" حسب الثقافة المتداولة في تلك المرحلة[1]. وهكذا، فبدلا من الأصول العربية لبعض المجموعات "البربرية" كصنهاجة وكتامة، يثبت ابن خلدون الأصول المشرقية "للبربر" الكنعانيين[2].

إجمالا، فإنّ أغلب المصادر التاريخية المغربية كُتِبت تحت مراقبة سلطتين سياسيتين، إمّا سلطة دولٍ "بربريةٍ" في انتمائها الإثنو-إجتماعي كالدولة الرستمية أو المرابطية أو الموحدية ثم الإمارات الموروثة عنها (الحفصية والمرينية والزيانية)، أو من ناحية أخرى. سلطة دول "عربية" تأسست في عهد الدويلات المستقلة كإمارة الأغالبة، وبالتالي فشرعنة حكم هذه الدول وسلطتها وأئمتها أو أمراءها في بلاد المغرب الإسلامي، لا تكون إلا من خلال تثوير أقلام محلية تضفي صبغة شرعية تنعكس على الجانب الإثني والديني والسياسي لهياكل دولهم وولاة أمورهم، وذلك عن طريق بناء نصوص في حقل الأنساب تتواءم مع الأصل الشرقي لهم، أو إنتاج نصوص لمعرفة دينية مذهبية في شكل مأثورات وأحاديث تبجلهم على غيرهم، وتدعم أحقيتهم في تولي شؤون المسلمين، وتفاضلهم في أنسابهم على من دونهم في الإمامة والخلافة، وتبرز أدوارهم في إحياء الدين الإسلامي وحفظه والدفاع عنه في كل مرحلة من المراحل الزمنية التي تتوارى فيها عظمته، وكان الفقهاء المالكية على سبيل المثال حسب نصوص التراجم والطبقات ينفرون من النسب "البربري" ويمجدون النسب العربي والعجمي، ذلك لأنهم كانوا يمثلون السلطة العربية خلال فترة حكم الأغالبة، والتزامن بين الأغالبة والرستميين أوجد هذا الوضع، فهذا يرفع من شأن العرب والآخر من شأن البربر، مما أفضى إلى تنافس سياسي مذهبي تحت غطاء إثني، وخلافا لمنهج التأليف السائد في العهد الأغلبي، يبقى المؤرخون الإباضيون أول من ابتدع أسلوبا جديدا أعطى صورة عن التصنيف الإثني للمغاربة، حيث عمدوا إلى مدح "البربر" وأنسابهم في القسم الخاص بفضائل "البربر" إلى جانب الافتخار بمحاسنهم في الإسلام وذكر علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته والتابعين من زمرته، في محاولة لربط مذهبهم بالشرعية الدينية في أبعادها السياسية التي تحتاج إليها كياناتهم، وقد أقرتها-حسبهم- المتون الحديثية للرسول صلى الله عليه وسلم والنصوص المأثورة عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، وفي نفس الإطار تطورت الكتابة التاريخية عندما سلك نفس المنهج ابن عبد الحليم في مصنفه "أنساب البربر"، ونحا منحاه صاحب "مفاخر البربر" فضلا عن اكتمال ملامح التصنيف السكاني للمغاربة في "كتاب العبر" لابن خلدون الذي يعد

[1] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit, pp.67.

[2] ينقل ابن خلدون رواية ابن الكلبي في قوله: "إنّ كتامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركهما أفريقش بن صيفي بإفريقية مع من نزل بها من الحامية. هذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم". أنظر: كتاب العبر، 117/6.

عمله الجامع أول عمل أثرى موضوع الأصول الإثنية "للبربر" من خلال جمعه لروايات المتقدمين والمتأخرين ونقدهم وتمحيص المعطيات الواردة حول موضوع الأصل الإثني والإثنونيمي لسكان المغرب الإسلامي.

3- التصنيف السكاني في الدراسات الحديثة:

لقد أكدّت المصادر التاريخية القديمة[1] والدراسات البيزنطية[2] على تواجد مجموعات بشرية باسم المور خلال الفترة الوندالية والبيزنطية، كما تبرهن الأدّلة التاريخية على استمرارية الإمارات المورية[3] المستقلة عن سلطة قرطاج وسبيطلة خلال العهد البيزنطي، ثم مع بداية الفترة العصر الإسلامي تلغي النصوص العربية الإسلامية لفظ المور نهائيا من مظانها في اختفاء مفاجئ وانقطاع إثنونيمي غامض وغير مبرر[4]. إنّ بداية حركة تعريب الطبونيمات والإثنونيمات والأنثروبونيمات في المصادر الإخبارية والجغرافية الوصفية على امتداد الفترة الإسلامية الأولى أدّى إلى تغيرات إثنونيمية طرأت على منظومة الأسماء السكانية والجماعات البشرية في بلاد المغرب[5]، ففي خضم قراءة النصوص الاخبارية والوصفية المغربية المتعلقة بمختلف مراحل الدراسة، تتكشف لنا حقيقة عدم دقة منهج الاخباريين والجغرافيين في نقل أسماء الجماعات البشرية التي كانت في الفترة القديمة على نحو يختلف وأظهرت مدى ترفعهم عن ضبط منظومة المصطلحات الإيثنونيمية، فاصطلحوا على السكان المغاربة إيثنونيم "البربر".

قدّم جورج مارسي[6] تعريفا للفظ "البربر" يشير به إلى الجماعات السكانية المحلية التي استوطنت بلاد المغرب، وسكنت على تجاور إثني مع الجاليات اللاتينية والبيزنطية منذ الفترات القديمة، وحسب نصوص الفتح

---

[1] Procope, Op. Cit., pp., 322-323-324..

[2] أنظر الدراسات التالية: يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب ص/217 فما بعدها. مقاومة المور خلال القرن 6م دراسة نموذجية لأمرين نومديين، ص ص/61-62-63. وبالنسبة الدراسات الأجنبية راجع ما يلي:

Charles diehl, L'Afrique byzantine histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), paris,1896, pp. 11-23-41. Jean-Pierre Laporte, «les Vandales, l'Afrique et les Maures, La Méditerranée et le monde mérovingien: témoins archéologiques BAP. Supplément 3, 2005, pp., 275-276. Khaled Belkhodja,«L'Afrique byzantine à la fin du VIe et au début du VIIe siècle», Revue de l'Occident musulman et de laMéditerranée, n°8, 1970. unica. pp., 57-58

[3] أنظر: الملحق رقم (1).

[4] من المفيد الإشارة إلى عملية المسح التي قمنا بها في المصادر الإسلامية الوسيطة بداية من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي إلى نهاية العهد الموحدي بهدف الكشف عن حضور مصطلح "المور" في النصوص الإخبارية والوصفية وأدب الأنساب والخطاب الفقهي، ولا مانع من القول أنّ هذا الإثنونيم مغيب تماما فلقد انقطع استعماله وتوظيفه في المظان المصدرية المشرقية والمغربية على السواء، ولعل ما يشهد لذلك ويكشف ما ينطوي عليه من انقطاع إثنونيمي للفظ "المور" هو اختفاءه في مصادر الفتوح التي أرخت للحملات الأموية على بلاد المغرب والمرحلة الانتقالية لساكنة المنطقة من الفترة البيزنطية القديمة إلى فترة العصر الوسيط.

[5] علاوة عمارة، موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام في بلاد المغرب، ص/16.

6 Georges Marçais,La berbèrie au IX e Siècle D'après el- Ya'qoubi, Revue Africaine, 85(1941), pp.,43-45.

الإسلامي فقد صنفوا تحت تسمية "البربر" أمّا الجاليات الأخرى حملت تسمية "الروم" و"الأفارق"، ثم تفرعت عن إثنونيم "البربر" أسماء الكنفدراليات والقبائل المحلية تنتسب كلها لهذا المركب الإثني، ولا أدّل على ذلك من القائمة المهمة التي زودنا بها ابن حوقل النصيبي[1] حول أسماء العصبيات القبلية والتجمعات البشرية "البربرية" في بلاد المغرب الإسلامي[2].

أما غابريال كامبس[3] فقد حاول تحديد مدلول مصطلح "البربر" من خلال استبعاده للفرضيات القائلة بانتشار اسم "البربر" في الفترة الرومانية على حساب اسم "المور–الأفري– النوميد والجيتول..."، فهذه التسميات ترتكز على المواقع الجغرافية للجماعات البشرية التي اشتقت أسماءها منها وهي أسماء الممالك الإفريقية، ثم اتخذت فيما بعد أسماءً للمقاطعات الرومانية، والدّليل على ذلك استمرارية الممالك المورية إلى غاية العهد البيزنطي في شكل كيانات مستقلة[4]، وعلى الرغم من اتساع دائرة لقب "البربر" في فترة العصر الوسيط حيث أطلق على المكونات الإثنية تركيبة المجتمع في بلاد المغرب الإسلامي، إلا أنّ كامبس يُحمِّلُ المصادر الإسلامية عملية تصنيف سكان المغرب تحت لقب "البربر" تأسيسا على تصورات مختلفة اختلافا كليا عن تصورات المصادر اللاتينية القديمة، ويبرر ذلك بتأخر الحقول المصدرية العربية بحوالي قرنين من الزمن عن أحداث الفتح الإسلامي[5]، ويضيف تأثير أدب الأنساب في بلاد المشرق والمغرب على السواء، وبالتحديد كتابات ابن خلدون في القرن الثامن الهجري/14م التي تعد حجر الأساس في هذا التصنيف وفي تكوين سلاسل من الأنساب تنتهي إلى الجد المشترك، وتزعم من خلاله بعض المجموعات انحدارها من جد واحد تتسمى باسمه مثل زناتة المنحدرة من مادغيس الأبتر وصنهاجة من برنس وهما لأب برنس[6].

وحسب الفرنسي توكسيي[7] فإنّ إثنونيم "البربر" مشتق من كلمة "البربار"(Les barbares) التي أطلقها الرومان على الجماعات البدوية المتمركزة بالمجالات الشرقية والجنوبية على تخوم خط الليمس، وقد عرفوا بحروبهم

[1] صورة الأرض، ص/101 وما بعدها.

[2] أنظر الملحق رقم (2).

[3] البربر ذاكرة وهوية، ص/125 وما بعدها. ترجم الدراسة إلى اللغة العربية عبد الرحيم حزل، وعنوانها كاملا باللغة الفرنسية:
Gabriel Camps, Les berbères Mémoire et identité, Paris, éd, Errance, 3e éd, 1995.

[4] أنظر الملحق رقم (1).

[5] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/224. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197. البلاذري، المصدر السابق، ص/222.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6.

[7] Henri touxier, «Note sur les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranès, Botr, Mazigh, et Frank», Revue Africaine, 23. 1879, pp. 472-473.

وصراعهم مع الجيوش الرومانية وسيطرتهم على شبكات المسالك الصحراوية وطرق القوافل التجارية بما تمثله من مورد استراتيجي هام للإمبراطورية الرومانية، وينحصر مصطلح "البربار" في معناه الإثنونيمي اليوناني واللاتيني، ليقصد به جماعات الجيتول إلى جانب كنفدراليات لواتة وهوارة الموزعة على القسم الشرقي لبلاد المغرب خلال العهد الروماني، أو تستخدم بربار الشرق للدلالة على العرب غير المتحضرين[1]. ثم مع العمليات العسكرية الأموية وفتح بلاد المغرب، وجد المسلمون الفاتحون هذا الاسم البشري "بربار" الوارد في النصوص اليونانية واللاتينية فاشتقوا منه كلمة "بربر" لتستعمل لفظا على عموم المغاربة، وتتسع دائرة استعمالاتها في مختلف المظان الإسلامية، لاسيما في مصادر الفتوح حيث أعادوا إنتاج هذا اللفظ وقاموا بتطبيقه بشكل عشوائي على جميع المغاربة[2].

إذن، إنّ ما يجمع التكوينات البشرية المغاربية هو انتمائها الإثنونيمي لمصطلح "البربر" في هويتها الاسمية التي شكلت وعاء انصهرت فيه كل المجموعات السكانية لتصنف تحت إثنونيم "البربر"، وبعد أن وقفنا على الأصل اليوناني واللاتيني لجذور تسمية "البربر" حسب دراسة توكسيي ودراسة فلاترز[3]، يبقى من المفيد الإشارة إلى تباين منظومة الأسماء القبلية والبشرية في المنطقة على عهد المرحلة القديمة بين جماعات لقبت بالنوميد واللوبيين وأخرى سميت بالجيتول[4] والأفري[5]، تضاف إليها الجاليات الإثنية التي وردت في المصادر الإسلامية مثل الروم والأفارقة أو الأفارق[6]، إلى جانب أسماء العصبيات القبلية كلواتة[7] وهوارة وزناتة وكتامة وصنهاجة ونفزواة وغيرها من المجموعات السكانية البدوية والمستقرة[8].

ومن أحدث الأبحاث التي تناولت موضوع التصنيف السكاني للجماعات البشرية ببلاد المغرب الإسلامي الدراسة التي أنجزها الباحث علاوة عمارة[9] من خلال عملية رصد شامل للنصوص العربية من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى غاية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وتحليل خطابها بدءً بروايات

[1] Ibid., p. 473.

[2] الطاهر طويل، الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، 342/1.

[3] Paul François Xavier Flatters, «L'Afrique septentrionale ancienne», Revue Africaine, 21. 1877, pp. 157-159.

[4] محمد العربي عقون، المجتمع والاقتصاد في الشمال الإفريقي القديم، ص/158 وما بعدها.

[5] Mohamed Meouak, Op. Cit., pp. 65-66-67.

[6] اليعقوبي المصدر السابق، ص/190. أنظر أيضا:

Amara Allaoua, «Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siècle VIII- XIV)», Op. Cit., p.,187.

[7] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), op. cit, pp., 38-37.

[8] Ahmed Mcharek, Op. Cit., 2015. pp., 445-477.

[9] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit., p.56.

الفتوح ومعطيات النصوص الإخبارية وكتب الأنساب ثم مدونات السير والتراجم والطبقات والنصوص الوصفية الجغرافية، وذلك بهدف حصر المعايير وتحديد الأسس التصنيفية التي صنفت بها مكونات النسيج الاجتماعي في بلاد المغرب ضمن مجموعة إثنية واحدة سميت بـ "البربر"[1].

يؤكد الباحث علاوة عمارة أنّه وبعد قرنين من الوجود الإسلامي في بلاد المغرب تم تصنيف جميع السكان المحليين زمن الفتح الأموي للمنطقة ضمن فئة واحدة سميت بـ "البربر". وللقيام بذلك، لجأ الإخباريون الأوائل إلى الأساطير القديمة والأساليب التقليدية لبناء المعرفة التاريخية والسلالاتية في حقل الأنساب العربي، وقد أصبح هذا المنهج مستعملا بكثرة وأكثر عمقا في المعرفة التاريخية المغربية بسبب الرهانات السياسية التي أعقبت استيلاء السلالات الأصلية على السلطة في المنطقة من خلال التقعيد للتصنيف السكاني للمغاربة ودمجهم في عنصر بشري واحد أخذ لقب "البربر"، ولذلك يبدو أنّ الانتماء إلى "البربرية" كان لغويًا وثقافيًا[2].

ومن المؤكد أنّ آثار الحضور الإثنونيمي في بلاد الزاب لأسماء جماعات إثنية قديمة وارد في المظان المصدرية مثل (البتر/بتريس)-(Al-butr/Butrus)، و(مازيكا/مازيغ)-(Mazyca/Māzig)، بالإضافة إلى (باربارِيوس/البربر)- (Barbarius/Al-barbar) و(ماجسن/ماكسن)- (Magsen/Māksan)، لكن الملاحظ أنّ لفظ (مور)-(Maurus) الواسع الانتشار في الفترة البيزنطية القديمة لم يتم توظيفه ولا الاستشهاد به في النصوص المصدرية خلال فترة العصر الوسيط الإسلامي[3]، وهو ما أفضى إلى تبني التصنيف المتداول الذي جمع كل الجماعات السكانية المستوطنة لبلاد المغرب قبل الفتوحات الإسلامية تحت مسمى "البربر" المعروف في الأدبيات اللاتينية إلى غاية القرن الثالث الميلادي باسم(Barbarius)، والتخلي التدريجي عن مصطلح المور (Maurus)، وأيضا الأفارقة والروم لفائدة كلمة جديدة هي "المولدون" تسمت بها هذه الجماعات، تمهيدا لإدماج الجميع في نفس المكون البشري الذي حمل لقب "البربر" لاسيما بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[4].

[1] Ibid., p. 55-56.
[2] Op. Cit., p. 70.
[3] Amara Allaoua, «Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siècle VIII- XIV)»,Vivre, circuler et échanger sur la bordure septentrionale du Sahara Antiquité-époque moderne (éd, S. Guédon), Ausonius éditions Scripta Receptoria 18, Bordeaux, 2020, p.187.
[4] علاوة عمارة، التحولات المجالية والطوبونيمية لبلاد الزاب، ص/ص14.

ومن خلال تركيزها على دراسة الباحث رمزي رويغي الصادرة في سنة 2011م المختص في مجال تاريخ السكان والإثنونيميا ببلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط[1]، درجت سولينا شيني[2] في بحثها على تقسيم مكونات المجتمع المغربي بعد تمام عمليات الفتح إلى ثلاث عناصر رئيسية هي البربر والروم والأفارقة، إذ اصطلحت نصوص الفتوح والروايات الإخبارية هذه التسميات الإثنية على سكان بلاد المغرب الإسلامي في قسمه الشرقي، لكن إذا كان مدلول إثنونيم الروم ينطبق على الجماعات البيزنطية المستوطنة في المنطقة منذ الفترة القديمة، وأيضا يتبعه المعنى الضيق للفظ الأفارقة الذي يقتصر على الجاليات اللاتينية، فإنّ إثنونيم "البربر" اتسعت دائرة مدلوله لتتسمى به كل العناصر الاجتماعية المحلية التي توزعت على مجالاته، ويدّل بذلك على الكنفدراليات والإتحادات القبلية والسكان الأصليين المستقرين في المجالات الريفية والحضرية[3].

كما توصلت الباحثة سولينا شيني إلى ثلاث معايير رئيسية اعتمدتها المصادر الإسلامية المتقدمة في تصنيف عناصر التركيب البشري تحت مسمى "البربر" إلى جانب الجاليات اللاتينو-بيزنطية، وأول هذه المعايير هو المعيار اللغوي الذي ينبني على الخطاب المنطوق والمحدد الفيلولوجي كأساس لتمييز المغاربة عن باقي العناصر السكانية من الجاليات البيزنطية واللاتينية، لذلك سمح استخدام لغة "بربرية" مشتركة بين الإثنيات المغاربية ولهجات محلية اختصت بها ساكنة المغرب عشية الفتح الإسلامي على تصنيفهم ضمن مجموعة بشرية اصطلح عليها اسم "البربر"[4]، ولما كانت اللهجات "البربرية" من مقومات الهوية السكانية في بلاد المغرب منذ الفترات القديمة، فإنّها قد لازمت مجتمعاته التي حافظت على منظومة لهجاتها ولو جزئيا من مرحلة الفتوح ووصولا إلى نهاية العصر الوسيط رغم حركة التعريب التي مسّت العديد من الأسماء الجغرافية وقوائم الإثنونيمات القبلية والأسماء الأنثروبونيمية الخاصة بالأعلام البشرية.

تُصنِّف الخصائص الأنثروبولوجية وفقا لدراسة سولينا شيني سكان بلاد المغرب الإسلامي إلى مجموعات بشرية متباينة، حيث قررت الباحثة بما أتيح لها من معطيات مصدرية معيار اللباس كمحدد تصنيفي ثاني، إذ تعتبر أنماط اللباس إحدى السمات السائدة زمن الفتوح والتي يمكن النظر إليها كآليات دقيقة لتحديد صورة العنصر البشري المحلي المعروف في الأدبيات الإسلامية بلفظ "البربر"، بالإضافة إلى جاليات الروم البيزنطيين وورثة

[1] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs»,Op. Cit.,pp. 67-101.
[2] Soléna Chény, «Les berbères chez les arabes, étude sur la définition, d'une catégorie ethnique», umr 8167, université de phanthéon- sorbonne, paris, lacnad, inaclo, paris, (2013), p. 241.
[3] Soléna Chény Op. Cit., pp. 245, 251.
[4] Ibid., pp. 248-249.

الحضارة البونيقو–رومانية الممثلين في الأفارقة[1]، فقد كان على سبيل المثال لباس المغاربة "وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء من الأكسية المعلمة ويفرغون عليه البرانس الكحل"[2]، وذلك في معرض حديث ابن خلدون عن ثنائية البتر والبرانس[3].

وعليه، لكي نفهم صورة التركيبة البشرية ومكوناتها عناصرها الاجتماعية وكيف تمت عملية تصنيفهم تحت هذه الأسماء العرقية في ظل الصعوبات المصدرية والمنهجية، تحيلنا الباحثة سولينا شيني[4] إلى تتبع المعيار اللغوي الذي تضمنته نصوص الفتح ذات الصلة برواية أفريقش بن صيفي وتسمية للمغاربة بإثنونيم "البربر" بناء على لغتهم، ضف إلى ذلك معيار اللباس والبنية الجسدية كأسس تصنيفية أشارت إليها المعرفة التاريخية الوسيطة لتحدد لنا الجماعات السكانية بلاد المغرب الإسلامي(البربر–الروم–الأفارقة) بتمايزها واختلافها الإثني.

ولا يمكن تحديد أصل مصطلح "البربر" ولا تفسير مدلولاته دون الرجوع إلى معطيات المصادر القديمة التي تزود الباحث بأسماء المجموعات السكانية قبل مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فقد انتشرت منظومة أسماء إثنية في النصوص القديمة والمصادر الإيبيغرافية والنقائش الأثرية، تدل على جميع الأصناف البشرية مثل الأفري والجيتول والنوميد والبوار والبقواط...[5]، كما برهنت الدّراسات التي تقدّم بها الباحث أحمد مشارك في السنوات الأخيرة على الاستمرارية الإثنية والإثنونيمية لمجموعات بشرية وكنفدراليات قبلية محلية استوطنت بلاد المغرب القديم واستمرت بحضورها البشري وهويتها الإسمية في فترة العصر الوسيط، من ذلك يذكر أحمد مشارك مجموعة زناتة (Les dianenses ou zanenses/zanāta) وهوارة (Les Avares/ Les Hawwāra)[6] ونفزاوة

[1] Ibid., p. 55-56.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، 116/6.

[3] Voir, Yves Modéran, «Botr et Branès: sur les origines du dualisme berbère médiéval», pp.,53-65. Bulliet Richard W., Desaive Jean-Paul, Op. Cit., pp. 104-116

[4] Soléna Chény, Op. Cit., p.251.

[5] Procope, Op, Cit., p. 388. Voir aussi l'étude du:Jehan Desanges, Catalogues des tribus afriqaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil, Dakar, 1962, pp. 35-36. زهير بخوش، المرجع السابق، ص ص/36.

[6] يشير أحمد مشارك إلى استمرارية استيطان الإثنيات البشرية (زناتة وهوارة) بمنطقة السهوب والجبال بإفريقية المغرب الأوسط وتواصلها إثنونيميا بسبب التشابه في نمط العيش (شبه الرحل/المستقرون) ونتيجة التحالف بينهما من فترة إلى أخرى، ويقول في ذلك:

" en ce qui concerne la continuité du peuplement, le principal résultat de notre enquête est assurément la découverte de cette principauté tribale dirigée par les Avares(Haouara) et les Dianensesou Zanenses(Zanata), soit deux confédérations associées dans un même territoire (de montagnes et de steppes) et alliées de manière durable en raison de leur mode de vie (à la fois semi-nomade et sédentaire) et du caractère hautement stratégique de leur situation géographique (aux confins du désert et du limesromain, de l'Ifrîqiya et du Maghreb central). et c'est ainsi que je propose de mieux comprendre la valeur de atquedans l'expression de Victor de Ahmed M'charek, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du ".Abaritana atque Getulia provincia:Vita

(Les Macreneses ou Magarenses/Maghrāwa) ومغراوة ou Nefzu/ Nefza Nefzāwa (les Nefzi)، وكتامة (Ucutamini/Les Kutāma)[1] ولواتة (Levathai/Laguatan/Lawāta)...[2]، وصنهاجة (Usinazenses /Banu Sinag / Sanhadja)[3]

كما استعان الأستاذ أحمد مشارك بالمصادر القديمة ومصادر الفترة الإسلامية، ليبرهن على الانتقال الإثني والإثنونيمي من العصور القديمة إلى العصر الوسيط لجماعات سكنت بلاد المغرب كالجماعات المذكورة أعلاه، وقد تطابقت تسميات هذه الهياكل البشرية في الفترة البيزنطية مع أسماء التشكيلات السكانية خلال فترة العصر الوسيط، لكن طالتها بعض التحولات الجزئية نتيجة التحريف الذي تخللها في المصادر العربية بسبب خضوعها لعملية التعريب التي انطوت عليها منظومة الأسماء الإثنية والأنثربونومية والمواقع الجغرافية بإرثها المحلي واللاتيني.

في حين أثار تحول إيثنونيمات قديمة مثل النوميد والمور إلى لفظ "البربر" الذي فرض نفسه سريعا على مؤلفي النصوص العربية خلال فترة العصر الوسيط الأول للإشارة إلى المجموعات السكانية المحلية ولا يزال مستعملا طيلة الفترة محل الدراسة وإلى غاية الزمن الراهن[4]، وهو في الأصل ليس سوى صورة جديدة لهوية إسمية قديمة استمدت من التراث اليوناني خلال العصر القديم، فقد اشتقت الكلمة من لفظ (Barbarius) الذي استخدم في المصادر اليونانية للدلالة على مواقع جغرافية متعددة مثل منطقة بربرة على ساحل البحر الأحمر بالإضافة إلى

peuplement au Maghreb, de l'antiquité à nos jours : le cas des avares (haouara) et dianenses ou zanenses (zanāta)», Op, Cit, p. 470.

[1] Ahmed M'charek, Op, Cit, pp. 445-477

[2] Ipid, p. 152.

[3] Ahmed M'charek, «De Tacite à Ibn Khaldoun : à la recherche de deux tribus berbères : Masofi (Masufa) et Usinazenses (Banu Sinag / Sanhadja) », dans VIIe colloque de Sbeitla sur les steppes, 2010, Tunis, p. 247.

[4] أثارت مسألة توظيف إثنونيم "البربر" في مصادر المعرفة التاريخية المشرقية والتخلي عن لفظ المور نهائيا، وبالأخص في الفترة الوسيطة المبكرة استنكارا واستغرابا من طرف الباحث إيف موديران الذي صرح في دراسته الموسومة بـ" المور وإفريقيا الرومانية (ق 4/7م)"، بما يلي:

La traduction de « Maures » par « Berbères » s'est imposée immédiatement aux premiers historiens de " l'Afrique tardive sans qu'ils éprouvent le besoin de la justifier, et elle s'est conservée jusqu'à nos jours. En fait, comme nous le verrons, si au VI^e siècle le Maure est certainement toujours un autochtone africain que les Romains jugent « non romanisé », il peut posséder une complexité culturelle qui l'éloigne beaucoup du « pur Berbère » cher aux savants du XIX^e siècle. Par respect des sources, et pour éviter tout anachronisme et toutes les ambiguïtés idéologiques du mot « Berbères », nous parlerons donc surtout ici de « Maures ». Mais, comme on le verra, des raisons stylistiques évidentes font que nous n'avons pu éviter « Berbères » dans certaines phrases. Sur les différents sens anciens du mot *Maures* et l'origine de son emploi pour désigner les Africains . Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIesiècle), Op, Cit, p. 13. "jugés non romanisés .69Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op, Cit, p.

الشعوب المتبربرة الذين لا يتحدثون باللغة الإغريقية خاصة الفرس[1]، وفي المصادر اللاتينية الرومانية عبّرت لفظة "البربر" و"البرابرة" عن مختلف المجموعات السكانية التي تعيش خارج الوعاء الحضاري الروماني، وأطلقت كذلك على الوندال والجرمان –البرابرة– الذين غزوا الإمبراطورية الرومانية وأسقطوا عاصمتها وأخضعوا أقاليمها[2]، بينما اكتسب المور صفة "البرابر" ببلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي في نص بيزنطي أشار فيه بروكوبيوس إلى كنفدرالية قبائل لواتة البدوية مصرحا " المور البربريون أولئك الذين يُدعون ليفاثاي Les Maures barbares, ceux que (l'on appelle Levathai)"[3].

وأسهم الباحث رمزي رويغي بدراساته العميقة[4] في تتبع أصول إثنونيم "البربر" في المصادر العربية الوسيطة، وسلك منهجا مختلفا عن الدّراسات السابقة له عدا دراسة الباحث هاري نوريس[5] الذي استقرأ مصادر الأدب العربي ليكشف مستوى حضور مصطلح "البربر" ودلالاته في التراث الأدبي العربي، وهذا ما يماثل أبحاث رمزي رويغي في نظرته لجذور المصطلح من خلال التعامل مع المصادر الأساسية للأدب الجاهلي، خصوصا القصائد الشعرية المنظومة خلال الفترة ما قبل الإسلامية[6]، وهذا لا يعني التحول عن التنقيب في المصادر التاريخية وكتب الأنساب والنصوص الوصفية والجغرافية العربية، بل كانت القائمة الببليوغرافية في دراساته طويلة بين نصوص إخبارية وفقهية ونَسَبِيَةٌ ووصفية وشعرية.

[1] هيرودوت، المصدر السابق، ص/29.

[2] David Prescott Barrow,. «Berbers and Blacks: Impressions of Morocco, Timbuktu, and the Western Sudan», New York and London: The Century Co., 1927, pp., 20-21-22.

[3] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit., pp. 37-38.

[4] أنجز الباحث رمزي رويغي العديد من الدّراسات التاريخية في موضوع "إثنونيم البربر" وأصول السكان المغاربة في بلاد الغرب الإسلامي خلال فترة العصر الوسيط، ويعتبر الباحث المنتمي إلى جامعة كاليفورنيا الجنوبية بالولايات المتحدة الأمريكية من بين أبرز المهتمين بتاريخ السكان والإثنونيميا المغاربية، حيث تركزت أغلب أبحاثه على تاريخ مصطلح "البربر" وجذوره في المصادر الإسلامية، فأصدر بحثا في سنة 2011م بعنوان: " The Berbers of the Arabs"، ثم نشر في مجلة ستوريكا عام 2017م بحثا موسوما بـ: "Berberization and Its Modern Artifacts "، ونشر مقالا في 2019م بعنوان:"The Mediterranean between Barbaria and the Maghrib: Questions for a Return to History"، وصدر له في نفس السنة عن مطبعة بنسلفانيا كتاب جاء في 268 صفحة وموسوما بـ:"Inventing the Berbers"، وفي سنة 2021م صدرت له عن كازا دو ليفازكاز (La Casa de Velázquez) دراسة جديدة ضمن كتاب:"Les Berbères entre Maghreb et Mashreq" معنونة بـ:" La berbérisation et ses masques : le peuple berbère en question (VIIe-Xe siècle)".

[5] Harry Norris,The Berbers in Arabic Literature, London: Longman; Beirut, Librairie du Liban, (1982).

[6] Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., pp.15-16. Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.71.

وهكذا، فقد عمّق الباحث رويغي النظر في شواهد الخطاب التاريخي والأدبي والجغرافي بوصفها حقولا معرفية استخدم فيها إثنونيم "البربر". وقد التفت الباحث إلى مصنف أيبيري على غاية من الأهمية معنون بـــ:"Crónica mozárabede"[1]، وهو المصدر اللاتيني الوحيد الذي دوّن في سنة 754م أي خلال القرن الثامن الميلادي، والذي يُعدّ بمثابة سجل تاريخي يتضمن معطيات عن نهاية مرحلة مملكة القوط الغربيين، وبداية الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية وعصر الولاة التابعين لبلاد الغرب الإسلامي بعد التحاقها بدار الإسلام.

على الرغم من أنّ من هذا المصدر لا يشير إلى إثنونيم "البربر" نهائيا، وبالمقابل يخبرنا عن جماعات المور (الموري) مرة واحدة في وصفه لمعركة سبيطلة التي أنهت الحكم البيزنطي في بلاد المغرب، لذلك تبقى تسمية المغاربة غامضة إلى حد ما، ذلك أنه لا يسعفنا بمعطيات تحدد هويتهم الإثنية والإسمية، وقد أشار فقط إلى جماعة الأفارقة في معرض حديثه عن الجنود المغاربة وميزهم عن "طبقة النبلاء في إفريقيا" خلال العهد البيزنطي[2]، وهو ما لم تغفله النصوص الإخبارية العربية عندما ذكرت مركبا بشريا مغاربية يطلق عليه اسم "الأفارقة/الأفارق"[3]، وكما يشير صاحب كتاب "Crónica mozárabede": لقد "تم تدمير الأفارقة القدامى إلى درجة الانقراض"، أمّا بقايا هذا المركب فقد اندمجوا في النظام الإسلامي ببلاد المغرب وأصبحوا يشكلون مجموعة اجتماعية مميزة[4].

ولم تكن الفكرة التي تم ترسيخها في المظان المصدرية في كون "البربر" هم السكان الأصليون بالمنطقة، إنتاجا إثنونيميا سريعا تميزت به مرحلة الفتح الأموي لمجالات المغرب، بل إنّ عملية "البربرة" كانت تدريجية وتبلورت على مستويات زمنية معينة وبنسق بطيء خصوصا قبل نهاية العهد الموحدي، ويعتبر رمزي رويغي أن استخدام المؤرخين والأثريين وعلماء الأنثروبولوجيا المعاصرين لمفاهيم إثنولوجية مثل "البربر" للإشارة إلى "السكان الأصليين"، مشاركين في عملية "البربرة" ذات الصلة بمصادر العصر الوسيط التي أرخت لسكان بلاد المغرب الإسلامي، ويوضح أنّ نجاح هذه العملية ولو جزئيا، يرجع بالدرجة الأولى إلى استمرار المؤرخين في تخيل أنّ العرب الفاتحين قد أخضعوا جماعات بشرية مغاربية تتسمى بتسمية "البربر"[5].

[1] Voir :Fernando Gonzalez Munoz, «Un perfil para el autor de la Crónica Mozárabe de 754», Collectanea Christiana Orientalia 15 (2018), pp. 31-48.

[2] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.,77.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[4] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.77.

[5] Ramzi Rouighi, «Berberization and Its Modern Artifacts», », Op. Cit., p.,26.Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.101.

وقد لاحظ رمزي رويغي أنّ مصطلح "البربر" لم يستخدم لأول مرة للدّلالة على سكان بلاد المغرب الإسلامي، وتصنيف المغاربة إسميا تحت هذا اللفظ لتعرف به هويتهم لا ينطوي على أسس صحيحة، فالمصادر اللاتينية واليونانية[1] استعملت هذا اللفظ بصيغة التأنيث قبل أن يفتح المسلمون بلاد المغرب، ليطلق على مجال جغرافي يقع على ساحل البحر الأحمر بين الحبشة وبلاد الزنج يسمى "بلاد بربرة" أو "ساحل بربرة"[2]، وتبرهن نصوص الأدب العربي معرفة العرب لألفاظ "باربارية" و"بربرة" و"بربر" التي على ما يبدو اشتق منها إثنونيم "البربر" قبل الفترة الإسلامية، ويؤيد ذلك إشارة إمرؤ القيس في أبيات قصيدة شعرية إلى "البربر" وخيولهم ويتدعم هذا الدّليل بقصيدة أخرى لعدي بن زيد أورد فيها إثنونيم البربر خلال العصر الجاهلي[3].

وعلى الرغم من أنّ إيف موديران ينفي استعمال إثنونيم "البرابرة" لتلقيب المور، ويشير إلى انفصام العلاقة بين لفظي المور و"البرابرة" في إفريقية وبلاد المغرب عموما أواخر العصر البيزنطي[4]، إلا أنّ الأستاذ علاوة عمارة[5] ينبه في ضوء القراءة الشاملة لأقدم روايات الفتوح إلى أنّ هذا الطرح يبقى محل تساؤل، لأنّ لواتة وزناتة على سبيل المثال، يعتبران من فئة "البربر" خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ولواتة خلال المرحلة القديمة كانت من ضمن أكبر الكنفدراليات القبيلة المورية، وقد أظهرت الأعمال الحديثة لأحمد مشارك[6] تواصل التركيبة الإثنية وأسماء بعض المجموعات المحلية منذ العصر الروماني إلى فترة العصر الوسيط، وبيد أنه بعد قرنين من الوجود الإسلامي في بلاد المغرب، تم جمع معظم المجموعات السكانية المستوطنة في المنطقة تحت مسمى "البربر".

لقد بينت معطيات كتاب حرب الوندال لبروكوبيوس وهو من المصادر البيزنطية المتأخرة على توظيفه مصطلح المور بصفة دورية في نصوص كتابه، وبالمقابل نلاحظ الغياب الإثنونيمي للألفاظ التالية "البربر" أو "البرابر" أو "البرابرة" كمصطلحات تستعمل بمعناها الأعم والأشمل لتطلق على سكان بلاد المغرب خلال الفترة البيزنطية، وهو ما يفسّر عدم حضور لفظ "البربر" ومشتقاته في إطلاقه العام للدلالة على المجموعات البشرية في

[1] الخوارزمي، المصدر السابق، ص/54.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/21. الحموي، المصدر السابق، 369/1.

[3] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., pp.71-72.

[4] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit., p.13.

[5] Allaoua Amara, «L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)», Op. Cit., p.70.

[6] Ahmed Meharek, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb, de l'antiquité à nos jours : le cas des avares (haouara) et dianenses ou zanenses (zanāta)», Op. Cit., pp. 452.

المنطقة، بل ورد لفظ "باربار" ملحقا باسم مجموعة سكانية محددة ككنفدرالية لواتة [1](Levathai) كما أشرنا أعلاه أو مصرحا في موضع آخر بكلمتين متلازمتين هما "المور البرابرة"(Les Maures barbares) في معرض حديثه عن التحالف الموري مع القائد الوندالي جليميار ضد القوات البيزنطية[2].

وتبعا لذلك، فالتصنيف الإثنونيمي الذي تندمج فيه كل التنظيمات البشرية في مجموعة واحدة سميت "بالبربر" كما ورد بيانه سابقا هو وليد المرحلة الإسلامية المبكرة[3]، عندما أعطى التدوين العربي كلمة "البربر" أهمية قصوى من خلال اختراعهم لها وتسمية المغاربة بها[4]، وقد كان الإنتاج العربي أكثر بكثير من الأدب اللاتيني واليوناني خلال الفترة القديمة[5]، وقد بدأ بتدوين أحداث الفتح وأعقبه الإنتاج الأدبي والفقهي والتاريخي في العصر الوسيط الأول، ثم بلغ الأخير ذروته في نهاية القرن الثامن الهجري/القرن الرابع عشر الميلادي مع كتاب العبر لابن خلدون، فتم تصنيفهم وتسميتهم ثم تحديدهم لأول مرة بشريا على أنهم أمة وشعب وعرق وتشكلت بذلك ملامح هويتهم الاسمية[6] والجغرافية بانتمائهم إلى بلاد المغرب الإسلامي.

وفي مقابل ذلك ارتسمت التأثيرات السياسية للإمارة الأموية عند تأسيسها من طرف عبد الرحمن الداخل بالأندلس في مسألة الإثنونيميا المغربية[7]، لأنّ الصراع العربي مع فصيل المغاربة على عهد الخلفاء الأمويين في قرطبة وأحوازها قد أنتج ظروفًا تتطلب تمييزًا بين المغاربة الأيبيريين وأولئك الموجودين في بلاد العدوة أي بالمغرب، لذلك تم استحداث تسمية "البربر" في الأندلس كرمز إثنونيمي ذو بعد أيديولوجي يطلق على الجماعات البشرية القادمة من بلاد المغرب الإسلامي[8].

---

[1] Procope, Op. Cit., p. 422.
[2] Ibid., p. 247.
[3] أنظر: خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/224. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. البلاذري، المصدر السابق، ص/222. ابن أعثم، المصدر السابق، 265/1.
[4] Ramzi Rouighi, «La berbérisation et ses masques», Op. Cit., pp. 39-40.
[5] Michael Brett, Elizabeth Fentress, Op. Cit., p.,81.
[6] La littérature en arabe sur les Berbères fut néanmoins beaucoup plus considérable que les littératures latine Et plus loin.et grecque [sic], et culmina à la fjn du quatorzième siècle avec […] le Kitāb al-'Ibard'Ibn Khaldūn :Ainsi classifiés, on leur donna un nom, et donc pour la première fois, on les identifia comme une nation, un peuple, une race Notre critique nous permet de mieux comprendre pourquoi on n'a jamais envisagé d'étudier la berbérisation mais seulement l'arabisation et l'islamisation des Berbères.
[7] Ramzi Rouighi, «Berberization and Its Modern Artifacts», Op. Cit., p.21.
[8] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.81.

هذا ولم يظهر مصطلح "بربر الأندلس" في المصادر اللاتينية واليونانية قبل عملية تأسيس الدولة الأموية في عام (138هـ/756م). والمرجح حسب ما ذهب إليه الباحث رمزي رويغي[1] أنّ تصنيف المغاربة نابع كذلك عن المظان المصدرية التي ألفها المؤرخون المسلمون بالأندلس، والذين اصطلحوا إثنونيم "بربر" على كل التشكيلات الاجتماعية المغاربية التي لعبت دورا في التكوين السياسي للإمارة الأموية، فبعد إعلان عبد الرحمن الداخل استقلاله بالأندلس وقيام دولته[2]، حاول استقطاب المغاربة إلى حظيرته وجعلهم من الموالين للأمويين من خلال دمجهم في البناء الاجتماعي للإمارة، فتشكلت مجموعة سكانية وفرت دعما بشريا وسياسيا للنظام الأموي في الأندلس، وبحكم أنّ المغاربة ظلوا يمثلون مكونا إثنيا متميزا عن باقي التكوينات السّكانية، تم تلقيبهم وتصنيفهم تحت لفظ "البربر" فتحولت هذه الكلمة إلى تسمية إثنية شاع استخدامها على نطاق واسع في بلاد المغرب والأندلس وبلاد المشرق الإسلامي[3].

ثانيا– معايير التصنيف السكاني "للبربر"في المغرب الإسلامي:

[1] Ibid., p.77.

[2] حول تاريخ الإمارة الأموية في الأندلس، أنظر المصادر التالية: ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/35. ابن عذاري، المصدر السابق، 2/59-60. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص/23.

[3] Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., p.83. Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit.,p.81.

لعل من أبرز الأسس والمعايير التصنيفية التي رافقت تشكل مصطلح "البربر" وتبلوره في المظان المصدرية، وارتكزت عليها المعايير الرئيسية للتصنيف الإثني الذي أشارت إليه الدراسات الحديثة، والذي يقوم على جمع كل المكونات البشرية الأصلية في بلاد المغرب الإسلامي تحت إثنونيم "البربر"، ما نستوضحه في النقاط التالية:

1–المعيار اللغوي: ينبني هذا المعيار على أن أساس التصنيف السكاني هو اللغة المستخدمة من قبل المجموعات البشرية التي كانت تتحدث بلغات ولهجات عسُر فهمها من قبل المتعاطين معهم سلما أو حربا، ومن الإشارات المصدرية التي تعزز هذا الطرح:

– رواية النسابة ابن الكلبي بصرف النظر عن مدى صحتها، والمرتبطة بقدوم الملك أفريقش بن قيس بن صيفي "وهو الذي افتتح إفريقية، وسميت به، وقتل ملكها جرجير، ويومئذ سميت البربر، قال لهم: ما أكثر بربرتكم"[1]. وعلى الرغم من أنّ ابن خلدون يرفض هذه الرواية رفضا قاطعا، مُعبرا عن ذلك بما ورد في النص التالي:" ومن الأخبار الواهية للمؤرّخين ما ينقلونه كافّة في أخبار التّبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنّهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب وأنّ أفريقش بن قيس بن صيفيّ من أعاظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السّلام أو قبله بقليل غزا إفريقية وأثخن في البربر وأنّه الّذي سمّاهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربرة، فأخذ هذا الاسم عنه، ودعوا به من حينئذ، وأنّه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطّبريّ والجرجانيّ والمسعوديّ وابن الكلبيّ والبيليّ إلى أنّ صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصّحيح..."[2]. وينهض الدليل الثاني من نص الحموي الذي يؤكد على حضور مجموعات بشرية كانوا مثلما صرح بأنهم "سودان جدا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم"[3]، ولذلك فإنّ اللفظ أي "بربرة" استعملته مصادر الفتوح[4] لتشتق منه لفظ "البربر" ولتلقب به المجموعات البشرية في بلاد المغرب الإسلامي على الرغم من الأصل الشرقي له. إنّ عدم معرفة الفاتحين المسلمين بجغرافية المغرب الطبيعية والبشرية خلال القرن الأول للهجرة/السابع للميلاد، وجهلهم باللغات واللهجات المتداولة بين السكان الأصليين ولغات الجاليات اللاتينو–بيزنطية، سيجعل من كتاباتهم مليئة بالتفسيرات الوضعية والقصص

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/548.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر، 16/1.

[3] الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ/1995م، 369/1.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. البلاذري، المصدر السابق، ص/222. ابن أعثم، المصدر السابق، 265/1.

الواهية عن هذا المجتمع الغريب عنهم. وعلى هذا النحو، فالمحدد اللغوي حسب شهادة ابن الكلبي[1] يفسر لوحده لفظ "البربر" كمصطلح جامع لكل المجموعات السكانية ببلاد المغرب الإسلامي أطلقه الملك اليمني أفريقش بن صيفي لما حل بإفريقية قبل الفترة الإسلامية. إنّ هذا التصنيف يرتكز على اللغة "البربرية"[2] المحلية ومستمد من رواية لا نعلم أصولها ومدى صحتها، ذلك لأنّ النسابة ابن الكلبي أول من أوردها خلال الربع الأول من القرن الثالث/التاسع الميلادي.

2–المعيار الجغرافي: طوبونيميا نلاحظ تأثيرا واضحا لأسماء الأماكن الجغرافية على أسماء المجموعات السكانية بالمنطقة، حيث سجلت لنا النصوص الجغرافية القديمة والوسيطة حضورا لمصطلح "بربرة" عندما أشار الجغرافي اليوناني بطليموس[3] إلى الإقليم الواقع قبالة الساحل اليمني وهو مجال جغرافي متاخم بحدوده لبلاد الحبشة والزنج، ولما كان هذا الطوبونيم معروفا عند العرب قبل الفترة الإسلامية ويقصد به مكانا جغرافيا يتموقع في الساحل الشرقي الإفريقي وبأنّ سكانه حسب نص الحموي "سودان جدا ولهم لغة برأسها لايفهمها غيرهم"[4]، فإنّ اللفظ أي "بربرة" استعملته مصادر الفتوح[5] لتشتق منه لفظ "البربر" ولتلقب به المجموعات البشرية في بلاد المغرب الإسلامي على الرغم من الأصل الشرقي له. وهكذا إذن، تتراءى عملية التوظيف الغامض للفظ "البربر" في المصادر العربية مع بداية العمليات الاستطلاعية للجيوش الأموية، التي انطلقت من فسطاط مصر وبدأت مع عمرو بن العاص لاستكشاف المنطقة جغرافيا وبشريا، وبما أنه ليس في الإمكان إضافة مصطلح اثني جديد لتسمية سكان المغرب، وأنّ العرب في واقع الأمر قد أطلقوا لفظ "البربر" الذي كان معروفا ومتداولا في الإقليم الشرقي لإفريقيا على مجموعات سكانية تستوطن هذا الإقليم الجغرافي الذي ينحصر في السودان الشرقي بين الحبشة وبلاد الزنج[6]، ولم ينطلق الإخباريون من هذا الطوبونيم فقط لتسمية المجموعات السكانية ببلاد المغرب الإسلامي، فإلى جانب "خليج بربرة" أو "قرى بربرة" أو "ساحل بربرة" في السودان الشرقي أو على ضفاف

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/548.

[2] حول موضوع اللغة "البربرية". راجع الدراسات التالية:

Salem Chaker, «La langue berbère à travers l'onomastique médiévale : El-Bekri», ROMM, 35,1983, pp. 127-144.Chaker Salem, Données sur la langue berbère à travers les textes anciens, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 31, 1981. pp. 31-32. Mohamed Meouak, La langue berbère au Maghreb médiéval Textes, contextes, analyses, brill, 2015, p. 297-298.

[3] الخوارزمي، المصدر السابق، ص/54.

[4] الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ/1995م، 369/1.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/28. البلاذري، المصدر السابق، ص/222. ابن أعثم، المصدر السابق، 265/1.

[6] Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., pp.,16-17. Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., pp. 71-72.

البحر الأحمر كما وصفتها نصوص المصنفات الجغرافية، يشير ابن عبد الحكم[1] إلى تواجد سوق في الفسطاط بمصر قبل الفترة الإسلامية أطلق عليه "سوق البربر". هذا ما جعل إثنونيم "البربر" الذي كان معروفا ومتداولا لدى الشعوب المستوطنة على ضفاف حوض البحر الأحمر مرتكزا للمؤرخين الأوائل الذين آثروا على ما يبدو تطبيقه على سكان بلاد المغرب الإسلامي، في ظل تبني مطلق وصريح وغامض لهذا اللفظ في المصادر الإسلامية الأولى مشرقا ومغربا، وبالتالي من هذه الناحية فكل المجموعات البشرية المحلية بمنطقة المغرب الإسلامي يجمعها اسم واحد هو "البربر"، ليحتل هذا المصطلح موقعا في كل حقول المعرفة الإسلامية مع إلغاء مبهم وغير منطقي للفظ المور الذي دل على المجموعات البشرية والإمارات السياسية في مغرب الفترة البيزنطية القديمة، ذلك طبعا ما تصوره لنا مصادر العصر الوسيط الأول.

3–المعيار السُلالي: تنتمي التكوينات البشرية المتوطنة ببلاد المغرب الإسلامي إلى سلاسل أنساب وهمية، تنتهي إلى الأسطورة الإسرائيلية القائلة بالانحدار الاثني للمغاربة "البربر" من جالوت وأبناء نوح، وعلى نمط روايات بني إسرائيل فقد ألحقت كل التشكيلات السكانية ببلاد المغرب بهذا النسب الحامي أو بجالوت في فلسطين وبلاد الشام أو انحدرت من النسب اليمني ببلاد اليمن حسب ما رصدناه في مصادر الفترة الإسلامية، ونجده يتكرر في مختلف النصوص المصدرية طيلة فترة العصر الوسيط[2].والملاحظ أنّ "البربر" الذي نقصد بهم المغاربة طبعا انطلاقا من الإسطوغرافيات الوسيطة فإنهم يمثلون "أمة أو شعبا أو جنسا أو عرقا أو سلالة[3]" بشرية متحدة اثنيا مثل السلالات البشرية الأخرى كالعرب والفرس والسودان والقبط...، ولا يمكن معرفة هويتهم الإثنية إلا من خلال إعطائهم تسمية يعرفون بها بين باقي السلالات البشرية المنتمية إلى دار الإسلام. إنّ التقاليد الكتابية الخاصة بأصل هذه الأمة "البربرية" كما تصورها المؤرخون والنسّابة خلال مرحلة العصر الوسيط[4]. كان لابد أن تلقب المغاربة بإثنونيم يجمعهم جميعا، ومن هنا نقول أنّ إثنونيم "البربر" صار مسلما به في كل النصوص المشرقية والمغربية، وقد برهنت هذه التقاليد على "أسطورة" الأصل المشرقي التي تحدد أوجه التشابه التاريخية الكبيرة مع

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/135.

[2] يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص ص/296-297.

[3] Ramzi Rouighi, «Berberization and Its Modern Artifacts», Op. Cit., p.24.

[4] أنظر: ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/548. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197. ابن قتيبة، المعارف، ص/628. ابن خلدون، كتاب العبر، 121/6-122.

سلاسل الأنساب المسيحية واليهودية المكتوبة في أوروبا خلال العصور الوسطى[1]. ومن بين هذه السمات المشتركة، يمكننا التأكيد على الاحتفاظ بالخلفية القبلية المشتركة بين العرب والمجموعات البشرية "البربرية"، كاختيار الأجداد من بين الشخصيات التوراتية، وكتابة الأنساب لتعظيم مكانة السلالة البشرية بين السلالات الأخرى، أو لتبرير اغتصاب السلطة السياسية، أو في جهة مقابلة إضفاء الشرعية على عمل سياسي وما إلى ذلك. ومن بين المراحل التي تحولت فيها قضية تاريخ أسطورة الأصل البربري في المغرب الإسلامي من البحث في النسب العام لساكنة المغرب الإسلامي إلى النسب الأسري[2]، هي مرحلة حكم الدولة الموحدية عندما اتخذت منحى جديدًا في كتابة نسب الأسرة الحاكمة وتخلت عن أسطورة أصل "البربر"[3]، وذلك عبر التحول من هذا المنهج في التدوين إلى منهج تشكيل سلسلة نسب العائلة التي ستحكم المنطقة وتشرعن لسلطتها. ويأخذ هذا التحول في الاعتبار كل التغيرات الاجتماعية والسياسية في بلاد المغرب الإسلامي للتعامل مع مسألة شرعنة النظام، والتبرير لعملية الاستحواذ على السلطة أمام كل فعاليات المجتمع المغاربي، لأنّ مسألة إضفاء الشرعية على اغتصاب السلطة السياسية لطالما كانت من تقاليد المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط. لكون الثورة على السلطة الشرعية في نظر السلطة الفقهية والدينية هي خروج عن الحاكم[4].

4- المعيار الثقافي: إنّ استبدال الحقائق التاريخية ذات الصلة بالمشهد الإثني والإثنونيمي لسكان المغرب الإسلامي بمادة معرفية أيديولوجية مؤسسة تخدم مركز السلطة في دمشق ثم بغداد من طرف أقدم الرواة والإخباريين والنسابة العرب، في سياق تنظيم المجموعات البشرية الإسلامية المنتمية حديثا إلى دار الإسلام ووضع المخططات

[1] يشير الباحث الطاهر طويل إلى أنّ القراءة المتفحصة للنصوص المدونة في موضوع البربر قد تسمح بالوقوف على ملاحظة هامة تتمثل في محاولة التطابق بين التقسيمات العربية والتقسيمات المحلية "للبربر"، حيث اعتمد المؤرخون والنسابة والجغرافيون العرب إلى استخدام نفس المدلولات والألفاظ والسلاسل النَسَبِيَة المتعلقة بالمجموعات التي ينتظم فيها المغاربة دون تغيير أو إشارة لبعض الفروق بين المجموعتين، فاستخدمت (الجنس والعرق والأمة والشعب) في السياق العام، بينما وظفت (البطن والفخذ والقبيلة) في الحديث عن التقسيمات المتفرعة عن التنظيمات السابقة، كما أنّ استعمال هذه الألفاظ في مختلف المصادر، قد يدفعنا إلى الاعتقاد بأنها تعني المدلول السوسيولوجي نفسه الذي كانت تعنيه في شبه الجزيرة العربية، وفي الجاهلية وصدر الإسلام وهذا مخالف لواقع المجتمع "البربري" في العصر الوسيط. أنظر: الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلا المغرب الأوسط، 339/1. وللتفصيل أكثر في موضوع الخلفيات الأيديولوجية حول استخدام مصطلحات (شعب- أمة – قبيلة – عرق...). أحيلك إلى الدراسة التالية: .78-Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., pp.,77

[2] Maya Shatzmiller, Op. Cit., pp.146-147.

[3] حول ارتفاع وتيرة الأعمال المنجزة في نسب الأسر والسلالات المحلية أحيلك إلى دراسة: آسيا ساحلي، المرجع السابق، ص/63 وما بعدها.

[4] Maya Shatzmiller, Op. Cit., p.151.

التصنيفية الخاصة بها[1]، قد منح هوية إسمية جديدة لسكان المنطقة تتجلى في لفظة "البربر" التي اتخذت كتسمية إثنونيمية لمركب المغاربة، وذلك من خلال إلغاء أسماء المجموعات السكانية القديمة وإزاحة الإثنيات البشرية من موقعها في المنطقة تاريخيا واجتماعيا، وبخاصة تلك المجموعات القديمة مثل المور والأفري والجيتول والنوميد، ويفسر ذلك بالضرورة التنظيمية والرغبة في إظهار الطابع الوحدوي عليها في هذا التوجّه وما لهما من أثر في تسهيل إدارتها، والتخطيط لعملية بربرة الفضاء المغاربي من خلال التدوين العربي وما يحمله من مغالطات تاريخية أفرزتها الأيديولوجية العربية التي أضافت مصطلح "البربر" إلى مجتمعات المغرب الإسلامي، وأصبح يطلق على السكان المغاربة عموما، كما ألحق بأسماء القبائل الأصلية فهوارة أصبحت قبيلة "بربرية" وزناتة كذلك قبيلة "بربرية"، وكتامة هي الأخرى قبيلة "بربرية" وغيرها من الجماعات المحلية التي لقبت بهذا الإثنونيم[2]. والثابت أنه أصبح قابلا لإعادة النظر ذلك المنهج التأليفي الذي أنتج به هذا التصنيف الإثني، عندما اخترع الإخباريون والجغرافيون العرب تسمية "البربر" لتتسمى بها كل التجمعات البشرية في المنطقة، وقسموا المغاربة إلى قسمين هما البتر والبرانس في تقسيم إثني لا يخلو من التشكيك في صحته باعتبار المصادر القديمة لم تشر إليه[3]، كما تتباين وضعية سكان بلاد المغرب الإسلامي في الإسطوغرافيا الوسيطة عن المكانة التي تأخذها باقي السلالات البشرية الأخرى، لاسيما بعد أن حلت اللغة العربية محل اللغتين اليونانية واللاتينية كلغة حضارة من طرابلس إلى طنجة بالمغرب الأقصى، وكان الأدب العربي حول موضوع "البربر" أكثر أهمية بكثير من الإنتاج المعرفي اليوناني واللاتيني، وبلغت هذه الأهمية ذروتها في أواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عندما ألف ابن خلدون كتاب العبر[4].

5–المعيار الديني: إنّ تأثير الخطاب الديني الإسلامي في تشكيل ملامح الهوية الاسمية لسكان بلاد المغرب الإسلامي، يظهر من خلال الأحاديث النبوية والمأثورات الدينية التي أشاعت استخدام إيثنونيم "البربر" في أول فترة للإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، ودعمت من انخراط مركب المغاربة في فلك الإسلام، وهو تشجيع واضح على إدماجهم وتقبلهم في الثقافة الجديدة التي لم تفقدهم مصالحهم بل وفرت لهم سبل الانتماء إلى مؤسسات الدولة ونظمها للاندماج الاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي، ولكونهم يصنفون

[1] Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., pp. 80-81-82.
[2] Ramzi Rouighi, «Berberization and Its Modern Artifacts», Op. Cit., p.100.
[3] رحمة تويراس، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط، مؤسسة الإدريسي للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1436هـ/2015م، ص/155.
[4] Michael Brett, Elizabeth Fentress, Op. Cit., p.,81.

اثنيا في خانة الموالي المسلمين من غير العرب[1]، فقد كان التصنيف الإثني والإثنونيمي الذي اختصت به الجماعات البشرية بالمنطقة واردا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والمرويات المأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم التي تناولناها سابقا مما زاد في شيوعه وتبنيه من طرف المؤلفين المسلمين. ففي الوقت الذي لجأت فيه بعض النخب الدينية والفقهية في إفريقية خصوصا إلى أسلوب عدم إثبات الانتساب إلى الأصول الإثنية "البربرية" ولقب "البربري" الذي كان ملحقا بأسماء الأعلام البشرية، لعبت التجاذبات السياسية دورا في بلورته لضمان النفوذ السياسي والارتقاء في المناصب ونيل الحظوة لدى الأمراء والحكام ذوي الأصول الإثنية العربية لا سيما خلال مرحلة حكم الإمارة الأغلبية، مما سيكون له أثر راسخ في رفض وذم الانتماء الإثني إلى الأصول "البربرية"، وأقوى دليل على ذلك هو قيام البهلول بن راشد بتحضير طعام وتقديمه لجماعة من أصحابه وهم الذين سألوه عن مناسبة إعداده له، حيث قالوا: "يا أبا عمرو لما صنعت هذا الطعام وليس عندك شيء يصنع الطعام فقال لهم أني كنت خائفا أن أكون من البربر لما جاء فيهم من الحديث، فسألت عن أصلي من يعلمه، فأخبرت أني لست من البربر فأحدث لذلك هذا الطعام"[2]، وفي دليل ثاني ورد في رياض النفوس أنّ إبراهيم بن العربي" لما حج ومعه عطية الجماجري لينتفع بصحبته، فلما وصلا إلى برقة- ومنها أصل أبي إبراهيم- سأل عن نسبه بها فعرف أنه من العجم فكتب إلى بعض إخوانه بالجزيرة كتابا فيه: قد كنت انتسبت عندكم إلى البربر، فتقصيت في بلدي عن نسبي فإذا بي من العجم، فنحمد الله تعالى إليكم الذي لم يجعلني من البربر"[3]، ويكمل المالكي في شهادته مصرحا "وإنما خاف والله تعالى أعلم أن يكون من البربر لأحاديث رويت في ذمهم، فمن ذلك ما ذكر مسند لابن سنجر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" قسم الله تعالى الخبث على سبعين جزءا، فجعل في البربر تسعة وستين جزءا والثقلين جزءا واحدا"[4]. إنّ هذه الشهادات على ما يبدو أنها تؤيد بما لا شك فيه مسألة النفور النخبوي لعلماء إفريقية من النسب "البربري" وتؤكد على وجود نوع من الهوية الجامعة التي تأسست مع بدايات نجاح حركة التعريب من خلال التموقع وراء المذهب المالكي ومحاربة الفكر الخارجي خاصة خلال الفترة الأغلبية عندما نشطت التيارات المذهبية والسياسية كالإباضية بتاهرت

[1] محمد سعيد، تعريب النخب الأفريقية، مقال ضمن كتاب: الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب وفي المشرق في العهد الوسيط، المنعقد بتونس في 26-27-28 أفريل، 2012م، منشورات جامعة تونس، 1433هـ- 2012م، ص/21.

[2] المالكي، المصدر السابق، 209/1-210.

[3] المصدر نفسه، 209/1-210.

[4] المصدر نفسه، 354/1.

والصفرية بسجلماسة خصوصا[1]، وبذلك فإنّ النخبة الدينية بمدينة القيروان لعبت دورا رئيسيا في تشكيل الأفكار الشرقية عن المغرب وسكانه إثنيا وإثنونيميا حينما عملت على بلورة الأصل "البربري" وزادت من تمركز التصنيف التقليدي لمكون المغاربة في المصادر المالكية السنية على أنهم "بربر" رغم احتقارهم من بعض الشخصيات الدينية التي رفضت الانتساب إليهم، ففي الوقت شهدت هذه الفكرة حضورا في النصوص المالكية، نجد أن المؤرخين الإباضيين دعموا هذا التصنيف السكاني في اعتبار تسمية المغاربة "بربر"، لكن على العكس تماما مما ذهبت إليه المصادر الإباضية التي كانت تكتب تحت مراقبة السلطة المحلية "البربرية"، وجاءت نصوص بدء الإسلام لابن سلام[2] وطبقات المشائخ للدرجيني[3] وسير أبي زكريا[4] مقدمة لمادة تمدح "البربر" وتعدد محاسنهم وتبرز فضائلهم وأدوارهم في حفظ الدين الإسلامي، فخلدت بذلك الأدبيات الإباضية مآثر المغاربة المعروفين "بالبربر" ومفاخرهم، وسيصير مصطلح "البربر" تسمية إثنية تنسحب على كل مكونات التركيبة السكانية في بلاد المغرب الإسلامي طيلة العصر الوسيط.

6-المعيار الأنثروبولوجي: في ضوء هذا المعيار الجامع لمحددات اللغة[5] والخصائص الفيزيولوجية وأنماط اللباس يمكن تحديد الفرق بين المجموعات السكانية المتوطنة في بلاد المغرب عشية الفتح كالمجموعات المغربية الملقبة في نصوص الفتح "بالبربر" والجاليات اللاتينو-بيزنطية المتمثلة في الروم والأفارقة، وبالرغم من الغياب الكبير للمعطيات الدقيقة حول الخصائص الاجتماعية والمؤشرات الأنثروبولوجية ذات العلاقة بأنماط اللباس وأصناف اللغات واللهجات المتداولة محليا، بالإضافة إلى مميزات البنية الجسدية لعنصر "البربر" و"الأفارقة" و"الروم" في المظان المصدرية، إلا أنّ بحوزتنا نصا لابن خلدون يقدم فيه بعض المعطيات الأنثروبولوجية يشير فيها إلى نوع اللباس الذي كان يرتديه سكان بلاد المغرب الإسلامي، وبالأخص جماعات "البربر" البرانس الذين كان "لباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤوسهم في

---

[1] محمد سعيد، المرجع السابق، ص/131.

[2] بدء الإسلام وشرائع الدين، ص ص/121-122.

[3] طبقات المشائخ، 15/1 وما بعدها.

[4] سير أبي زكريا، ص/50.

[5] المعيار اللغوي على ما يمثله من أهمية قصوى كأساس أنثروبولوجي في التصنيف الإثني للمغاربة "البربر" في المصادر الإسلامية الوسيطة وضمن الدراسات التاريخية الحديثة، جعلني أفرد له عنصرا مستقلا تناولته سابقا كمعيار أول يبرز ارتباط الأصل الإثنونيمي لتسمية المغاربة بـ"البربرة" التي وردت في قصة الملك اليمني أفريقش الحميري، وهي حسب مختلف المؤلفات الإسلامية كانت الأداة التصنيفية الرئيسية في إطلاق مصطلح "البربر" على العناصر السكانية ببلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة محل الدراسة. للمراجعة، أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، 145/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 117/6. النويري، المصدر السابق، 293/15.

الغالب حاسرة"[1]. وأمّا بالنسبة للعناصر البترية فقد كانت تلبس رداءً قصيرا تعرف به مجموعاتهم، وتثبت شهادة المقدسي[2] أنّ البربر كانوا يرتدون البرانس السود، ولئن انقسمت الجماعات البشرية ببلاد المغرب إلى مجموعتين هما "البتر والبرانس"، فإنّ الأسس التصنيفية للمغاربة على أنهم "بربر بتر" و"بربر برانس" لم تقم على حقائق التاريخ القديم وإنما ارتكزت على مكانة هؤلاء في المنظومة الجديدة داخل دار الإسلام، ومن أجل ذلك كان لابد من وضع تقسيم اجتماعي تم اقتباسه من المصادر الإسلامية التي قعدت لنظرية الانحدار الإثني للمغاربة من مجموعتي "البتر والبرانس" وهو ما لم تذكره المصادر اليونانية واللاتينية القديمة[3]، كما لا يمكن حصر معايير الانقسام الاجتماعي للسكان المغاربة إلى هاتين المجموعتين السكانيتين في البعد السلالاتي (بتر أو برانس) أو في نمط المعيشة (بدو أو مستقرون) أو طبيعة الاحتكاك بالأجانب الوافدين. فنمط اللباس هو الآخر معيار رئيسي لتحديد المجموعات البشرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال فترة العصر الوسيط الأول، وعلى وجه الخصوص مجموعات "البربر" بصرف التلميح عن انتماءهم للبتر أو البرانس، إلى جانب جاليات الروم والأفارقة، وإلا كيف نفسر تمييز العرب الفاتحين للإثنيات البشرية المستوطنة ببلاد المغرب عشية الفتح الإسلامي، وهي التي حددتها النصوص الإخبارية إثنيا وإثنونيميا وأطلقت عليها تسميات "البربر" والأفارقة" و"الروم". إنّ معيار اللباس يعتبر من بين الآليات التي تمكننا من التفريق بين المجموعات السكانية بالمنطقة، فالبربر معروفون بلباسهم الذي يتميز عن لباس الروم البيزنطيين ولا سيما مجموعة البتر ومجموعة البرانس اللتين يجمعهما الانتساب إلى هذا المركب الإثني الذي أطلق عليه إثنونيم "البربر"، وينضاف إليها آلية المميزات الفيزيولوجية والخصائص الجسدية للعنصر "البربري" حسب ما ورد في كتاب العبر عن طريقة قص المغاربة للشعر، حيث يذكر ابن خلدون أنّ "رؤوسهم في الغالب حاسرة"[4]، وتدعمها رواية إباضية تتعلق بدخول جماعات من "بربر" لواتة محلقي الرؤوس واللحى على الخليفة عمر بن الخطاب، وقد عرف "البربر" بجمالهم الخلقي وقوة أجسادهم وتميزوا بالشجاعة وحماية المرأة وإكرام الضيف[5] والدفاع عن العقيدة الإسلامية[6]، حتى أنهم جندوا في الصفوف الأمامية للجيش الإسلامي في مصر

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 116/6.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص/239.

[3] Yves Modéran, «Botr et Branès: sur les origines du dualisme berbère médiéval», Op. Cit., p.53. Bulliet Richard W., Desaive Jean-Paul, Op. Cit., pp. 104-105.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 116/6.

[5] Boutheina Ben Hassine, «L'image des Berbères dans les sources ibadites», Op. Cit, pp. 293-294.

[6] ابن سلام، المصدر السابق، ص/122 وما بعدها. أبو زكريا، المصدر السابق، ص/53.

بقيادة عمرو بن العاص[1]. ومهما يكن من أمر، فقد ظهرت لنا جوانب أنثروبولوجية قامت على معطيات نصية تحدد معاييرًا جديدة، تتمثل في اللباس واللغة والسمات الفيزيولوجية[2] التي تمكننا من التمييز بين السكان الأصليين لبلاد المغرب الإسلامي، والذين أطلقت عليهم المصادر الإسلامية تسمية "البربر" رغم تقسيمهم إلى مجموعتي "البربر بتر" و"البربر البرانس"، كما لقبت الجماعات البشرية الأجنبية من البيزنطيين تسمية الروم، أمّا المولدون المترومنون فقد حملوا تسمية الأفارقة التي تمتد جذورها إلى الفترة ما قبل الإسلامية.

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ص/18.

[2] يؤكد العالم الأمريكي مايكل برات وعالمة الأثار إليزابيث فانتشريس حسب دراسات الأنثروبولوجيا الفيزيائية، أنّ المغاربة مرتبطون ارتباطًا وثيقًا بالصقليين والإسبان والمصريين أكثر من ارتباطهم بالنيجيريين والسعوديين والإثيوبيين. أنظر:
Ramzi Rouighi, «Inventing the Berbers», Op. Cit., p.3.

الفصل الثاني:

الجاليات القديمة والجماعات الفارسية والخراسانية ببلاد المغرب: الدلالات الإثنونيمية والخارطة المجالية.

أولا– الروم والأفارق: الوضعية القانونية والتوطن الجغرافي بالمغرب بين القرنين (1–3هـ/7–9م).

ثانيا– الفرس، الخراسانيون، العجم، العجم القدم: عودة إلى إشكالية التعدد الإثنونيمي.

الفصل الثاني:

الجاليات القديمة والجماعات الفارسية والخراسانية ببلاد المغرب: الدلالات الإثنونيمية والخارطة المجالية.

تعددت الأصول الاثنية المكونة لمجتمع بلاد المغرب عشية الفتح الاسلامي، فإلى جانب الكنفدراليات القبلية المحلية أو التي وردت تحت مسمى "البربر" في روايات الفتوح، أشارت النصوص الإخبارية والجغرافية إلى عناصر بشرية، أطلق عليها مصطلحات الروم والأفارقة والعجم[1]، تشير إلى عناصر مسيحية من أصول لاتينية وبيزنطية، ارتبطت مجالاتها بمراكز التوطين في الجهة الشرقية للمنطقة[2]، وسرعان ما تحول المعنى الإثنونيمي لهذه التسميات العرقية إلى إشكالية رئيسية تناولتها العديد من الدراسات الحديثة.

أولا– الروم والأفارقة: الوضعية القانونية والتوطن الجغرافي بالمغرب بين القرنين (1–3هـ/7–9م):

لقد وقع تطبيق الوضعية القانونية على أحفاد البيزنطيين أو الروم، والأفارقة المولدين سواء كانوا ملاكا مزارعين أو حضريين مترومنين، وأجبروا على دفع الجزية على الرؤوس والخراج على الأراضي[3]، وهو ما أشار إليه الخليفة بن خياط(ت244هـ/855م) عندما يروي: "صالح عمرو أهل أنطابلس وهي من برقة بين إفريقية ومصر على الجزية أن يبيعوا من أحبوا من أبناءهم في جزيتهم"[4]، وتأكدّ تطبيق هذه السياسة في رواية ابن عبد الحكم

[1] إنّ ما تجدر الإشارة إليه هو وجوب التعاطي مع مسألة تطور أسماء الجماعات السكانية والقبائل والعناصر البشرية من خلال الرجوع إلى فترة التاريخ القديم التي سبقت فترة العصر الوسيط، لمعرفة التغيرات التي طبعت الإثنونيميا المحلية ومدى تأثير اللغات والكتابات على أسماء المجموعات البشرية، لأنّ إلحاق بلاد المغرب بدار الاسلام خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، لا يعني التحول الاثني والإثنونيمي السريع لعناصر التركيبة البشرية في بلاد المغرب إلى جانب مختلف الهياكل الاجتماعية والاقتصادية من الصورة التي كانت عليها في الفترة القديمة إلى المشهد الذي صورته لنا المصادر الاسلامية خلال العصر الوسيط، ولا يتم ذلك إلا بالاعتماد على المنهج المقارن أي محاولة مقارنة أسماء الجماعات السكانية الواردة في المصادر اليونانية واللاتينية بشقيها الأدبي أو المادي الأثري، مع الأسماء التي ذكرتها المصادر العربية الاسلامية، وقد طرحت هذه المسألة في العديد من الدراسات المتخصصة في الجغرافية التاريخية، أنظر: الطاهر طويل: الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/336-337.

[2] علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط: محاولة في التحقيب والآليات، الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب وفي المشرق في العهد الوسيط، المنعقد بتونس في 26-27-28 أفريل، 2012م، منشورات جامعة تونس، 1433هـ- 2012م، ص/21. البكري، المصدر السابق، 259/2.

[3] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/142.

[4] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/144.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

(ت257هـ/870م) عند حديثه عن الاجراءات التشريعية[1] التي قام بها حسان بن النعمان تجاه الجماعات السكانية المحلية، بقوله :" فنزل موضع القيروان وبنى مسجد جماعتها ودوّن الدّواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر"[2]، فكانت بذلك افريقية الولاية الجديدة التي وضعت فيها مؤسسات إدارية من طرف الفاتحين الأوائل، لاسيما القائد العسكري حسان بالنعمان، والتي ألزمت الجاليات اللاتينية والبيزنطية بدفع ضريبة مالية ومحاصيل زراعية طبقا لما تمليه نصوص التشريع الاسلامي في أحكام الذمة والأرض والخراج.

إنّ هذه الوضعية الإدارية والقانونية ستجعل من الجماعات الاثنية الممثلة في الروم والأفارقة تقف إزاء ثلاث خيارات متباينة، يتضمن الخيار الأول الخضوع القانوني لأحكام الجزية والخراج مقابل الحفاظ على الممتلكات المالية والعقارية، مع ضمان الاستقرار في أراضيهم وممارسة الأنشطة الاقتصادية، بدليل أنّ فحص تونس الذي يتشكل من وحدة زراعية وربما إدارية تابعة لقرطاجنة أواخر العهد البيزنطي، قد تم اقطاعه لأحد أعيان الروم البيزنطيين المسمى مرناق، واعتبرت هذه الأرض خراجية أقطعت لكبار الملاكين والأعيان من الروم المتحالفين مع العرب، إذ اشترط على حسان بن النعمان"...المنازل التي بين الجبلين التي يقال لها فحص مرناق وهي إذ ذاك ثلاثمائة وستون قرية ثم فتح لهم الباب، فلم يجد فيها أحدا غيره وغير ولده، فتمم له حسان ما اشترطه وانصرف إلى القيروان"[3].

أمّا فيما تعلق بالخيار الثاني فيتمثل في الجلاء من البلاد المفتوحة والخاضعة لسلطة المسلمين بالنزوح إلى مركز الإمبراطورية البيزنطية ولاسيما عنصر الروم، فقد أشارت النصوص المصدرية إلى هجرتهم من المدن المحصنة في الساحل الشرقي لبلاد المغرب، حيث أورد ابن عبد الحكم رواية حول جلائهم من مدينة أطرابلس بعد حملة

[1] أبرز ما أنجزه حسّان بن النعمان بعدما دانت له افريقية هو الشروع في ترتيب أوضاع البلد، وفق النظم والأحكام المعتمدة في دار الاسلام، فأبرم عقدا مع سكان بلاد المغرب ينبني على جملة من العهود والمواثيق التي تمكنهم من الاندماج في نظام الجماعة الاسلامية، وبذلك حاز الفضل في وضع اللبنة الأساسية لأول تنظيم اجتماعي إسلامي بإفريقية، يقوم على التعدد العرقي: البربر والروم والأفارقة والعرب والعجم..، واستنادا إلى ذلك عمد حسن بن النعمان إلى إنشاء أول فرقة عسكرية مكونة من ستة آلاف مقاتل من سكان المنطقة، ثم استحدث ديوان الجند الذي تضمن لوائح بأسماء المدونين ومقادير أعطياتهم، وديوانا آخر للصرف وجباية الأموال، وآخر للكتابة والترسيل، ليحقق نقلة حضارية نوعية على مستوى نظم الحكم ببلاد المغرب الاسلامي، أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص ص/95-96.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1.

[3] البكري، المصدر السابق، ص/211. محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ص/215-216.

عمرو بن العاص الذي :"...أقبل بجيشه حتى دخل عليهم، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم"[1]، بينما ينحصر الخيار الثالث في تحول الجماعات المسيحية البيزنطية واللاتينية إلى العقيدة الاسلامية سواء حضرية أو ريفية لعوامل عديدة منها الانضمام إلى الطبقة العربية الحاكمة أو تفادي الخراج والجزية أو بساطة الإسلام والدعوة الدينية، لكن وبالرغم من طرحه لهذه العوامل يلاحظ الباحث علاوة عمارة[2] أنها لا تؤكد بشكل قطعي انضمام الجماعات المسيحية للإسلام بما في ذلك الروم والأفارقة، بل إنّ للعامل القبلي وللانتماء الإثني الدور المحوري في الأسلمة، لأنّ اعتناق قائد الجماعة للدّين الجديد يتبعه تحول جماعي للأتباع.

1- إثنونيم الروم (Rūms) بين تعدد المصطلحات وتقارب المدلول:

يشير مصطلح الروم[3] (Rūms) في الدراسات التاريخية العربية[4] إلى بقايا البيزنطيين وأحفادهم الذين وظفوا في الإدارة واشتغلوا بالزراعة والتجارة خلال العهد البيزنطي، ولازالوا مستقرين بالبلاد الشرقية في المغرب

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 271/1.

[2] علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط، ص/28.

[3] أظهر رجوعنا إلى النصوص الشرعية حضورا لمصطلح الروم في موضع واحد في القرآن الكريم ورد في قوله تعالى: "الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ" (الروم. الآية:1). أشارت مدونات التفسير إلى أنّ الفرس والروم كانتا من أقوى الدول، وبينهما صراع دائم، وكان الفرس يعبدون النار، والروم أهل كتاب ينتسبون إلى التوراة والإنجيل وهم أقرب إلى المسلمين من الفرس، وانتصر هؤلاء على الروم في بلاد الشام، ونسبت مجموعات الروم إلى روم القسطنطينية، فهم بذلك البيزنطيون الذين ينتمون إلى هذه المدينة عاصمة الامبراطورية البيزنطية وقتئذ. الطبري، جامع البيان في تأويل القرءان، تح: أحمد محمد شاكر، ج20، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ-2000م، ص/66 وما بعدها. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ-1986م، ص/466-467. ابن كثير، تفسير القرءان العظيم، تح: سامي بن محمد بن سلامة، ج6، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ-1999م، ص/297. السعدي، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ-2000م، ص/636.

[4] وضع العديد من الباحثين بصماتهم على مصطلح الروم، محاولين دراسته من خلال تقديم مدلول أقرب ما يكون إلى الحقيقة التاريخية، وتجاوز التصنيف الإسمي القديم الذي طرحه الإخباريون الأوائل، وذلك بإعطاء تفسير لهذه التسمية الاثنية بتتبع أصول الجماعات القديمة التي أطلقت عليها، ومقارنتها بما ورد من معطيات دلالية في المصادر السلامية الوسيطة، أنظر: زياني الصادق، المرجع السابق، ص/105 وما بعدها، علاوة عمارة، موقع تلمسان، ص/25، هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/155، حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص/5، دلال لواتي، عامة القيروان في عصر الأغالبة، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص ص/360-361.

خلال القرن الأول الهجري/6م مثل القيروان[1] وقابس[2] وقرطاجنة[3] وفحص مرناق[4]، ثم نزحت جماعات منهم باتجاه الجنوب واستقرت بالسهوب وبلاد الواحات كالجريد[5] والزاب[6] وبلاد قسطيلية[1] ونفزاوة[2]، محافظين على

[1] مدينة ليست صحراوية وليست جبلية ولا بحرية، تقع في وسط تونس على بعد متكافئ من مالطة وصقلية، منفتحة على المغربين الأوسط والأقصى، شيدها عقبة بن نافع الفهري بين سنتي (50-55هـ/670-675م) ، تبعد عن العاصمة بـ156 كم، وعن سوسة بـ 57 كلم، مكنها موقعها الجغرافي من أن تكون منطلق الجيوش الاسلامية لفتح بلاد المغرب. البكري، المسالك والممالك، 195/1. أحمد الباهي، القيروان في كتاب آكام المرجان لإسحاق بن الحسين المنجم (منتصف القرن 4هـ/10م)، مقال ضمن كتاب: دراسات في تاريخ القيروان، تنسيق: نجم الدين الهنتاتي وميكلوش مرواني، منشورات مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان، 2009، ص ص/178-179. صلاح الدين بوجاه، القيروان من التاريخ إلى الجغرافيا، مقال ضمن كتاب: اشعاع القيروان عبر العصور، ج1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1421هـ-2001م، ص ص/195-196.

[2] مدينة تونسية تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط، تطل على خليج سيرتا الصغير وتبعد عن العاصمة تونس بحوالي 406 كلم، وهي من المدن التي أنشئت خلال الفترة القديمة، وشكلت محطة هامة في التاريخ السياسي خلال مرحلة العصر الوسيط المتقدم، إذ أنها الباب الذي دخل منه المسلمون الفاتحون إلى بلاد المغرب، وبحكم موقعها الاستراتيجي الهام على الطريق التجارية الرابطة بين المشرق والمغرب، فقد حظيت قابس بمكانة اقتصادية متميزة في تاريخ المنطقة خلال الفترة الوسيطة، وبفضل خليجها الذي يظهر في شكل عتبة استراتيجية جد هامة تمتد على طول شريط يبلغ 50 كلم ، مثّل ممرا طبيعيا مباشرا بين المزاق وطرابلس، الحموي، معجم البلدان، ج4، ط2، دار صادر، بيروت، 1416هـ/1995، ص/289. بلقاسم بن محمد بن جراد، قابس عبر التاريخ، مطبعة الخدمات السريعة، قابس، 1421هـ-2001م، ص/12. Mohamed Ellefi, Turris Tamalleni: Essai de Géographie Historique D'une Cité du Néfzaoua Antique, Géographie Historique du Maghreb Antique A. Mrabet, Sousse, 2014, p. 311.: état Des Lieux Et Perspectives De Recherches, éd:et Médiévale

[3] مدينة بحرية تم تأسيسها من طرف الفينيقيين حسب المعطيات الأثرية ما بين سنتي (900-750 ق.م)، تبعد عن مدينة تونس بحوالي 19 كلم، وأكسبها موقعها الاستراتيجي المطل على الحوض المتوسطي، أهمية بالغة في كونها مثلت قاعدة الحكم القرطاجي، ثم عاصمة سياسية للبطريق البيزنطي جرجير قبل تأسيس سبيطلة التي شكلت عاصمته الثانية بعد انفصاله عن الامبراطورية الرومانية، واستمرت أدوار مدينة قرطاجنة خلال الفترة الاسلامية الأولى لاسيما في جانبي الدفاع والتحصن، الحميري، المصدر السابق، ص/25، Gerard Gertoux, Dating the foundation of Carthage, p. 2.

[4] عبارة عن مجال جغرافي في شكل وحدة زراعية أو ادارية كانت تابعة لقرطاجنة أواخر العهد البيزنطي، امتد على كامل السهل الجنوبي لتونس، على طول وادي الحمى ووادي مليان وروافده، مما يفسر احتواءه على عدد كبير من القرى التي حددتها المصادر بما لا يقل عن ثلاثمائة وستين قرية، البكري، المسالك والممالك، محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص ص/214-215، راجع كذلك، الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن 12م، تر: حمادي الساحلي، ج1،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م، ص/37.

[5] تتشكل من مجموعة الواحات الصحراوية التي تقع بالجنوب الغربي لبلاد تونس، وتضم توزر وقفصة ونفطة والحامة، إلى جانب الواحات الواقعة شمال شط الجريد، يرتبط غنى المنطقة وسكانها خلال فترة العصر الوسيط المتقدم بشكل أساسي لكونها تمثل مفترق الطرق التجارية وملتقى القوافل الصحراوية، العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، تح: عبد الله بن يحي السريحي وآخرون، ط1، ج4، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2009م، ص/164.

[6] طوبونيميا اشتقت تسميته من مدينة قديمة أطلق عليها اسم الامبراطور جستنيان وهي "زابي جستنيانا (Zabi Justiniana)"، أما مجاله الجغرافي فينحصر عرضيا من بغاي (نواحي خنشلة) إلى الغرب من الحضنة عند أزبة أو خرائب هاز (سور الغزلان)، وطوليا من نقاوس وما حولها إلى أقصى جنوب الأوراس عند بادس أو باديس وواحات بسكرة، البكري، المسالك والممالك، 2/ 723. زياني الصادق، المرجع السابق، ص/338. علاوة عمارة، التحولات المجالية والطوبونيمية، ص/13، Mohamed Meouak, Les Ziban entre Aurès et Sahara. Une Géographie

أصولهم العرقية وديانتهم المسيحية وكذلك لغتهم اللاتينية، وحتى على طابع استقرارهم في الحصون كبني بهلول الذين عرفوا بحصنهم بحامة الجريد في جنوب إفريقية.

أمّا في الدّراسات الأجنبية، فقد اهتم غابريال كامبس[3] بتقديم مدلول لإثنونيم الروم الذي أُطلق حسبه على الرومان والبيزنطيين المستوطنين ببلاد المغرب وأحفادهم، وهؤلاء ممن استمروا بتواجدهم في بعض مجالات إفريقية كتوزر والحامة ونفطة[4] ببلاد الجريد[5]، كما عمل جورج مارسي[6] على توضيح هذه التسمية عندما اعتبر أنّ لفظ الروم قد اصطلح على بقايا المجموعات البشرية التي تعاقبت على المنطقة خلال الفترة القديمة إلى جانب الأفارقة، وهو ما يؤكد على توازي موروثهم اللغوي والديني، لذلك نلاحظ نزوحهم باتجاه الجنوب بعيدا عن تأثيرات مراكز التعريب والأسلمة، للحفاظ على موروثهم اللاتيني والمسيحي بعد أن أنشئوا مستوطنات جديدة بمجالات الجريد والزاب استقروا بها[7].

وانطلاقا من دراسة رمزي رويغي[8]، تناولت الباحثة سولينا شيني[9] مدلولات الأسماء العرقية "البربر والروم والأفارقة"، في مقاربة أنثروبولوجية تنبني على معطيات المصادر التاريخية والجغرافية، بالتركيز على فهم الجانب الفيلولوجي اللغوي وتتبع اللهجات واللغات المحلية وأصولها في بلاد المغرب، خاصة تلك اللهجات واللغات التي عرفت انتشارا واسعا خلال مرحلة الفتح الاسلامي، إذ أنّ طريقة إعطاء الأوامر للعناصر المحلية زمن مواجهة جماعات "البربر" للجيوش الاسلامية تختلف عن لغة التواصل لدى الجاليات البيزنطية، وهو ما يمكن اعتباره معيارا

Historique de Biskra et de ses oasis du Moyen Âge à la fin de l'époque moderne, Helsinki, Academia Scientiarum Fennica, 2017,p. 101.

[1] تحتل نفزاوة موقعا استراتيجيا في خريطة البلاد التونسية، بحيث أنها تنفتح على ثلاثة اتجاهات مختلفة، وتنفرد بوحدات تضاريسية متنوعة ومتكاملة، وهي محور الطرق التجارية والأدفاق البشرية، تتصل غربا ببلاد الزاب الكبير بوادي سوف، وجنوبا منفتحة على الصحراء، كما تتصل بسلسلة جبال الظاهر وبقابس وسهلي الأعراض والجفارة بشرق تونس. الحموي، المصدر السابق، 296/5. النوري بوخشيم، ملاحظات أولية حول التعمير ببلاد نفزاوة، مقال ضمن كتاب: نفزاوة (الجنوب الغربي التونسي) تاريخ وتراث، مركز النشر الجامعي، تونس، دت، ص ص/333-334.

[3] Gabriel Camps, Afāriq, Encyclopédie berbère, 2, Ad – Ağuh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud, 1985, p. 1.

[4] تقع في الجنوب الغربي للبلاد التونسية، في واحات الجريد، وتتبع إداريا ولاية توزر، وتقع على نحو 20 كلم جنوب غربي مركزها، نور الدين النوري، أرباض واحة نفطة خلال العصر الوسيط، الحوار المتوسطي، مج 12، ع 13، 2017، ص/92.

[5] Vendre Heyden , La berbère orientale sous la dynastie de benou El-Aghleb, 800-909, Librairie orientaliste, paris, 1927, p.66.

[6] Georges marçais, la berberie IXe Siècle d'après EL-Ya'qoubi, revue Africaine, 85, 1941, p..40-41-42.

[7] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/107.

[8] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., pp.67-101.

[9] Soléna Chény Op. Cit., pp.249-250.

من معايير التمييز بين عناصر التركيبة البشرية، بدليل أنّ سكان مدينة قفصة كانوا يتحدثون باللّسان اللاتيني[1] الذي استمر إلى منتصف القرن الهجري السادس/12م، ممّا سمح بتمييزهم عن باقي عناصر النسيج الاجتماعي بالجنوب الغربي لإفريقية، أمّا المعيار الثاني فيتجلى في اختلاف ملامح البنية المورفولوجية لعناصر التركيبة السكانية وأشكال اللباس المميزة لمجموعات البتر والبرانس[2] إلى جانب الروم البيزنطيين وجاليات الأفارقة، والتي أسهم الاخباريون الأوائل في تشكيل صورة لهذه الجماعات بناء على إشارات عرضية استخلصت منها معايير تباينت في طبيعتها وخلفياتها، لتشكل قاعدة التصنيف الإثنو- اجتماعي لهم[3].

فالثابت أنّ المعطيات الأنثروبولوجية التي أوردتها المعرفة التاريخية[4] الشفوية المدونة في مراحل متأخرة في إطار فن الفتوح هي من حدّدت معايير التصنيف السُّكاني ببلاد المغرب انطلاقا من اللغات المستعملة وأشكال اللباس لتبرز لنا مصطلحات تشير عادة إلى تجمعات بشرية تركت بصماتها في بلاد المغرب الشرقي. فمن الناحية الإثنية نجد جاليات العجم والأفارقة وجماعات الروم البيزنطيين، ودراسة الفرق بين تسمية الروم خلال الفترتين القديمة والوسيطة يظهر بلا شك علاقة الإثنونيميا القديمة بأسماء الجماعات خلال مرحلة العصر الوسيط الأول، حيث ارتبط مصطلح الرومان بمصطلح الروم[5] الذي ورد في المصادر الاخبارية والجغرافية وفي مقدمتها كتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم وكتاب البلدان لليعقوبي.

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص/278.

[2] في هذا الصدد لابد لنا من التنويه إلى إشكالية مصدرية هامة تتعلق بالصّمت التام لمصادر الفترة الرومانية والوندالية والبيزنطية عن ذكر مسألة التقسيم الكلاسيكي للبربر والمعروف بثنائية البتر والبرانس، إذ حقيقة لا نملك نصوصا أو معطيات تاريخية سُجّلت قبل القرن السادس الميلادي تشير إلى التصنيف السكاني لمجموعات البربر. في المقابل ورد هذا التصنيف في المصادر الإسلامية الأولى، حيث ذكرت تسميات البتر والبرانس بداية مع ابن الحكم في فتوحه، ونجد الفكرة قد تبلورت أكثر في كتاب العبر لابن خلدون الذي أعطى لهذا التقسيم بُعدا سلاليّا، فالبرانس اشتق اسمهم من جدهم الأكبر برنس، أمّا البتر فيرجع أصلهم إلى مادغيس بن الأبتر، كما ساد تفسير آخر يرتبط بأنماط المعيشة، أين تميز فرع البرانس بحياة الاستقرار والتحضر، على النقيض منه طبعت البداوة والترحال حياة البتر، وتبع ذلك تفسير آخر أساسه البعد الثقافي، فقد اعتبر بعض الباحثين أنّ احتكاك البرانس بالوافدين الأجانب جعلهم عرضة للتأثير الخارجي، وبالتالي التمرس في الحياة الحضرية، أنظر الدراسات التالية: موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص/58 وما بعدها. رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط، ص/40.

[3] Bulliet Richard W., Desaive Jean-Paul, Op. Cit., pp.105-106.

[4] ظل التّدوين التاريخي في بلاد المغرب مرتبطا بإنتاج المعرفة التاريخيةّ المشرقية، وبخاصة الروايات الاخبارية التي دُونّت خلال القرون الهجرية الثلاث الأولى، حيث لم تكن سوى روايات أموية أو عباسية اهتم مؤلفوها بتدوين أحداث الفتح الاسلامي في بلاد المغرب بنظرة مشرقية أثير التشكيك في أصولها، أنظر: علاوة عمارة، الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي الوسيط، مجلة التاريخ العربي، ع 32، 1425-2004م، ص/329 وما بعدها، خالد طحطح، الكتابة التاريخية، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1433هـ/2012م، ص ص/69-70.

[5] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit., p. 696.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

ولئن أطلق مصطلح الروم على الرومان والبيزنطيين والمجموعات السكانية التي تنحدر أصولها من هذا المركب الاثني القديم، فإنّ اللغات المتداولة[1] ظلت هي الأخرى من بين أهم المحددات والمعايير المعتمدة في التصنيف السكاني، وكانت اللغة اليونانية هي اللغة المستعملة من قبل عناصر الروم[2]، على عكس اللسان اللاتيني الذي تميزت به جاليات الأفارقة[3]، أو اللغة البربرية المنتشرة بين المجموعات البربرية المحلية[4]، فالاختلاف إذن بين أشكال الألسنية يُعدّ معيارا أساسيا يسهم في التمييز بين مكونات التركيبة الاثنية في بلاد المغرب الإسلامي.

لقد أشار تادوتش ليفيتشكي إلى مدلول إثنونيم الروم، مُقدّما تعريفا يتوافق مع ما قدّمته الدّراسات السّابقة، إذ لا تخرج مدلولاته عن المعنى المحصور في كونهم بقايا العنصر الروماني المسيحي، باستثناء الصبغة الدينية التي طبعت مصطلح الروم، فقد اعتبرهم جماعات رومانية مسيحية تشكلت من العناصر المحلية غير العربية، واستقرت في المجالات الريفية حتى بعد ثورة أبي يزيد النكاري[5]، أين اختفى العنصر المسيحي- الروماني بسبب أحداث ثورة صاحب الحمار، أو اندماجهم في النسيج الاجتماعي بمدن وواحات بلاد المغرب الإسلامي من خلال أسلمة جاليات منهم نتيجة الاختلاط مع العنصر العربي، إذ أطلقت عليهم تسمية المولدين أو عجم البلد الناطقين باللغة العربية.

لكن لم تقتصر دلالة إثنونيم الروم على بقايا الجالية الرومانو- بيزنطية، بل استعملت الباحثة نادية الشيخ[6] اللفظ المشار إليه في مدونات الأدب العربي لتحدد دلاليا المجموعات الرومانية والبيزنطية، إلى جانب المسيحيين المعتنقين للعقيدة الاسلامية بمذهب مالكي، بيد أنّ اندماج هذه العناصر الاثنية مع العناصر الوافدة وتوظيفها في مختلف الهياكل الإدارية والاقتصادية على إثر التحولات الاجتماعية والمجالية التي عرفتها المنطقة، لا يعدم من الأدّلة ما يثبت تفضيل جماعات منهم البقاء على ديانتهم المسيحية والحفاظ على لغتهم اللاتينية،

[1] الأهمية القصوى التي أثمرها التعاون بين التاريخ وعلم اللهجات، تمكن الباحث من دراسة العديد من القضايا التاريخية، من ذلك أسماء الأعلام البشرية أو الجغرافية، للمزيد من الاطلاع، أنظر: لوسيان فافر: التاريخ وعلم اللهجات، تر: صادق علي أزايكو، مقال ضمن كتاب: وقفات في تاريخ المغرب أعمال مهداة إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1389هـ/1970، ص ص/533- 538.

[2] Fathi Bahri, «Des conversions, des hommes et des biens en Ifrīqiyya musulmane : le cas des ʿağam», Op. Cit., pp.132-133. Allaoua Amara , «Dynamiques du peuplement», Op. Cit., p.187.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، 278/1.

[4] Mohamed Meouak, La langue berbère au Maghreb médiéval Textes, contextes, analyses, brill, 2015, pp. 297-298. Chaker Salem, Données sur la langue berbère à travers les textes anciens, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 31, 1981. pp. 31-32.

[5] Tadeusz Lewicki, «Une langue romane oubliée de l'afrique Observations d'un arabisant», Rocznik Orietalistyczny, 17 (1951-1952), pp.419-420.

[6] Nadia el Cheikh, - and Bosworth, C.E., «Rūm», Encyclopaedia of Islam, Leiden, Brill, Online, http :/ / dx ..doi.org /10.1163/1573-3912_islam_COM_0939

بخلاف أولئك الذين اعتنقوا الإسلام وظلوا في مراكزهم القديمة بالموازاة مع تطبيق الوضعية القانونية الاسلامية عليهم، حيث احتفظوا بممتلكاتهم وعقاراتهم بالرغم من انتشار العنصر الإسلامي العربي، وهو ما يؤشر على تأقلمهم واندماجهم مع باقي العناصر الاجتماعية بشكل تدريجي خلال المرحلة الإسلامية الأولى[1].

وما قدّمه الباحث فتحي بحري[2] في دراسته لوضعية الفئات الاثنية المنتشرة بإفريقية قبل الإسلام، ولاسيما عنصر العجم[3] يؤكد على الحضور الاثني لجاليات الروم كمكون رئيسي من مكونات التركيبة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرنين الأول والثاني الهجريين/7-8م، ففي معرض حديثه عن عجم البلد يشير إلى جماعات الروم على أنّهم من أصول رومانية بيزنطية، استقرت في القسم الشرقي لبلاد المغرب خلال الفترة ما قبل الإسلامية، لكن تحولهم إلى الإسلام خلال فترة العصر الوسيط بعدما اختلطوا مع العنصر العربي في المراكز الحضرية الكبرى[4]، إذ خضعوا لمؤثرات الأسلمة والتعريب، وهو ما سيؤدي بلا شك إلى تحول ثقافي وديني بارز، من دلائله ميلاد جماعات مسلمة تشكلت من بقايا العناصر المسيحية المحلية والأجنبية[5].

[1] Virginie Prevost, «Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord», Op. Cit., pp.469-470.

[2] Fathi Bahri, «Des conversions, des hommes et des biens en Ifrīqiyya musulmane : le cas des ʿağam», Op. Cit., pp.131-132.

[3] بين أيدينا الكثير من المعطيات التاريخية التي تشير إلى استعمال لفظ العجم للدّلالة على بعض الجماعات السكانية المنتشرة بمجالات بلاد المغرب، ولا غرو أنّ هذا المصطلح طالما اكتنفه غموض وتعقيدات دلالية في مختلف المصادر الإسلامية الأولى، سواء المصادر السنية أو الإباضية، كما أنه لم ينل نصيبا من الاهتمام في الدّراسات التاريخية عدا بعضها، ما سيسمح لنا بتقديم محاولة بحثية في الفصول القادمة لهذه الدراسة نروم من خلالها تجلية بعض جوانبه الدلالية. للمزيد حول توظيف الإخباريين والرحالة للفظ العجم في مصنفاتهم، أنظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة، د ت، ص/268. اليعقوبي، البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص ص/187-188. ابن الصغير، أخبار الأيمة الرستميين، تح: محمد ناصر وبحاز ابراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1406هـ/ 1986م، ص ص/54- 55.

[4] Fathi Bahri, «Les ʿAdjam al-balad une minorité sociale d'origine autochtone en Ifrîqiyya aghlabide IIIe-IXe siècles»; Dans Mutations, identités en Méditerranée, 2000, pp 81-82.

[5] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/105، علاوة عمارة، موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب ق2-6هـ/8-12م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الاسلامي الوسيط)، 1423هـ/2013، ص/27. Virginie Prevost, «Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord», Op. Cit., pp.469-470.

2- الأفارق بين جذور التسمية والأصول الاثنية:

لم يبرز مدلول مصطلح الأفارقة بشكل واضح ودقيق في المصادر الاسلامية الأولى، ذلك أنّها اهتمت بتقييد المعطيات النصية المتعلقة بالأحداث التاريخية، دون ضبطها لأسماء الجماعات البشرية إلا ما ورد عرضا من خلال طرحها لسلسلة الانتماء الاثني لبعض الفئات الاجتماعية، ولذلك تباينت آراء الباحثين حول مسألة تحديد مدلول إثنونيم الأفارقة وتعددت الفرضيات التاريخية الحديثة المفسرة له، حسب مستويات قراءة النصوص وتحليلها للمادة المصدرية التي لم تفصح بصورة كافية عن معاني المصطلح ودلالاته.

2-1/ مدلول المصطلح في الدراسات التاريخية:

تعددت الاشتقاقات اللغوية الشبيهة بإثنونيم الأفارقة، ووردت لتدل على معان متباينة، فاختلفت بذلك آراء الباحثين في معنى كلمة آفر انطلاقا من تقاربها اللغوي مع عديد الأسماء المشتقة من جذرها، حيث ظهرت اللفظة في صيغة إيفرو لتطلق على الإله الليبي الذي أشير إليه في الكتابة اللاتينية خلال الفترة القديمة، وورد مصطلح بني إيفرن[1] للدّلالة على اسم قبيلة بربرية ذكر ابن خلدون[2] أصولها الاثنية التي تنحدر من قبيلة زناتة البترية، كما أشار كوربيوس إلى اسم مجال جغرافي موقعه في طرابلس بمُسّمى إيفار، إلى جانب حضور لفظة إيفري في اللغة البربرية لتحمل معنى كهف بصيغة المفرد وإيفرن كهوف بصيغة الجمع، ممّا يطرح فرضية مضمونها ارتباط جماعات الأفري بالاستقرار داخل الكهوف في المجالات التلية بالمغرب القديم[3]، ولذلك جاءت التسمية الإثنونيمية مشتقة من أصل طبيعي متمثلا في الكهوف التي اتخذتها هذه الجماعات مراكزا للتوطن والإسكان[4].

[1] Mohamed Meouak, «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb», Op. Cit., p. 63.

[2] بنو يفرن بطن من بطون قبيلة زناتة، وهم أبناء يفرن بن يصليتن بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، وإخوانهم بنو مغراوة وبنو يرنان وبنو واسين، شكل بنو يفرن حلفا قبليا إلى جانب جرواة مع بداية الفتح الإسلامي، كما أسّسوا العديد من الإمارات في المغربين الأوسط والأقصى، على غرار إمارة أبي قرة اليفرني، ثم إمارة يعلى بن محمد بن صالح اليفرني بإفكان، وإمارة بني يعلى بن محمد اليفرني بسلا، ابن خلدون، كتاب العبر، 15/7. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها أعيانها، ، ج2، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 1430هـ/2010م، ص ص/204-205.

[3] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/350.

[4] Mohamed Meouak, «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb», Op. Cit., p.63.

وقد ربط الفرنسي هنري توكسيي اسم الأفارقة بكلمتي " أفري" أو " أفاريسي" اللتين اصطلحتا على جميع السكان الرومان المستوطنين بمقاطعة افريقيا الرومانية[1]، وذكرتهم النصوص العربية تحت مُسمى الأفارقة دون تدقيق، مرتكزة على المنهج النقلي، ومتأثرة بالألفاظ المتداولة كالأفري والأفاريسي ذات الأصول الإثنية القديمة، ويشير مصطلح أفري إلى السكان الأصليين في شمال إفريقيا، وبشكل خاص الجماعات المتوطنة داخل الحدود الجغرافية لمقاطعة قرطاج الإفريقية والأقاليم المحيطة بها، على خلاف مراكز التوطين الغربية المتاخمة لها[2]، والتي استقرت بها جماعات النوميد والمور، الذين توزعوا على مجالات القسم الغربي للمنطقة كبلاد الأوراس[3]، ولا يزال أصل هذه المجموعة العرقية – أي الأفري- غير معروف. لذلك في هذه الحالة، تبدو فرضية الفرنسي ستيفان غزال حول أصولهم منطقية حسب أحد الباحثين، فاسم أفري أصوله محلية افريقية، تم استعماله من طرف الرومان بصيغته اللاتينية[4].

أمّا بالنسبة لتوزيعهم الجغرافي، فقد ورد في الكتابات الليبية واليونانية واللاتينية أنّ جماعات الأفري قد استوطنت العديد من الأقاليم مثل مدن سواس، تازغا، أوكولا، ثابورا، أوثيبكا ...، ما بين وادي مجردة ووادي مليان في الشمال الغربي لإفريقية[5]، غير أنّ النتائج المتوصل إليها في دراسة الباحث حمدان بن رمضان، أثبتت استقرار هذه المجموعات البشرية في المجال الجغرافي لقرطاجة بعد هزيمتها في سنة 146 ق.م خلال الحرب البونيقية الثانية، ما عدا مقاطعة المزاق التي لم يثبت بعد استقرار الأفري بها، ولاتزال مجالاتها رهينة التقصي التاريخي والبحث الأركيولوجي لإثبات توطن هذه الجماعات بها خلال مرحلة التاريخ القديم[6].

وإذا كنا لا نرى أنّ البحث في المصادر الكلاسيكية الليبية واليونانية واللاتينية، ثم المتون الإسلامية كفيل بضبط مصطلح أفري و تحديد دلالاته، فإنّ البحث الأونوماستي يمكن أن يجيب عن أصل الكلمة التي شكلت

[1] Henri touxier, «Note sur les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranès, Botr, Mazigh, et Frank», Revue Africaine, 23. 1879, p. 472.

[2] Hamdane Ben Ramdane, «Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine», Actes du troisième colloque international. le peuplement du Maghreb antique et médiévale, Sousse, 05, 06 et 07 mai 2016, p.113.

[3] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/345.

[4] Mohamed Meouak, «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb», op. cit., p.63.

[5] T. Kotula et J. Peyras, «Afri», Encyclopédie berbère, 2. 1985, document A78, pp. 4-5.

[6] توزعت مجالات توطن عناصر الأفري خلال العهد الروماني على ثلاث مراكز عمرانية رئيسية تقع في المجال الجغرافي لتونس الحالية، للمزيد من التفاصيل، راجع الخريطة التي أنجزها الباحث حمدان بن رمضان في دراسته المؤسومة بـ :

Hamdane Ben Ramdane, «Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine», Op. Cit., p. 113.

محور خلاف استمر إلى غاية القرن الثامن الهجري، والأكيد هو اتفاق السكان المحليين المعروفين باسم البربر حول الدلالة الأصلية للفظ الذي ينحصر في معنى كلمة الكهوف، وهي نمط من أنماط العمارة الموزعة على معظم السلاسل الجبلية بمجالات بلاد المغرب[1].

كما أنّ اختيار تسمية سكان المقاطعة الرومانية الأولى من طرف الغزاة الرومان بمسمى الأفري، جعل اشتقاق الإثنونيم يجمع بين الأصل الاثني المحلي والوضع القانوني[2]، فمن خلال النقوش الأثرية المكتشفة[3] يتأكد تحالفهم مع روما وتجنيدهم في شكّل وحدات عسكرية لدعم ومساعدة الجيش الروماني لمواجهة القرطاجيين[4]، وهو ما منحهم شرف حمل الجنسية الرومانية إلى جانب تسميتهم التي طبعت اسم المجال الجغرافي، إذ أطلق طوبونيم إفريقيا على المقاطعة الأولى التي رسمت حدودها روما لما انتصرت على قرطاجة في الحرب البونيقية الثانية سنة 146 ق.م، وهو إثنونيم مشتق من اسم المركب الاثني " الأفري" ذو الهوية الإسمية المحلية[5].

وعن علاقة مصطلح الأفري الوارد في كتابات الفترة القديمة بصيغ إسمية شبيهة له في بداية الفتوح الإسلامية، يلاحظ الباحث محمد مواق ارتباط إثنونيمي بين اسم قبيلة بني يفرن التي تنتمي إلى قبائل زناتة وأشار ابن خلدون (ت 808هـ/1332م)[6] إليها محددا أصولها ومواطنها ببلاد المغرب، ومصطلح أفري أو إيفري الوارد ذكره في المصادر الأدبية والإبيغرافية القديمة، أي أنّ هنالك استمرارية لاسم الجماعة البشرية من اللغتين اليونانية واللاتينية إلى اللغة العربية[7]، لكن الباحث إيف موديران في دراسته حول المور في افريقيا الشمالية يشير إلى احتفاظ جماعات الأفري باسمها الإثني في فترات مختلفة، فانتقالها تدريجيا من الفترة الرومانية إلى مرحلة سيطرة الوندال ثم العهد البيزنطي، ومع وصولها إلى فترة العصر الإسلامي المبكر، وبخاصة القرون الهجرية الثلاث الأولى، طرأت على إثنونيم هذه الجماعات تحولات جزئية، كان أول تغيير طبع المسمى العام لها هو تحول اسم الأفري إلى مصطلح اندرج تحت صيغة إسمية جديدة تمثلت في إثنونيم الأفارقة، مثلما هو الحال بالنسبة للفظ الروم الذي

[1] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/ 350 .

[2] Hamdane Ben Ramdane, Op. Cit., p.114.

[3] أنظر: الملحق رقم (03).

[4] T. Kotula et J. Peyras, Op. Cit., p.3.

[5] Hamdane Ben Ramdane, , Op. Cit., p.113.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، 24/7- 25.

[7] Mohamed Meouak, «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb», Op. Cit., p.63.

كان يطلق على الرومان خلال الفترة القديمة[1]، ودرج أصحاب المصادر الاسلامية على توظيف هذه المصطلحات الإثنونيمية عند تدوينهم لأحداث مرحلة الفتوح، فنجد لها حضورا في مختلف النصوص الإخبارية والوصفية[2]بداية مع الربع الأول للقرن الهجري الثالث، حيث ظهر التدوين التاريخي المشرقي لوقائع حركة الفتوح الإسلامية في بلاد المغرب.

ولئن سجلت المصادر اليونانية واللاتينية ثم المظان العربية استمرارية استخدام لفظ الأفارقة، فذلك لا ينطبق على الجماعات السكانية التي لقبت بهذه التسمية في العهد الروماني. وفق هذا الطرح، اعتبر الباحث رمزي رويغي أنّ الأفارقة فئة اجتماعية وسياسية خضعت لسيطرة العرب الفاتحين، واندمجت في النظام السياسي الإسلامي لتشكل إحدى مكوناته المتميزة بمجالات إفريقية، ليفهم إذن من طرحه وضع هوية إسمية جديدة وردت في المظان المصدرية لجماعات إثنية لا علاقة لها بأصول المجموعات البشرية المنتمية إلى ماضي المنطقة[3]، ففي الوقت الذي بدأت فيه الحملات الأموية على بلاد المغرب الشرقية، ثم أعقبتها المواجهات العسكرية مع السكان المحليين، استخدمت لفظة الأفارقة لتظهر لنا عناصر اجتماعية لاتينية خضعت للسيطرة العربية خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري/السادس الميلادي[4]، لكن حقيقة أعتقد أنّ هذا الرأي يحتاج إلى المزيد من المراجعة والتدقيق، لأنّ الوقوف على المعطيات الطوبونيمية المتوفرة والتي تعود إلى الفترة القديمة يُمكِّننا من إيجاد رابط إثنونيمي بين لفظ أفارقة أو أفارق وطوبونيم إحدى المواقع الجغرافية الريفية التي ورد اسمها بصيغة أفارغ، والقريبة جغرافيا من مدينة باجة بإفريقية، حيث تقع في الجهة الغربية لوادي باغراداس[5]. إلى جانب ذلك، يؤكّد الباحث علاوة عمارة الانتماء القديم لأصول الأفارقة الذين يقصد بهم على الراجح المسيحيون من أصول لاتينية ومحلية ممن استمروا في الحفاظ على الموروث اللغوي والدين المسيحي، بمعنى الجماعات الشاهدة على الحقبة

[1] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit., p. 696.

[2] صرفت المصادر الاسلامية عنايتها إلى التاريخ الحدثي المرتبط بوقائع الفتح في بلاد المغرب، وفي مقدمتها المظان الاخبارية التي شكلت قضية الفتح العسكري الاسلامي دائرة اهتمامها، وبالرغم من أنّ أصحاب هذه المصادر قد أوردوا نصوصا تحمل أسماء الجماعات السكانية المنتشرة في مجالات المنطقة، فإنّهم ظلوا بعيدين عن مناقشة مسألة تسمياتهم وأصولهم الاثنية، للمزيد من التفاصيل أنظر على سبيل المثال ما ورد عند: ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1. ابن عذراي، المصدر السابق، ص ص/34، 35، 36. ابن خلدون، كتاب العبر، 238/4- 239. وأمّا النصوص الوصفية، فيكفي أن نشير إلى ما كتبه اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/181-182. البكري، المصدر السابق، 206/2-207. الإدريسي، المصدر السابق، ص/283.

[3] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.77.

[4] Virginie Prevost, Op. Cit., p.480.

[5] Hamdane Ben Ramdane, Op. Cit.,112.

الرومانية خلال الفترة الاسلامية الأولى، في حين أنّ الجاليات الرومية بقيت متميزة عن نظيرتها اللاتينية على الأقل إلى غاية نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[1].

ومن ضمن الدّراسات التي اتّجهت إلى تحديد مدلول مصطلح الأفارقة، ما نشره غابريال كامبس حول تعريف الإثنونيم الذي دّل في كتاباته على الجماعات المسيحية واللاتينية المستوطنة بالمراكز الحضرية والمجالات الريفية خلال الفترة القديمة، وبالرغم من أنّ حدود استعمال اللفظ لم تتجاوز جغرافيا مقاطعة المزاق والمقاطعة الطرابلسية[2]، فالملفت للانتباه هو تواصل طوبونيم عقبة الأفارق[3] الواقع بين سبتة وفاس في النصوص الوصفية، بحيث نبه إليه الجغرافي البكري(ت 487هـ/1094م) في كتابه المسالك[4]، وأكدّ على استمراريته صاحب الاستبصار(ت ق6هـ/12م) خلال القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي[5]، ممّا يحيلنا إلى طرح فرضية تعمير الأفارقة لمجالات بالقسم الغربي لبلاد المغرب، لاسيما أنّ الروايات الاخبارية والجغرافية تشير إلى بقاء جماعات دينية مسيحية في مدينة تاهرت، وكذلك تلمسان التي "كان بها بقية من النصارى، ولهم بها كنيسة معمورة"[6].

وبالطبع، فاستمرار هذه الجماعة المسيحية في مدينة تعاقبت عليها تيارات إسلامية مختلفة، صفرية علوية ومالكية يدّل على مدى تغلغل الديانة المسيحية في المنطقة إلى غاية فترة متأخرة من وصول الاسلام على الرغم من النهاية السياسية المبكرة للوجود الروماني[7]، وتسمية الجماعات الاثنية الموزعة على المجالات الغربية لبلاد المغرب بمسمى النصارى ضمن تصنيف ديني، لربما لا يلغي من فرضية استقرار وتواجد عنصر الأفارقة في المنطقة الغربية،

[1] علاوة عمارة، موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب ق2-6هـ/8-12م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الاسلامي الوسيط)، 1435هـ/2013، ص/25.

[2] Gabriel Camps, « Afāriq», Encyclopédie berbère, 2, Ad – Ağuh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud, 1985, p. 1.

[3] عقبة الأفارق: موضع جغرافي يقع على محور الطريق البري بين مدينتي سبتة وفاس، وبالتحديد المسلك البري المؤدي من جبل زالغ الذي يشرف على مدينة فاس إلى عقبة الأفارق، ثم إلى نهر سبو إحدى أكبر الأنهار الواقعة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى، اليعقوبي، المصدر السابق، ص/293. البكري، المصدر السابق، 298/2. الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/190.

[4] البكري، المصدر السابق، 298/2.

[5] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/190.

[6] علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط، ص21. البكري، المصدر السابق، 259/2.

[7] علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط، ص/21.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وإن يصعب صراحة إثبات ذلك في ظل عمومية معنى لفظة النصارى[1] التي تنسحب على كل عناصر التركيبة السكانية بما في ذلك الجماعات المحلية أو عناصر الجاليات البيزنطية الطارئة على بلاد المغرب في الفترة القديمة، بل لعّل هذا الاسم الديني – أي النصارى- يضعنا أمام احتمالية ارتباطهم بمواقع استقرارهم بمقاطعة إفريقيا الرومانية، لكونهم مسيحيون من السكان الأصليين، خضعوا لسيطرة الروم وتبنوا حضارتهم[2].

ويتحدد مدلول مصطلح الأفارقة عند الباحثة فيرجيني بريفوست، ليُطلق على أقدم السّكان المسيحيين المنتمين إثنيا إلى البربر المترومنين، وقد سبق لهم الاستقرار بالمدن والمناطق الريفية خلال الفترة الرومانية، ثم اتّجهوا جنوبا ليستوطنوا في توزر وبلاد الجريد، لأنّها مجالات بعيدة عن مراكز التعريب[3]خصوصا بعد حلول المسلمين بالقسم الشرقي للمغرب، ليقفوا في وجه المؤثرات اللغوية والدينية العربية، محافظين بذلك على العقيدة المسيحية واللغة اللاتينية المرتبطة بمعتقداتهم الدينية حتى بعد الفتح[4]، كما يتداخل مضمون هذا التعريف ليتوافق دلاليا مع ما قدّمه الباحث التونسي هشام جعيط[5] في تعريفه للإثنونيم، فالأفارقة هم البربر المترومنون المسيحيون، الذين ظلوا من الشواهد الحيّة على الوجود الروماني بالمنطقة، من خلال تحررهم من الروابط القبلية واندماجهم في الحضارة اللاتينية، مستوطنين بالمجالات الحضرية والريفية، وكان لهم دور بارز في تاريخ المنطقة قديما، فقد ظلوا أوفياء للدّيانة الرومانية محافظين على معتقداتهم المسيحية إلى جانب تمسكهم باللغة اللاتينية، ويشير الجغرافيون العرب إلى مواقع استيطانيهم في الجنوب بين محور طرابلس وقابس وبلاد الجريد، واستقروا كذلك بالسهول الشمالية لبلاد الزاب[6].

2-2/ مدلول المصطلح في المصادر الإسلامية:

[1] يدّل مصطلح النصارى في المصادر الإسلامية الأولى على الجماعات السكانية المحلية أو الوافدة، والتي اعتنقت الديانة المسيحية خلال الفترة الرومانية القديمة أو خلال العهد البيزنطي، ولازالت تعرف في النصوص المصدرية الوسيطة باسم " البربر" أو "الأفارقة" إلى جانب المركب الاثني الطارئ على بلاد المغرب والمندرج تحت مسمى "الروم البيزنطيين ". للمزيد من التفصيل أنظر: علاوة عمارة، أسلمة بلاد المغرب الأوسط، ص ص/19-20.

[2] Paul Louis Cambuzat, L'évolution des cités du Tell en Ifriqiya du VIIe au XIe siècle, Office des Publications Universitaires, Alger, 1986, t. II, p.43.

[3] Virginie Prévost, «Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord», Op. Cit., pp.469-470.

[4] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/108.

[5] Hichem Djait, «L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800)», Annales. Economies, sociétés, civilisations, 28eannée,N. 3, 1973. p.613.

[6] للتفصيل في الموضوع أكثر، أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/188-189. البكري، المصدر السابق، ج2، ص/189. الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/279.

عندما يتعلق الأمر بمدلول مصطلح الأفارقة في المظان المصدرية، فإنّ العديد من النصوص الإخبارية والوصفية أشارت إلى دلالة التسمية وانتماءهم الاثني إلى مجموعة بشرية عربية، فبناءً على معطيات الرواية المشرقية نجد الإخباري المصري ابن عبد الحكم (ت 257هـ/870م)[1] يفسّر هذا الاثنوينم بقوله: "وإنّما سمّوا الأفارقة فيما حدثنا عثمان بن صالح، عن ابن لهيعة وغيره، أنّهم من ولد فارق بن بيصر، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى إفريقية، فبالأفارقة سُميت إفريقيّة"، أمّا المسعودي (ت 346هـ/957م)[2] فيذكر أنّه "لما حضرت مصرايم الوفاة عهد إلى ابنه، وقد كان قسّم أرض مصر بين بنيه فجعل...لصابي ناحية البحر إلى قرب برقة والغرب، فهو صاحب إفريقية وولده الأفارق"، ويبدو جليا من خلال معطيات الروايتين أنَهما تُؤشران على اختلاف في جذور نسبة فارق إلى أصله الأبوي، فالرواية الأولى ترجعه إلى بيصر الذي امتدت سلطته على المجالات الواقعة بين برقة وافريقية ، بينما تنسبه الرواية الثانية إلى مصرايم، ممّا يطرح إشكالية مرتبطة بالنسب الأعلى لهذا المركب الاثني في علاقتها بالأب الأول، من خلال اختلاف تسميته بين الروايتين، غير أنّ المتفق عليه هو الأصل المشرقي للأفارقة الذين ينتمون إسميا إلى فارق من سلالة الكنعانيين، ولاشك في أنّ حلوله بإفريقية أكسبهم التسمية العرقية نسبة إليه، فضلا عن تجاوز هذا الاسم الإثنونيمي للمجموعة البشرية ليطلق على المجال الممتد ما بين برقة والغرب دونما تحديد جغرافي دقيق، إذ حمل هذا المجال طوبونيم إفريقية متأثرا باسم فارق بن بيصر[3].

وخلال النصف الثاني من القرن الهجري الخامس/الحادي عشر ميلادي، يقدّم لنا البكري[4]معطيات جغرافية حول دلالة إثنونيم الأفارقة فيروي:" وقال قوم إنّما سمّوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنّهم من ولد فارق بن

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1.

[2] المسعودي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1416هـ/ 1996م، ص/182.

[3] تناولت العديد من الدراسات الحديثة طوبونيم إفريقيا من خلال البحث في أصوله القديمة وتطور دلالته المتعددة، وكذا مدى استعمالات المصطلح في الأدبيات الإغريقية اليونانية والكتابات اللاتينية الرومانية، ثم ما تضمنته المصادر الإسلامية العربية من تفسيرات تاريخية على صلة مباشرة بهذا الإثنونيم "الأفري" والتي ظلت محور نقاش بين الباحثين، تباينت فيه آراؤهم، وتعددت فيه فرضياتهم، حسب المنطلقات البحثية والآليات المنهجية المعتمدة من طرف كل دارس، لتتبع ذلك أنظر في الموضوع الدراسات التالية:
Edward .Lassère Jean-Marie, «Onomastica africana V-VIII», Antiquités africaines, 18, 1982. pp.167-175
Lipinski, «Itineraria Phoenicai, studai Phoenicai XVIII», Département oosterse studies leuven, paris, 2004, Meouak, «Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb», Mohamed.p.199 .Op. Cit., p.64

[4] البكري، المصدر السابق، 134/2.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

مصريم "، ولئن كانت روايته تنطبق إلى حدٍ بعيد مع ما أورده الإخباريون في العصر الوسيط المبكر، فعلى العكس منه يصرّح صاحب الاستبصار[1] في نص آخر عند تفسيره لمصطلح إفريقية بأنّها سُميت كذلك:" لأنّ قوما من الأفارق سكنوها، وهم أولاد فاروق بن مضر من العرب العاربة؛ وزعموا أنّ إفريقية اسم ملكة ملكت إفريقية؛ وقيل إنّها إبريقية. وحد إفريقية طولا من برقة شرقا إلى مدينة طنجة غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال". إنّ النصوص الوصفية قد أكدّت على استمرارية التفسير الأحادي لمصطلح الأفارقة من خلال إرجاعه إلى الأصول المشرقية العربية التي تنحدر منها كل المجموعات البشرية القديمة في محاولة من أصحاب المصادر الإسلامية وضع تأصيل عرقي لهذه الجماعات الجديدة، دعت إليها الضرورة السياسية على وجه الخصوص.

ومهما ظلّت دلالة المصطلح غير واضحة بالنسبة لأصل التسمية – فارق أو فاروق- في المصادر، فإنّ موضوع إثنونيم الأفارقة لاسيما مسألة النسب قد شكّلت نقطة حسّاسة في تاريخ بلاد المغرب الوسيط، ومحل نقاش سجلته لنا النصوص الإخبارية والوصفية، بل حاولت هذه النصوص تقديم تصور مقبول لأصول جماعات الأفارقة المنتمية حديثا إلى فلك الحضارة الإسلامية، ورغم أهمية الرواية المشرقية في مناقشة نسبهم وأصول تسميتهم، إلا أنها لا تخلو من الخلط والتناقض، وعدم وضوح الرؤية في كثير من الأحيان[2].

إنّ ما يكمن ملاحظته أنّ مجمل النصوص الاخبارية والوصفية ترجع إثنونيم الأفارقة إلى أصول مشرقية، متأثرة بما نقله النسابة العرب عن انتمائهم العرقي، خاضعة لمنطق سيطرة المركز على الأطراف أو عاصمة الخلافة العربية على البلاد المفتوحة، ومحاولة إدماج الجماعات الجديدة بعد إلحاق المنطقة بدار الاسلام، وقد تم استعمال مصطلح الأفارقة[3] للدّلالة على الجالية القديمة المتمركزة في مقاطعة إفريقيا أي داخل الاطار الجغرافي الخاضع للسلطة الرومانية في الفترة القديمة، ولذلك فإنّ مواطن استقرارهم وتواجدهم خلال العهد الروماني، والتي عرفت باسم مقاطعة افريقيا هي من ستحدد أصول تسميتهم، أكثر من انتماءهم العرقي إلى الأب الأول أو ارتباطهم بمجموعة بشرية عربية[4]، أي تأثير طوبونيم إفريقيا وهو اسم المجال الجغرافي قديما على المركب الاثني الذي أصبح يعرف باسم الأفارقة في المصادر التاريخية الأولى خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري/السادس ميلادي.

3- التوطن البشري للروم والأفارق بالمجالات الشرقية لبلاد المغرب.

[1] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/11.

[2] آسيا ساحلي، مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب الاسلامي في نهاية العصر الوسيط ق8 - 10هـ/14-16م، أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2019م-1441هـ، ص/38.

[3] Ramzi Rouighi, «The Berbers of the Arabs», Op. Cit., p.77.

[4] Soléna cheny, Op. Cit., p.249.

مع نهاية الفترة الوندالية وبداية الحكم البيزنطي لبلاد المغرب، عرف المشهد التعميري في المقاطعات الإفريقية توجها عسكريا واضح المعالم، فقد اهتم سولومون بتشييد المراكز العسكرية وترميم المدن وإنشاء الحصون والقلاع والأبراج، كما أسهم جستنيان بدوره في هذه السياسة الدفاعية، حيث أشار الباحث شارل ديهل إلى بناء نحو مئة وخمسين مدينة في عهده وترميم العديد من المنشآت العمرانية التي تعرضت لعملية التخريب والدمار[1]. لقد أثبتت الدّراسات الميدانية والتقارير الأثرية استمرار عملية البناء والترميم إلى غاية القرن الخامس أو حتى بعده، وظلت العديد من المدن تشهد حركية في التعمير على غرار مدينة سبيطلة التي مثّلت عاصمة السلطة البيزنطية خلال فترة حكم جريجوار ملك الروم[2].

ومن أشكال التوطن البشري في المقاطعات الإفريقية ما ورد بشأن الملكيات العقارية الكبرى في الأرياف، فقد كانت بأيدي كبار الملاكين من الروم والأفارقة[3]، واستمرت عملية استغلالها حتى نهاية العهد البيزنطي وبداية الفترة الإسلامية[4]، ولئن تعددت الإشارات التاريخية التي تثبت اتساع شبكة الحصون والقلاع البيزنطية في بلاد المغرب لاسيما في القسم الشرقي خلال الفترة الما قبل الإسلامية[5]، إلا أنّ بعض المجالات الحيوية قد ظلت خارج سيادة السلطة البيزنطية مثل منطقة الأوراس، حيث لم تنجح في إحكام السيطرة عليها بالرغم من سياسة التحصين التي مسّت مختلف الدروب والمسالك الرئيسية والمناطق الزراعية الغنية[6].

- **التوزيع الجغرافي لجماعات الروم والأفارقة ببلاد المغرب:**

أشارت النصوص الاخبارية والوصفية العربية إلى مراكز استيطان جاليات الروم والأفارقة ببلاد المغرب الشرقي بداية من الربع الثاني للقرن الأول الهجري، وبالرغم من أول وأهم مصدر يشير إلى مسألة التوزيع الجغرافي لجماعات الروم والأفارقة هو كتاب الرحالة المشرقي اليعقوبي (ت بعد 284هـ/897م)، الذي تضمن نصوصا

[1] Charles diehl, L'afrique byzantine histoire de la domination byzantine en afrique (533-709), paris, 1896, pp. 387-388.

[2] يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص ص/309-310.

[3] محمد الطاهر منصوري، ملامح بعض الفئات الاجتماعية بإفريقية في العهد البيزنطي (533-709)، مقال ضمن كتاب: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1999، ص/25.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1.

[5] Anna Caiozzo, «Images des vestiges préislamiques de l'Ifrîqiya chez les géographes arabes d'époque médiévale», Anabases, 9/ 2009,p. 136.

[6] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/350.

وصفية عن حالة التوطين البشري خلال القرون الهجرية الثلاث الأولى، وقدم دلائل تبرز صورة التنوع الاثني والعرقي في التركيبة البشرية للمغرب الإسلامي من خلال تعدد العناصر والجاليات المكونة لنسيجه الاجتماعي والمستقرة بمجالاته الشرقية[1]، إلا أنّ المصادر التاريخية والجغرافية بصفة عامة قدّمت لنا مُعطيات هامة حول الجغرافيا البشرية للجماعات السكانية وتحركاتها ومجالات استقرارها وتوطنها، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عن نصوصها في تتبع ملامح الخارطة البشرية والمجالية لعناصر الجاليات اللاتينو-بيزنطية.

3-1/ صورة التوطن البشري لجاليات الروم والأفارقة حسب المصادر الجغرافية:

إنّ ندرة المادة التاريخية المتعلقة بمسألة التوطن الجغرافي لجالية الأفارقة، يطرح تناول الموضوع انطلاقا من المصادر الجغرافية التي قدمت نصوصا وصفية، سمحت بتحديد ملامح الخارطة المجالية لعناصر الجاليات اللاتينية والبيزنطية، وبالأخص ذكرها لجغرافية التوطن اللاتيني واستمرارية الأفارقة في المنطقة كمركب إثني محلي له خصائص ثقافية قديمة لم يفقدها رغم تعايشه مع العناصر الأخرى، ومع التحولات الاجتماعية والثقافية والمجالية التي طبعت المنطقة وتأثيرها على العديد من المراكز العمرانية التي كانت مواطن استقرار لهم كمجالات الزاب وواحات قسطيلية والمنستير وقابس...، كما أنّ استمرارية اللسان اللاتيني في بعض مدن افريقية يؤشر على التواصل الاثني للأفارقة ببلاد المغرب الشرقي إلى غاية منتصف القرن السادس الهجري/12م.

وبما أنّ مصادر الرحلة والجغرافيا تتضمن رصيدا هاما لا غنى عنه في تناول صورة التوطين البشري ببلاد المغرب، فحتما ستكون البداية مع جدول يوضح المضارب التي توطنت بها جماعات الروم والأفارقة، انطلاقا من نصوصها الوصفية، ذلك أنّ الخوض في الحديث عن موضوع التوطين البيزنطي واللاتيني في المجالات المغاربية، يجعل البحث يتجاوز المصادر التاريخية التي اكتفت بمجرد الإخبار عن تحركات الجيوش الأموية وذكر بعض الحاميات والحصون البيزنطية، ووصف الصراع العسكري بين الطرفين[2] إلى جانب الوضع السياسي في المنطقة، والجدول التالي سيزيد الأمر إيضاحا حول مسألة الاستقرار الجغرافي لعناصر الروم والأفارقة ببلاد المغرب:

الموطن الجغرافي	المركب الاثني	المصدر

[1] زياني الصادق، المرجع السابق، ص ص/117-118. علاوة عمارة، التحولات المجالية والطوبونيمية، ص/12.

[2] مثالا على التحركات العسكرية البارزة سواء بالنسبة للجيوش الإسلامية أو البيزنطية إلى جانب المجموعات السكانية المحلية المعروفة بالبربر، ما قام به عقبة بن نافع الفهري لما توجه إلى السوس الأقصى ثم قفل منها راجعا، أين اعترضته مجموعات محلية أوربية من البربر بقيادة كسيلة بن لمزم وجيوش الروم في مجالات تهودة بالزاب الأسفل، وجرت معركة فاصلة بينهما انتهت بانهزام الجيش الاسلامي واستشهاد عقبة بن ناقع وأبي المهاجر بن دينار والجند المرافق لهما، للمزيد، أنظر: الخليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/144. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص/207. النويري، المصدر السابق، 24/16-17.

برنيق (برقة)	الروم	اليعقوبي، البلدان، ص/181.
القيروان	الروم	المصدر نفسه، ص/181.
توزر	الروم والأفارقة	المصدر نفسه، ص/181.
تقيوس	الروم والأفارقة	المصدر نفسه، ص/181.
نفطة	الروم والأفارقة	المصدر نفسه، ص/181.
الحامة	الروم والأفارقة	المصدر نفسه، ص/181.
باغاية	الروم	اليعقوبي، البلدان، ص/181. البكري، المسالك، 329/2.
طبنة	الروم والأفارقة	اليعقوبي، البلدان، ص/190. ابن حوقل، صورة، ص/85.
بشرة (نفزاوة)	الروم والأفارقة	اليعقوبي، البلدان، ص/190.
قابس	الأفارقة	المصدر نفسه، ص/190.
سبيطلة	الروم	ابن الفقيه، البلدان، ص/132.
شقبنارية	الروم	البكري، المسالك والممالك، 206/1.
فحص أرطة (تونس)	الروم	المصدر نفسه، 211/1.
قرطاجنة	الروم	البكري، المسالك والممالك، 206/1.
تاهوذا	الروم	البكري، المسالك والممالك، 256/2. الاستبصار، ص/175.
بادس	الروم	البكري، المسالك والممالك، 256/2. الاستبصار، ص/175.
جزيرة شريك	الروم	التجاني، رحلة التجاني ، ص/13.
نفيس	الروم	الاستبصار، ص/208.
نابل	الروم	الإدريسي، نزهة المشتاق، ص/302.

الجدول رقم (4): توزيع جاليات الروم والأفارقة في بلاد المغرب الإسلامي من خلال المصادر الجغرافية.

التوزيع الجغرافي لجماعات الروم والأفارقة ببلاد المغرب من خلال مصادر الرّحلة والجغرافيا

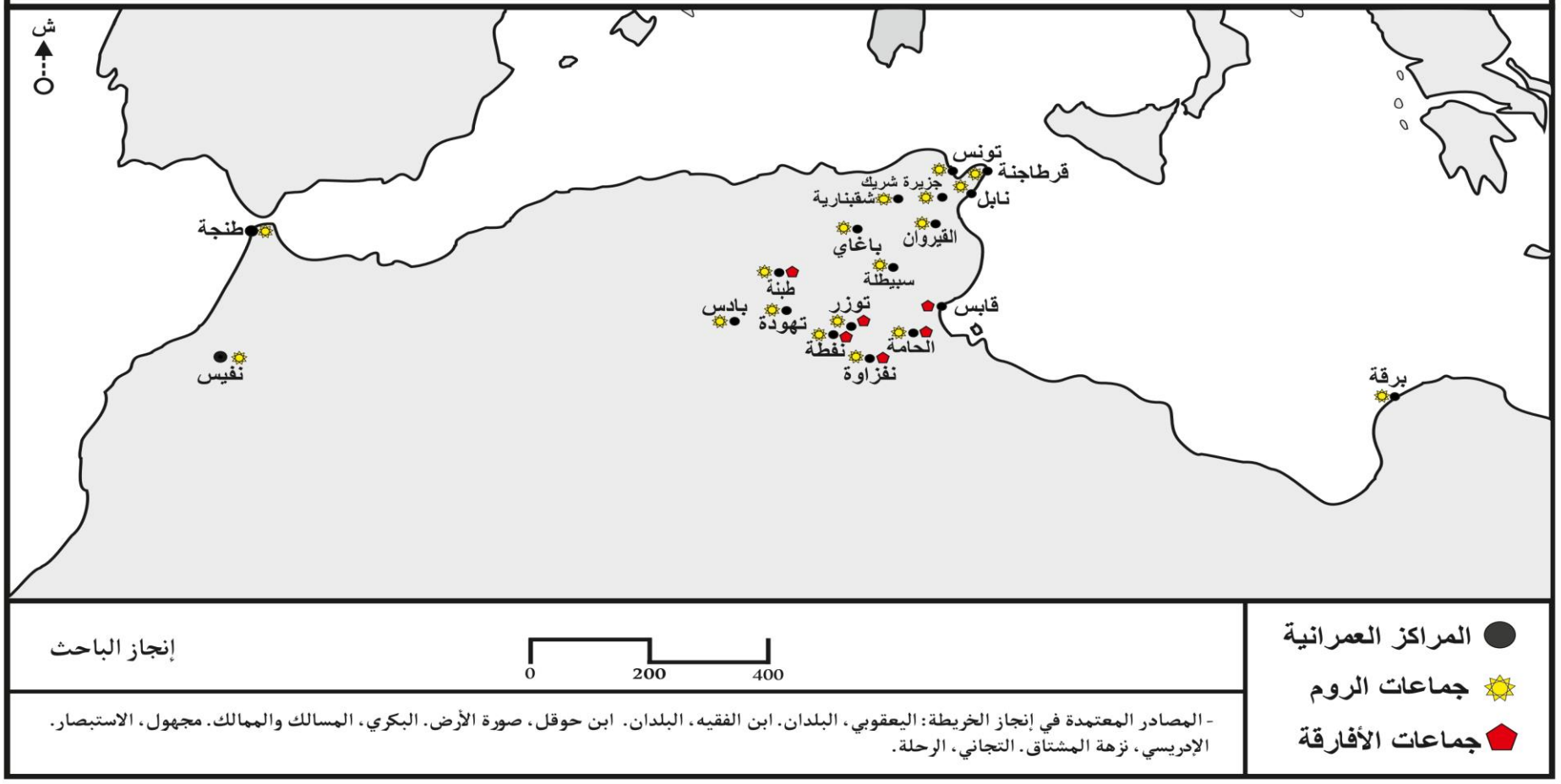

التعليق:

توزعت جماعات الروم والأفارقة على المجالات الشرقية لبلاد المغرب خلال فترة العصر الوسيط المبكر، فاستقرت بالواحات الصحراوية على غرار مدينتي برقة وطرابلس[1]، كما استوطنت في المجالات الريفية كتوزر[2] بإفريقية التي تقع على مفترق طرق استراتيجي مكّنها من التحكم في الأدفاق الداخلية الرابطة بين بلاد الزاب والمشرق عبر قسطيلية ونفزاوة وطرابلس وفي الأدفاق التي تصل بلاد السودان[3]، وانتشرت العناصر اللاتينو-بيزنطية في جزيرة شريك[4] وبمدينة قرطاجنة بشمال إفريقية[5] وبفحص أرطة الذي ظهر في النصوص الاخبارية عندما قاد حملة حسان بن النعمان وقاتل الروم به ثم فرض عليهم مقدارا من الخراج يؤدونه إلى المسلمين لما رفضوا دخوله[6].

ولاشك أنّ الخريطة العمرانية السائدة خلال العهد البيزنطي كانت تتكون أساسا من المدن – الحصون والقلاع[7]، والدليل على ذلك مدينة سبيطلة[8] قاعدة الملك جريجوار الثاني الذي انهزم أمام حملة عسكرية بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[9]، فقد شكّلت إحدى أبرز البؤر الاستيطانية لجاليات الروم، ومن جهة أخرى فغلبة الطابع العسكري[10] على العمران ببلاد المغرب أهم ما توصلت إليه معطيات الاكتشافات الأثرية الحديثة

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/181.

[2] توزر مدينة صحراوية محصنة بسور ولها أربعة أبواب تقع على الضفة الشرقية لشط الجريد في الجنوب الشرقي لتونس، مثلت قاعدة بلاد قسطيلية خلال فترة العصر الوسيط الأول، وتبعد عن العاصمة تونس بـــ430 كلم. البكري، المسالك والممالك، 708/2. الإدريسي، المصدر السابق، 277/1. الحموي، المصدر السابق، 57/2.

[3] أحمد الباهي، معركة ماواس في العصر الفاطمي (شمال غرب توزر) في العصر الفاطمي، مقال ضمن كتاب: التعمير في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، سوسة، 1438هـ2017، ص/7.

[4] التجاني، رحلة التجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1401هـ/1981، ص/13.

[5] البكري، المسالك والممالك، 206/1 وما بعدها.

[6] المصدر نفسه، 211/1.

[7] Charles diehl, op. cit., p.145. يوسف عييش، المرجع السابق، ص/301

[8] مدينة حصينة من مدن إفريقية تقع في الشمال الغربي لتونس، بينها وبين القيروان 106كلم، وتبعد عن العاصمة تونس بـــ199كلم، مثلت عاصمة الملك جريجوار (أو جرجير)، فتحها المسلمون في سنة 27هـ/647م، ومنها انطلقت الحملات الإسلامية لفتح المجالات الغربية لبلاد المغرب، الإدريسي، المصدر السابق، 283/1. الحموي، المصدر السابق، 187/3.

[9] ابن خلدون، كتاب العبر، 574/2. ابن عذاري، المصدر السابق، 11/1-12. السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ص/93.

[10] تعددت أشكال العمارة الدفاعية في بلاد المغرب خلال العهد البيزنطي، وجاءت لتلبية حاجة السلطة خلال الفترة البيزنطية من بسط لنفوذها العسكري في المنطقة إلى تأمين شبكة الطرق والمسالك والدروب الرئيسية، فتجهيز الحملات العسكرية وتوظيفها كملجأ يحتمي به الروم البيزنطيون والسكان، وبحكم أهميتها الاستراتيجية والمتطلبات الأمنية والحربية المتمثلة في التحصين والدفاع، حافظ البيزنطيون على تقليدهم العسكري بالاحتماء داخل الحصون والقلاع الموجودة ببلاد المغرب أثناء دخول الفاتحين المسلمين إلى المنطقة خلال فترة العصر الوسيط المتقدم، للمزيد من التفصيل،

التي كان لها الدور في تعميق معرفة الباحثين حول شبكة الحصون الواسعة، وإبراز الحقيقة التاريخية حول العمران في البلاد الساحلية الشرقية للمغرب، وبالتّحديد في إفريقية والمغرب الأوسط، حيث اكتشف الأثريون سلسلة من الحصون تحدد المسافة الفاصلة بينها من 6 إلى 7 كلم[1]، ولذلك تواجدت جماعات الروم بها لكونها مراكز محصنة لعبت دورا دفاعيا في المنطقة مثل مدينتي نابل ونفيس.

من جهة أخرى، أمدتنا النصوص الوصفية بمعطيات تشير إلى تواصل استقرار الجاليات اللاتينو- بيزنطية بالمراكز العمرانية داخل الواحات الصحراوية، فبرزت صورة الاستقرار البشري لجماعة الروم بمدينتي برقة وطرابلس[2]، وشمل توطين جماعات الروم والأفارقة المجالات الريفية بإفريقية كتوزر خلال فترة حكم الدولة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)، أين يظهر بشكل جلي دور السلطة في احتوائها لبقايا عناصر الثقافة اللاتينية القديمة، ولم تكن صورة الحضور اللاتيني مُمثلًا في جماعات الأفارقة أو الروم البيزنطين مقتصرة على هذه المدينة فحسب، بل إنّ جغرافية توزيعهم امتدت لتشمل مراكز حضرية متعددة، وهو ما يمكن أن نفهمه من نص اليعقوبي[3] عندما أشار إلى مواطنهم بمنطقة الواحات في الجنوب التونسي بقوله: " ومن قفصة إلى مدائن قسطيلية وهي أربعة مدائن...فالمدينة العظمى يقال لها توزر وبها ينزل العمال، والثانية يقال لها الحامة والثالثة تقيوس والرابعة نفطة...وأهل هذه المدن قوم من عجم من الروم القدم والأفارقة والبربر"، ونلاحظ أنّ الإشارة إلى تحكمهم في المجال ومحاولة تحويزه للسيطرة على مدن قسطيلية بعد أن ملكوا بشرة التي شكّلت كبرى مدن نفزاوة في إفريقية، يجعلنا نستنتج أنّ تواصل التوطين المحلي القديم لجاليات الروم الأفارقة في مجالات بعيدة عن مسار الأسلمة والتعريب، ما من شأنه أن يحول دون تغلغل التأثيرات السوسيو- ثقافية العربية، كما يمكّنهم من تجنب الاحتكاك بالعنصر العربي الوافد[4].

إنّ القراءة المتفحصة لمختلف الحقول المصدرية، لاسيما منها المصادر الاخبارية والجغرافية، توصلنا إلى استمرارية التعمير البشري لجاليات الأفارقة المنتشرة بمجالات برنيق من نواحي برقة في أقصى شرق بلاد المغرب الاسلامي، كما شمل تعميرهم مدينة قابس التي تمركز بها العنصر الإفريقي بداية من القرن الهجري الثالث إلى غاية

أنظر: الطاهر طويل، المدينة الاسلامية وتطورها، ص ص/82-83-84. سليم دريسي، البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال والعمارة الدفاعية، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد البشير شنيتي، جامعة الجزائر، 2008، ص/247.

[1] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، ص/147.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/187.

[3] المصدر نفسه، ص ص/188-189.

[4] Virginie Prévost, Op. Cit., p.469-470.

القرن السادس الهجري/12م، فعند الحديث عن تركيبتها البشرية نلاحظ أنهم قد أصبحوا يشكلون مركبا اثنيا رئيسيا في المجتمع القابسي خلال القرن الثالث الهجري[1]، وفي حين نجدهم كذلك خلال القرن الخامس الهجري محافظين على مكانتهم الاجتماعية ومواطنهم رغم دخول العنصر العربي اليماني والقيسي إليها واستيطانهم بها كما أوضح ذلك البكري "ومدينة قابس...يسكنها العرب والأفارق"[2]، فإنّ ما يدعم التواصل الإثني لعنصر الأفارقة خلال القرن الخامس الهجري كموكن من مكونات التشكيلة الاجتماعية بقابس هو وصف الجغرافي الادريسي(ت 560هـ/1164م)[3] الذي قال بأنها "مدينة الأفارقة"، وكذلك يضيف صاحب الاستبصار مؤشرا وصفيا يتطابق مع الرواية الأولى، ذلك أنّ " مدينة قابس...هي مدينة الأفارقة "[4].

ومن الناحية الطوبونيمية فقد ورد في المصادر الجغرافية ما يظهر تحول أسماء الجماعات القديمة إلى طوبونيما مكانية، حيث حملت بعض المواقع أسماء الجماعات الاثنية القديمة واستمرت حتى نهاية القرن الخامس الهجري/11م في بلاد المغرب الإسلامي، مثل عقبة الأفارق[5] وقصر الافريقي[6] وطوبونيم مرسى الروم[7].

وشكّلت بلاد الزاب مجالا جغرافيا استقرت فيه المجموعات البيزنطية واللاتينية، وكانت مدينة باغاي موطنا لهم، حيث يشير اليعقوبي إلى استقرار قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم بها، وظلت مدينة طبنة تمثل مركزا استيطانيا أساسيا لجماعات الروم والأفارقة، بالإضافة للجند العربي والأعجمي، ويشير الباحث علاوة عمارة[8] في دراسته الحديثة حول التحركات السكانية والتحولات السوسيو-ثقافية في واحات المغرب الأوسط، إلى التنوع الإثني الذي طبع الخريطة البشرية ببلاد الزاب، محددا العناصر

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[2] البكري، المصدر السابق، 189/2.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، 283/1.

[4] مجهول، الإستبصار في عجائب الأمصار، ص/297.

[5] موضع جغرافي يقع على محور الطريق البري بين مدينتي سبتة وفاس، وبالتحديد المسلك البري المؤدي من جبل زالغ الذي يشرف على مدينة فاس إلى عقبة الأفارق، ثم إلى نهر سبو إحدى أكبر الأنهار الواقعة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى، اليعقوبي، المصدر السابق، ص/293. البكري، المصدر السابق، 298/2. مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/190.

[6] حاضرة من حواضر بلاد المغرب الأوسط تقع بين مدينة تيفاش ومدينة تيجس، وهي على محور الطريق البري من القيروان إلى قابس إلى مجانة، وينتج سكانها القمح والشعير والحنطة، وبالقرب منها واد يسمى وادي الدنانير، المقدسي، المصدر السابق، ص/247. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1400هـ/1980، ص/146.

[7] من المرافئ البحرية في بلاد افريقية يقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين مرسى أنف أبي خليفة ومرسى بنزرت في شمال تونس، ومن مرسى الروم إلى تكوش ثمانية عشر ميلا. البكري، المسالك والممالك، 758/2. الإدريسي، نزهة المشتاق، 275/1.

[8] Allaoua Amara, «Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central», Op. Cit, p.187.

المتوطنة في هذه المدن التي تكونت تركيبتها السكانية من العرب "العرب اليمانية"، والعجم "الفرس"، والروم "اليونانيون والبيزنطيون"، والبربر، والأفارقة، واستمر هؤلاء في استعمال اللغة اللاتينية والتدين بتعاليم العقيدة المسيحية، وحافظت مدينة طبنة على سكانها الأصليين إلى جانب المراكز الحضرية الأخرى ببلاد الزاب، فرغم دخول المجموعات العربية واستيطانهم بها، وما تبعه من تأثيرات ثقافية تجلت خصوصا في حركة الأسلمة والتعريب، إلا أنّ الجماعات اللاتينو-بيزنطية استمرت مجاليا واثنيا بالتوطن والبقاء فيها، وهو الأمر الذي يؤكّد على قوة الدولة في صياغة العلاقة الودية بين العناصر العربية الوافدة والجماعات القديمة واحتوائهم في المجتمع العربي الاسلامي خلال عصر الولاة[1].

وأمَا الحديث عن استمرارية التوطن البشري لجاليات الروم والأفارقة ببلاد الزاب، فنلاحظ اختفاء كلي لهذا المركب الاثني اللاتيني من النسيج الاجتماعي في الواحات الصحراوية التي كانت تمثل مراكز استقرار لهم، وتنعدم الإشارات والمعطيات في المدونة الجغرافية وحتى الاخبارية[2] كلّما بحثنا في مسألة استمرارية الروم والأفارقة إلى ما بعد القرن الهجري الثالث/التاسع الميلادي ببلاد الزاب، فطبنة التي أشرنا إليها سابقا كانت تمثل قاعدة استيطان لجماعات العرب والعجم والجند إلى جانب عنصر الروم والأفارقة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[3]، لا نجد ضمن مكوناتها البشرية بقايا لهذه الجالية اللاتينو- بيزنطية في القرن الذي يليه، مما يؤشر على تحول ثقافي وديني بارز ساهم في ميلاد جماعات مسلمة تشكلت نتيجة تغلغل الفكر الديني في نفوس بقايا الجاليات اللاتينية- المسيحية التي توزعت على مدن الزاب في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[4]، فطرأت تحولات اجتماعية على تركيبة السكان في مدن الزاب بعد اتساع شبكة الاستيطان العربي، كما شهد القرن الخامس الهجري اختفاءً تدريجيا للمصطلحات الدالة على الجماعات المسيحية لتسميات جديدة تدل على

[1] علي الهطاي، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي، دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف، ع 12، 1438هـ/2017، ص/17.

[2] انعدمت الإشارات الدّالة على تواصل إثنونيم الأفارقة في بلاد المغرب الاسلامي، حيث لم تذكر مصادر القرن الرابع الهجري/10م سواء المصادر التاريخية المذهبية كافتتاح الدعوة أو عيون الأخبار، وكذلك الجغرافية الوصفية ممثلة في صورة الأرض وتقاسيم المقدسي، أية معطيات مرتبطة بتسمية الأفارقة أو مواطن استقرارهم إلى جانب عدم ذكرها تواصل هذا العنصر البشري اثنيا ومجاليا ببلاد المغرب سوى طوبونيم عقبة الأفارق الذي ورد في بعض النصوص الجغرافية، في حين أشارت مختلف المصادر الاسلامية الأولى إلى تواجدهم خلال القرنين الثاني والثالث الهجري/8-9م، وكذلك مع تطور المعطيات الدلالية في شهادة البكري والادريسي اللذين أثبتا تواصلهم الاثني لما بعد القرن الخامس الهجري، مما يجعلنا نسجل فجوة زمنية قدرت بأكثر من قرن غاب فيها لفظ الأفارقة عن المصادر التاريخية، علاوة عمارة، موقع تلمسان، ص/26. زياني الصادق، المرجع السابق، ص/126.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[4] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/127.

تحولات ثقافية ودينية في الزاب، فبرقجانة يعوض مصطلح الأفارقة ليدل على جماعات مسيحية محلية اعتنقت الديانة الاسلامية خصوصا في مدينة طبنة[1].

كما ظلت اللغة اللاتينية هي اللغة الرسمية المهيمنة على مجالات السكان ببلاد المغرب في الفترة المتأخرة من العهد البيزنطي، وأثناء حلول المسلمين بإفريقية وفتحهم للعديد من مدنها، عثروا على معظم الكتابات والوثائق والمؤلفات مكتوبة بالحروف اللاتينية ومن ضمنها الكتابات التي خطت على القبور والأضرحة والمباني القديمة[2]، وعلى ما يبدو أنّ أوضح نص حول بقاء اللغة اللاتينية كشاهد على تغلغل الثقافة الرومانو- بيزنطية في عدة مراكز عمرانية بالقسم الشرقي لبلاد المغرب[3]، ما قدّمه الجغرافي الادريسي[4] حول مدينة قفصة التي كان " أهلها متبربرون وأكثرهم يتكلم باللسان اللطيني الإفريقي"، فهذا المعطى الجغرافي يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّ الجاليات البيزنطية واللاتينية كالأفارقة قد أثبتوا حضورهم الاثني بجنوب شرق إفريقية من خلال الحفاظ على انتمائهم الألسني إلى اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري/12م[5]، واللافت للانتباه ما يضيفه الإدريسي عند التطرق لهذه اللغة التي تجيدها العناصر المحلية المترومنة بالإضافة إلى الروم البيزنطيين، إذ لمح إلى خصوصيتها المحلية لكونها تتميز في صيغة نطقها عن باقي اللغات اللاتينية المنتشرة في المجال الجغرافي للإمبراطورية الرومانية، ذلك أنّه ليس من الصعب عليه إثبات الحضور اللغوي للسان اللاتيني ببلاد المغرب الشرقي في ظل معرفته بواقع هذه اللغة في شبه الجزيرة الايطالية وصقلية[6]، وهو الذي كان قد توجه إلى خدمة الملك روجار الثاني، وعاش لسنوات عديدة مكنته من اكتساب خبرة في اللغات السائدة والمتداولة في المجال الصقلي[7].

وقد تحكمت ثلاث عوامل رئيسية في مسألة التوطن الجغرافي المشترك لجاليات الروم والأفارقة في المراكز العمرانية ببلاد المغرب الإسلامي بعد تمام عمليات الفتح الأموي، هذه العوامل يمكن أن ندرجها فيما يلي:

---

[1] علاوة عمارة، موقع تلمسان، ص/ 26.

[2] الطاهر طويل، الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/320.

[3] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/108، علاوة عمارة، التحولات المجالية والطوبونيمية، ص/13.

[4] الإدريسي، المصدر السابق،278/1.

[5] Tadeusz Lewicki, Op.Cit., pp.430-431.

[6] Virginie Prévost, Op.Cit., p.473.

[7] للتعرف على حياة الجغرافي محمد الشريف الادريسي وأسباب استقراره بجزيرة صقلية وطبيعة العلاقة التي جمعته مع ملكها روجار الثاني، أنظر دراسة الباحثين:

Allaoua Amara et Annliese Nef, «Al-Idrīsī et les Ḥammūdides de Sicile: nouvelles données biographiques sur l'auteur du Livre de Roger», Arabica, 67, 2000, p. 127.

- **المعطى التاريخي**: أنّ خضوع الأفارقة لسيطرة البيزنطيين ثم اندماجهم في الهياكل السياسية والادارية البيزنطية كموظفين، يظهر استمرارية تعميرهم للمدن في بداية فترة العصر الوسيط الأول، ولا أدّل على ذلك من استقرارهم بمدن وواحات بلاد الجريد بإفريقية[1].
- **المعطى الثقافي**: أنّ تأثير سياسية الرومنة على عنصر الأفارقة من خلال اعتناقهم للديانة المسيحية واكتسابهم للغة اللاتينية، كمظهرين من مظاهر الثقافة الرومانية واندماجهم في المجتمع الروماني قديما، هو ما جعلهم يحافظون على مراكزهم داخل المدن، إلى جانب جماعات الروم الذين يشتركون معهم في هذه الخصوصيات الثقافية[2].
- **المعطى الاقتصادي**: أنّ فئة الأفارقة قد لعبت دورا محوريا في اقتصاد بلاد المغرب لكونهم من كبار الملاكين في المنطقة من جهة[3]، وكذلك ارتفاع إيراداتهم المالية، فبعدما اشتغلوا في زراعة الزيتون وصناعة الزيت[4]، نجدهم تدرجوا في التصنيف السكاني كفئة أولى شأنهم شأن الروم، واحتلوا مكانة اجتماعية مرموقة مكنتهم من الاستقرار بالمراكز الحضرية إلى جانب الجاليات البيزنطية.

3-2/ صورة التوطن البشري لجاليات الروم والأفارقة حسب المصادر الإخبارية.

التوزيع الجغرافي لجاليات الروم والأفارقة في بلاد المغرب الاسلامي من خلال المصادر الاخبارية

[1] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص ص/155- 156.

[2] Philippe leveau, «L'archéologie française en Algérie et la résistance à la résistance à la romanisation: les enjeux d'un débat», Approches occidentales de l'archéologie nord-africaine(XIXe-XXe siècles) sous la direction de Hédi Dridi et Antonella Mezzolani Andreose, Bologne, 2016, pp.132-133; Djait Hichem. Op. Cit., 613.

[3] محمد الطاهر منصوري، المرجع السابق، ص ص/25- 26.

[4] تحكمت جماعات الأفارقة في مجال زراعة الزيتون وتصديره إلى الروم البيزنطيين، وكان سببا رئيسيا في ثراءهم واحتلالهم مكانة مميزة في التصنيف الاجتماعي ببلاد المغرب، فقد أشار ابن عبد الحكم في رواية اخبارية إلى عبد الله بن سعد الذي افتتح افريقية وكان يوضع بين يديه الكوم من الورق، فيقول للأفارقة من أين لكم هذا ؟ قال فجعل انسان منهم يدور كالذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة، فجاء بها إليه، فقال من هذا نصيب الورق، قال: وكيف؟ قال إنّ الروم ليس عندهم زيتون، فكانوا يأتوننا يشترون منا الزيت فنأخذ هذا الورق منهم. ابن عبد الحكم، المصدر السابق،ج1، ص/248.

الموطن الجغرافي	المركب الاثني	المصدر
أنطابلس	الروم	خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص/144.
تهودة	الروم	المصدر نفسه، ص/151.
سبيطلة	الروم	المصدر نفسه ، ص/159.
برقة	الروم	أبو العرب، المحن، ص/232.
سبرت	الروم والأفارقة	ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/229.
قرطاجنة	الروم	المصدر نفسه، ص/246.
جلولاء	الروم	المصدر نفسه، ص/261.
مجانة	الروم	الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية والمغرب، ص/42.
باغاية	الروم	المصدر نفسه، ص/42.
القيروان	الروم	المصدر نفسه، ص ص/49-50.
شقبنارية	الروم	المصدر نفسه، ص/51.
تيهرت	الروم	المصدر نفسه، ص/43.
طنجة	الروم	المصدر نفسه، ص/43.
افريقية	الروم	المالكي، المصدر السابق، 10/1.
طرابلس	الروم	المصدر نفسه، 10/1.
قفصة	الروم	المصدر نفسه، 21/1.
مرماجنة	الروم	المصدر نفسه، 21/1.
باجة	الروم	المصدر نفسه، 50/1.

الجدول رقم (5): التوزيع الجغرافي لجماعات الروم والأفارقة في بلاد المغرب الاسلامي من خلال المصادر الإخبارية.

التوزيع الجغرافي لجماعات الروم والأفارقة ببلاد المغرب من خلال المصادر الإخبارية

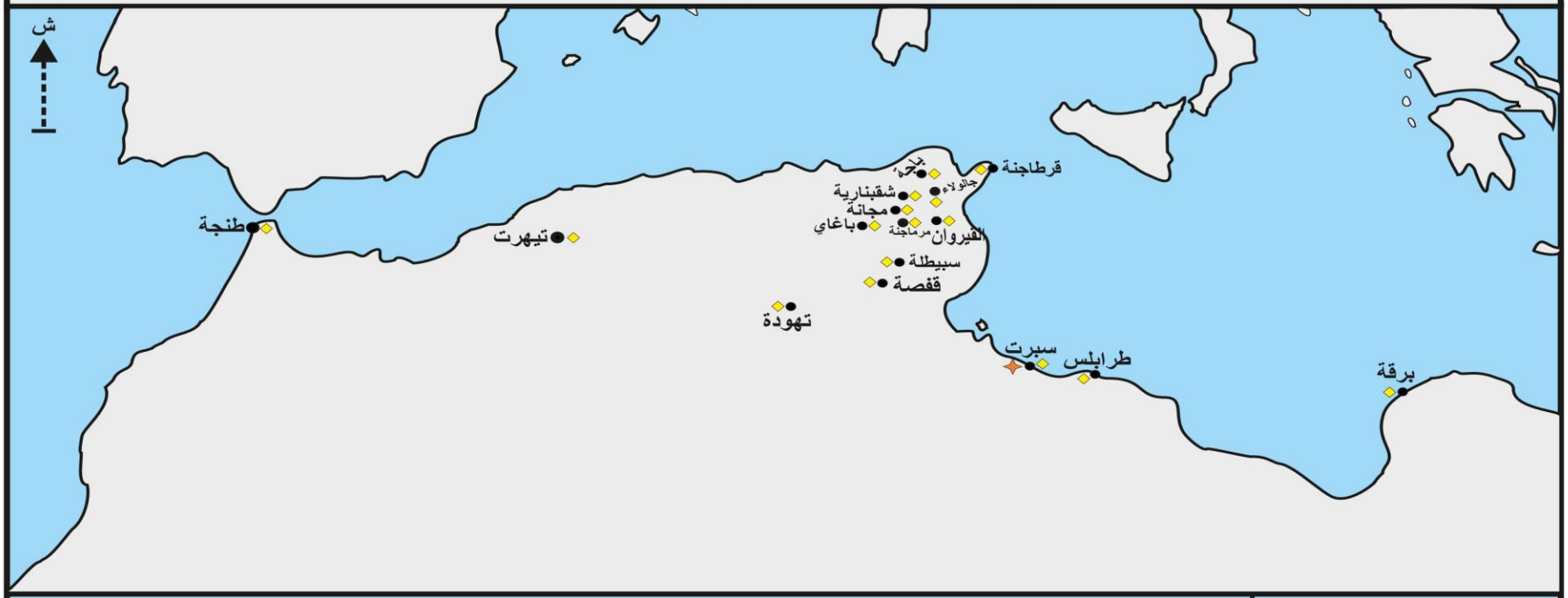

- المصادر المعتمدة في إنجاز الخريطة: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة. ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب. المالكي، رياض النفوس. أبو العرب، المحن. الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب.

التعليق:

الملاحظ من خلال الجدول هو التركيز شبه الكلي للمصادر الاسلامية في متونها على الروم، كجالية قديمة استوطنت مجالات بلاد المغرب، وتجنب ذكر المركب الاثني المعروف بالأفارقة باستثناء بعض الإشارات النادرة، لمجموعة من الأسباب لعل من أبرزها عدم فصل المصادر بين العناصر اللاتينية والبيزنطية أي بين الروم والأفارقة لأنهم من نفس الجماعات الحضرية، وبالتالي التشابه في طرق وأنماط المعيشة التي عرفوا بها[1]، ثم إنّ عنصر الروم هو الذي لعب الدور العسكري البارز في الدفاع عن بلاد المغرب البيزنطي والتصدي للحملات الإسلامية في تلك المرحلة التاريخية الحاسمة[2]، ولذلك أكدّت النصوص الاخبارية حضوره في مختلف المدن الشرقية لبلاد المغرب الاسلامي في الفترة الانتقالية من المرحلة القديمة المتأخرة إلى العصر الوسيط المبكر.

وتبعا لذلك لا تظهر أسماء الجماعات البشرية ومواطن استقرارها واستمرار تعميرها لمجالات بلاد المغرب خلال الفترة الاسلامية الأولى، إلّا من خلال معاينة الأحداث الكبرى التي شهدتها المنطقة أو ما يُعرف بالاحتكاك العسكري بين الأمويين والسلطة البيزنطية أو السكان المحليين[3]، فمع بداية وقائع الفتح في سنة 21هـ/641م حتى سجلت لنا النصوص الإخبارية جملة من مراكز توطن الجاليات اللاتينية "الأفارقة"، التي توزعت على برقة وطرابلس[4] والسهوب الغربية الجنوبية لإفريقية ببلاد قسطيلية[5]، كما سكنت مجموعات أخرى بعض مدن الساحل البحري على غرار مدينة قابس وشبه جزيرة المنستير إلى جانب مدينة سبرت[6]، وهي كلها مدن خضعت لسلطة البيزنطيين سياسيا وعسكريا قبل مرحلة الفتح، وتم تعميرها من طرفهم بعد انشاء سلسلة من الحصون والقلاع

---

[1] Soléna cheny, Op.Cit, p.249.

[2] الجدير بالملاحظة أنّ الحملات العسكرية التي أنفذتها الخلافة الاسلامية في اطار حركة الفتوح إلى بلاد المغرب تم مواجهتها من طرف الجيش البيزنطي الذي تحرك للدفاع على الأراضي الواقعة تحت سلطة الإدارة البيزنطية، وهو ما يظهر في عديد المعارك التي ذكرتها المتون المصدرية على غرار معركة سبيطلة 27هـ/647م في إفريقية، واستمر الصراع العسكري بين الفاتحين المسلمين والروم البيزنطيين إلى غاية ضم بلاد المغرب إلى دار الاسلام، أنظر في الموضوع: ابن الخليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/159. ابن عبد الحكم، ص/246. الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص/47. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/205-206.

[3] علاوة عمارة، موقع تلمسان، ص/19.

[4] أشار أبو العرب في المحن إلى سيطرة جماعات الروم البيزنطيين على برقة ونواحيها عندما صور لنا حادثة استشهاد زهير بن قيس البلوي قائلا: "وهو الذي قام بالناس بعد قتل عقبة، قتلته الروم بجبل برقة مع جماعة من أصحابه ودفنوا هناك، وقبورهم تعرف إلى اليوم بقبور الشهداء يمر عليها الحجاج"، أبو العرب، كتاب المحن، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض، 1404هـ/1984م، ص/232.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/188-189.

[6] ابن عبد الحكم، المصدر السابق،229/1. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190. البكري، المصدر السابق،235/2. الإدريسي، المصدر السابق، 238/1.

والحاميات مثل حصن مجانة[1] وأجدابية وحصن باجة وحصن باغاية[2]، كما تبرز بعض الأدّلة التّاريخية[3] تعمير الروم لأرياف المغرب الأوسط، وبالتحديد في بلاد الزاب أين تظهر النصوص الاخبارية تحصينات بيزنطية في عمق الزاب مثلتها تهوذة التي ارتبطت باستشهاد عقبة بن نافع وأصحابه، وهو ما يؤكد على تغلغل التوطين بالنسبة لعنصر الروم[4]، لكنها عرفت تحولات اجتماعية عميقة إن على مستوى البنية السكانية أو على مستوى جغرافية التوطين في المنطقة بعد توافد المجموعات العربية المشكلة لتركيبة الجيوش الإسلامية.

كما شهدت المجالات الغربية لبلاد المغرب الإسلامي تواجد الجماعات البيزنطية المعروفة بالروم في المدن القديمة والحصون والحاميات، حيث أشار الرقيق القيرواني إلى استقرارهم في مدينتي تاهرت وطنجة[5]، لكن ندرة الإشارات التاريخية حول مواطن الروم والأفارقة بالجهة الغربية لبلاد المغرب يثبت اتساع وتمدد السلطة البيزنطية مثلما دلت عليه مختلف معطيات الاكتشافات الأثرية الأخيرة، لتحكم السيطرة بدرجة كبيرة على مجالات الجزء الشرقي منه ثم انحصارها تدريجيا في مدن الشريط الساحلي[6] كلما توجهنا غربا حتى أصبح الحضور الرومي يقتصر على مدينة طنجة فقط الواقعة في أقصى الشمال الغربي لبلاد المغرب الإسلامي[7].

---

[1] "مجانة المعادن" أو "مجانة المطاحن"، مدينة اشتهرت بوفرة المعادن كالحديد والرصاص، وبها مقطع لمادة الحجارة التي تصنع منها المطاحن والأرحاء، لا يزال تاريخها غامضًا رغم تركيز الدّراسات الأخيرة على المصادر الاسلامية والأدلة الأثرية للكشف عن هويتها وتحديد موقعها الذي يتموضع حسب التقديرات الحالية على جبل الونزة شمال مدينة تبسة في أقصى الشرق الجزائري. البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح: محمد علي البجاوي، ط1، ج3، دار الطباعة للنشر، بيروت، 1374هـ/1954م، ص/1230 .Cambuzat, L'évolution, II, p.138 . Abdelhamid Fenina, «La ville de Maǧǧāna sous Ziyādat Allāh: un atelier monétaire peu connu et une principauté éphémère à l'époque aġlabide», Arabica 55 Koninklijke Brill NV, Leiden, 2008, pp. 205-206.

[2] راجع في الموضوع: محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/147.

[3] حول الموضوع راجع: النويري، المصدر السابق، 15/24. ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، ط1، تونس، 1286هـ/1869م، ص/29. أبو العرب، المصدر السابق، ص/290.

[4] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/105.

[5] يشير صاحب كتاب مفاخر البربر إلى الحملة العسكرية التي قادها عقبة بن نافع باتجاه المغرب الأقصى، ومع دخوله مدينة طنجة، " وجد بها ملكا من ملوك الروم يسمى يليان وكان شريفا في قومه، فأدى إليه هدية ولاطفه..."، على ضوء هذه الرواية ينسب هذا الملك اثنيا إلى جماعات الروم التي سكنت مدينة طنجة بعد سيطرة البيزنطيين عليها سنة 543م. مجهول، مفاخر البربر، ص/194.

[6] يوسف عيبش، الإحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص ص/309-310. محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/147 Charles diehl, Op.Cit, p.145.

[7] سيطر البيزنطيون على افريقيا الوندالية عام 533م تحت حكم الإمبراطور جستنيان، وكجزء من السياسة التوسعية الهادفة للسيطرة على أقاليم المقاطعة الافريقية ومواجهة السكان الأصليين، تم إطلاق مخطط رئيسي لتحصين المنطقة الشرقية تحت إشراف القائد العسكري سولومون، الذي بدأ

وبالرغم من جلاء الجماعات السكانية عن مدينة سبرت، إلا أنّ المصادر لا تحدد بدقة أسماء هذه الجماعات، واكتفت فقط بذكر رواية تبرز التعمير البشري القديم للمدينة، فقد"...أقام الأفارق، وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم..."[1]، ولعّل هذه الإشارة تجعلنا نتبين العلاقة التاريخية بين العناصر الاجتماعية القديمة المشكلة من الروم والأفارقة، واستيطانهم في نفس المجالات والمراكز الحضرية ببلاد المغرب الشرقي على وجه الخصوص، وذكرتهم المصادر التي تعرضت لتاريخ الفتح ضمن تجمعات بشرية واحدة مكونة من العنصر المحلي والعنصر اللاتيني وكذلك المركب البيزنطي.

وأخيرا، يمكن القول بأنّ إثنونيم الروم والأفارقة لم يكونا وليدي فترة العصر الوسيط المبكر، مثلما أشارت إليه مختلف النصوص الاخبارية والوصفية الإسلامية، بل لهما أصول تاريخية قديمة تعود إلى العهد البيزنطي على الأقل إن لم نقل خلال الفترة الرومانية، وقد ذكرت مصادر الفترة القديمة[2] والنقائش الأثرية[3] أسماء عرقية تم من خلالها اشتقاق تسميتي الروم والأفارقة، فالرومان معروفون بهذه الإثنونيم في الفترة القديمة ومن جذر هذا اللفظ اشتقت كلمة الروم، كما أنّ إشارة الدراسات الحديثة إلى علاقة الأفارقة باسم المجال الجغرافي المعروف بإفريقية، يجعلنا لا نستبعد الأصل القديم للتسمية، ونؤكد على التحول الإثنونيمي الجزئي للفظ الأفارقة كباقي أسماء عناصر التركيبة البشرية في بلاد المغرب عشية الفتح الاسلامي، فتقسيم المجموعات السُكانية في بلاد المغرب إلى عناصر بشرية تحمل التسميات التالية: "البربر–الروم –الأفارقة أو العجم"، يومئ إلى مدى تأثير التصنيف السكاني التقليدي الذي وضعه الإخباريون والجغرافيون في المصادر الإسلامية دون مراعاة التقسيمات القديمة لهذه الجماعات وأسمائها الاثنية.

إنّ ندرة المادة التاريخية المتعلقة بمسألة التوطن الجغرافي لجالية الروم والأفارقة، يطرح تناول الموضوع انطلاقا من المصادر الجغرافية التي قدّمت نصوصا وصفية، سمحت بتحديد ملامح الخارطة المجالية لعناصر الجاليات اللاتينية والبيزنطية، وبالأخص ذكرها لجغرافية التوطن اللاتيني واستمرارية الروم والأفارقة في المنطقة كمركبات إثنية

بتقسيم المواقع المعنية وتشييد شبكة من المراكز العسكرية، لتكون بذلك هذه التحصينات الدفاعية مخصصة لحماية مراكز حضرية كبيرة (قرطاج على وجه الخصوص)، وأيضا لكي تتحكم في محاور العبور والدروب الرئيسية والمناطق الزراعية الغنية.

«De la tribu à la ville : un essai d'approche régressive de l'histoire du Yassir benhima, Pierre Guichard, , p. 103.1869peuplement de la région de Tébessa», Revue des mondes musulmans et de la Méditerrané,

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1.

[2] Stéphane Gsell, Inscriptions latines de l'Algérie, Inscriptions de la Proconsulaire, Paris, 1922, p.60.

[3] أنظر: الملحق رقم (3).

لها خصائص ثقافية قديمة لم تفقدها بتعايشها واحتكاكها مع العناصر البشرية الأخرى، وبالرغم التحولات الاجتماعية والثقافية والمجالية التي طبعت المنطقة وتأثيرها على العديد من المراكز العمرانية التي كانت مواطن استقرار لهم كمجالات الزاب وواحات قسطيلية والمنستير وقابس...، كما أنّ استمرارية اللسان اللاتيني في بعض مدن إفريقية، يؤشر على التواصل الاثني للأفارقة ببلاد المغرب الشرقي إلى غاية منتصف القرن السادس الهجري/12م.

ثانيا: الفرس.. الخراسانيون...العجم...العجم القدم...عودة إلى إشكالية التعدد الإثنونيمي.

1- صورة الإثنونيم في المصادر السنية والإباضية:

قبل الخوض في التحديد المصطلحي لمدلول إثنونيم العجم ولواحقه اللفظية، لابد من طرح السؤال الآتي: ما هو مدلول مصطلح "عجم" في النصوص الوصفية والاخبارية؟ وهل لصيغته التركيبية وتوابعه اللغوية مدلولات مضمرة لم تفصح عنها مصادر الفترة الاسلامية الأولى؟ ألم تؤثر السياقات التاريخية السياسية والمذهبية والجغرافية في هذه التسمية العرقية؟

يحدّد الباحث غابرياليي[1] أصل كلمة العجم وتطوراتها الدلالية في اللغة العربية، فيذكر أنها توازي تمامًا مدلول الإثنونيم اليوناني المعروف بـ: البربر"βάρβαροι"، وحسب المعنى الأساسي للجذر الذي اشتقت منه، تكون لفظة العجم "adjam" دالة على السكان الذين يتحدثون بعجمة "udjma"، وهي طريقة مبهمة وغير مفهومة لغويا من حيث النطق، ذلك أنّ العجمة في اللغة العربية عكس الفصاحة، والعجم يقصد بهم غير العرب، وهذا ما أخذ دلالته التي يُشار إليها بالبربرية أي الأسلوب غير المفهوم والغامض في الكلام.

وبالرغم من أنّ التسميات العرقية التي اصطلحتها المصادر الإسلامية على المجموعات البشرية تعبر عن التمايز الاثني بينها، فلا يمكن تجاهل ازدواجية المدلول العام لتسمية العجم، وإنما صار لابد من ضبط التسمية وإن تعددت دلالاتها، وهو ما تم التأشير عليه من طرف تادوش ليفتشكي في اعتبار "العجم" كمصطلح استعمل لتسمية الجماعات السكانية الناطقة بغير اللغة العربية أو بالأحرى غير العرب، فينطبق معناها على السلالات البشرية ذات الأصول الاثنية غير العربية بشكل عام، أو السلالات ذات الأصول العرقية الفارسية خصوصا[2].

[1] Gabrieli, F. «ʕAdjam » The Encyclopaedia of Islam, Second Edition, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, and W.P. Heinrichs. Leiden: Brill, 2012. Accessed March 10, 2017. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_0322.

[2] Tadeusz Lewicki, Op. Cit., pp.418-419.

لقد وضع شارل بلات[1] مدلولا لإثنونيم العجم، مُقدّما تعريفا له يتوافق مع ما تضمنته المصادر الاباضية من معطيات في هذا الخصوص، فمدلولاته لا تخرج عن المعنى المحصور في كونهم الجماعات التي تنحدر الفارسية التي اندمجت في الحضارة الاسلامية، لكن خلافا لهذا التعريف الذي يختزل مدلول مصطلح العجم في العنصر البشري الفارسي، يشير الباحث فتحي بحري إلى توظيف للفظة "عَجَم" ثلاث عشرة مرة من طرف الجغرافي العباسي اليعقوبي[2]، للإشارة إلى مجموعات بشرية معروفة بهذا الاسم من جهة، ومن جهة أخرى يتم عرضها بشكل غامض، حيث وفعلا قد تم استعمال إثنونيم "عَجَم" ليدل على الفرس في القيروان، مثلما أكدّته مدونة النقائش الجنائزية التي احتوت على عناصر اجتماعية منتسبة إلى الأصل الخراساني والفارسي[3]، وكذلك في مدينة باغاية، وباجة، وطبنة، ومقرة التي استقر بها العنصر الأعجمي[4].

غير أنّ لفظ "العجم" أخذت دلالته في الاتساع بعد أن درج اليعقوبي على تلقيب بعض الجماعات البربرية به، كالتي ذكرت في معرض حديثه عن البربر قائلا "بربر عَجَمٌ" أو "عَجَمُ من البربر"[5]، بالإضافة إلى اتصاف مجموعات إثنية ليست من الأصول العربية ولا البربرية في قابس بهذه التسمية، مثل الروم القدامى والأفارقة[6] والبربر في بلاد قسطيلية، كما وظّف المؤلف كلمة "عَجَم" في صورته المركبة "عجم البلد"[7]، وهم بقايا الجماعات القديمة ممن ولدوا في بلاد المغرب، لينحصر معناه في البربر والروم بالقيروان وأحفاد الروم في باغاية[8].

---

[1] Charle Pellat, «al-Furs», in: Encyclopaedia of Islam, Second Edition, Edited by: P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs.brillonline.com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/al-furs SIM_2405.

[2] ينبغي التنبيه في هذا الصدد إلى اعتمادي على كتاب البلدان لمؤلفه اليعقوبي من أجل إحصاء إثنونيم "العجم" بتراكيبه وصيغه المختلفة، دون حصر المجال الجغرافي في افريقية مثلما عمل الباحث فتحي بحري في دراساته، إذ أن اشاريتي في هذا السياق مرتبطة بتعاطي اليعقوبي لكلمة العجم عند ذكره لمجالات المغرب الاسلامي متناولا إياه كوحدة جغرافية متكاملة، وبعد توظيف المنهج الاحصائي سجلت ذكر كلمة "العجم" بتعدد صيغها ستة عشر مرة. أنظر: الملحق رقم (4).

[3] مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين، ص/180.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص/556.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/185-190.

[6] ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص/86. محمد حسن، المدينة والبادية، هامش ص/270.

[7] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص/187.

[8] Fathi Bahri, « Les ‘Adjam al-balad une minorité sociale», « Des conversions, des hommes et des biens», Op. Cit., pp.13-132. pp 68-69.

ويرى الباحث إبراهيم بكير بحاز[1] أنّ دلالة كلمة العجم تنطبق على مجموعة إثنية تتشكل من الفرس، فلاشك أنهم جاؤوا من المشرق في الجيوش العباسية خاصة زمن أبي جعفر المنصور[2] جنبا إلى جنب مع العرب والجند واستقروا في الحواضر الإسلامية ببلاد المغرب، أو ربما تقابل كلمة العجم بقايا الجماعات القديمة من الروم والأفارقة والجاليات البيزنطية التي استوطنت في المنطقة خلال فترة ما قبل الإسلام، لذلك استعمل إثنونيم العجم في المصادر الإباضية[3] أكثر من لفظة الفرس رغم ذيوعها وانتشارها.

وبحسب دراسة حديثة من إنجاز الباحثين أوديل كومر وسلفاتور ليكاردو وأندريا نوفاك[4]، أطلقت تسمية العجم أو الأعاجم على المجموعات البشرية من غير العرب، أو بالأحرى غير المتحدثين بلغة العربية، والتي يمكن حصرها السلالات البشرية التي تنتمي إلى أصول عرقية مختلفة عن الأصل العربي، أو الجماعات الاثنية ذات الأصول الفارسية ضمن تصنيفٍ عرقي، أنتجه الصراع العربي الفارسي أو حركة الشعوبية[5] بداية من النصف الثاني من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، حيث تسلطت النزعة القومية للفرس وتصاعد خطرها باستطالتهم على العرب والانتقاص من تفوقهم الحضاري، وبعد تولي العناصر الأعجمية للمناصب الرفيعة في الدولة العباسية، وبالتحديد العنصر الفارسي[6]، استعمل العرب لفظ الموالي "العجم" لتحقير الأجناس البشرية الأخرى[7] مثل النّبط

---

[1] ابراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص/35.

[2] العامل السياسي لإرسال الجند الخراساني ضمن البعوث العباسية إلى إفريقية، هو سيطرة المذهب الصفري الذي تبنت مبادئه قبيلة ورفجومة، وبعد انتصارها على العرب في القيروان، وجّه الخليفة أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث إلى بلاد المغرب في أربعين ألفا، ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان، وعشرة آلاف من أهل الشام، ونجح بالفعل في القضاء على أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بنواحي طرابلس، وأثقل كاهل الصفرية بمغرمة نكراء سنة 157هـ/774م، وكان من نتائجها هروب عبد الرحمن بن رستم من مدينة القيروان، واختفى بذلك أتباع الحركة الصفرية والإباضية من إفريقية ولجأوا إلى تاهرت بالمغرب الأوسط وسجلماسة بالمغرب الأقصى لتأسيس دولهم، ابن عذاري، المصدر السابق، 72/1. النويري، المصدر السابق، 73/24-74. السلاوي، الإستقصا، المصدر السابق، 183/1 فما بعدها.

[3] للمزيد من التفصيل راجع: ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص/54-55. الشماخي، المصدر السابق، 104/2. أبو زكريا، المصدر السابق، ص ص/50-51.

[4] Odile Kommer, Salvatore Liccardo, Andrea Nowak, «Comparative Approaches to Ethnonyms The Case of the Persians», Hungarian Historical Review 7, nº. 1, 2018, p.41.

[5] حركة مناهضة للعرب تهدف إلى تمجيد الفرس والترك والقبط والزنج وغيرهم من الأجناس البشرية وذكر مآثرهم وأخبارهم وحبهم لأوطانهم، واثبات هذه الشعوب لوجودها وتمايزها وفضائلها وتفوقها، واشتدت خلال العصر العباسي للبرهنة على أنّ العرب ليسوا أفضل من سائر الأمم، بل هم دونها شأنا، الجاحظ، الرسائل السياسية، تح: علي أبو ملحم، ط2، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ/2002م، ص/19.ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ/1983م، ص ص/351-352.

[6] حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار جيل، بيروت، د ت، ص/149 وما بعدها.

[7] هناك معضلة حقيقة عصفت بالعلاقات الاجتماعية بين العرب والموالي، فإذا كانت توجد تراتبات بين القبائل العربية تبعا لموروثها الجاهلي والإسلامي، إلا أنه كان هناك اتفاق على الموقع الدوني للموالي والنظرة المحتقرة لهم وغير العرب بالمقارنة مع العرب، ومما يؤكد ذلك هي الروايات التي وردت في هذا

والقبط والزّط من أهل السند والسودان والبربر من أهل افريقية، ويصبح هذا الإثنونيم الجديد من بين المحددات المصطلحية التي ترتب عنها للتمايز العرقي بين عناصر الخريطة البشرية في المجتمع الاسلامي زمن العباسيين، وبشكل صريح وُظّف لتعيين مجموعة عرقية ممثلة في المركب الاثني الفارسي[1].

وعلاوة على ذلك، تكشف لنا المصادر الجغرافية استخدام لفظة العجم أو الأعاجم للدلالة على مجال جغرافي يقع في شرق الدولة الإسلامية، يحمل طوبونيم بلاد العجم[2] أو الاسم الهيدرونيمي بحيرة العجم، وبالتالي فإن إثنونيم العجم باشتقاقاته المتعددة هو أكثر المصطلحات غير الواضحة بالرغم من حضوره في مختلف المظان العربية ليرمز به لمجموعات الفرس، وهو ما لاحظناه في المصنفات الفقهية[3] والاخبارية[4] والجغرافية[5]، وحتى مدونات الشعر[6] والأدب العربي[7]، وسواء ورد ذكره ليعبر عن العجم الفرس أو غير العرب، فلربما كان الهدف من وراء هذا

السياق، وعلى ما يبدو أن كثرة المؤلفات اللاحقة توضح اشكالية هذه العلاقات وطابع الصراع الذي اندلع بشأنها، لاسيما بعد أن أضحى الموالي جزءا مكينا من البنية الاقتصادية والاجتماعية، إلى الحد الذي بات التخلص من قسم منهم أمرا متعذرا، إلا أنهم ظلوا في موقعهم الدوني. زهير هواري، السلطة والمعارضة في الاسلام- بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11-132هـ/612-750م، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1423هـ/2003م، ص ص/447-448.

[1] Odile Kommer, Salvatore Liccardo, Andrea Nowak, Op. Cit., p.41. حسين عطوان، المرجع السابق، ص/149 وما بعدها

[2] أنظر: ابن الفقيه، المصدر السابق، ص/609. ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، 1428هـ/2008م، ص/381. الحميري، المصدر السابق، ص/323.

[3] ابن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، تح: محمد حجي وآخرون، ج8، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ- 1988م، ص ص/254-255. القرافي، الذخيرة، تح: سعيد أعراب، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1415هـ1994م، ص/126.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ/1967م، ص/234. ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ج7، ط1، دار احياء التراث العربي، 1408هـ/1988م، ص/101. ابن خلدون، العبر، 446/1.

[5] الهمداني، الأماكن وما افترق مسماه من الأمكنة، تح: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1415هـ/ 1994م، ص/88. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الله بن يحيى السريحي وآخرون، ج3، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م، ص/259. ابن فضلان، المصدر السابق، ص/43.

[6] العكبري، شرح ديوان المتنبي، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ص/161. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج5، ط1، دار صادر، بيروت، 1417هـ/1997م، ص/444.

[7] الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ/1964م، ص/384. ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، لبنان، دت، ص/36-39. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص/167.

التوظيف هو تعالي العنصر العربي على باقي عناصر التكوينات الاغجتماعية، ممن هم من الموالي الفرس والخراسانيين وكبح شعورهم بالتفوق على العرب[1].

أثناء زياراته إلى بلاد المغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وتسجيل مشاهداته وأوصافه، لاحظ الجغرافي العباسي اليعقوبي خليطا من العناصر الإثنية المشكلة لتركيبة مجتمع بلاد المغرب الإسلامي، فأورد مجموعات بشرية تحمل إثنونيمات متعددة مثل العجم أو العجم القدم أو عجم البلد، أشار إليها في ستة عشر موضعا في كتابه "البلدان".

وكما أنّ مصطلح العجم لم يوظف للدلالة على مجموعات سكانية بوصفها من العناصر القديمة[2] التي تواجدت في بلاد المغرب خلال الفترة البيزنطية فقط، وإنما تقاطعت معانيه ودلالاته ليستعمل اللفظ جامعا للعناصر الاثنية غير الناطقة باللغة العربية، سواء أكان الأمر مرتبطا بالجاليات القديمة المكونة من الروم والأفارقة أو العناصر الاجتماعية الأصلية الممثلة في "البربر"، بل وآثر الإخباريون والجغرافيون في القرن الثالث الهجري/9م تسمية العناصر الوافدة على المنطقة بالعجم في خضم حركة الفتوح كمكون بشري من مكونات الجيوش الأموية ثم العباسية، منها العنصر الفارسي والخراساني الذي استوطن العديد من المدن، وأصبح مكونا أساسيا من مكونات الجغرافيا البشرية في إفريقية وبلاد المغرب الأوسط.

ولهذا طرح التعدد الإثنونيمي[3] مشكلة تتعلق بتحديد معاني الأسماء العرقية للجماعات السكانية التي لايزال يلفها الغموض وتكتنفها الضبابية خصوصا في مرحلة العصر الوسيط المبكر، وأقرب الأمثلة إلى ذلك ما

[1] Odile Kommer, Salvatore Liccardo, Andrea Nowak, op .cit., p.41.

[2] تشمل كل الجماعات السكانية التي استوطنت بلاد المغرب وتعاقبت على المنطقة خلال الفترة القديمة، من بينها المجموعات المورية و"البربرية" والرومان والجاليات البيزنطية وغيرها من العناصر البشرية السابقة لمرحلة التاريخ الاسلامي، والتي لا يسعني المقام لحصرها في هذا الموضع، للمزيد من الاطلاع، أنظر: العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، ص/153 فما بعدها.

[3] من مظاهر التعدد في معاني ومدلولات الأسماء العرقية في الاسطوغرافيا الإسلامية ما تعلق بلفظ العجم، فبعض المصادر أوردته مصطلحا عاما متشعب الدلالة لا يتيح إمكانية استكناه مدلولاته لا سيما منها النصوص الاباضية، ويقابله توجه آخر عبّر عن تسميات المجموعات الاثنية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال توظيف اللفظ ملحقا بلفظ ثانٍ أو بكلمتين مثل "العجم البربر" أو "عجم من أهل خراسان"، مما يجعل ازدواجية المصطلح تفتح مغاليق العديد من الإثنونيميا المرتبطة بالسكان المعروفين بهذا اللقب العرقي، أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص/73. أبو زكريا يحي، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1982م،ص ص/49-51. الشماخي، كتاب السير، 104/2. اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/189-190.

ذكرناه سابقا، إذ استعمل العرب لفظ العجم ليتطابق في معناه مع مصطلح الفرس كعنصر بشري من جهة[1]، أو بقايا الروم والأفارقة وحتى البربر الذين أدرجوا تحت تسمية واحدة مبهمة المدلول وهي "عجم البلد".

ولم يستثن حضور لفظ العجم في نصوص البلدان لليعقوبي أو كتاب ابن الصغير في أخبار الأيمة الرستميين[2] وحتى في رياض النفوس[3]، فرغم قلة معلوماتنا وندرتها في هذا المقام، إلا أنّنا نجد مصادر الفتوح قد عرجت على إثنونيم العجم، حيث يشير ابن الحكم[4] إلى وضع حسان بن النعمان الخراج على "عجم افريقية"، وهي تسمية جمعت كل السكان الذين لا يجيدون الحديث باللغة العربية، أو أولئك الناطقين باللغة المحلية البربرية[5] أو اللاتينية أو اليونانية[6] من مجموعات البربر والجاليات البيزنطية وجماعات الأفارقة اللاتين.

كما يمكن إدراج قائمة الصيغ الإسمية لمصطلح العجم ولواحقه اللفظية وما حملته من دلالات إثنونيمية، حسب ما ورد ذكرها في نصوص البلدان لليعقوبي[7]، من خلال الجدول التالي:

المصطلح ولواحقه اللفظية	دلالته العامة	المدينة	الصفحة
العجم القدم	يعكس المصطلح كل العناصر القديمة من البربر والروم والأفارقة.	الرمادة	ص/180.
عجم الألسن	يدل على العناصر الاثنية غير الناطقة باللغة العربية.	أطرابلس	ص/184.

[1] مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين بالقيروان وإفريقية خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، مقال ضمن كتاب: اشعاع القيروان عبر العصور، ج1، بيت الحكمة، تونس، 1430هـ/2009م، ص/ 165.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص/54-55.

[3] المالكي، المصدر السابق، 354/2.

[4] قَدِمَ حسان بن النعمان واليا على بلاد المغرب بأمر من عبد الملك بن مروان سنة (73هـ/693م)، ومعه جيش ضخم حسب الروايات المشرقية، ولما استكمل عمليات الفتح والقضاء على المقاومة المحلية، وتنصيب حاميته في القيروان ، بنى المسجد المدينة ودوّن الدواوين ووضع الخراج على عجم إفريقية وعلى من أقام معهم على النصرانية من البربر وعامتهم من البرانس إلا قليلا من البتر. ابن عبد الحكم ، المصدر السابق، ص/271. ذكر الرقيق القيرواني الرواية كاملة في كتابه تاريخ افريقية والمغرب، ص ص/ 49-50.

[5] Fathi Bahri, « Les conversions, des hommes et des biens», Op. Cit., pp., 132-133.

[6] Tadeusz Lewicki, Op, Cit., pp.419-420.

[7] من الواجب أن نشيد بالاستعمال الوظيفي والهام لكتاب البلدان في مجال البحث الإثني لمجتمعات المغرب الإسلامي خلال القرنين الأول والثاني للهجرة/7-8م، لا سيما وأنه قدّم قائمة لعناصر الخريطة البشرية مكنتنا من الالتفاف شبه الكلي بأسماء الجماعات السكانية ومجالات توطنها، وتبعا لذلك فقد أجريت مسحا إحصائيا لامست فيه كل المصطلحات العرقية الخاصة بالعناصر الاجتماعية ومدلولاتها، وهو ما استوضحته في الجدول المرفق في المتن.

العجم البربر	تتصف به الجموع البربرية	قابس	ص/185.
عجم من خراسان/ **عجم** البلد من البربر والروم وأشباه ذلك	يحمل مدلولين، يطلق أولا على الفرس والخراسانين الذين توافدوا على المنطقة من بلاد المشرق، أمّا ثانيا فيشار به إلى المجموعات البربرية وبقايا الروم والأفارقة.	القيروان	ص/187.
العجم	يحمل دلالة عامة لا يمكن حصرها في مركب اثني معين	جزيرة شريك	ص/187.
العجم من البربر	تتصف به الجموع البربرية	مجانة	ص/188.
العجم	يحمل دلالة عامة لا يمكن حصرها في مركب اثني معين	باجة	ص/188.
قوم من **عجم** من الروم القدم والأفارقة والبربر	يعكس المصطلح كل العناصر القديمة من البربر والروم والأفارقة.	توزر الحامة تقيوس نفطة	ص/189.
العجم	يحمل دلالة عامة لا يمكن حصرها في مركب اثني معين	طبنة	ص/190.
و**عجم** من أهل خراسان و**عجم** من **عجم** البلد من بقايا الروم	يحمل مدلولين، يطلق أولا على الفرس والخراسانين الذين توافدوا على المنطقة من بلاد المشرق، أمّا ثانيا فيشار به إلى المجموعات البربرية وبقايا الروم والأفارقة.	باغاية	ص/190.
بربر **عجم**	تتصف به الجموع البربرية	تيجيس	ص/190.
العجم	يحمل دلالة عامة لا يمكن حصرها في مركب اثني معين	مقرة	ص/191.

الجدول رقم (6): مصطلح العجم ولواحقه اللفظية من خلال كتاب البلدان لليعقوبي.

التعليق:

ألاحظ من خلال معطيات الجدول أنّ الملمح العام لمدلول لفظ "العجم" خلال المرحلة الأولى من العصر الوسيط، يتفرع في شقه العملي إلى ثلاثة أقسام هي:

- **العجم**: أُطلقت لفظة "العجم" أو "الأعاجم" خلال الفترة الإسلامية الأولى لتدل في معناها العام على كل الجماعات السكانية غير الناطقة باللغة العربية، رغم تباين مواطن استقرارها، وتنوع أصولها الإثنية، وتعدد إسهاماتها، فاستعملت اللفظة كتسمية اختصت بها مجتمعات الأقاليم الغربية من العالم الإسلامي، وبشكل محدد سكان بلاد المغرب الإسلامي من البربر والأفارقة والرومانيون والمسيحيون[1]، وسكان صقلية وشبه الجزيرة الإيبيرية وجنوب فرنسا[2].
- **العجم القدم**: ظهر المصطلح في النصوص الوصفية والاخبارية بداية من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، تلقبت به الجماعات البشرية القديمة التي استوطنت بلاد المغرب سواء الجماعات السكانية البربرية أو الجاليات اللاتينو–بيزنطية من الروم البيزنطيين والأفارقة، فسكان مدينة باغاية يتشكلون من قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم وحولها قبائل من البربر من هوارة[3]، "...ومدينة الزاب

---

[1] le mot al-ʿAdğam "العجم", al-ʿAdğim "الأعاجم" qui correspond exactement au grec βάρβαροι, signifie dans la nomenclature arabe du moyen âge tous les peuples non arabes, mais est s'appliqué dans les ouvrages qui concernent à la partie occidentale du monde arabe, tout à fait régulièrement à la population romane et chrétienne du Maghreb, de Sicile de l'Espagne ou du midi de la France. Gabrieli, F. "ʿAdjam." The Encyclopaedia of Islam, Second Edition, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, and W.P. Heinrichs. Leiden: Brill, 2012.

[2] لا يخلو مجال جغرافي في دار الإسلام من المجموعات السكانية التي درجت المصادر الإسلامية على تلقيبها بلفظة العجم، ويجدر التنبيه بدور المعيار الفيلولوجي اللغوي في التمييز الاثني بين العناصر البشرية، فالجماعات الناطقة بلغات مختلفة عن اللغة العربية بقطع النظر عن انتماءها الجغرافي، أطلقت عليها كلمة العجم، وتدل معطيات المصادر المشرقية والمغربية والأندلسية على توظيف ايثونيم العجم لتسمية بعض التكوينات العرقية في البلاد الاسلامية، راجع: الواقدي، فتوح الشام، ج2، ط1، تح: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م، ص/156. البلاذري، المصدر السابق، ص/409. ابن فضلان، رحلة ابن فضلان إلى الترك والروس والصقالبة، تح: شاكر لعيبي، ط1، ارتياد الآفاق، الأردن، 1423هـ/2003م، ص/43 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، 192/2. الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م، ص ص/36-37.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

العظمى طبنة...بها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر..."[1]، والمجالات الممتدة بين مدينة طرابلس وجبل نفوسة تسكنها مجموعات بشرية من عجم الألسن، كما أطلق إثنونيم العجم القدم على سكان مدينة الرمادة[2] التي تعد أول محطة تقع على الجهة الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي.

- **عجم من أهل خراسان:** وسمت المصادر الإسلامية[3] الجاليات الفارسية والخراسانية بهذا المصطلح العرقي، ليتضح لنا أنّ مشاركة العنصر الفارسي والخراساني للعرب في الحملات الأموية ثم البعوث العباسية الموجهة إلى بلاد المغرب كان كثيفا، حيث يقدّم الشماخي[4] رقما ضخما قدر بستين ألفا من الجند الخراساني تشكلت منه بعثة العباسيين تحت قيادة يزيد بن حاتم بن قبيصة، وبالمثل يشير النويري[5] إلى تعداد الخراسانيين في تركيبة جيش محمد بن الأشعث الذي أرسل إلى بلاد المغرب سنة (143هـ/790م) والبالغ ثلاثين ألف فارس، وهما حملتين وجهتا للقضاء على الخوارج، وعلى ما يبدو أنّ أدوارهم العسكرية في تركيبة الجيوش الإسلامية أو إسهاماتهم في الدعوة الدينية[6] وتوليهم لمناصب سياسية عليا كمنصب الولاية[7]، جعلتهم يلقبون بتسمية: "عجم من أهل خراسان" لكونهم مجموعة إثنية يعرفون ويميزون بها عن باقي العناصر الوافدة من بلاد المشرق بناء على اشتقاق التسمية العرقية من أصلهم الجغرافي.

وفي أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، استعمل ابن الصغير كلمة العجم خمسة وثلاثين مرة في كتابه أخبار الأئمة الرستميين، ليشير بها إلى مجموعة اثنية غير معروفة، على خلاف التسميات المركبة الواردة في

---

[1] المصدر نفسه، ص/90.

[2] مدينة تقع في أقصى الشرق من جهة طرابلس الليبية، وتتموضع في الحدود المتاخمة للمجالات المصرية غربا، وتعتبر أول محطة يمر عليها الداخلون إلى بلاد المغرب الإسلامي، أشار إلى ذلك اليعقوبي في بلدانه قائلا: "...ثم الرمادة وهي أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم...". البلدان، ص/180.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص ص/187، 190. البلاذري، فتوح البلدان، تح: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، دار المعارف، بيروت 1407هـ/1987م، ص/325. الرقيق، المصدر السابق، ص/125.

[4] كتاب السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، ج1، مطبعة النهضة، مسقط، 1407هـ/1987م، ص ص/122-123.

[5] نهاية الأرب في فنون الأدب، 24/39-40.

[6] تقلدت النخب الفارسية والخراسانية مناصب دينية وتعليمية هامة في بلاد المغرب على غرار أحمد بن أحمد بن زياد الذي اشتغل بالتدريس، وعبد الله بن فروخ الذي أسندت إليه خطة القضاء لكنه استعفى منها لورعه، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر الذي كان من ضمن أهل العلم العشرة في بعثة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى افريقية، راجع في الموضوع: أبو العرب، طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص/35. أبوبكر البغدادي، أخبار القضاة، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، ج1، ط1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1366هـ/1947م، ص/364.

[7] من ذلك تعيين عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول واليا على بلاد المغرب في فترة خلافة هشام من عبد الملك بعد عزل الوالي عبيدة بن عبد الرحمن، وخلال عهد الدولة الفاطمية تم تنصيب حامد بن حمدان الهمذاني عاملا على مدينة فاس بالمغرب الأقصى، النويري، المصدر السابق، 24/31. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص/85.

نصوص اليعقوبي وفي فتوح مصر والمغرب، فاللفظ عند ابن الصغير ورد معجما غامضا غير واضح، قد تحتمل دلالته العرقية الإشارة إلى الفرس[1] القادمين من بلاد المشرق والمستوطنين لتاهرت، أو الجماعات القديمة من البربر والروم والأفارقة، لاسيما وأنّ اللقى الأثرية[2] ومؤشرات النصوص المصدرية[3] تؤكد على تعمير العاصمة الرستمية تاهرت والمجالات المحيطة بها بالجماعات البشرية القديمة كالبربر والرومان والبيزنطيين وغيرهم[4].

حوالي أكثر من نصف قرن بعد ذلك، لا نجد حضورا لكلمة "عجم" في نصوص صورة الأرض للرحالة ابن حوقل النصيبي[5]، وتختفي تماما اللفظة في مصادر القرنين الهجريين الرابع والخامس/العاشر والحادي عشر الميلاديين، فلم ترد في تقاسيم المقدسي[6] ولا في مسالك البكري[7]، في مظانها المتعلقة ببلاد المغرب، مما يجعلنا نطرح تساؤلا مشروعا: هل المعيار الرئيسي المعتمد في التقسيم الجينيالوجي للمجموعات السكانية ببلاد المغرب عقب تمام عمليات الفتح هو معيار لغوي ألسني؟

إنّ الإجابة عن هذا التساؤل ولو مبدئيا في انتظار ما تقدّمه نتائج الدّراسات المتخصصة في عملية الأسلمة والتعريب[8]، لا يتأتى إلا من خلال البحث في مسألة تعريب المجالات المغربية ومدى توظيف العامل الفيلولوجي اللغوي في التقسيمات الجينيالوجية وتلقيب الجماعات السّكانية ببلاد المغرب خلال فترة العصر

---

[1] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص/33.

[2] Pierre Cadenat, «Notes d'archéologie tiarétienne», Antiquités africaines, 24, (1988), pp. 45-44. Stéphane Gsell , Les monuments antiques de l'Algérie, Paris, Albert Fontemoing, 1901, 28, p.234.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/86. الإصطخري، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 2004، ص/39. الحموي، المصدر السابق، ص/126.

[4] Pierre Cadenat, Op. Cit., pp.43-66.

[5] استعملت لفظة "العجم" عند ابن حوقل في معرض حديثه عن المجموعات البشرية المتوطنة بشرق الخلافة الاسلامية كسجستان وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتعوزنا الإشارات الدالة على تواصل هذا الايثنونيم خلال القرن الرابع الهجري/10م. أنظر: صورة الأرض، 417/2، 468، 472.

[6] لم يرد مصطلح "العجم" في كتاب التقاسيم إلا مرتبطا بسكان الديلم والرحاب وخوستان وفارس وكرمان والسند، راجع: المقدسي: المصدر السابق، ص ص/9- 16-284.

[7] صرّح البكري في موضع واحد لا يمكن الارتكاز عليه في اثبات وجود مركب العجم ببلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري/11م، ذلك أن الرواية تخص الفتح الأموي لمدن افريقية خلال مرحلة العصر الوسيط الأول، ونحن نستهدف الإشارات الجغرافية التي تثبت حضور إثنونيم العجم خلال القرن الخامس الهجري، عندما أورد أنّ مدينة بنزرت"... فتحها معاوية بن حديج سنة إحدى وأربعين، وكان معه عبد الملك بن مروان، فشدّ عن الجيش فمرّ بامرأة من العجم من عمل بنزرت فقرته وأكرمت مثواه، فشكر ذلك لها...". البكري، المصدر السابق، 721/2.

[8] Voir Allaoua Amara, «L'islamisation du maghreb central (VIIe XIe siècle), in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VII^e XII^e siècle)», Éditions de la Sorbonne, 2011, pp. Cyrille Aillet, «Islamisation et arabisation dans le monde musulman médiéval : une introduction au cas de l'Occident musulman (VIIe-XIIe siècle)», in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VII^e XII^e siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011 Yassir Benhima, «Quelques remarques sur les conditions de l'islamisation du Maġrib al-Aqṣā : aspects religieux et linguistiques», in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VII^e XII^e siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011.

الوسيط المبكر بأسماء إثنية غامضة، تأثرت بالسياقات الظرفية والسياسية الخاصة بتلك المرحلة المفصلية من تاريخ الجهة الغربية للعالم الاسلامي.

وأخيرا، لئن ارتبط لفظ العجم بالمركب الإثني الفارسي خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع الميلاديين مع قدوم العجم الفرس من بلاد المشرق، وبروزها على ساحة التوطين إلى جانب المجموعات الأصلية والجاليات اللاتينو-بيزنطية، فإنّ اللفظ الإثنونيمي الذي وُسِمَ بـــ: "العجم" لا يلغي الجماعات القديمة، وقد يرمز إلى مدلولين رئيسيين في مختلف النصوص الاخبارية والوصفية والمذهبية، ينطبق المدلول الأول على كل المجموعات السكانية القديمة من البربر والأفارقة والروم البيزنطيين، أمّا المدلول الثاني فيعكس العنصر الفارسي والخراساني القادم من بلاد المشرق في البعوث الأموية والعباسية.

2- التوزيع الجغرافي للعجم والفرس والخراسانيين ببلاد المغرب الإسلامي:

لا عتب اذا اعتبرنا أن إثنونيم الفرس يدل على لفظة العجم، لأنّ هذه التسمية العرقية[1] الأخيرة وردت في المصادر الإسلامية الأولى لترمز إلى الجاليات الفارسية التي تواجدت في أقاليم العالم الإسلامي مشرقا، وحملت إثنونيم العجم في بلاد المغرب الإسلامي. هذا المصطلح سنجده بعد سنة 260 هجرية حاضرا في نصوص صريحة لليعقوبي أطلقه على المركب الاثني الفارسي من جهة، ويظهر توظيفه لنفس الكلمة لتلقب بها الإثنيات القديمة المتوطنة بالمنطقة من جهة أخرى، وهكذا فإنّ افتراض وجود علاقة دلالية بين المصطلحين أي العجم والفرس تضعنا أمام دراسة خريطة التوزيع البشري لجماعات العجم أولا، ثم التعاطي مع مسألة استقرار الجاليات الفارسية والخرسانية ثانيا لتوخي الدقة في تناول خريطة التوطين العجمي والفارسي والخراساني ببلاد المغرب الإسلامي.

2-1/ التوطين والإسكان العجمي ببلاد المغرب:

القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، برزت فيه الجماعات العجمية بشكل واضح على ساحة التوطين البشري في الجزء الشرقي للمنطقة، فسكنت مدينة الرمادة الواقعة على المدخل الشرقي لبلاد المغرب، " وهي

[1] التصنيف العرقي لأسماء الجماعات الاثنية خلال العصر الإسلامي الأول، خضع بلا شك لميول وأهواء أصحاب المصادر الذين كتبوا للبلاط وكانوا ينضوون تحت سلطة سياسية معينة، فلم تخرج آراؤهم عن هذه الدوائر الرسمية التي ينتمون إليها، وواقع الحال أنّ الصراع العرقي بين العرب وغيرهم من الأجناس البشرية الأخرى، جعل من الإثنونيميا المحلية التابعة لدار الاسلام تتغير كرونولوجيا مع مرور الزمن ومجاليا من إقليم إلى آخر مع نهاية الفترة القديمة ثم مع بداية المرحلة التي أعقبها والمعروفة بصدر الإسلام، لتشهد تحولات كبيرة في العصر العباسي مع بداية عمليات التدوين التاريخي.

أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من العجم القدم وبها قوم من العرب من بلى وجهينة وبني مدلج"[1]، كما تواصل الحضور العجمي بالمجالات الواقعة بين طرابلس ونفوسة[2]، لتمتزج مع الجماعات الأصلية كنفوسة الذين ينتمون إلى الإباضية الخوارج، وهم حسب شهادة اليعقوبي عجم الألسن لا يتكلمون اللغة العربية ولا يتقنونها[3].

كما استقرت المجموعات العجمية في باجة التي كان "بها جند يني هاشم القدم وقوم من العجم"، واستوطنوا مدينة قابس إلى جانب المجموعات "البربرية" والجاليات العربية التي دخلت بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وتتفق المصادر على انتشار المركب العجمي في القاعدة العربية القيروان وتعايشهم مع اثنيات "بربرية" وعربية متعددة. إنّ المعطيات المتعلقة بالتركيبة السكانية للمغرب الأوسط، تثبت تعمير العجم لمجالات مركزية وأخرى طرفية هامشية ببلاد الزاب، فاستوطن مدينة طبنة "...أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر..."[4]، ولم تكن العلاقة دائما سلمية بين المجموعات العربية والعجمية[5]، فقد أشار البكري إلى وجود اختلاف بينهم، وعندما تكون "الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب تهوذا وسطيف واستمد المولدون بأهل بسكرة وما والاها"[6]، وبالقرب من تهودة نجد ملشون التي شكلت مركزا استيطانيا للعنصر العجمي، ومع أنها قرية صغيرة من قرى بسكرة فقد أضحت مرتبطة بالعجم وتلحق بهم، حيث يقول أبو العرب:"وملشون قرية للعجم بتهودة"[7]، كما انتسب إليها الفقيه أبي عبد الملك الملشوني وابنه إسحاق بن عبد الملك الملشوني[8].

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/180.

[2] المصدر نفسه، ص/184.

[3] Fathi Bahri, «Les ‘Adjam al-balad une minorité sociale», Op. Cit., pp 68-69. « Des conversions, des hommes et des biens», Op. Cit., pp.132-133.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[5] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/15.

[6] البكري، المصدر السابق، 712/2. محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/15.

[7] أبو العرب، المصدر السابق، ص/98.

[8] البكري، المصدر السابق، 714/2. الحموي، المصدر السابق، 192/5.

من جهة أخرى، تبين الأدّلة الأركيولوجية التوزيع المكثف للمخلفات الأثرية بمختلف أنواعها والانتشار الكبير للمراكز الحضرية في الجزء الغربي من السهول العليا الممتدة من القيروان إلى الأوراس[1]، ولابد أنّ هذه المناطق قد شهدت تعميرا بشريا خلال الفترة القديمة خصوصا خلال المرحلة البيزنطية، ومن الواضح أن نجد استقرار مركب العجم بها وامتزاجه بالجماعات السكانية الأصلية والوافدة، فعديد المدن الأوراسية سكنتها هذه المجموعات كمدينة مقرة التي كان "أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من العجم"[2] وتقع في جنوب شرق الأوراس.

يتكرر المشهد البشري بجزيرة شريك الواقعة على بلاد الساحل في إفريقية، حيث عرفت تركيبتها البشرية مزيجا من العناصر الاثنية، كانت تتشكل من " قوم من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب والعجم"، وباغاية التي استوطنتها " قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من البلد من بقايا الروم"[3]، ومن العجم القادمين على تاهرت من كانوا مستقرين بمدينة مجانة التي شكلت حصنا بيزنطيا على جبال الونزة في الشمال الشرقي للمغرب الأوسط.

في الناحية الغربية للمغرب الأوسط، تعتبر تاهرت موطنا رئيسيا لجماعات العجم، إذ يشير ابن الصغير[4] إلى استيطانهم بحاضرة الرستميين، ثم نزوحهم عنها مع نفوسة نحو مجالات تقع بالقرب منها، مثل حصن تنابغيلت الذي اتخذته مستقرا لها خلال صراعهم الطويل مع العرب بتاهرت ومجالاتها على عهد أبي اليقظان[5]، وبقاء الجاليات اللاتينو-بيزنطية في المنطقة، بالإضافة إلى قدوم الجاليات الفارسية والخراسانية التي كان لها دور في إرساء دعائم الإمامة الرستمية، يجعل الوقوف على الهوية الإثنية لهذه الجماعات السكانية أمرا صعبا للغاية في ظل اتساع وتعميم مدلول إثنونيم العجم ليدل على الفرس والروم والأفارقة والجماعات المعروفة "بالبربر"، لكن الملاحظ حسب النصوص الإباضية أنّ الجماعات البشرية المعروفة بالعجم يقصد بهم على الأرجح الفرس والخراسانيين

[1] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/161.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/187.

[3] المصدر نفسه، ص/191.

[4] أخبار الأئمة الرستميين، ص/74.

[5] المصدر نفسه، ص/73.

القادمين من بلاد المشرق، فاليعقوبي يصرح بأنّ تاهرت قد "تغلب عليها قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي"[1].

ولئن سكتت المصادر عن الأدوار السياسية والحضارية للعجم في مدن المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، فإنّ نصوص ابن الصغير توحي ضمنيا بانصهار المركب الاثني العجمي في تركيبة المجتمع، وتظهر بصمتهم في العمارة الإسلامية المغاربية من خلال تشييدهم لقصور وبنايات وأسواق تجارية، ففي تاهرت "...كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابتنى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة أفلح إذا تخلل بالمدينة لافتقادها لا يجسر أن يدخل سوق ابن وردة...وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة"[2]، وهو ما يدفعنا بناء على هذه الإشارة إلى القول بقوة النفوذ العجمي في تاهرت، وبتحرك بشري يتجلى في استقطاب العاصمة الرستمية لعناصر من العجم كانوا مستوطنين بمدينة مجانة الواقعة في الشمال الشرقي للأوراس.

وعليه، فإنّ العجم كثيرا ما ذكرهم ابن الصغير على أنهم كانوا يمتازون بوضع اجتماعي خاص، لم يتغير طيلة فترة حكم الرستميين[3]، فقد تميزوا بقربهم من الحكام، وهم أقلية رفعتها الامتيازات التي تمتعت بها، خاصة المالية منها إلى الوقوف الند للند أمام الجند والعرب لما اضطرب الوضع الأمني بتيهرت على عهد الإمام أبي بكر بن أفلح. ويبدو أنّ هذا العنصر لم يكن موجودا إلا في تيهرت أو الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط على أيام الدولة الرستمية مثله مثل العنصر العربي في القرنين الثاني والثالث للهجرة[4].

وفي الواقع، فإنّ وضعية التوطين البشري لهذه الجماعات ستبقى بلا شك إشكالية من الصعب الإجابة عليها ولا تزال تشوبها الضبابية والغموض والتعقيد، ذلك أنّ المظان المصدرية لا تحمل ايحاءات صريحة حول الأصول العرقية لهؤلاء المعروفين بالعجم، وبالتالي مما لا يقبل الجدل، أنّ الإخباريين العرب لقّبوا الجاليات البيزنطية

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/192.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص/55.

[3] لا تنأى المدونات المصدرية عن مسألة الحظوة التي نالتها جماعات العجم بين العناصر السكانية الأخرى ببلاد المغرب الاسلامي، ومن إيعازها أن ابن الصغير يشير إلى الفترة التي قدم فيها أبو اليقظان بن أفلح من العراق، "... فوجد أخاه أبا بكر أميرا والعجم على أحوالهم والنفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه"، يتبين من الإشارة السالفة احتلال العجم لمكانة جليلة في المجتمع التاهرتي وبقاءهم كمركب اثني يتموضع اجتماعيا في الطبقة العليا للتركيبة البشرية، فقد ظلوا مقربين من الأئمة ومحافظين على ممتلكاتهم وامتيازاتهم. ابن الصغير، المصدر السابق، ص/63.

[4] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص/34.

المعروفة بالروم بلفظ العجم إلى جانب المجموعات "البربرية" والأفارقة، واستمر تداول الإثنونيم بكثرة وبنفس المعنى خلال القرنين الثاني والثالث/الثامن والتاسع الميلاديين، وهو ما يؤكده نص المالكي في رياض النفوس، حين ذكر أنّه خلال سنة 212هـ/827م، "وصل أسد بن الفرات إلى صقلية، فزحف إليه ملكها بلاطة في خلق عظيم، فأخذ أسد يحفز أصحابه بقوله: "هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم وحمل اللواء وهزمهم الله ومعنى قول أسد: هؤلاء عجم الساحل يعني الذين كانوا قد هربوا من الساحل لما فتحت إفريقية".

وتبعا لمعطيات الشواهد الأركيولوجية تؤكد الباحثة فيرجيني بريفوست[1] على انتشار بقايا أثرية للكنائس المسيحية في جبل نفوسة، فقد حافظت هذه المواقع على قدسيتها بعدما تحولت إلى مساجد لممارسة العبادة خلال فترات لاحقة في العصر الوسيط المبكر. من الطبيعي جدا أنّ النقائش التي وجدت بمسجد شاروش تظهر بوضوح الحرص الإباضي على نسج علاقة ودية مع المسيحيين الذين استمروا في إعمار كنائسهم إلى غاية اختفاءهم من المنطقة[2]، ونرجح أنّ العجم من بين الجماعات السكانية المنتشرة في مجالات جبل نفوسة لارتباطهم اثنيا بالجاليات اللاتينية والبيزنطية والجماعات المحلية المعروفة "بالبربر"[3]، بالإضافة إلى انتشار الأسقفيات المسيحية في المجالات القريبة من مدينة تلمسان في نهاية الفترة الرومانية، بل إنّ الأثر المسيحي يبدو واضحا في عدد من المعالم الأثرية التي تركها الملوك المحليون في القرن السادس الميلادي، سيما في ألتافا بالمغرب الأقصى وأضرحة الملوك المحليين الملقبة بالجدّار قرب فرندة[4].

[1] Virginie Prévost, « Des églises byzantines converties à l'islam? Quelques mosquées ibadites du djebel Nafûsa (Libye) », Revue de l'histoire des religions, 3, 2012, p.336.

[2] أنظر الملحق رقم (05).

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/180-184.

[4] علاوة عمارة، موقع تلمسان، ص/27.

وبالرغم من تبسيط واستغلال العرب الفاتحين للخط الدفاعي البيزنطي[1] ومكوناته العمرانية عند فتحهم لبلاد لمغرب[2]، إلا أن ذلك لا يثبت إجلاء كل الجماعات البيزنطية عن مواطنها، ومع أن انكماش الوجود البيزنطي في كثير من البلاد المغاربية، وبدأت تتشكل المدنية العربية وسيطرة العنصر العربي على المجال الجغرافي بعد سقوط البنيات القديمة، فذلك لا ينفي الحضور الاثني لبقايا الروم في تركيبة السكان لما بعد الفتح، حيث أنّ أغلب المدن التي فتحها المسلمون عرفت استمرار التوطين البيزنطي والجماعات الأصلية في الحصون والقلاع والمراكز الدفاعية، كما دلت عليه مختلف المظان الوصفية[3] والإخبارية العربية[4] وبقايا المواقع الأثرية[5].

تؤكد الإشارات الواردة في المصادر الإخبارية الأولى التي نقلت لنا روايات الفتوح، ورسمت لنا صورة الملمح البشري العام بالمغرب الإسلامي خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، لاسيما في المجالات الحضرية، أنّ العنصر العجمي كان من أبرز العناصر المركبة اثنيا، والتي تتنوع في أصولها العرقية بين أغلبية أصلية لقبت بالبربر وهو تصنيف غامض ومعقد[6]، وجاليات لاتينو-بيزنطية معروفة بالروم والأفارقة. إنّ لفظ العجم الذي ينسحب إسميا على كل الجماعات البشرية المحلية بالإضافة إلى العنصر اللاتينو-بيزنطي خلال القرن الأول الهجري/السابع

[1] تشير الدراسات البيزنطية إلى استمرار السياسية الدفاعية ببلاد المغرب إلى غاية أواخر الفترة القديمة. إن هذه المنشآت العسكرية شيدت لأغراض أمنية على وجه الخصوص، كمراقبة القبائل المتمردة والممتنعة أو فرض نوع من الرقابة شبه الدائمة على منافذ المقاطعات الإفريقية كأشباه الطرق والمسالك والدروب الرئيسية التي تستعملها القوافل التجارية، لذلك نجد في الفترة الأولى للحكم الإسلامي انتشار الحصون والحاميات لا سيما في المزاق وبلاد نوميديا ثم موريتانيا الطنجية والسطايفية. Mohamed Meouak, «Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques: organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126 (2009) , p.121

[2] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/141.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190 وما بعدها. البكري، المصدر السابق، 689/2 وما بعدها. ابن الفقيه، المصدر السابق، ص/132.

[4] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/159. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/231. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/47.

[5] Duval Noël, «Inscriptions byzantines de Sbeitla (Tunisie)», III. Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 83, n°2. 1971. pp. 423-443. Yassir Benhima, «Histoire d'un espace en mutation : la plaine d'al-Marîj, Majjâna et les hauteurs environnantes au Haut Moyen âge», Centres de pouvoir de l'espace-colloque int Caen, 2009, PUC, 2014, pp. 105-116.

[6] مما لا يقبل الجدل، أنّ الإخباريين العرب لقّبوا الجاليات البيزنطية المعروفة بالروم بلفظ العجم والمجموعات "البربرية" والأفارقة كذلك، واستمر تداول الإثنونيم بكثرة وبنفس المعنى خلال القرنين الثاني والثالث/الثامن والتاسع الميلاديين، وهو ما يؤكده نص المالكي في رياض النفوس، حيث ذكر أنّه خلال سنة 212هـ/827م وصل أسد بن الفرات إلى صقلية، فزحف إليه ملكها بلاطة في خلق عظيم، فأخذ أسد يحفز أصحابه بقوله:" هؤلاء عجم الساحل هؤلاء عبيدكم وحمل اللواء وهزمهم الله ومعنى قول أسد: هؤلاء عجم الساحل يعني الذين كانوا قد هربوا من الساحل لما فتحت إفريقية". المالكي، المصدر السابق، /272.

الميلادي، استخدم كذلك خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/8-9م، للدلالة على الفرس والخراسانين الوافدين على المنطقة ضمن الجموع العباسية.

من هنا يمكن القول بأنّ التعمير البشري للعجم هو امتداد لاستيطان الجاليات القديمة في الفترة البيزنطية وبالتحديد خلال مرحلة القرن السادس الميلادي التي عرفت تشييد العديد من المراكز الدفاعية كالحصون والقلاع والحاميات[1]. لقد أدّى الاختلاط العرقي بين الروم البيزنطيين والأفارقة والجماعات المعروفة بالبربر، واستيطانها للعديد من المدن في بلاد المغرب، يتوافق إلى حد بعيد مع مواطن العجم التي أشارت إليها النصوص الوصفية والاخبارية العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي[2]، بينما الفترة التي توالت فيها الهجرة الفارسية والخراسانية بشكل كثيف مع بداية النصف الأول للقرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي في بلاد افريقية والمغرب الأوسط، ستجعل من الإثنونيم يحمل معنى ثانٍ نعتبره مرادفا للفظ للفرس وستشهد التركيبة البشرية داخل المدن تحولات عميقة بدخول عناصر جديدة عربية وفارسية وخراسانية ستؤثر على الحياة الاجتماعية وتسيطر على المجالات الجغرافية، لاسيما ببلاد إفريقية والمغرب الأوسط[3].

2-2/ جغرافية انتشار الفرس والخراسانيين ببلاد المغرب:

لقد تميزت الخريطة البشرية في مغرب القرن الثاني الهجري/8م بالحضور الكثيف للعنصر الفارسي والخراساني الذي لم يقتصر توطينهم في قاعدة القيروان وتونس ببلاد إفريقية ومجالاتها، بل تشير النصوص الوصفية إلى امتزاجهم بالجاليات السودانية والجماعات الأصلية المعروفة بـ"البربر" في مدينة زويلة[4]، ثم نجدهم توغلوا في بلاد المغرب الأوسط بحيث تمركزت لهم حاميات بعمق الزاب[5]. وانتشرت منهم جاليات في فاس بالمغرب الأقصى، وكما هو معلوم بأنّ العامل الأمني هو أساس إرسال الجند الخراساني إلى بلاد المغرب، لما تمخض من نتائج خطيرة

[1] يذكر عدد من الباحثين أنّ الطلائع الأولى التي كانت قد مهدت الطريق لبداية استقرار البعوث العسكرية، والقبائل التي بدأت تمتلك الأرض وتتخذ من بلاد المغرب مستقرا لها، كانت قد اتخذت من الحصون والقلاع وغيرها مواطن لاستقرارهم، ثم بدأت مرحلة جديدة من تمصير البلاد واصباغها بطابع الحضارة الجديدة، سواء تعلق الأمر بتشييد مدن حديثة، أو تكييف المدن القديمة بما يتوافق مع قيم الدين الإسلامي. الطاهر طويل، المدينة الاسلامية، ص/36. هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي، ص/141. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/153.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/226. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/180 فما بعدها.

[3] أنظر المبحث السابق.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/183.

[5] المصدر نفسه، ص/190.

عن جملة التحولات السياسية والاضطرابات الأمنية التي شهدتها بلاد المغرب زمن استفحال ثورات الخوارج الصفرية والإباضية[1]، فعيّن الخليفة أبو جعفر المنصور والي مصر محمد بن الأشعث[2] على رأس حملة عسكرية تألفت من ثلاثين ألف مقاتل من أهل خراسان، ومن ستين ألف مقاتل من أهل البصرة والشام للقضاء على ورفجومة والتخلص من الصفرية والإباضية في المنطقة[3].

ونجح الوالي محمد بن الأشعث في القضاء على زعيم الخوارج الإباضية أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، ولكن سرعان ما استولى أبو حاتم الإباضي على القيروان وانتصر على واليها العباسي محمد بن الأشعث، واستمرت مشكلة الخوارج تثير مخاوف العباسيين، فكان المنصور يرسل الحملات العسكرية متتالية، وأخيرا أسندت المهمة للمهالبة الذين برعوا منذ العصر الأموي بقدراتهم في التصدي للخوارج[4]، وهو ما يفسر انتصاب عدد من الثغور والمدن في أطراف الإمارة الأغلبية، ووجود حاميات عربية بها مدعومة بمقاتلين أكفاء من العنصر الخراساني والفارسي للمحافظة على المجال الجغرافي للأغالبة وصون الأمن هناك[5].

[1]: Voir - Allaoua Amara, «Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe XIVe siècle)», REMMM 132, pp., 117-118-119. Michael brett, «ibadism and the Fatimids», - In: L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval. Modèles et interactions», 2018, pp. 20-21. Chloé Capel and Abdallah Fili, «Sijilmāsa au temps tes Midrārides: nouvelles approches historiques et premier bilan archéologique», L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval. Modèles et interactions, 2018, pp. 142-143. :in the Societies of Mediaval Islam A few Remarks,

[2] من كبار الولاة وقادة الجيش في عصر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، عين واليا على مصر سنة 141هـ، ثم على إفريقية بعد مقتل الوالي حبيب بن عبد الرحمن الفهري سنة 142هـ، فقتل أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 144هـ، ودخل القيروان سنة 146هـ، ثم غزا مع العباس ابن عم المنصور بلاد الروم ومات في الطريق إليها، خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/420، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ت، ص/346. الزركلي، المرجع السابق، 39/6.

[3] تضاربت الروايات الإخبارية في مسألة تركيبة الجيش العباسي الذي تشكلت منه حملة محمد بن الأشعث الموجهة إلى إفريقية، فقد حصرهم ابن الأثير في أربعين ألف مقاتل دون ذكر أصولهم العرقية، وهو ما قدّمه ابن عذاري في البيان، بينما حدّد النويري مكونات الجيش العباسي الذي خرج إلى إفريقية بقيادة ابن الأشعث، وذكر أنّه كان يتكون من أربعين ألف مقاتل، ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان، وعشرة آلاف من أهل الشام، أمّا الكندي في كتاب القضاة فلم يشر إلى النسب العرقي للجند ولا إلى أعدادهم مكتفيا بذكر وأرسل جيشا إلى المغرب، أمّا أبو زكريا فقد انفرد برواية تضخم من عدد الجند العباسي الذي ناهز خمسين ألفا وبلغ سبعين ألف حسب المصدر الإباضي. أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 138/5. ابن عذاري، المصدر السابق، 74/1. النويري، المصدر السابق، 74/24. الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي، تح: محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص/82. أبو زكريا، المصدر السابق، ص/66.

[4] ابن وردان، المصدر السابق، ص/29.

[5] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/15.

أمام هذه التحولات السياسية والعسكرية الهامة، وجدت الجماعات السكانية نفسها أمام سلطة جديدة بالقيروان تتشكل قوتها من المخزون البشري الفارسي والخراساني[1]، لاسيما بعد دحر الجماعات الإباضية والصفرية، وستؤدي حتما إلى تقسيمات تغير من البنيات الاجتماعية بعد النجاحات المتتالية للعناصر الجديدة وعلى كافة المستويات، فقد أدّت إلى خلق مجموعات مهيمنة سيطرت على المجال العسكري تتمثل في المركب الفارسي والخراساني، أمّا الطرف المنهزم فهو أمام حتمية تغيير المجال الجغرافي وصياغة نمط جديد من السيادة، بالرغم من أنهم سيصطدمون بعوائق مختلفة فرضتها البيئة المحلية لبلاد المغرب[2].

وقبل نهاية النصف الأول من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، توطنت الجاليات الفارسية والخراسانية في بلاد افريقية وحواضرها، فعن استقرارهم بمدينة باجة يقدّم لنا الرقيق القيرواني معطيات إخبارية هامة، ذلك أنّه يشير إلى الرغبة الملحة لابن الجارود في توظيف واستمالة محمد بن الفارسي وتأليب الجند الخراساني الذي كان معه على الفضل بن روح بن حاتم، حيث قال: "فكتب ابن الجارود وأصحابه إلى باجة وبها جند من أهل خراسان، يخبرونهم بالأمر الذي دخلوا فيه، ويزينون لهم الخروج معهم. فتسرع الناس إليه من كل ناحية"[3]. وواضح من خلال هذا النص تمركز حامية للجند الفارسي والخراساني بمدينة باجة، يمكن القول أنها عوضت الجند العربي الأموي، فبرزت قبل ثورة ابن الجارود[4]، وأرست دعائمها سلطة في بني العباس في ظل وهن المخزون البشري العسكري، الذي خلفه انسحاب الحاميات العربية الأموية من بلاد المغرب الإسلامي.

كما أنّ الحضور الكثيف للعنصر الخراساني والفارسي في المعارك التي جرت بين ابن الجارود والفضل بن يزيد جعلتهم يلعبون دورا لا يستهان به في تاريخ المنطقة، وتشكيلهم لطرف ضاغط له بصمته في تغيير موازين القوى بالمغرب الأدنى خصوصا، كما لا يخفى صراعهم مع العرب القادمين من الشام، فقد أدّت الأعطيات المالية الممنوحة من الفضل بن روح لبعض قادة العنصر العربي للمحاربة معه، استياء وتذمر العناصر الخراسان

[1] لا يقل دور الجند الفارسي والخراساني أهمية في الصراع بين الخلافة العباسية والخوارج الصفرية والإباضية ببلاد المغرب الإسلامي، وهو ما نلمسه في النصوص الإخبارية التي أماطت اللثام عن الانتصارات العسكرية للفرس والخراسانيين على أتباع الحركات المذهبية في طرابلس والقيروان والزاب وجيجل، راجع في الموضوع: الرقيق، المصدر السابق، ص/93 وما بعدها. ابن عذاري: المصدر السابق، 72/1 وما بعدها. النويري، المصدر السابق، 80/24-82-81.

[2] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية للمغرب الأوسط، ص/400.

[3] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/117. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 300/5.

[4] مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين، ص/176.

بمدينة القيروان، حتى قال بعضهم لبعض:" ويحكم، كيف ترضون بهذا أن يقوي الفضل أهل الشام على أبنائنا...يفعل ذلك بمن هو عبدة منا...وكان عماله من خراسان يقولون لا نقاتل معه..."[1]، وعليه فإنّ هذه الإشارة تجعلنا نتبين الدور العسكري القيادي للخراسانيين، وأثرهم الكبير كقادة وجند عسكريين في المعارك التي جرت عقب الفوضى التي شهدتها افريقية من جهة، وفي جهة مقابلة يظهر المركب الفارسي والخراساني كأغلبية ساحقة مشكلة لتركيبة الجيش العباسي[2] ببلاد المغرب الإسلامي، مما يوحي بتكوينهم لشبكة استيطان واسعة في الجزء الشرقي للمغرب الاسلامي.

من جهة أخرى، تفيدنا المعطيات المصدرية بحدوث تحولات اجتماعية طبعت الاستيطان البشري في بلاد الزاب[3]، من خلال قدوم عناصر جديدة نزلت بالمقاطعة الأغلبية، ممثلين في الجماعات الخراسانية والفارسية

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/117.

[2] اكتسى المركب الفارسي والخراساني والعجمي أهمية كبرى في تاريخ الدولة العباسية، ذلك أنّ حضورهم تزايد بقوة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية...، رغم احتضان المجال الجغرافي العباسي للعديد من العناصر الاثنية الأخرى كالعرب والبربر والقبط والروم والسودان والصقالبة وغيرهم، وقد سيطر الفرس والخراسانيون على مناصب عليا كان لها من الأهمية ما مكنهم من تسيير دواليب الحكم في دولة بني العباس، ولنا في الوصية التي أوصى بها الخليفة أبو جعفر المنصور ولي عهده المهدي مثالا على قوة الحضور الفارسي الخراساني في الفترة العباسية، ومدى عناية الخلفاء بهم وتبجيلهم وتقديمهم على سائر العناصر الاجتماعية الأخرى، حيث قال له:" وانظر مواليك، فأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم فإنهم مادتك لشدة نزلت بك، وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك ودمائهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده". الطبري، المصدر السابق، 103/8. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 195/5. وعكف ابن خلدون على تقديم تحليل لهذا المركب العرقي ووسمهم بالموالي المصطنعين، إذ يقول:" فإذا اصطنع قوما من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقّ أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية إذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرّها عند التحامه بالنسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم...وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها ألا ترى إلى موالي الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك...فكان جعفر بن يحيى بن خالد من أعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس"، ابن خلدون، كتاب العبر، 169/1. أمّا ابن عذاري فيصرح قائلا:" وانتقل الأمر إلى بني العباس فكانت دولتهم أعجمية سقطت فيها دواوين العرب، وغلب عجم خراسان على الأمر، وعاد الأمر ملكا غضوضا كسرويا". البيان المغرب، 64/1.

[3] تصرح النصوص الاخبارية والوصفية بتواصل تعمير الجاليات الفارسية والخراسانية لمدن بلاد الزاب إلى غاية القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي، ويظهر ذلك في احتكاكهم بالمجتمع الإباضي وتعايشهم مع الجماعات السكانية الأصلية الملقبة بـ"البربر" واندماجهم في المنظومة الدينية

التي استقرت بمدن بنطيوس، حيث كانت تتشكل هذه الكورة من ثلاثة مدن[1] وفي"...كل مدينة جامع، فالاثنان لأهل السنة والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية إباضية إحداهما يسكنها قوم من الفرس..."[2]، وقد استقطبت بلاد الزاب التي اعتبرت منطقة عسكرية هامة أعدادا من الجند الخراساني إلى حاميتها، مما أدّى إلى تكوين جيش بلاد الزاب، الذي استغل الصدامات والخصومات بين القيروان وتونس وفرض قائده ابن الأغلب كشخصية أولى ثم كوالي[3].

ولتُشَكِّل بذلك، مدن الزاب موطنا للجند الفارسي والخراساني والجند العربي المكون من أهل البصرة والكوفة والشام، ويحسن التنبيه إلى أنه ليس بحوزتنا معطيات تاريخية تعزز من انتشار الفرس والخراسانيين في جميع مدن هذه المقاطعة، ذلك أنهم اقتصروا على مجالات بنطيوس[4]، وباغاية التي سكنتها"...قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من عجم البلد من بقايا الروم..."[5]، فلاشك أنّ انفتاح هذه المدينة الحصن على المجال التونسي شرقا وعدة مدن بإفريقية والمغرب الأسط شمالا وجنوبا، ولأهميتها الاستراتيجية التي جعلت منها محور عبور بين المجال التلي والصحراوي[6]، فقد ظلت مركزا عسكريا لحاميات تتكون من الجند العربي والفارسي الخراساني، الذين أوكلت لهم مهمة الدفاع عن الأقاليم الأموية ثم العباسية خصوصا على عهد الإمارة الأغالبة.

وإذا سلمنا بالتوافق الدلالي لإيثنونيم العجم والفرس[7]، فإنّ جغرافية الاستيطان البشري للجاليات الفارسية والخراسانية امتدت لتشمل مدينة طبنة، والدّليل ما صرح به اليعقوبي في هذا المقام أنّ:" بها أخلاط من

والثقافية المغاربية، بالإضافة إلى حيازتهم لمواطن جغرافية بالمجالات الزابية، على غرار مدن بنطيوس وباغاية ومدينة طبنة، اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.البكري، المسالك والممالك، 740/2. الرقيق، المصدر السابق، ص/93.

[1] يشير الباحث علاوة عمارة إلى إشكالية دلالية تتعلق بطوبونيم بنطيوس، فهو حسب تعبير البكري يشمل ثلاث مدن، غير أنها في الواقع ثلاثة قصور يمكن رؤيتها في المراكز التاريخية لقصور المخادمة وبنطيوس قرب زاوية الأخضري وأورلال، وهذه المواقع تتميز بتواصل التعمير البشري بها منذ مراحل قديمة، لوجود أدلة أثرية متنوعة يعود أقدمها إلى العهد الروماني، ويضيف الباحث بأن الحفريات الأثرية هي الكفيلة لوحدها بتحديد الانتقال من البنيان الحجري إلى الطوب ومدى استمرارية الاستيطان البشري في المراحل اللاحقة، علاوة عمارة، التحولات المجالية والطبونيمية، ص/14.

[2] البكري، المسالك والممالك، 740/2.

[3] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/140.

[4] البكري، المرجع السابق، 740/2.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[6] Cambuzat, Op. Cit., t. II, p. 38. الطاهر طويل، المدينة الإسلامية، ص/96

[7] يطلق لفظ الفرس على مجموعة بشرية من أصول هندية أوروبية استوطنت بالأخص القسم الشمالي من إيران الحالية فيما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد، والقسم المذكور هو ما دعي بفارس التي كانت تحدها كرمان شرقا وخوزستان وأصبهان غربا، ونزح الفرس إلى هذه المنطقة من الضفة

قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر"، وما يعزز قوله هي إشارة الرقيق القيرواني[1] إلى انضمام القادة الخراسانيين إلى المهنا بن المخارق بن غفار الطائي الذي نزل بطبنة، ثم طارد عبد الرحمن بن حبيب الفهري بأمر من يزيد بن حاتم في مجالات كتامة بجيجل، وبعد القضاء على أتباعه وفرار عبد الرحمن، رجع المهنا بن المخارق إلى مدينة طبنة ليستقر بها[2]، مما يجعلنا لا نستبعد استيطان الفرس والخراسانيين في قاعدة الزاب التي تمركزت بها حاميات للجند العربي والفارسي الخراساني.

2-3/ أنثروبونيمية الأعلام العجمية وملمح التوطين:

الظاهر أنّ هذه العناصر الجديدة التي توزعت على مجالات الشبكة الحضرية بالمغرب الإسلامي[3]، قد كان لها حضور بارز بين العرب ممن ورد مع العباسيين إلى إفريقية، كما أنهم حملوا معهم موروثهم المشرقي، لكنهم غالبا ما انصهروا في العمق العربي وغيرهم من الجماعات المحلية المعروفة "بالبربر" والأفارقة، وتظهر ملامح وجودهم في شخصيات عدة على غرار أبي الهيثم اللؤلؤي[4]، وعبد الله بن فروخ[5] وأبي غانم بشر بن غانم الخراساني[6] وعيسي بن موسى الخراساني[7]، والجدول الموالي يبرز بوضوح الحضور النخبوي للأعلام الفرس والخراسانيين والعجم ببلاد المغرب الإسلامي ومجالات انتشارهم:

الجنوبية لبحيرة فان التركية، ثم امتزجوا بالشعوب المجاورة لهم داخل إيران فصار الجميع بالنسبة للعرب الفاتحين فرسا، وتعاقب الغزاة على فارس قبل الإسلام، ولكن في هذه الحقبة القديمة توسعت فارس خارج منطقة إيران الحالية، وامتد نفوذها إلى قسم من بلاد العرب وهكذا تكونت إمبراطورية فارسية كبيرة تضم فرسا وعربا وأكرادا وتركا وأرمنا وغيرهم. إبراهيم حركات، المجتمع الاسلامي والسلطة في العصر الوسيط، أفريقيا الشرق، بيروت، 1418هـ/1998م،ص ص/25-26.

[1] تاريخ إفريقية والمغرب، ص/93.

[2] النويري، المصدر السابق، 81/24.

[3] التوطين الفارسي والخراساني تركز بالمدن أكثر من المجالات الريفية، وهو ما دلت عليه مختلف النصوص الاخبارية والجغرافية ومدونات النقائش الجنائزية، وتواصل استقرارهم إلى ما بعد القرن الهجري الخامس/القرن الحادي عشر الميلادي.

[4] أبو العرب، طبقات علماء افريقية، ص/76.

[5] المالكي، المصدر السابق، 176/1.

[6] الدرجيني، المصدر السابق، 323/1.

[7] زياني الصادق، المرجع السابق، ص/115.

الشخصية	الأصل الجغرافي	التوطن الجغرافي	اللقب الاثني	نوع النشاط	المصدر/المرجع
أبو المهاجر بن دينار	مصر	القيروان	مولى	الجيش	البيان المغرب، 21/1. فتوح البلدان، ص/320.
موسى بن نصير	دمشق	إفريقية	مولى	الجيش	وفيات الأعيان، 320/5. العبر، 339/4.
كليب أبي عثمان الفارسي	المشرق	إفريقية	فارسي	إخباري	طبقات علماء افريقية، ص/98.
يزيد بن أبي مسلم دينار	دمشق	إفريقية	فارسي	الولاية	الاستقصا، 159/1.
طلق بن خابان الفارسي	دمشق	إفريقية	فارسي	الفقه	رياض النفوس،117/1.
عبد الملك بن أبي كريمة	المشرق	إفريقية	مولى	الزهد	طبقات علماء افريقية، ص/247.
عبيد الله بن الحبحاب	دمشق	القيروان	فارسي	الولاية	كتاب الولاة، 57/1. الحلة السيراء، 336/2.
اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر	دمشق	القيروان	مولى	الولاية	أخبار القضاة، 364/1. الوافي بالوفيات، 47/8.
أبو عبد الله عكرمة	المشرق	إفريقية	مولى	الدعوة	رياض النفوس،145/1.
علي بن زياد التونسي	طرابلس	تونس والقيروان	مولى	الفقه	ترتيب المدارك، 80/3-81.
عبد الله بن سهل القبرياني	غير وارد	القيروان وقفصة ونفزاوة	مولى	الفقه والقضاء	ترتيب المدارك، 192/4. طبقات علماء افريقية، ص/119.
عبد الرحمن بن محمد بن عمران	غير وارد	القيروان	مولى	الفقه	ترتيب المدارك، 334/5.
عبد الرحمن بن يزيد التاجر الفارسي	المشرق	إفريقية	فارسي	التجارة	طبقات علماء افريقية، ص/81.

عبد الرحمن بن رستم الفارسي	المشرق	تاهرت	فارسي	الإمامة	البدء والتاريخ، 74/4. طبقات المشائخ، 41/1.
عبد الله بن فروخ الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	الفقه والقضاء	طبقات علماء إفريقية، 35/1. رياض النفوس، 176/1.
البهلول بن راشد	المشرق	القيروان	مولى	الفقه والقضاء	رياض النفوس،200/1. ترتيب المدارك، 89/3.
أبو الهيثم اللؤلؤي خالد بن يزيد الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	الفقه	طبقات علماء افريقية، ص/76.
صقلاب بن زيد الهمذاني	المشرق	القيروان	فارسي	الفقه	رياض النفوس، 230/1. ترتيب المدارك، 192/2.
أبو غانم بشر بن غانم الخراساني	المشرق	جبل نفوسة وتاهرت	خراساني	الفقه	طبقات المشائخ، 323/1.
أسد بن الفرات الخراساني	نيسابور	إفريقية ثم صقلية	خراساني	القضاء والجيش	رياض النفوس، 254/1. الإحاطة، 231/1.
عباس بن الوليد الفارسي المحدث	المشرق	القيروان	فارسي	الحديث	طبقات علماء إفريقية،254/1. رياض النفوس،248/1.
محمد بن عبد العزيز بن يحيى	المدينة	القيروان	مولى	الفقه والحديث	طبقات علماء إفريقية، ص/78.
سلمان بن محمد الفارسي الفرياني	المشرق	فريانة بصفاقس	فارسي	غير وارد	ملاحظات حول الفرس، ص/180.
أبو إبراهيم الخراساني	المشرق	القيروان	خراساني	المرابطة	رياض النفوس، 1/-418. الرباطات، ص/97-98.
أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد	المشرق	القيروان قسطيلية	فارسي	الفقه	ترتيب المدارك، 393/4. البيان المغرب، 145/1.
أبو عبد الملك الملشوني	غير وارد	تهودة	غير وارد	راوي	طبقات علماء افريقية، ص/98.

إسحاق بن عبد الملك الملشوني	غير وارد	تهودة	غير وارد	غير وارد	طبقات علماء افريقية، ص/98.
أبو زكريا يحي بن سليمان الخراز الحفري الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	الديوان	طبقات علماء افريقية، 91/1.
إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس	المشرق	القيروان	مولى	الفقه	طبقات علماء إفريقية، ص/13. الوافي بالوفيات، 254/1.
محمد بن إيراهيم بن عبدوس	المشرق	القيروان	مولى	الفقه	ترتيب المدارك، 222/4-223.
أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	الفقه والتوثيق	طبقات علماء إفريقية، ص/168-169.
عبد الجبار الخراساني	المشرق	المنصورة	خراساني	الديوان	الكامل في التاريخ،304/7.
محمد بن زرقون (ابن الطيارة)	غير وارد	القيروان	غير وارد	الإمامة والقضاء	ترتيب المدارك، 402/4.
عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج	المشرق	رقادة	مولى	الفقه والقضاء	ترتيب المدارك، 334/4.
أبو الفضل بن مخلد الفارسي الحذا	المشرق	القيروان	فارسي	حرفي	ملاحظات حول الفرس، ص/185.
عبد الله بن عطية الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	غير وارد	المرجع نفسه، ص/188.
محمد بن جعفر الفارسي الدراق	المشرق	القيروان	فارسي	حرفي	المرجع نفسه، ص/186.
خلوف بن طاهر الباسومي الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	غير وارد	المرجع نفسه، ص/188.
أبو إبراهيم بن العربي	المشرق	جزيرة شريك	فارسي	الفقه	المرجع نفسه، ص/185.
داود بن يحي الصوفي	غير وارد	القيروان	غير وارد	التصوف	طبقات علماء إفريقية، ص/109.
عبد الرحيم المستجاب	غير وارد	قصر زياد	غير وارد	غير وارد	المصدر نفسه، ص/112.

أبو علي بن شقران	غير وارد	القيروان	غير وارد	التصوف	معالم الإيمان، 279/1. رياض النفوس، 312/1.
أبو عبد الله محمد بن خراسان	المشرق	القيروان	خراساني	غير وارد	رياض النفوس، 317/1-318.
محمد بن يزيد الفارسي	المشرق	القيروان	فارسي	الجيش	تاريخ إفريقيا والمغرب، ص ص/120-121.
حامد بن حمدان الهمذاني	المشرق	القيروان	فارسي	غير وارد	كتاب المؤنس، ص /85.
كيسان الفارسي	المشرق	إفريقية	فارسي	الديوان	الطبقات، 137/4. الأدوار الحضارية، ص/36.
ابن وردة العجمي	غير وارد	تاهرت	عجمي	تاجر	أخبار الأئمة، ص/55.
جان	غير وارد	تاهرت	عجمي	غير وارد	المصدر نفسه، ص/95.

الجدول رقم (7): التوزيع الجغرافي للعناصر العجمية في بلاد المغرب الإسلامي من خلال المصادر الإخبارية.

التعليق:

ألاحظ من خلال الجدول أنَّ هنالك تباينا واضحا في التوزيع الجغرافي للنخب العجمية والفارسية والخراسانية بالمغرب الإسلامي، إذ وقفت مدينة القيروان في طليعة المدن التي احتوت على العدد الأكبر منهم، بحكم خصوصياتها السياسية وقدسيتها الدينية، ولكونها أول عاصمة للمسلمين في المغرب بعد تأسيسها سنة 50هـ/670 م، ثم تواصل دورها السياسي والحضاري كعاصمة للأغالبة ما بين 184هـ-296م، بالرغم من إعادة تشكيل الخريطة السياسية بسبب تغير القوى السياسية الحاكمة[1]، إلى جانب ما تميزت به المدينة من حيوية في الحركة العلمية التي شهدتها خلال القرون الهجرية الأولى باعتبارها مركز من مراكز العلم والثقافة في العالم الإسلامي، ولذا فلا غرو أن يستوطنها أعلام من العجم والفرس والخراسانيين، أسهموا في الحياة الثقافية بها، وتبوؤوا الريادة في العلوم الشرعية لاسيما الفقه، وتولوا مناصب عليا في الدولة كالإمامة والقضاء والإفتاء، كأبي الهيثم اللؤلؤي خالد بن يزيد الفارسي[2]، وأبو عبد الله بن فروخ الذي كان فقيه القيروان وإمامها[3]، وكيسان الفارسي صاحب ديوان افريقية[4]، وبروز أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي في الفقه وصناعة التوثيق[5].

هذا وقد تضمنت النقائش الأثرية وقوائم الأسماء الجنائزية التي عثر عليها بالقيروان، أسماء لأعلام من الفرس والخراسانيين، باتوا ينتسبون إلى مجالات جغرافية محلية، فإلى فريانة الواقعة بناحية صفاقس انتسب سلمان بن محمد الفارسي الفرياني[6]، وفي مراحل معينة سجلنا جملة من الفرس والخراسانيين غير مستقرين بصفة دائمة في المغرب الأوسط، حيث شكّل لهم محطة استقرار جزئي للنهل من معين العلوم النقلية والعقلية أو بثها بين المغاربة، وهي العلوم التي كانت تشكل المضمون الفعلي للحركة العلمية، فإسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر لعب دورا في الدعوة إلى الإسلام، إلى جانب ممارسة التجارة في بلاد المغرب وقتئذ، حيث يشير أبو العرب إلى عبد الرحمن بن

[1] بوبة مجاني: القيروان وفقهاء الدولة الحمادية، مقال ضمن كتاب أعمال ندوة دولية: إشعاع القيروان عبر العصور، ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1431هـ/2010م، ص/129.

[2] طبقات علماء إفريقية، ص/76.

[3] المالكي، المصدر السابق، 176/1. طبقات علماء إفريقية، 35/1.

[4] أبو العرب، المصدر نفسه، 137/4.

[5] المصدر نفسه، ص/168-169.

[6] القاضي عياض، المصدر السابق، 192/4. أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص/119. مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين، ص/180.

يزيد المقري الفارسي الذي وفد على بلاد إفريقية سنة ست وخمسين ومائة للتجارة، أمّا بالنسبة للاستيطان الفارسي النهائي، فيظهر في أمثلة عديدة منها اختيار عبد الله بن فروخ وأسد بن الفرات وعبد الرحمن بن رستم[1] الذي نشأ في العراق، التّوجه إلى بلاد المغرب نظرا لبعدها الجغرافي[2]، ولأنها مثلت أرضا خصبا لقيام حركات الخوارج التي تزايدت خطورتها مع نهاية العهد الأموي وبداية العهد العباسي، وأصبحت تهدد بالانفصال عن مركز الخلافة، لاسيما بعد التحام الدعوات المذهبية مع العصبيات القبلية[3]، فيصبح في سنة 160-161هـ/776-777م أول إمام إباضي يتولى شؤون الإمامة بتاهرت عاصمة الدولة الرستمية.

وإذا رجعنا إلى المعطيات الإخبارية والجغرافية[4]حول التّوطين الفارسي والخراساني بمدن إقليم الساحل التونسي، فإنّها تكاد تكون منعدمة تماما، لكّن اللقى والبقايا الأثرية تجعلنا نرجح استقرارهم بها، فالبيوت والحجر والطواحين الفارسية من جهة، وقصور مدينة المنستير التي تشبه الخانقاهات[5] من جهة أخرى، على علاقة بحضور فارسي خراساني قبل ولاية هرثمة بن أعين أو معه على أقصى تقدير[6].

[1] Virginie Prévost, «Abd al-Raḥmān ibn Rustum al-Fārisī. Une tentative de biographie du premier imam de Tāhart», (Der Islam), 86, 2011, pp. 44-64.

[2] وجدت الإباضية في بلاد المغرب أرضا خصبا وبيئة مناسبة لنشر أفكارها ومبادئها، خصوصا في المجالات التي سيطرت عليها القبائل البدوية بين طرابلس وجبل نفوسة، وذلك انطلاقا من النشاط المذهبي للدعاة الإباضيين، الذين جاؤوا من جنوب العراق إلى بلاد المغرب بعد أن اختاروا المنطقة، لأنها كانت مسرحًا للعديد من الاضطرابات والفوضى السياسية التي أثارت حراك البنيات القبلية وزعزعت استقرار ولاية إفريقية، فعيّن الإباضيون إمامًا يتولى شؤون الجماعات السكانية المستقرة بطرابلس. وبعد بضع سنوات، أي في حدود 160هـ/776م، انتقلوا إلى تاهرت لتأسيس الدولة الرستمية، التي تضم المجموعات البدوية والرعوية المحلية في المغرب الأوسط، ولتولي شؤونها تم تعيين عبد الرحمن بن رستم ذو الأصل الفارسي في منصب الإمامة، لكن مع بروز معارضة داخلية ترفض تسليم الإمامة لعناصر من سلالة فارسية. انقسم الإباضية إلى مجموعتين انتهى بهما الأمر بالانسحاب من شمال المغرب الأوسط إلى مجالات جغرافية استراتيجية تقع على حواف الصحراء. أنظر الدراسة التالية:

Allaoua Amara, «La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle): Groupes sociaux et catégorisation sociale dans le dar al-islam médiéval (VIIIe-XVe siècles)», Annales islamologiques, Institut français d'archéologie orientale, 42.(2008), pp. 259-273

[3] مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين، ص/169.

[4] أحيلك على المعطيات الواردة عند البكري ، فهو يذكر "...الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هو هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة، وله يوم عاشورا موسوم عظيم ومجمع كثير، وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسية ومواجل الماء...". 692/2.

[5] الخانقاه هو مكان للأكل والشرب حسب النويري، أمّا الزبيدي فيعرفه بأنه رباط وبقعة يسكنها أهل الخير والصلاح والصوفية ومتعبدهم، كلمة فارسية أصلها خانه كاه، وقد أحدثت في الإسلام في حدود أربعمائة. النويري، المصدر السابق، 386/1. الزبيدي، المصدر السابق، 374/36.

[6] مراد عرعار، ملاحظات حول الفرس والخراسانيين، ص/180.

لموقعها الجغرافي الهام على البلاد الساحلية البحرية وانفتاح مجالاتها شرقا على طرابلس[1]، ولكونها أول ولاية وضعت فيها نظم الحكم والإدارة الإسلامية خلال العصر الوسيط المبكر[2]، وباعتبارها ملتقى تقاطع الطرق والمسالك والدروب ببلاد المغرب[3]، كما أنها أول مركز لاستقرار عرب الفتح[4]، إلى جانب التعاقب البشري والحضاري على مجالاتها بالمقارنة مع المغربين الأوسط والأقصى، شكّلت إفريقية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وحدة جغرافية لجاليات العجم والفرس والخراسانيين، الذين توزعوا على مدنها مثل القيروان وتونس وجزيرة شريك ورقادة والمنصورة وغيرها من المراكز الحضرية الكبرى بالمغرب الأدنى.

لقد برز من المركب العجمي والفارسي والخرساني شخصيات عديدة، أسهمت في الحياة السياسية والعسكرية والعلمية، وكان لها من المستوى العالي ما مكّنها من التألق في الفضاء العلمي ببلاد افريقية، حيث اشتهر محمد بن إبراهيم بن عبدوس الإفريقي في علوم الفقه[5]، وتضلع تلميذه أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي في كتابة السجلات وعلم التوثيق ومارس وظيفة التدريس[6]، أمّا الفقيه البهلول بن راشد فقد كان من أشهر فقهاء القيروان وألف ديوانا فقهيا[7]، وفضلا عن هذه الكفاءات الفارسية والخراسانية المتألقة، ظهر أعلام متضلعون في علوم شتى على غرار عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج الذي اشتغل بعلم الفقه وتولى قضاء مدينة القيروان[8]، ومزاولة محمد بن زرقون المعروف بابن الطيارة الفارسي لمهمة الإمامة[9]،

أمّا في الجانب السياسي، تمدنا النصوص الاخبارية بمعطيات هامة حول الحضور العجمي في أهم الأحداث التي عرفتها المنطقة خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، فقد عُيِّن عبيد الله بن الحبحاب على ولاية إفريقية وكان له الفضل في إتمام بناء جامع الزيتونة سنة 113هـ/732م[10]، وتحالف محمد بن الفارسي مع

[1] المقدسي، المصدر السابق، 216/1.

[2] الرقيق، المصدر السابق، ص/49-50.

[3] ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص ص/87-88. البكري، المصدر السابق، 710/2.

[4] البلاذري، المصدر السابق، 224/1. ابن عذاري، المصدر السابق، 36/1. النويري، المصدر السابق، 30/24.

[5] أبو العرب، طبقات علماء افريقية، ص/13. ابن خلكان، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأناؤوط وتركي مصطفى، ج1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2009م، ص/254.

[6] أبو العرب، المصدر السابق، ص/168-169.

[7] المالكي، المصدر السابق، 200/1. القاضي عياض، المصدر السابق، 873.

[8] المصدر نفسه، 334/4.

[9] المصدر نفسه، 402/4.

[10] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 210/4-211. ابن الأبار، الحلة السيراء، 336/2. النويري، المصدر السابق، 58/24.

ابن الجارود لمواجهة الفضل بن روح بن حاتم[1]، وفي المرابطة يشير المالكي إلى تواجد أحد الخراسانيين في رباط هرقلة يدعى أبو إبراهيم الخراساني الذي شارك مع الأمير الأغلبي أبي العباس بن الأغلب سنة 232هـ/846م على مدينة روما واستشهد بها[2]، بينما عهد الخليفة أبو جعفر المنصور قيادة الجيش العباسي إلى المحارب بن هلال الفارسي إن حدث مكروه للمخارق بن غفار في حملة محمد بن الأشعث[3] على إفريقية لكّن المحارب بن هلال توفي قبل وصوله إليها[4].

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 1/86-87.

[2] المالكي، المصدر السابق، 1/418-419. ناجي جلول، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، تونس، 1419هـ/1999م، ص ص/97-98.

[3] أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي جيشا إلى إفريقية بلغ عدده أربعين ألفا، ثلاثين ألف فارس من أهل خراسان، وعشرة آلاف من أهل الشام، وعين محمد بن الأشعث قائدا عليه ووجه معه الأغلب بن سالم التميمي والمحارب بن هلال الفارسي، والمخارق بن غفار الطائي، فإن حدث به حدث كان أميرهم الأغلب، فإن حدث به حدث فالمخارق، فإن حدث به حدث فالمحارب بن هلال، فمات المحارب قبل وصولهم إلى إفريقية. النويري، المصدر السابق، 24/74. ابن عذاري، المصدر السابق، 1/72. ابن خلدون، كتاب العبر، 4/245.

[4] النويري، المصدر السابق، 24/74.

الفصل الثالث:

هجرة المجموعات العربية إلى بلاد المغرب ومحاولات تحويز المجال الجغرافي خلال الثلاثة قرون الأولى للهجرة.

أولا– العنصر العربي اليماني من الدور العسكري إلى الامتداد المجالي.

ثانيا– الهجرة القيسية وأثرها في السكان والمجال.

الفصل الثالث:

هجرة المجموعات العربية إلى بلاد المغرب ومحاولات تحويز المجال الجغرافي خلال الثلاثة قرون الأولى للهجرة.

أولا– العنصر العربي اليماني من الدور العسكري إلى الامتداد المجالي:

استقدمت أعداد كبيرة من القبائل اليمانية خلال المرحلة الأولى من استكشاف بلاد المغرب الإسلامي ما بين سنتي 22هـ/642م إلى غاية 50هـ/670م، وشاركت في حركة الفتوحات الاسلامية من بدايتها لكن الاستقرار الاجتماعي للعنصر اليماني بدأ مع تأسيس مدينة القيروان بين سنتي (50-55هـ/670-675م)، لتطبع الخريطة الاجتماعية بدخول عناصر إثنية جديدة تركت مواطنها بمصر وبلاد المشرق واستوطنت المجالات المغربية.

1- الأصول العرقية– الجغرافية:

إنّ التقسيم الإثني للعرب في كتب الأنساب يجعلنا نقف عند مجموعتين كبيرتين، أطلق على المجموعة الأولى اسم القحطانية وهم عرب الجنوب الذين ينحدرون من نسل قحطان بن يشجب[1]، والمجموعة الثانية لقبت بالعدنانية التي يرفع نسبها إلى عدنان بن أد بن أدد[2].

وعلى العموم فقد انقسمت القحطانية بدورهم إلى مجموعة كهلان ومجموعة حمير[3]، أمّا كهلان فيتشكلون من كندة ولخم وجذام ومذحج ومعافر وهمدان ومهرة[4]، وبالنسبة لحمير فنجد منهم قضاعة وجهينة وبهراء وبلى

---

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/132.

[2] ورد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تجاوزوا معد بن عدنان، كذب النسابون ثم تلا:" وقرونا بين ذلك كثيرا"، لكن في المستدرك عن أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَعْدُ بْنُ عَدْنَانْ بْنُ آدَدَ بْنُ زَنْدِ بْنُ البَرَاءِ بْنُ أَعْرَاقِ الثَّرَى"، قالت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ"، مما يستشف من الحديث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوقف عند عدنان الذي تتفرع منه القبائل الشمالية مثلما أشارت إليه الرواية الأولى، بل ذكر سلسلة نسبه التي تعود إلى الجد الأول المعروف بأعراق الثرى وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، ص/437. الطبراني، الروض الداني، تح: محمد شكور،ط1، ج2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م، ص ص/151-152.

[3] ابن حزم، المصدر السابق، ص/329. عبد الله خورشيد البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1412هـ/1992م، ص/85 وما بعدها.

[4] ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج2، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م، ص ص/307 وما بعدها.

وكلب، كما نسبت رواية مضطربة ذكرها النسابة والإخباريون المشارقة[1] الأصول الاثنية لقبيلتي صنهاجة وكتامة ببلاد المغرب إلى مجموعة حمير من القبائل القحطانية اليمنية[2]، ومن جهة أخرى، فقد تفرعت من العدنانية مجموعتين كبيرتين هما: المضرية التي تنتمي إثنيا إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان[3]، وربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[4].

لكن يجدر بنا التنبيه هنا إلى أنّ القبائل التي تنحدر من أصول يمانية ليست فقط القبائل التي كانت تستقر باليمن وهي حمير- همدان – حضر موت –كندة – مهرة[5]، بل تشمل أيضا يماني الضاحية أي القبائل المستوطنة في شمال اليمن مثل قبيلة مذحج باختلاف بطونها وعشائرها وخولان وقضاعة وخضعم وبجيلة[6]، وأخيرا يمانيو الهجرة أي قبائل أزد، وعليه فإنّ مفهوم اليمانين يتسع أكثر لينطبق على مختلف القبائل المذكورة سابقا بصرف التلميح عن انتمائها الإثني الجينيالوجي[7].

2- الإسكان والتوطين اليماني ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي.

الثابت من خلال النصوص الاخبارية أنّه ليس بحوزتنا دلائل تتعلق بأولى شبكات التوطين العربي اليماني في بلاد المغرب الإسلامي، فقد كان مستبعدا الاستقرار العربي بالمنطقة في جهتها الشرقية قبل سنة 50 هـ/670م، بسبب الرجوع إلى فسطاط[8] مصر، عدا طرابلس وبرقة اللتين شكلتا مراكز استقرار للفاتحين، ولذلك فقد انحصر الحضور

[1] ابن الكلبي، المصدر السابق، 131/1-132. القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: محمد الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م، ص/176. بن حزم، المصدر السابق، ص/495.

[2] تناقلت المصادر المغربية هذه الرواية بنوع من الريبة والشك، ذلك أن أصحابها لم يسلموا بما ورد فيها من معطيات ترفع نسب قبيلتي صنهاجة وكتامة إلى القبائل اليمنية القحطانية. أنظر: مفاخر البربر، ص/144. ابن خلدون، كتاب العبر، 195/6.

[3] السمعاني، الأنساب، تح: عبد الرحمن بن يحيى، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1382هـ/1962م، ص/303. عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/1994م، ص ص/424.

[4] ابن الكلبي، المصدر السابق، ص/292.

[5] المصدر نفسه، 132/1.

[6] البغدادي، مختلف القبائل ومؤتلفها، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص ص/26-27. كحالة، المرجع السابق، 365/1. 957/3.

[7] راضي دغفوس، الحضور اليماني في إفريقية (البلاد التونسية) والقيروان في القرون الأولى للهجرة، مقال ضمن كتاب: اشعاع القيروان عبر العصور، ج2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1431هـ/2010م، ص/241.

[8] أدت التطورات التي صاحبت حركة الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى تأسيس عدة مراكز عسكرية تحولت فيما بعد إلى مدن وحواضر كبرى، وقد كان لتأسيس هذه المدن أثره البالغ في تطور العمارة الإسلامية مثل مدينة الفسطاط التي أنشأت بعدما فتحت مصر،

العربي اليماني بالمغرب في الحملات العسكرية التي قادتها الجيوش الأموية على مراكز تجمعات المغاربة والبيزنطيين ثم العودة إلى مصر.

إنّ تأسيس مدينة القيروان بداية من سنة (50-55هـ/670-675م)[1]، أي خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري سيمهد لاستقرار المجموعات العربية اليمانية بالحواضر الكبرى على غرار مدينة طرابلس بليبيا والقيروان في إفريقية، ثم ستتوسع دائرة التعمير العربي أكثر لتشهد المنطقة تحولات على مستوى الخريطة البشرية والمجالية[2] ترسم صورتها هذه العناصر البشرية الجديدة محاولة بذلك السيطرة على المراكز الحضرية الكبرى ببلاد المغرب.

وبالرغم من انتقال الجموع العربية اليمانية إلى مدينة القيروان لاستكمال عمليات الفتح بالمغربين الأوسط والأقصى، فذلك لا يلغي من تفضيل أعداد أخرى من اليمنيين البقاء في طرابلس والبلاد الليبية التي تحولت من مركز للفاتحين إلى منطقة طرفية بعد تأسيس القيروان المعسكر[3]، ولا أدل على التواجد اليمني في طرابلس من الثورة التي قادها عبد الله بن مسعود التجيبي اليمني على الأسرة الفهرية[4]، وإيثار المنيذر الإفريقي الذي كان من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم الاستقرار بمدينة طرابلس بعد رجوع موسى بن نصير إلى بلاد المشرق في سنة 95هـ/713م، ولم يغادرها إلى أن توفي وقبره موجود بها[5].

ومن المرجح حسب شهادة البكري أنّ استمرار التوطين اليماني بالمجالات الشرقية لبلاد المغرب تواصل إلى ما بعد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ففي الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس تقع مدينة هلّ ومنها

وأضحت مدينة إمارة للقادة المسلمين وللأمراء الذين تلوهم. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ص/65. خالد عزب، الفسطاط النشأة الازدهار الانحسار، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، د ت، ص/18.

[1] تعتبر المرحلة الممتدة بين سنتي (50- 55هـ/670-675م) هي الفترة التي تم فيها اختطاط مدينة القيروان من طرف الفاتح عقبة بن نافع الفهري كمعسكر للحاميات العربية الأموية وتوطيدا للقيام بحملات عسكرية تسعى إلى فتح الجبهة المغربية، لاسيما في ظل الصعوبات التي واجهها الفاتحون المسلمون أثناء العمليات التي قاموا بها بقيادة عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن حديج. ابن الأعثم، المصدر السابق، 408/2. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 229/5-230. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص/207. ابن عذاري، المصدر السابق، 9/1-10.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/181 وما بعدها.

[3] محمود محمد أبو صوة، الوجود اليمني بالأراضي الليبية ودوره في ربطها بالمشرق، مقال ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق افريقيا قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره، ط1، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1425هـ/2005م، ص ص/351-352.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 252/1.

[5] القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد بجاوي، ج4، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، ص/1485. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م، ص/179. الطاهر أحمد الزاوي، ولاة طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، 1390هـ/1970م، ص/32.

"إلى مدينة ودان يوم، لها قلعة حصينة وللمدينة دروب وهي مدينتان، فيها قبيلتان من العرب سهميّون وحضرميون، فتسمى مدينة السهميين دلباك ومدينة الحضرميين مدينة بوصى"[1]. وبالتالي فمن خلال هذه المعطيات الوصفية يتبين لنا جليا تشكل شبكات استيطان حضرية عربية استقرت بها القبائل اليمنية بالرغم من أنّ الاختلافات العرقية في أغلب الأحيان كانت أساسا للعلاقات الصعبة بين العرب والجماعات المحلية، تلك المجموعات البشرية التي تتجاور مع بعضها البعض، والحالة هذه جنبا إلى جنب ضمن حيز مكاني ذي حدود بينة وواضحة. تلك الحالة التي كانت تتمثل في عدد من المدن الإسلامية على غرار المدينتين المذكورتين في إشارة البكري، حيث كانت تتلازم وتتجاور جماعات عربية من غير أن تختلط أو تندمج فيما بينها، لقد كانت تلك المدن مقسمة إلى أحياء مستقلة ذاتيا أو مغلقة على نفسها، بشكل تمكن معه سكانها بتعدد أصولهم من ممارسة حياتهم وأنشطتهم الخاصة [2].

كما أكّدت رواية ابن عبد الحكم على قوة الحضور اليماني في حملة عبد الله بن أبي سرح على إفريقية، حيث صرح قائلا: "كانت مهرة في غزوة عبد الله بن سعد وحدهم ستمائة رجل، وغنث من الأزد سبعمائة رجل، وميدعان سبعمائة، وميدعان من الأزد"، ومن جهينة ستمائة رجل[3]، فالملاحظ أنّ المجموعات اليمنية ظلت مكونا رئيسا من مكونات الجيش الأموي الذي دخل بلاد المغرب بأعداد متفاوتة وفي مجموعات متعاقبة خلال القرن الأول للهجرة/السابع الميلادي[4]، ولعبوا دورا كبيرا في مناصرة بني أمية من خلال انضمامهم إلى الجيش وقيامهم بالدور الحربي والعسكري بالمشرق، وظلوا على تلك العلاقة المتينة بهم خلال مرحلة فتح بلاد المغرب، حيث تظافرت جهودهم السياسية والعسكرية لتثبيت أركان الحكم الأموي بالمنطقة[5].

أشارت النصوص الوصفية والإخبارية إلى بروز القيروان كأول نواة استيطانية لليمنيين بإفريقية، ولا مجال للشك في الدور البارز الذي لعبه العامل العسكري في استقرار العنصر اليماني مع الجند الفاتح في العاصمة الجديدة للمسلمين أو المعسكر العربي بإفريقية وعلى نواحيها، حيث تذكر المصادر تأسيس جماعة الجهنيين لقرية يستقرون بها نسبت إليهم، ونشأت لقبيلة تجيب قرية التجيبين ونفس الحال لصدف من كندة[6]، غير أنّ حاضرة القيروان مثلت

[1] البكري، المصدر السابق، 2/658-659.

[2] هيلدبرت إزنار، الحيز الجغرافي، تر: محمود إسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1414هـ/1994م، ص ص/52-53.

[3] النويري، المصدر السابق، 9/24.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، 9/1. البلاذري، المصدر السابق، ص/226.

[5] علي مسعد أحمد، دور اليمانيين في قيام الدولة الأموية، مج2، ع3، رؤى في الآداب والعلوم الانسانية، بسكرة، الجزائر، 1441هـ/2020م، ص ص/170-171.

[6] راضي دغفوس، الحضور اليماني في افريقية، ص/246.

نموذجا فريدا للتنوع الإثني والتجاور العرقي بين مختلف الجماعات الاثنية، ففي هذا الصدد يشير اليعقوبي[1] إلى ما عرفته القيروان من تنوع على صعيد الخريطة البشرية إذ كان "فيها أخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب من مضر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان.. وبها عجم من عجم البلد البربر والروم".

ويقف كتاب البلدان لليعقوبي في طليعة المصادر التي تبرز صورة الاستيطان البشري العربي في بلاد الزاب، ولئن لم يفصح حقيقة عن الانتشار اليماني في مدن الزاب[2] واكتفى في معرض حديثه بلفظ العرب، لاسيما عندما يذكر التركيبة البشرية في مدينة باغاي التي كان " بها قبائل من الجند وعجم من أهل خراسان وعجم من عجم البلاد من بقايا الروم حولها قوم من البربر من هوارة بجبل جليل يقال له أوراس"[3]، فذلك لا ينفي استقرارهم بالمجالات الزابية خلال النصف الثاني من القرن الأول للهجرة/7م، وهو ما تؤيده روايات الفتح والنصوص الاخبارية، فأبو المهاجر بن دينار ينتسب اثنيا إلى اليمنيين، وقد "افتتح ميلة، وكانت إقامته في هذه الغزاة نحوا من سنتين"[4]حسب ما أشار إليه خليفة بن خياط.

لقد ظل التفوق العددي واضحا للمجموعات العربية اليمانية، فقد اكتسحوا بلاد المغرب زمن الفتح الإسلامي واستوطنوها إلى غاية الحكم العباسي أين برز الاعتماد عليهم في دواليب الدولة بشكل كبير، وبسبب الإقصاء السياسي اليماني احتدم الصراع بينهم وبين المضرية القيسية في بلاد المغرب[5]، والدليل على ذلك تعيين الفضل بن روح بن حاتم عند توليه مقاطعة إفريقية، أبي عبد الله مالك بن المنذر الكلبي على ميلة، وابن عمه أبا عيينة بن محمد بن عيينة بن المهلب على طرابلس، وعلى تونس المغيرة بن بشر بن روح بن حاتم، وهؤلاء ينتمون كلهم إلى الأصول اليمانية.

ويلاحظ من روايتي ابن عذاري[6] والنويري[7] استمرارية التوطين العربي اليماني ببلاد الزاب، يتجلى ذلك في إقامة الوالي الذي ينحدر من القحطانية عمر بن حفص بن قصيبة في طبنة مع جموع الجيش الإسلامي القادم في حملته، والذي انحصر عدده في خمسة عشر ألفا، وهم أغلب الجند الذين كانوا مستقرين بالقيروان، والأكيد أن عمر

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/187.

[2] Amara Allaoua, «Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siécle VIII- XIV)»,Op. Cit., p.187.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.

[4] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/226.

[5] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص/22-23.

[6] البيان المغرب، 1/77-78.

[7] نهاية الأرب، 24/79-80.

بن حفص والجند العربي بمن فيهم من المجموعات اليمانية قد استقروا بطبنة، بعد أن أمرهم الخليفة المنصور ببناء مدينة طبنة وإقامة سورها لحمايتها من الضربات الإباضية والصفرية[1].

كما أنّ العثور على فلس من النحاس ضربه عمر بن حفص سنة 153هـ/770م، وتحديد اسم المكان الذي ضرب على الوجه الأول للعملة وهو المحمدية الواقعة ببلاد الزاب وليست المحمدية (طنبذه) القريبة من تونس، وهو ما يعزز من دوره في تعمير المغرب الأوسط وإنشاء عدة مدن على غرار المحمدية وطبنة قاعدة الزاب، التي يقول البكري بأنّ من بناها هو "أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهازرمرد"[2]. ونلحظ أيضا استقرار العنصر اليماني في شكل تجمعات إثنية غير مختلطة خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد، لا سيما في طولقة التي قسمها البكري إلى ثلاث مدن تتنوع العناصر المكونة لخريطتها البشرية، ففي إحداهما يسكن المولدون، "والثانية يسكنها اليمن، والثالثة يسكنها قيس"[3].

وعلى سبيل الافتراض وأخذًا بمبدأ الحيطة والحذر يشير الباحثان مسعود مزهوي[4] وأحمد محمود أبو صوة[5] إلى التعاون بين سكان جبل نفوسة والعناصر اليمنية لتأسيس مدينتين إسلاميتين في المغرب الأوسط تيميمون وسدراته، وهذه المعلومة لم تذكرها المصادر، حيث استقاها أحد الباحثين الأجانب[6] من وثائق مخطوطة، فبعد استقرار المسلمين في جبل نفوسة، اتجه رجلان منهم إلى وادي مية لا يعرف الهدف من وجهتهما، لأن في تلك المرحلة كانت المنطقة معروفة بنشاطها التجاري، ومع حركة القوافل القادمة من زنجبار والسودان وصل في 7رجب 39هـ/658م[7]، عبد الرزاق بن عبدان المولود بحضر موت، وأسس مدينة سميت بتيميمون، وفي سنة 41هـ/661-662م وصلت جماعات أخرى إلى وادي مية قاد إحداها أبو حفص عمروس بن فتح من جبل نفوسة، نتيجة عدم

[1] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص ص/69-70. زياني الصادق، المرجع السابق، ص/113.

[2] البكري، المصدر السابق، 711/2.

[3] البكري، المصدر السابق، 740/2.

[4] الإباضية في المغرب الأوسط، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1416هـ/1996م، ص/36 وما بعدها.

[5] الوجود اليمني بالأراضي الليبية، ص ص/351-352.

[6] هو الباحث الفرنسي جان ليثيليو Jean Lethielleux (1900-1998م) الذي شغل منصب مدير التوثيق الصحراوي في الجلفة خلال الفترة الممتدة من (1949-1951م).

[7] حول موضوع الحركة التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي أنظر دراسة: حسين بوبيدي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي من ق:5-10هـ/11-16م دراسة في تفاعل المؤثرات السودانية والمغربية، أطروحة دكتوراه، إشراف اسماعيل سامعي، جامعة الأمير عبد القادر، 1441هـ/2020م،ص/192 فما بعدها.

الاستقرار، فقام هؤلاء الوافدون ببناء مسجد كأول نواة تعمير ألحقت بالعديد من المساكن لتظهر سدراتة[1] كمدينة في عمق المجالات الصحراوية بالمغرب الأوسط[2].

وما هو مؤكد، هو احتواء الخريطة البشرية لبلاد المغرب قبيل قيام الدولة الرستمية على أعلام يمنيين، يأتي في مقدمتهم أبا الخطاب بن عبد الأعلى بن خلف بن السمح المعافري الحميري اليمني[3] من حملة العلم الخمسة وصاحب الدعوة الإباضية في مجالات طرابلس[4]، وبعد وفاته خلفه ابنه السمح واليا على هذه المدينة لمكانتهما الاجتماعية وحظوتهما بين سكانها، ليكون هذا الوالي رجلا يمانيا آخر عُيّن على هذه المدينة خلفا لوالده، ومن باب المثال لا الحصر، لا يفوتنا انكار التوزع اليماني ببلاد المغرب الإسلامي في قسمه الشرقي خلال مرحلة نشر الدعوة الإباضية.

وعليه، تأتي شهادة ابن عبد الحكم[5] في الإبانة عن التوطين اليماني بأقصى المجالات الشرقية لبلاد المغرب، ففي سنة 126هـ/743م، قاد عبد الله بن مسعود التجيبي اليمني ثورة على الأسرة الفهرية، ولئن تم القضاء عليه وعلى حركته، فإن استمرار المعارضة اليمنية استمرت تحت قيادة جديدة تتمثل في عبد الجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي، حيث يجبر والي عبد الرحمن بن حبيب، حميد بن عبد الله العكي على مغادرة طرابلس التي أرسل إليها بن حبيب واليا جديدا من أصل يمني يدعى يزيد بن صفوان المعافري[6].

---

[1] أصبحت سدراتة موضوعًا علميًا أركيولوجيا، إذ خضعت لعدة محاولات تنقيبية، من طرف الباحثة السويسرية مارغريت فان بيرشم بين (1950-1955م) لكن هذه الحفريات الأثرية تبين أنها جزئية، ركزت فقط على الأجزاء التي تعتبر من خلالها أنها مدينة إسلامية مثل "المسجد" ، و"القصر"، وعدد قليل من المساكن. وبمعزل عن سياقه المباشر (حوض ورقلة) ، يبدو الموقع ثريا من خلال بقايا الجص، الذي تم البحث عن أشباهه منذ فترة طويلة في الفن المسيحي أو القبطي أو الشمال أفريقي من أجل إعادة تأكيد الطابع الأصلي والغربي لهذا الإنتاج الفني. بعد استقلال الجزائر، احتل موقع سدراتة مكانه بين "المعالم" الأثرية والتاريخية التي دلالات ترتبط بأقدمية العلاقة بين الأراضي الصحراوية وسكان الجزائر. خصوصا الجماعات الإباضية وماضيها الذهبي، والذي أعيد تنشيطه بالاكتشافات الأثرية في الخمسينيات كما سبق ذكره، ولذلك تبدو سدراتة أكثر من أي وقت مضى كمكان لذكرى ماض مثالي لسكان المنطقة.

remmm. Cyrille Aillet et Sophie Gilotte, Sedrata : «l'élaboration d'un lieu de mémoire», https://doi.org/10.4000/ p p. 91-114 . BERBRUGGER Louis-Adrien, «Observations archéologiques sur les oasis (2012)7923, 13 méridionales du Sahara algérien », Revue africaine 2, 1857, p. 295-300.

[2] محمود أبو صوة، المرجع السابق، ص/352.

[3] Virginie Prevost, «La formation des réseaux ibadites nord-africains (VIIIe-XIIe siècle)» (in Damien COULON, Christophe PICARD et Dominique VALÉRIAN (dir.), Espaces et réseaux en Méditerranée VIe-XVIe siècle, vol. II, La formation des réseaux, Paris, Éditions Bouchène, 2010, p. 30.

[4] أبو زكريا، المصدر السابق، ص/57.

[5] فتوح مصر والمغرب، ص/298.

[6] محمود أبو صوة، المرجع السابق، ص/353-354.

لقد لعبت سلالة أبي الخطاب بن عبد الأعلى المعافري دورا في تاريخ الدولة الرستمية[1]، فبرزت منهم شخصيات عديدة على غرار خلف بن السمح بن أبي الخطاب الذي كان واليا على مجال نفوسة ومعارضا لأبي عبيدة عبد الحميد الأجناوني في ولايته على طرابلس[2]، والذي قام بحركة عدائية ضده جرت بينهما حروب ستنتهي مجرياتها بوفاة خلف بن السمح خلال فترة الوالي العباس بن أيوب الذي ألحق هزائم بخلف إلى أن توفي[3].

وحسب ابن الصغير فقد أدّى تأسيس الإمارة الرستمية (160-296هـ/777-909م) إلى توافد عربي على مدينة تاهرت في بدايات التكوين والبناء، ضمن استراتيجية تمويل المشروع التعميري لعاصمة الإباضيين بالمغرب الأوسط، الذي سرعان ما تحولت المنطقة بفضله إلى مركز استقطاب للعناصر البشرية من مختلف المناطق، وكان العرب من مكونات النسيج الاجتماعي وإحدى عناصره الرئيسية في تلك المرحلة، حيث ذكر ابن الصغير أنه:" لما وصل المال اشتروا الكراع والسلاح وقوي الضعيف وانتعش الفقير وحسنت أحوالهم وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كانوا يغزوهم ثم شرعوا في العمارة والبناء...وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار، فقال ليس أحد ينزل بهم من الغرباء، إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا ترى دارا إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين"[4].

يفهم مما سلف تنوع العناصر الإثنية لمجتمع تاهرت الرستمية، نتيجة سياسية عبد الرحمن بن رستم القائمة على العدل بين الناس وعدم التمييز بين الغرباء وأهل البلاد، وهي بمثابة حجر الأساس في ترغيب أصحاب الأموال والطموحات المختلفة للتوطن بعاصمة الإباضيين[5]، وقد انعكس هذا التوجه في شهادة الشماخي الذي يصرح بشأنها قائلا "انتقل إليها أهل المال والتجار من مصر وإفريقية والمغرب لخوفهم على أموالهم من أئمة الجور"[6].

وقد كشفت الثورات التي شهدتها المنطقة الشرقية خلال فترة حكم الأغالبة (184-296هـ/800-908م) عن الانتشار اليماني المعتبر واستيطانهم ببلاد المغرب الشرقي، حيث دلت ثورة الجند اليمانيين التي تنافس على قيادتها

[1] ابن سلام، المصدر السابق، ص/150 وما بعدها.
[2] الشماخي، المصدر السابق، 158/1-159.
[3] بوبة مجاني، المرجع السابق، ص ص/111-112.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص/31-32.
[5] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص ص/30-31.
[6] الشماخي، المصدر السابق، 158/1. بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/114.

القيسي منصور الطنبذي والمذحجي عامر بن نافع عن تحويز المجال الجغرافي لشمال إفريقية وتحكم اليمانيين فيه[1]، فالتصدع الذي فصل بين المضرية، أي عرب الشمال، وبين بقية المجموعات العربية التي كان أغلبها إن لم نقل كلها من اليمانيين على غرار يحصب خلال سنة 211هـ/827م بعد أن قضى عامر بن نافع على منصور الطنبذي وقتله وسيطر على مجالات شمال إفريقية[2]، ليحتدم صراع العصبيات العربية بين المجموعات القيسية التي ينحدر منها الطنبذي واليمنية عصبية ابن نافع، ذلك أنّ الأخير أصبح يواجه خطرين الخطر الأغلبي والخطر القيسي والمنشقين عنه، فنجح الأمير الأغلبي زيادة الله الأغلبي في القضاء على ثورته بتونس ومرض عامر بن نافع حتى توفي[3].

على صعيد آخر، تعج كتب التراجم والطبقات في بلاد المغرب الإسلامي بأسماء الأعلام اليمانية، وهي أسماء لشخصيات استقرت بالمراكز الحضرية في المنطقة مثل سعد بن مسعود التجيبي وعبد الرحمن بن رافع التنوخي وعلي بن رباح اللخمي وحنش بن عبد الله الصنعاني وموسى بن الأشعث البلوي وأبو قبيل المعافري وسعيد بن لبيد المعافري وجميل بن كريب المعافري وخلاد بن سليمان الحضرمي ومروان بن عبد الرحمن اليحصبي وعمر بن الحكم اللخمي...[4].

وقد أمدتنا مصادر القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين، بمعطيات حول قائمة الأعلام البشرية اليمنية، تدل على قوة التواجد القحطاني في بلاد المغرب الاسلامي، وهذا ما يظهر في الجهة الشرقية خصوصا بعد أن سجلت لنا مظانها أسماء ذات أصول يمنية على غرار يحصبي[5] وغساني[6] وتنوخي وأزدي[7] ومعافري[8] وحضرمي ولخمي...[9]، جمع بين هؤلاء قاسم مشترك يتجلى في الانتساب الاثني إلى أسر عربية يمنية سكنت بلاد المغرب خلال القرنين الأول والثاني للهجرة/السابع والثامن الميلاديين.

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، 2/383-384. النويري، المصدر السابق، 24/110-111.

[2] الطالبي، المرجع السابق، ص/231.

[3] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/129.

[4] المالكي، المصدر السابق، 1/102 فما بعدها. ابن الأبار، معالم الإيمان، 1/180 وما بعدها.

[5] ابن الأبار، معالم الإيمان، 1/250.

[6] المالكي، المصدر السابق، 1/240.

[7] ابن الأبار، معالم الإيمان، 1/198.

[8] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص/21.

[9] المالكي، المصدر السابق، 1/175.

وخلال الربع الأخير من القرن الثاني الهجري، يشير ابن أبي زرع إلى قدوم مجموعات عربية يمنية واستيطانها بمجالات المغرب الأقصى، تشكلت تكويناتها الاثنية من فروع الأزد والخزرج ومدلج وبني يحصب والصدف[1]، بعد أن رحب بوفودهم إدريس الثاني وآثر تقديمهم على مجموعات "البربر"[2] مشكلا مرتكزا بشريا عربيا لدولته، فاتخذ هؤلاء اليمانيون من فاس عاصمة الأدارسة سنة 189هـ/805م موطنا لهم، وكونوا عصبيته التي تحميه وتدافع عنه وتطالب بالملك لآل البيت[3]، فالمشروع الإدريسي كما هو معلوم لم يكن وليد الصدفة في بلاد المغرب، وإنما ارتبط بالمخزون البشري المحلي ثم العربي اليماني والقيسي لتكوين كيان إمارتهم[4]. لذلك شهدت فاس الأدارسة استقرارا عربيا تشكل من الجموع العربية القيسية وبمؤشر مرتفع المجموعات اليمانية حيث سجلت لنا المصادر نزول "العرب القيسية من باب إفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم ونزل اليحصبيون بجوار القيسية من الجهة الأخرى"[5]، فكانت بفاس لوحدها حوالي ثلاثمائة من البيوتات العربية القيروانية[6].

وفي الفترة الممتدة من نهاية القرن الأول إلى غاية القرن الرابع للهجرة/القرن السابع والعاشر للميلاد، بدأت مرحلة جديدة من التعمير البشري للمجالات الشمالية الغربية لبلاد المغرب، فقد تحركت المجموعات اليمانية بعد تمام عمليات الفتح الاسلامي في المنطقة أي في سنة 91هـ/709-710م، وتوغلت باتجاه المغرب الأقصى[7]، هذه الجماعات تنتمي إلى الأصول الحميرية كرست عملية الانفصال الكلي عن مركز الولاية بإفريقية، كأول إمارة تستقل

[1] ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1391هـ/1972م، ص ص/ 13. جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1421هـ/2001م، ص ص/157-158.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/29.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص/174. راجع في الموضوع: محمد المغراوي، الهجرة العربية الكبرى إلى المغرب الأقصى في عهد يعقوب المنصور الموحدي، مقال ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق افريقيا قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره، ط1، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1425هـ/2005م، ص ص/311-312.

[4] رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633-962هـ/1236-1555م، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 1439هـ/2018م، ص/101.

[5] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص/38-39. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م، ص ص/17-18.

[6] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص/19 وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/38. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية، ص/16.

[7] الجدير بالذكر في هذا السياق، أنّ سقوط المقاومة المحلية في الأوراس قد كان بمثابة آخر عائق أمام تقدم الحملات العسكرية الأموية نحو المغربين الأوسط والأقصى، والقضاء على مقاومة الكاهنة بالخصوص هو ما يفسر فتح المجالات الغربية ونجاح الجيوش الإسلامية في إلحاق بلاد المغرب بدار الإسلام بسرعة مدهشة قبل نهاية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي. أنظر: أحمد الطاهيري، المرجع السابق، ص ص/40-41. عبد الرحيم بن سلامة، المملكة المغربية تعريف بالمدن والقرى والأسر والجهات، ط2، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط، 1436هـ/2015م، ص ص/33-34. أحمد الطاهيري، المرجع السابق، ص ص/40-41.

في عصر الولاة الأمويين، ويقول ابن خلدون"...كان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول. وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه وأقطعه إياها بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين من الهجرة"، فتشكلت إمارة نكور من طرف بني صالح الحميريين في بلاد الريف[1] بالمغرب الأقصى بداية من سنة 91هـ/709م[2] إلى ما بعد النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، حينما استولى عليها المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين سنة 473هـ-1080م[3].

أمّا النصوص الإسماعيلية التي تؤرخ للفترة الفاطمية (296هـ-362هـ/908م-972م)، فتشير إلى تعمير بعض المجموعات العربية لمجالات الزاب دون تحديد انتمائها الإثني، لكن على ما يبدو أنها جماعات تعود في أصولها إلى العرب اليمانية والقيسية عموما، فالقاضي النعمان يبرز استقرار عناصر قيسية في بلزمة وتقديم يحي بن تميم التميمي عليهم[4]، أمّا الدّليل الثاني على الاستيطان العربي بالمجالات الزابية، هو التجاور الجغرافي بين قبيلتين إحداهما عربية والأخرى برقجانة بمدينة طبنة، وهؤلاء يرجح أنهم نتاج التصاهر بين العرب والسكان الأصليين من "البربر"، لأنهم حملوا اسم المولدين[5] في مواضع حددها ابن حوقل[6] ثم نجدها في جغرافية البكري[7] مرتبطة بكورة بنطيوس ومن ذلك الجماعات اليمنية المستوطنة بها[8].

والواقع أنّ ظهور العنصر اليماني في الجهة الغربية للمنطقة لم يكن متأخرا إلى غاية القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، فقد بدأ مع تأسيس إمارة نكور ببلاد الريف كما لمحنا إليه سابقا، بينما في مرحلة ثانية من مراحل انتشارهم بالمغرب الأقصى تقدم النصوص الإخبارية والوصفية معطيات حول استيطانهم خلال

[1] تقع بلاد الريف في شمال المغرب الأقصى في سلسلة جبلية مقوسة طولها 300 كلم، تجويفها متجهة نحو الشمال. مصطفى أبو الضيف، المرجع السابق، ص/238.

[2] أنظر: المبحث الثالث من الفصل الموالي.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ص176/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 178/6. السلاوي، المصدر السابق، 32/2. حماه الله ولد السالم، حركة المرابطين بين العصبية والدعوة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، هـ/2015م، ص/142.

[4] القاضي النعمان، المصدر السابق، ص/140.

[5] زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب، ص/131.

[6] صورة الأرض، ص/85. زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب، ص/130.

[7] المسالك والممالك، 740/2.

[8] Amara Allaoua, «Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siécle VIII- XIV)»,Op. Cit., p.187.

فترات حكم الدول المستقلة، وقد شمل هذا الاستيطان إمارة الأدارسة وإمارة بني مدرار الصفرية في سلجماسة[1]، التي برزت فيها شخصية الفقيه اليماني أبا الخطاب محمد بن علي الكندي الذي عرف بورعه واشتغاله بالصلاة والعبادة[2].

ويؤكد صاحب كتاب البيوتات الكبرى بفاس تواصل التوطين اليماني على عهد الدولة المرابطية (480-540هـ/1056-1145م)، من خلال حضور العديد من العائلات اليمنية الشهيرة بالمدن المغاربية على غرار أسرة بني حزب الله وأسرة بني البان الأزديين وأسرة بني عشرين من الخزرج وأسرة بني الملجوم المهالبة[3]، ومن العوامل الكامنة خلف استقطاب العرب اليمنية من الأندلس نحو المغرب الأقصى، قيام دولة المرابطين وإدماج الأندلس في حظيرة الدولة المركزية وشيوع الأمن والاستقرار وانتعاش المجال الحرفي والصناعي والتجاري، فتوافد اليمانيون واستوطن معظمهم فاس لجودة مناخها وسلامة بيئتها ولتواجد العرب القدامى من بني جلدتهم فيها[4].

خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يتواصل التوطين العربي اليماني بالمغرب الأقصى، وربما كان هذا الانتشار بأقل مستوى في هذه المرحلة نتيجة التحولات الاثنية والمجالية التي شهدتها المنطقة عقب وصول المجموعات الهلالية والسليمية بأعدادٍ معتبرة، فبعد حلولهم بالمغرب الأدنى سنة 430هـ/1039م خلال فترة حكم الزيريين، وقدرة الوافدين الجدد على التحكم في المجال وتهديم القيروان في عام 452هـ/1060م[5]، وهو ما سيحدث تغييرا جذريا في بنية المجتمع المحلي، كما سيخلق حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار إلى جانب نشاط كثيف في حركة الانتقال والتهجير للسكان من مختلف المناطق والأقاليم ببلاد المغرب، وسيكون له تأثير على طبيعة التوطين بمختلف المجالات الجغرافية[6]، من ذلك نزوح الجماعات العربية اليمانية والقيسية إلى المغرب الأقصى لتستوطن بفاس، حيث يقول عبد الواحد المراكشي:"كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بعيث العرب فيها فر منها أهلها، ونزل أكثرهم مدينة فاس"[7].

ومما يستشف من هذا النص أنّ التواجد الهلالي بالجزء الشرقي للمغرب وتمدد مجالاته، إلى جانب الاندماج الاجتماعي للعناصر اليمنية مع السكان الأصليين في بلاد المغرب الإسلامي، جعل من صورة الاستيطان اليماني

[1] Virginie Prevost, "Ibāḍisme et ṣufrisme dans le Maghreb central", Op. Cit., pp. 316-317

[2] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، 87/1.

[3] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص/19 وما بعدها. مصطفى أبو الضيف، المرجع السابق، ص/316.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص/38.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 18/6. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 201/8.

[6] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، 427/2.

[7] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص/256-257.

تقتصر على بعض المدن منها فاس وكذلك سبتة التي استوطنتها مجموعة يمانية مثلما أكدت عليه شهادة البكري، وهو الذي اكتفى بمجرد الإشارة إلى استقرار مجموعة عربية تنتسب إلى صدف اليمانية بمدينة سبتة[1]، مما يؤشر على أهمية هذه المدينة التي كانت بمثابة الميناء الأول لموجات المهاجرين من العرب الأندلسيين نحو المدن والحواضر المغاربية[2].

ويتبين لنا من تتبع أسماء المواقع الجغرافية في المرحلة التي تلي نهاية عمليات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واستقرار الحاميات العربية اليمانية بها[3]، وجود العديد من المؤشرات الطوبونيمية الدّالة على كثافة الحضور اليماني في المنطقة ودورهم في حركة التعريب، إن على مستوى تأثير العرب في أسماء المواطن السابقة للفتح بشكل غير جزئي مع المحافظة على أصولها القديمة، أو على مستوى ظهور قرى ومدن جديدة حاملة لأسماء عربية يمانية كقصور حسان بن النعمان الغساني بين طرابلس وافريقية. ولقد لاحظنا هذه التغيرات الطوبونيمية في القسم الشرقي لبلاد المغرب أولا وتحديدا بعض المواطن بإفريقية، إذ تشير النصوص الوصفية إلى مجالات جغرافية حملت طوبونيمات عربية كقرية الجهنيين وقرية مهريّين[4] ومدينة الأنصاريين وبلّي والجهنيين والفهميين[5]، كما استمر طوبونيم بلد التجبيين[6] من بلديات القيروان إلى ما فترة الموحدين[7].

أمّا ما ورد في النصوص الوصفية والإخبارية فيؤكد على التأثير العربي في الطوبونيميا المحلية لمواقع تموضعت حول مصر القيروان، حيث ظهرت كلمة المعافرين في الشمال الغربي من السبيخة وصدف جنوب وادي الشريطة وجهينة جنوب القيروان، وبلي قرب نابل ولذلك فقد ظلت المواقع وفية لأسماء القبائل العربية اليمانية منها[8]، وكانت مدينة فاس مدينتين يفصلها النهر الذي بنيت عليه وهو وادي فاس، وطبيعة الأرض التي بنيت عليها هي التي فرضت عليها هذا التقسيم، فحمل القسم الغربي منها اسم عدوة القرويين، والشرقي عدوة الأندلسيين، وذلك نسبة إلى

---

[1] البكري، المسالك والممالك، 780/2.

[2] محمد الشريف، سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرنيين)، ط2، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 1427هـ/2006م، ص ص/128-129.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/221.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/84- 87. البكري، المسالك والممالك، 833/2.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/84.

[6] قرية من قرى القيروان، بينهما نحو اثني عشر ميلا، وعلى الراجح ينسب هذا الموضع إلى القبائل المتوطنة حول القيروان إثر الفتح أي قبيلة تجيب اليمانية شأنه شأن مواضع صدف بنو تميم الجهنيين، الحضرميين...، أحمد الباهي، القيروان في نهاية العهد الحفصي من خلال مناقب أبي القاسم المسراتي، مقال ضمن كتاب: اشعاع القيروان عبر العصور، ج2، ص/644.

[7] ابن أبي لحية، نور الأرماش في مناقب القشاش، تح: لطفي عيسى وحسين بوجرة، تونس، 1418هـ/1998م، ص/406.

[8] محمد حسن، الجغرافية التاريخية، ص/17-18.

المهاجرين العرب من القيروان والأندلس الذين تشكلوا من اليمنيين والقيسيين، بعد أن فشلوا في الثورات التي قاموا بها ضد حكوماتهم وبوجودهم ازدادت فاس تحضرا وعمرانا[1].

ختاما، فإنّ التوطن البشري للجماعات اليمانية في العصر الوسيط المبكر تركز في القسم الشرقي لبلاد المغرب الإسلامي، وخصوصا في إفريقية لدور العامل العسكري الموجه لحركة الفتح، بالإضافة لاحتوائها على القيروان كقاعدة ومعسكر استقرار للفاتحين المسلمين، وتوابعها من المجالات الجغرافية الزابية والجريد وقسطيلية وتونس...، أمّا العامل الثاني فهو العامل السياسي والمذهبي الذي له نصيب في استيطانهم بمجالات غربية، أي بعد الحركات الانفصالية التي شهدتها ولاية إفريقية خلال عصر الولاة، من نتائجها الأولية تأسيس العديد من الإمارات المستقلة عن مركز السلطة بدار الاسلام، مثل إمارة بني صالح بنكور وبني مدرار.

لقد تدعمت هذه الهجرة في بداية الربع الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إثر حركة الهجرة الهلالية إلى بلاد إفريقية وسيطرتهم على المجال الحضري وخصوصا مدينة القيروان التي شكلت مركزا لأكبر التجمعات اليمانية قبلا. إن ارتسام ملامح الخريطة السكانية وجغرافية التوزيع اليمني ببلاد المغرب الإسلامي، يرتكز على آليات طوبونيمية وأونوماستية تتجلى في رصد وتتبع أسماء الأماكن "الطوبونيميا العربية" وحتى الأنثربونيميا المرتبطة بأسماء الأعلام البشرية ومضارب استقرارهم.

3- الأدوار والوظائف العسكرية والسياسية للعرب اليمانية ببلاد المغرب:

إنّ المتتبع لأحداث الفتح الاسلامي لبلاد المغرب خلال مرحلة القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، يجد تفوقا عدديا واضحا للعنصر العربي اليماني في مختلف الحملات العسكرية الأموية على المنطقة[2]، بل إنّ بروز القادة اليمانيين بأسمائهم في المصادر الاخبارية التي دونت أحداث الفتح في القسم الغربي لدار الاسلام، يعكس التميز العسكري لهؤلاء القادة من أمثال: معاوية بن حديج السكوني وزهير بن قيس البلوي وحسان بن النعمان الغساني وموسى بن نصير اللخمي.

[1] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/118.

[2] يحسن بي التنبيه في هذا المقام إلى الدراسة الجادة والمستفيضة في موضوع العرب اليمانية للباحثة المتميزة بوبة مجاني، وكذلك رسالة الباحثة سلوى بحرية التي تعذر علي أمر الحصول عليها والموسومة بـ:" اليمانيون في المغرب والأندلس في القرنين الأول والثاني للهجرة "تحت اشراف المتخصص في تاريخ اليمنيين راضي دغفوس الذي بدوره أصدر العديد من الدراسات حول العنصر اليمني في البلاد الاسلامية مشرقا ومغربا خلال الفترة الوسيطة.

إذا أردنا أن نحدد أوائل المساهمين في حركة الفتوح الإسلامية ببلاد المغرب، فإننا نرجع إلى سنة (22هـ/642م)، السنة التي يشير فيها ابن عبد الحكم إلى خروج رجل يمني من الجيش الأموي الفاتح تعود أصوله إلى بني مدلج ونجاحه في فتح مدينة طرابلس، وهو الأمر الذي يعكس الحضور اليمني المميز في الجيش الذي فتح مصر، ويكاد المرء يجزم بأنّ بعض هذا الجيش كان قد دخل الأراضي الليبية رفقة عمرو بن العاص وربما استقر منه بها منذ ذلك التاريخ، ففيما يتعلق بجزئية دخول اليمنيين للأراضي الليبية ضمن جيش عمرو بن العاص فهو أمر يقره المنطق وبعض الشواهد أيضا[1].

[1] من الثابت أنّ استقرار بعض هؤلاء اليمنيين بعد رجوع عمرو بن العاص إلى مصر لا يمكن للباحث الخوض فيه إلا من خلال الاستنتاج، والتّوسع في تأويل بعض النتف الواردة هنا وهناك. فالمصادر الاخبارية الأولى تتعمد تجاهل القبائل التي استقرت بالأراضي الليبية صحبة عقبة بن نافع الذي ظل ينتقل بين برقة وزويلة لأكثر من عشرين سنة. أنظر: محمود محمد أبو صوة ، الوجود اليمني بالأراضي الليبية، ص ص/247-248.

الانتماء الاثني	الشخصية	سياسيا وعسكريا	عمرانيا وحضاريا	المصدر/المرجع
اليمانيون	معاوية بن حديج السكوني (34-50هـ/654-670م)	- فتح مدينة جلولاء. - فتح مدينة بنزرت. - فتح مدينة سوسة. - فتح جزيرة جربة.	- تشييد معسكر القرن في إقليم قمونية. - حفر آبار ابن حديج بباب تونس. - تشكيل مقبرة البلوية بمدينة القيروان. - بناء مسجد الأنصار (محرس الأنصار).	- فنون الأرب، 21/24. - المسالك والممالك، 721/2. - رياض النفوس، 84/1. - فتوح مصر والمغرب، ص/220.
	أبو المهاجر دينار (55-62هـ/675-681م)	- فتح جزيرة شريك. - فتح مدينة ميلة. - فتح المغرب الأوسط إلى غاية تلمسان. - فتح المغرب الأقصى من تلمسان إلى طنجة.	- تشييد مدينة تاكروان شمال القيروان. - العيون المعروفة بعيون أبي المهاجر دينار بتلمسان.	- النجوم الزاهرة، 152/1. - تاريخ ابن خياط، 226/1. - رياض النفوس، 33/1. - الاستقصا، 136/1-137.
	زهير بن قيس البلوي (69-/688م)	- فتح مدينة شقبنارية. - فتح حصن الأريس. - فتح مدينة باجة.	/	- فتوح البلدان، ص/226. - كتاب العبر، 194/6. - أثر العرب اليمنية، ص/28.
	حسان بن النعمان الغساني (74-85هـ/693-704م)	- فتح مدينة ترشيش(تونس). - فتح مدينة قرطاجنة. - فتح زغوان. - فتح صطفورة وبنزرت (ثانيا).	- تشييد القصور بمجالات برقة "قصور حسان". - اختطاط مدينة تونس. - تأسيس دار الصناعة بتونس. - بناء جامع الزيتونة بمدينة تونس. - تدوين الدواوين وتنظيم الصدقات وفرض الجزية وتقسيم الأراضي بين السكان.	- فنون الأرب، 35/24. - كتاب العبر، 238/4-239. - معالم الإيمان، 66/1-67. - فتوح مصر والمغرب، 229/1. - رياض النفوس، 56/1.
	موسى بن نصير اللخمي (85-95هـ/704-714م)	- فتح على زغوان. - فتح على طبنة. - فتح طنجة وسقوما وفتح قلعة بشر. - فتح مجالات مصمودة والسوس الأقصى وتافيلالت.	- تأسيس النظام القضائي ببلاد المغرب. - سك العملة ووضع النظامي المالي الإسلامي ببلاد المغرب.	- الإمامة والسياسة، 55/2. - فتوح البلدان، ص/288. - Yassir Benhima et Pierre Guichard, Op. Cit., p.108. - Abdelhamid Fenina , op. cit., p.122.

إنّ التحولات التي شهدتها دار الإسلام بتولي خلفاء أمويين قدّموا العناصر اليمنية ودمجوها في الخطط الإدارية والعسكرية، أثرت على تركيبة الجند الفاتح لبلاد المغرب، حتى وصل ذلك التأثير إلى قيادة الجيش الأموي، ليبرز العديد من القواد المسلمين من العرب اليمانية كان لهم الدور الكبير في فتح المجالات المغاربية، من بينهم معاوية بن حديج وهو ذو أصل اثني يمني ينحدر من قبيلة كندة القحطانية، وقد تضاربت الروايات التاريخية بخصوص عدد الغزوات التي قادها معاوية بن حديج لفتح بلاد المغرب، حيث يشير عدد من المؤرخين[1] إلى قيامه بحملة عسكرية سنة 34هـ/654م، لكن يبقى هذا القول مستبعدا في ظل الأحداث الخطيرة التي عرفتها ولاية مصر ومركز الخلافة في المشرق بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلا مجال لإرسال جيشه إلى إفريقية في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها دار الإسلام، وهو الذي كان يطالب بدم الخليفة المغدور والثأر له حتى اضطربت الأوضاع الأمنية في ولاية مصر.

وبالنظر إلى الإطار الزمني لوقوع هذه الغزوة[2] في سنة 45هـ/665م كما تضمنتها بعض النصوص الوصفية والاخبارية الأخرى[3] يشير حسين مؤنس[4] إلا أنّه القول الأقرب إلى الحقيقة التاريخية، فبعد أن ثبتت قدم معاوية واستطاع أن يفكر في الغزو الخارجي، واستتباب الأمن بدار الخلافة توجه للقيام بحملاته التي من المعقول أن تكون بين الأربع سنوات أو في بعضها، أي بين 41هـ/661م-45هـ/665م، مادام تحديدها واضحا من طرف أغلب المؤرخين سنة 45هـ/666م، وفي ظل تولي مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي أمره بفتح بلاد المغرب وقتئذ[5].

لكن تذهب الباحثة بوبة مجاني[6] إلى استمرارية الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وبلاد الروم، مما يجعل الغزوة التي قادها معاوية بن حديج لم تتأخر إلى ما بين سنتي 41هـ/661م-45هـ/665م مثلما انبرى له الباحث

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 465/2. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/6. ابن عذاري، المصدر السابق، 14/1. ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص/28.

[2] اختلفت الروايات التاريخية في تحديد الإطار الزماني وعدد الحملات العسكرية التي قام بها معاوية بن حديج السكوني الكندي، ففي الوقت الذي يرى فيه الإخباريون المتقدمون على شاكلة ابن عبد الحكم وخليفة بن خياط وأبي زرعة الدمشقي أنّ سنة (34هـ/654م) تاريخ انطلاق أول حملة عسكرية بقيادته تجاه المغرب، يخالفهم الرأي تيار ثاني يمثله كل من النويري وابن عذاري وابن أبي دينار وابن خلدون الذين يرون أن حملاته كانت بين (41هـ/661م-45هـ/665م) ولعلها تأخرت إلى سنة (50هـ/670م)، لكننا لا نساير الرأي الثاني على الأول لكون الأخير هو الأرجح، على اعتبار أن الروايات المتقدمة أقرب إلى أحداث الفتح، وتعزيزا لهذا الطرح ما تقدمت به الباحثة بوبة مجاني في كون الصحابي أبو زمعة البلوي شارك في الغزوة وتوفي بها سنة (34هـ/654م) ودفني بمقبرة البلويين (المقبرة البلوية) من أقدم مقابر حاضرة القيروان. للمزيد من التفصيل راجع: فتوح مصر والمغرب، ص/221-222. البيان المغرب، 14/1. المؤنس، ص ص/28-29.

[3] البكري، المسالك والممالك، 660/2. الحميري، المصدر السابق، ص/168. المالكي، المصدر السابق، 28/1-29. ابن عذاري، المصدر السابق، 18/1.

[4] فتح العرب للمغرب، ص ص/116-117.

[5] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد بعد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، ص ص/ 228-229. ابن أعثم، المصدر السابق، 168/3. ابن تغري بردي، المصدر السابق، 132/1 وما بعدها.

[6] أثر العرب اليمانية، ص ص/17-18.

حسين مؤنس وإنما كانت بداياتها في سنة 34هـ/654م، والأرجح أنها قد توقفت بسبب وقائع الفتنة الكبرى على حدّ تعبير المالكي وابن عذاري[1]، وربما هذا هو السبب الذي جعل من المؤرخين لا يهتمون بأحداث هذه الغزوة بل منهم من ينفي حدوثها، غير أنّ الذي يؤيد وجودها ما ورد بشأن الصحابي أبو زمعة البلوي الذي شارك مع معاوية بن حديج وتوفي في حملته هذه سنة 34هـ/654م، ودفن بالمقبرة البلوية وهي من أقدم المقابر بالقيروان عند باب تونس.

وعلى أيّ حال، فقد تركزت أعمال معاوية بن حديج على فتح بلاد إفريقية مثل سابقيه من القواد المسلمين، فتوجه على رأس حملة مكونة من عشرة آلاف جندي اجتازت مدينة طرابلس وبرقة[2] دون أي مقاومة من المجموعات السكانية المحلية أو الجاليات البيزنطية، فانتهز الفرصة واستعمل رويفع بن ثابت الأنصاري واليا على طرابلس[3]. إنّ هذا الصحابي سيفتح جزيرة جربة في 45هـ/665م على الساحل الشرقي التونسي بالرغم من عزلتها الطبيعية في البحر[4] رفقة قائد يماني آخر هو حنش بن عبد الله الصنعاني الذي يصرح في هذا المقام:" غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب ففتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة"[5]، كما كلف معاوية بن حديج عبد الملك بن مروان بفتح المجالات الواقعة شمال إفريقية، ليتقاسم معه مهمة القضاء على القوة البيزنطية والجماعات المحلية من "البربر" المناوئة لحملاته[6]، بيد أنّ اختياره لم يكن موفقا ذلك أنّ عبد الملك لايزال حدثا في التاسعة عشرة من عمره لا عهد له بقيادة الجند أو القيام بحملات عسكرية على قدر كبير من الأهمية في حركة الفتوح الإسلامية[7].

إذن كان الإشراف أو الخطوة الأولى من مهام عبد الملك بن مروان هي السيطرة على حصن جلولاء القريب من معسكره، فتوجه إليها عبد الملك في ألف جندي وحاصرها "فلم يصنع شيئا فانصرف راجعا، فلم يسر إلا يسيرا حتى رأى ساقة الناس غبارا شديدا، فظن أنّ العدو قد طلبهم، فكر جماعة من الناس لذلك...فإذا مدينة جلولاء قد رقع حائطها، فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها"[8]، وفي راوية ابن عذاري[9] فقد تعرض سكانها إلى القتل لما أبدوه

[1] المالكي، المصدر السابق، 1/27-28. ابن عذراي، المصدر السابق، 1/14-15.

[2] Walter kaegi, Muslim Expansion and Byzantine Collapse in North Africa, Cambridge, 2010, p.185.

[3] المالكي، المصدر السابق، 1/81-82. ابن الجوزي، المصدر السابق، 5/261. السلاوي، المصدر السابق، 1/142.

[4] J. Despois et R. Mantran, «Djerba», Encyclopédie berbère, 16 (1995), pp. 3-4.

[5] البكري، المصدر السابق، 2/688.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، 1/207-208.

[7] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/122.

[8] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/221. النويري، المصدر السابق، 24/21.

[9] البيان المغرب، 1/16.

من مقاومة للجند الإسلامي حتى فتحت عنوة، وهو ما يجعلنا نستشف أن انهيار سور مدينة جلولاء كان سببا رئيسا في فتحها، ومن الطبيعي أن ينجح عبد الملك بن مروان في ذلك على اعتبار أنها ليست من الحصون المنيعة على غرار سبيطلة وقرطاجنة، أمّا من حيث الغنائم فيمكن القول أنها كانت أهمّ لما احتوت عليه بعد فتحها[1]، إذ كان سهم الراجل 200 دينار[2]، والفارس 600 دينار[3]حتى وقع صدام بين عبد الملك بن مروان ومعاوية بن حديج، ذلك أنّ عبد الملك كان لا يرى في إمكانية حصول الجند على الغنيمة مادام لم يشارك في الحملة إلى جانبه، على خلاف معاوية بن حديج الذي كان يحرص على توزيع غنائم جلولاء على كافة الجند الإسلامي، وانتهى الأمر بتقسيم الغنائم بين عناصر الجيش بعد الأخذ برأي الخليفة معاوية بن أبي سفيان[4].

وتتواصل حملات معاوية بن حديج في الساحل التونسي شمالا[5]، وبالتحديد مدينة بنزرت التي كانت تمثل مركزا للروم البيزنطيين والسكان المحليين من "البربر" فحاصرها وفتحها في سنة 41هـ/661م[6]، وانطلاقا من تلك العلاقة الوثيقة بين معاوية بن حديج والقادة في جيشه، بعث في نفس الوقت عبد الله بن الزبير في حملة عسكرية إلى سوسة ففتحها[7]، وهي من أهم المحارس والرباطات التي غالبًا ما كانت أماكن تمركزها مرتبطة بمواقع الموانئ والمراسي الرئيسية، مما يعكس تنفيذ مهمة استراتيجية مزدوجة للدفاع الحربي من جهة ولإمداد المنشآت الداخلية خلال الفترة البيزنطية من جهة أخرى[8]، ثم استغلها المسلمون في حركة الفتح للغزو والنشاط البحري أو لمواجهة الروم بعد طرهم من بلاد المغرب.

ولئن اكتفت النصوص الإخبارية بالإشارة إلى الغزوات السابقة دون تفصيل آخر حولها، فإنّ ذكر الخلاف الذي وقع بسبب تقسيم الغنائم بين الجند عقب تمام العمليات العسكرية وفتح جلولاء وبنزرت وسوسة، قد برهن على غنى المنطقة المغاربية في تلك المرحلة الانتقالية الحاسمة وأثبت إلى جانب ذلك شدة الصراعات الداخلية بين قادة الفتح من أجل الظفر بهذه الأموال والغنائم، حيث ينقل ابن عبد الحكم شهادة سليمان بن يسار في قوله:" غزونا افريقية مع ابن حديج، ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير، فنفلنا ابن حديج النصف بعد الخمس، فلم

---

[1] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/20.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2004م، ص/83.

[3] النويري، المصدر السابق، 21/24.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/221. النويري، المصدر السابق، 21/24.

[5] Walter kaegi, Op. Cit., p.194.

[6] البكري، المسالك والممالك، 721/2.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، 16/1-17. السلاوي، المصدر السابق، 133/1-134.

[8] Salah Abidi, «Le rôle des ribāts dans la protection des ports et des mouillages en Ifrīqiya au Moyen Âge», Presses Universitaires de Provence Aix-Marseille Université, 2021, p. 106-107.

أر أحد أنكر ذلك إلا جبلة بن عمرو الأنصاري"[1]. وعليه يمكن أن نفهم طبيعة الخطأ الذي ارتكبه معاوية بن حديج أثناء توزيعه لغنائم الفتوح بإفريقية، مما يعكس السبب الرئيسي في الصراع بين قادة الفتوحات الإسلامية في العديد من الحملات العسكرية بإفريقية وقتئذ.

ومن الناحية العمرانية فلا يوجد من الروايات الإخبارية ما يؤكد بناء مدينة ببلاد المغرب في الجهة الشرقية على عهد الوالي معاوية بن حديج، وبالرغم من الانتشار العربي في اطار الحملات العسكرية، فقد ذكرت المصادر تأسيس ابن حديج لمعسكر في شكل مساكن على جبل القرن أو جبل ممطور غربي قمونية تنطلق منه الجيوش الإسلامية يتماشى والاستراتيجية الحربية، ويعطي الدفع الفعلي لحركة الفتوح بالمنطقة دون الرجوع إلى فسطاط مصر، وأوجدت هذه المتغيرات واقعا جديدا شكل البدايات الأولى لفكرة ستتبلور أكثر في عهد عقبة بن نافع بين سنتي 50- 55هـ/670-675م، وستمهد إلى تأسيس أول نواة استيطانية للعرب ببلاد المغرب تتمثل في حاضرة القيروان، باعتبارها مركز عسكري تنطلق منه العمليات الحربية لفتح باقي المجالات المغاربية، وهو أمر ستكون له تأثيرات جد ايجابية على تقدم حركة الفتوحات الإسلامية ونجاحها.

ومن الجهة المقابلة، تقدم لنا النصوص الاخبارية والوصفية معلومات هامة تبرهن عن دور معاوية بن حديج السكوني والعناصر اليمنية في تعمير بعض المناطق بالقسم الشرقي لبلاد المغرب الإسلامي[2]، ومن الشواهد التاريخية التي تدعم هذا التوطن البشري اليماني نورد ما يلي:

- إشارة روايات الفتح إلى أقدم مقبرة للعرب في هذا القيروان تقع بالتحديد عند باب تونس، والتي أخذت اسم مقبرة البلوية نسبة إلى الصحابي أبو زمعة البلوي[3] الذي دفن فيها بعد وفاته في غزوة 34هـ/654م[4]، ويخبرنا عن

[1] أبو العرب، الطبقات، ص/15. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/220.

[2] لن أخفي اعتمادي على طريقة الباحثة بوبة مجاني في عرض الانجازات العمرانية للفاتح معاوية بن حديج السكوني والعناصر اليمنية ببلاد المغرب الشرقي، وهو أمر لابد من التنبيه إليه في ظل توصلي إلى نفس الإشارات التاريخية الموظفة في هذا المبحث، وتطابقها مع الإيحاءات التي استثمرتها الباحثة في دراستها سابقا، للمزيد من التفاصيل أنظر: أثر العرب اليمنية، ص/21.

[3] حسب النصوص المصدرية فإن من أسباب قداسة القيروان أنها ضمت ثلاث شعرات من شعر الرسول صلى الله عليه وسلم، دفنت مع الصحابي أبي زمعة البلوي واسمه عبد الله بن آدم القضاعي، أخذها في حجة الوداع وجعلها في قلنسوته وأوصى بأنه عندما تحضره الوفاة أن توضع واحد على عينه اليمنى والأخرى على اليسرى والثالثة على لسانه، وقد شهد أبو زمعة البلوي فتح مصر وقدم إلى القيروان سنة 34هـ/654م في جيش الصحابة تحت إمرة معاوية بن حديج في خلافة عثمان بن عفان وتوفي بجلولاء قرب القيروان، ونقل إليها ودفنت معه الشعرات المقدسة. أحمد الطويلي، الصحابة بالقيروان، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، 1/104-105.

[4] المالكي، المصدر السابق، 1/84.

مشاركة عبد الله بن عمر بن الخطاب في هذه الغزوة، وكانت معه أم ولد، فولدت له صبية ماتت فدفنها في مقبرة باب سلم الآن، فاتخذتها قريش مقبرة يدفنون فيها[1].

- المنشآت العمرانية التي أنشأها معاوية بن حديج تتشكل من مساكن ودُورٍ للجيش الفاتح في منطقة القرن أو جبل ممطور[2]، إلى جانب حفر الآبار من أجل استنباط المياه، الأمر الذي أملته الحاجة العسكرية وضرورة التزود بالماء[3]، وقد ارتبطت الكثير من مصادر الماء تاريخيا بمسارات جيوش الفاتحين خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، فلذلك يمثل الجبل والماء والنهر عناصر هامة في المعارك الفتح الاسلامي، ونجد أغلبها جرت على ضفاف الأنهار والوديان[4]، مما يبرهن على حاجة الجيش بشكل دائم إلى الماء وهو ما كان محل اهتمام معاوية بن حديج لتزويد جيشه.
- أثبتت المؤشرات المصدرية سنة (44هـ/664م) بناء مسجد الأنصار ثم تحول إلى محرس من المحارس المشهورة بالقيروان وقد ظل هذا المسجد يحتل مكانة مقدسة وهيبة لدى سكان القيروان، لأنه شُيّد من طرف الصحابي رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وجماعة من الصحابة والتابعين[5].

في سنة 55هـ/675م ظهرت تحولات سياسة جديدة ميزت منصب الولاية في فسطاط مصر، وكان لها الأثر على قيادة الفتوحات الإسلامية بمقاطعة بلاد المغرب، فبعد تعيينه واليا على مصر عزل مسلمة بن مخلد القائد عقبة بن نافع عن ولاية المغرب واستعمل عليها أبا المهاجر دينار[6]، ولربما يعود سبب استخدامه إلى ومخاوف مسلمة من طموحات مؤسس القيروان[7] ورابط القرابة الذي كان يجمع كل من والي مصر والقائد أبا المهاجر، ذلك ما يبدو بوضوح من خلال اعتذار معاوية بن أبي سفيان من عقبة بن نافع بعد أن ذكر له التجاوزات الخطيرة أثناء عملية

[1] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص/18. بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/21.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/220.

[3] الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1434هـ/2013م، ص/62.

[4] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية، 100/1-101.

[5] ابن الدباغ، معالم الإيمان، 27/1.

[6] لاشك في وجود اختلاف حول أصول أبي المهاجر دينار في الروايات التاريخية، بين من يعتبره من الموالي ومن تغاضى عن خبر نسبه لكن المرجح أنه من جماعة الموالي لاقتران شخصية أبي المهاجر دينار مع الوالي اليماني مسلمة بن مخلد الأنصاري، ومما يؤيد مسعانا هذا ما ذهبت إليه الباحثة بوبة مجاني في كونها اعتبرته أحد رجال اليمنية، ويضاف إليه من القرائن ما استرعى انتباهي بعد قدومه إلى المنطقة هو دخوله في صراع مع الوالي القيسي عقبة بن نافع، لذلك نميل إلى يمانيته أو على الأقل خدمته للعنصر اليماني ببلاد المغرب ما بين (55-62هـ/675-681م). أنظر: بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/23.

[7] علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار، ص/36.

عزله من طرف أبي المهاجر، ويبرر الخليفة معاوية موقفه لعقبة بن نافع من خلال قوله:" قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام عثمان وبذله مهجته صابرا محتسبا، طع من أطاعه من قومه ومواليه وأنا أردك إلى عملك"[1].

ويلفت انتباهنا أنّ أبا المهاجر بن دينار عند حلوله بالمنطقة اختار تأسيس معسكر ثان أخذ اسم تكروان[2] غير قيروان عقبة بن نافع الذي رفض النزول به، ويقودنا هذا المعطى إلى بروز اتجاه سياسي جديد يرتكز على التقرب من الجماعات السكانية المحلية، من خلال تشييد قاعدة بين مواطن استقرارهم في محاولة منه لكسب تأييدهم وربط أواصر التحالف معهم، وهذه الاستراتيجية الحربية لم يتفطن إليها أغلب من سبق أبا المهاجر بن دينار[3] من القادة الفاتحين، كما يبرز الدور الإيجابي لأبي المهاجر في التأسيس لتوطن عربي إسلامي برز على خريطة الأراضي المفتوحة انطلاقا من قاعدة القيروان الثانية[4].

لقد أعطانا أبو المحاسن مؤشرا عن الأعمال العسكرية لأبي المهاجر حينما وجه حملة بقيادة حنش بن عبدالله الصنعاني إلى جزيرة شريك ففتحها وأجلى الجماعات البيزنطية عنها إلى جزر المتوسطي بموجب معاهدة صلح بين الطرفين[5]، كما قاد أبو المهاجر بنفسه حملة عسكرية شمال افريقية وبالتحديد إلى قرطاجنة مركز السلطة البيزنطية[6]، انتهى به المطاف إلى فتحها سنة 59هـ/678م، ولما فرغ من فتح عاصمة البيزنطيين وحتى تكتمل صورة الفتح الإسلامي في المجالات التي كان يسيطر عليها العنصر البيزنطي بمقاطعة إفريقية، تحول أبو المهاجر بمسار حملاته نحو المجالات الشرقية أفضت به إلى فتح ميلة بالمغرب الأوسط[7].

وتواصلت الحملات العسكرية التي قادها أبو المهاجر بن دينار غربا باتجاه تلمسان[8]، وتبين لنا المعطيات المصدرية التي بين أيدينا توظيف القائد العربي لسياسة المسالمة واللين التي شكلت أحد أهم عوامل نجاح عملية الفتوحات بالمنطقة، فأثناء حركته بمجالات تلمسان استمال قبيلة أوربة وقائدها كسيلة بعد أن راعى مكانته السياسية

---

[1] ابن عذراي، المصدر السابق، 22/1.

[2] تستوقفنا في هذا الصدد نقطة مهمة تتعلق بتباين آراء مؤرخي العصر الإسلامي المتقدم بشأن الاسم الطبونيمي لمعسكر أبي المهاجر بن دينار، فقد ذكره أبو العرب تحت اسم تكروان، وورد في رياض النفوس بلفظ دكرور، أو تكرور أمّا الدباغ فقد أشار إلى اسم هذا الموضع بتاكروان أو بتاكيروان وتيكيروان في نص النويري. أنظر: طبقات علماء افريقية، ص/8. رياض النفوس، 32/1. معالم الإيمان، 47/1. نهاية الأرب، 24/24.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1402هـ/1981م، ص/36.

[4] علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار، ص/34.

[5] النجوم الزاهرة، 152/1. أبو العرب، طبقات، ص/18.

[6] الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 165/4-166.

[7] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/226.

[8] المالكي، المصدر السابق، 33/1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 64/3. ابن خلدون، كتاب العبر، 237/4. السلاوي، المصدر السابق، 136/1.

والاجتماعية في قبيلته وعصبته، ليفتح جميع المناطق الغربية، ونفهم ذلك من الحديث الذي جمعه مع عقبة بن نافع في ولايته الثانية سنة 62هـ/681م عندما قال له أبو المهاجر "...ليس بطنجة عدوا لك، لأنّ الناس قد أسلموا..."[1]. وهو ما يجعلنا ندرك الدور الإيجابي لأبي المهاجر فتح المجالات الغربية الواقعة من تلمسان إلى مدينة طنجة بالمغرب الأقصى.

أمّا عن ربط بعض المصادر لأبي المهاجر بعيون تلمسان لا يمكن تأكيدها أو التسليم بها[2]، لأنها جاءت في مرحلة تاريخية عرفت ميلاد طبونيم أسطوري "عيون أبي المهاجر" في مرحلة ما بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والسبب الثاني هو صعوبة الربط بين ظهور الطبونيم العربي " عيون أبو المهاجر" في ثقافة محلية لم تشملها حركة التعريب، بالإضافة إلى غياب هذا الطبونيم في النصوص الجغرافية والوصفية خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[3].

إنّ من الدلائل ما يدعم القول بأهمية حسن التدبير وسياسة المسالمة والمصالحة التي انتهجها دينار أبو المهاجر تجاه الجماعات السكانية ببلاد المغرب أثناء حملاته العسكرية، إذ هي السبب الرئيسي في فتح أغلب المجالات بالمغربين الأوسط[4] والأقصى واندماج الجماعات السكانية المحلية وحتى الجاليات اللاتينية من الأفارقة في منظومة دار الاسلام[5]، إنّ هذا الأمر أكدت عليه شهادة المالكي في قوله:" حتى عزل أبو المهاجر وقدم عقبة فأراد أن ينهض إلى طنجة فقال له:" أبو المهاجر ليس بطنجة عدوا لك، لأنّ الناس قد أسلموا وهذا رئيس البلاد يريد كسيلة فابعث معه واليا فأبى عقبة إلا أن يخرج بنفسه فخرج"[6].

ومن النصوص التي يسوقها المالكي على منوال ما ذكرناه، ما يصرح به في جدوى سياسة اللين التي اتبعها أبو المهاجر بن دينار، إذ أخبرنا " أنّ أبا المهاجر بن دينار صالح بربر افريقية، وفيهم كسيلة الأوربي، وأحسن إليه وصالح عجم إفريقية، وخرج بجيوشه نحو المغرب، ففتح كل ما مر عليه حتى انتهى إلى العيون المعروفة بأبي المهاجر

[1] المالكي، المصدر السابق، 40/1.

[2] خليفة بن خياط، المصدر السابق، 226/1. المالكي، المصدر السابق، 33/1.

[3] علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار، ص/37.

[4] يشير السلاوي نقلا عن ابن خلدون أن دينار أبا المهاجر يعد القائد العربي الأول الذي دخل المغرب الأوسط وتوغل في آخر مجالاته غربا وصولا إلى تلمسان. الاستقصا، 136/1-137.

[5] الدباغ، معالم الإيمان، 53/1.

[6] المالكي، المصدر السابق، 40/1.

نحو تلمسان، ولم يستخلف على القيروان أحدا، ولم يبق بها إلا شيوخ ونساء، ثم رجع فأقام بها"[1]. مما يستشف من هذه الإشارة هو مواصلة أبي المهاجر سياسة الفتح المسالم، متجنبا الاصطدام المباشر والدموي مع السكان المحليين من "البربر". إنه تمشي اعتمده في المغرب الأوسط خصوصا مع كسيلة وقبيلة أوربة في مسعى نبيل لأسلمة إفريقية[2].

وحسب الباحث الأمريكي وولتر كيغي (Walter Keagi) الذي انطلق في دراسته من النصوص العربية واليونانية والسريانية بالإضافة إلى المعطيات الأركيولوجية الميدانية لتقديم قراءة جديدة حول حركة الفتح في المغرب، تبرز بوضوح شخصية القائد أبي المهاجر الذي لم يأخذ حقه في المصادر المتقدمة أو المتأخرة[3] والدراسات التاريخية كمهندس لاستراتيجية أهلية ناجحة فشل فيها البيزنطيون، ورأى الباحث كيجي نجاح سياسة أبي المهاجر في استمالة وكسب تأييد السكان المحليين ضد التواجد البيزنطي، ليشكل بذلك نقطة حاسمة في نجاح الحملات العسكرية ببلاد المغرب[4].

ختاما فإنّ ما يميز مقومات النشاط العسكري والسياسي لأبي المهاجر دينار خلال فترة توليه بلاد المغرب على عكس ما كان سائدا خلال فترات الولاة الفاتحين قبله، أنه كان سلميا امتثل فيه لمنهج التقرب من سكان المنطقة بعد تجاوز واضح للأداة العسكرية، وتغليبه لسياسة اللين والمصالحة لتحقيق الأهداف المرجوة من حملاته بصد الجاليات البيزنطية والحاق المنطقة بفلك دار الإسلام، وهذا ما سمح له بتحصيل نتائج إيجابية لحركة الفتح الإسلامي خصوصا في المغربين الأوسط والأقصى.

---

[1] المالكي، المصدر السابق، 33/1.

[2] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/20.

[3] جدير بنا أن نشير إلى الصورة المضببة التي نقلتها لنا الحقول المصدرية عن شخصية أبي المهاجر دينار بالمقارنة مع القادة الفاتحين الذين سبقوه أو حتى الذين تلوه، فنلمس تغييبا واضحا لسيرة هذا القائد العربي وأعماله العسكرية ونشاطاته في حركة الفتوح، بسبب ارتباط اسمه بالموالي أولا ثم إنه كان على خلاف مع عقبة بن نافع التابعي حول طريقة عزله واختطاطه لمعسكر آخر، وبالتالي عناية المصادر التاريخية بالصراع بينهما والانتقال مباشرة إلى انجازات عقبة بن نافع الفهري والتعاطي معها بنوع من الأهمية والتقديس المفرط، كما أن العمليات العسكرية التي قادها أبو المهاجر دينار لم تُولَ اهتماما من طرف الإخباريين لسبب وجيه في اعتقادنا هو منهج التأليف السائد في تلك المرحلة، إذ كان التاريخ العسكري والحربي محور الكتابة التاريخية ومحل عنايتها، فلذلك تكاد تخلو سيرة أبي المهاجر من الصدامات العسكرية مع سكان المغرب بعد سياسة المسالمة واللين التي اتبعها معهم، وهذا ما نفسر به النقص الفادح في معطيات المظان المصدرية سواء الإخبارية أو كتب التراجم والطبقات، وتغاضيها في غالب الأحيان عن الأدوار والإسهامات العسكرية لأبي المهاجر مما انعكس على تدوين سيرته وأعماله ونشاطه وهو آنذاك أول من دخل المغرب الأوسط وتوغل في مجالات المغرب الأقصى. نشير على سبيل الذكر لا الحصر إلى كتابات ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص/224-225. البلاذري، المصدر السابق، ص/226. المالكي، المصدر السابق، 31/1-32. الدباغ، معالم الإيمان، 46/1. ابن عذاري، المصدر السابق، 1-21-22. النويري، المصدر السابق، 24/24-25.

[4] علاوة عمارة، أبو المهاجر دينار، ص/39.

قبل الخوض في غمار موضوع الإنجازات السياسية والعسكرية لزهير بن قيس البلوي، لابد لنا من معرفة الأحداث التي ميزت بلاد المغرب خلال الحملة الثانية لعقبة بن نافع، فقد حقق الأخير تقدما في حركة الفتوح وكللت جهوده بانتصارات هامة في الجهة الغربية بناحية طنجة والسوس الأدنى والأقصى[1]، لكن خلال مسار عودته إلى معسكر القيروان ومرورا ببلاد الزاب الأسفل في منطقة تهودة اعترضته قوات الحلف "البربري" بقيادة كسيلة بن لمزم والجيش البيزنطي[2]، فانتهى الصدام بانهزام المسلمين ومقتل عقبة بن نافع مع أبي المهاجر دينار الذي قتل وهو موثق في الحديد جراء الخلاف بينهما[3]، ولم تكن لعناصر الجيش الإسلامي القدرة في المحافظة على القيروان فطردوا منها، مما فسح المجال للجماعات السكانية في مقدمتها قبيلة أوربة وقائدها كسيلة للسيطرة عليها، أمّا ما تبقى من الجند العربي فقد تراجع إلى برقة شرقا[4].

وتبعا للتحولات السياسية والعسكرية التي عرفتها بلاد إفريقية منذ تاريخ مقتل عقبة بن نافع سنة 64هـ/664م، وبسبب تقلص سلطة الفاتحين المسلمين وانحسارها في الحامية العربية ببرقة[5]، بعث الخليفة عبد الملك بن مروان بالجند إلى زهير بن قيس لمواجهة كسيلة والمقاومة التي أبداها مع الفصيل البربري[6]، وتفاديا لخطأ الاختيار الاستراتيجي للقائد العربي المخول لهذه المهمة الصعبة، والذي يتوفر على القدرة والخبرة العسكرية الكاملة للقضاء على المقاومة المحلية، عمد عبد الملك إلى توجيه زهير بن قيس بنفسه لأنه لازم عقبة بن نافع وخدم حيزا من الزمن في حركة الفتوحات الإسلامية بالمنطقة، ومما يبرز دور هذه الشخصية في بلاد المغرب ومعرفتها الواسعة بتنظيماتها الجغرافية والبشرية قول النويري في شأنه: "لما أشير على عبد الملك بن مروان بإرسال الجيش إلى إفريقية قال لا يصلح للطلب بثأر عقبة بن نافع من المشركين إلا هو مثله في دين الله عز وجل وهو صاحب عقبة وأعرف الناس بسيرته وأولاهم بطلب ثأره"[7].

ويتبين لنا من تتبع وقائع مسار حملة زهير بن قيس أنه عند تقدمه نحو إفريقية عام 69هـ/688م، توجه كسيلة الأوربي إلى موضع ممس[8]، مراعيا العامل الطبيعي لتوفر الماء الكافي لجيشه، فضلا عن العامل الأمني

[1] البلاذري، المصدر السابق، ص/226. ابن خلدون، كتاب العبر، 194/6.

[2] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، 52/1-53. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 207/3-208. النويري، المصدر السابق، 30/24-31.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/226.

[4] المالكي، المصدر السابق، 44/1-45.

[5] الدباغ، معالم الإيمان، 55/1 فما بعدها. ابن تغري بردي، المصدر السابق، 160/1. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/228.

[6] النويري، المصدر السابق، 32/24-33.

[7] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 32/24.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 208/3.

الاستراتيجي وهو ما يترتب عن إمكانية وجود تحالف قوي بين الجند الإسلامي في حملة زهير والمجموعات العربية المستقرة بالقيروان، والتي كان قد أبرم معها عهد أمان بعد مقتل عقبة بن نافع واستيلاءه على قاعدته[1]. ففي مجالات قمونية تحصن كسيلة وكتائبه وتحديدا بممس[2] الذي يبعد عن القيروان 50 كلم، وتقع على بعد سبيطلة بحوالي 30 كلم، فكان بذلك متنفسا هاما يمكنه حينئذ من الانسحاب إلى المرتفعات والغابات في الغرب، خاصة وأنه كان يترقب الهزيمة[3].

وعلى هذا الأساس، بات من الضروري على الحملة الأموية والجموع العربية في ظل هذه المتغيرات الاستراتيجية أن تتحول عن مركز القيروان إلى موضع ممس[4]، إذ رصد زهير والجند العربي الكنفدرالية "البربرية" المحلية وزعيمها كسيلة، فالتحم الطرفان ووقعت المعركة التي كان من نتائجها انهزام كسيلة ومقتله وتشتت فصائله بالرغم من انتقالهم إلى منطقة ممس والتحصن بها[5]، ذلك أنّ الرغبة التي كانت تحذو زهير بن قيس في الانتقام لعقبة والثأر لهزيمة تهودة وبسط النفوذ العربي في المنطقة[6]، جعلت عمله بطوليا يتمثل في التغلب على هذه المقاومة الصلبة انطلاقا من موقعة ممس، ورد الاعتبار للعرب وسيطر على بعض مجالات افريقية بداية من عام (69هـ/688م)، ففتح مدينة

[1] ورد النص كاملا في تاريخ القيرواني حيث قال كسيلة الأوربي للكنفدرالية القبلية المحاربة معه:" إني أردت أن أرحل إلى ممس فأنزلها، فإن هذه المدينة فيها خلق عظيم من المسلمين ولهم علينا عهد، فلا نغدر بهم ونحن نخاف إذا التحم القتال أن يثبتوا علينا، ولكن ننزل ممس على ماء كثير يحمل عسكرنا، فإن معنا خلقا عظيما فإن هزمناهم دخلنا معهم إلى طرابلس وقطعنا دابرهم من الدنيا، تكون لنا إفريقية دار إلى آخر الدار الدهر، وإن هزمونا كان الجبل منا قريبا الشعراء فنرجو أن نهلك ولا يفقد منا إلا قليل فوافقوه فرحل إلى ممس فنزلها". الرقيق، المصدر السابق، ص/45.

[2] يذكرها البكري فيقول :" من سبيبة إلى ساقية ممس قرية عامرة آهلة بها مسجد وفندق". المسالك والممالك، 833/2-834.

[3] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/28.

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص/30.

[5] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 33/24.

[6] السلاوي، المصدر السابق، 147/1.

شقبنارية[1] والأربس[2] وباجة[3]، كما اقتضت منه الضرورة الحربية الاستمرار في حملته ضد فصائل كسيلة ومطاردتهم حتى وادي ملوية غربا.

وهنا ستبرز ردود الفعل عندما يدخل الفاتحون المسلمون في عمليات عسكرية من الجانب الغربي الخاص بإفريقية المورية، أي إفريقية الحدود الصحراوية جنوبا والمرتفعات الجبلية مثل جبل الأوراس وما يجاورها،[4] فسقوط أوربة وزعيمها كسيلة في معركة ممس[5]، جعل بسط النفوذ العربي والسيطرة على شبكة الحصون التي أحاطت بالأوراس الشرقي متاحا نوعا ما، لكن ذلك الأمر لم يتحقق خلال فترة تولي زهير بن قيس قيادة العمليات العسكرية[6]، بل سيمهد لظهور مقاومة شديدة تزعمتها الكاهنة وقبيلتها جراوة[7]، مما يفسر بلا شك قوة المقاومة التي أظهرتها العناصر السكانية في الأوراس واستقلاله عن السلطة البيزنطية وتداخل العامل الجغرافي مع القوة البشرية، وإصرار الفاتحين المسلمين على اختراق المجال الذي يضمن التحكم في باقي المجالات[8] والتوغل في المناطق القاصية من الجهة الغربية دون أي مقاومة أو تصدي محلي وهو ما ندركه فعلا بعد أن تتالت العمليات العسكرية الناجحة بقيادة حسان بن النعمان وتأكيد جدواها في الحاق المغرب بدار الإسلام.

ورغم مغادرة زهير بن قيس القيروان نحو برقة في تلك الظرفية الحاسمة وهو خطأ استراتيجي اتفقت عليه مختلف الدراسات التاريخية[9]، إلا أن مواجهته لجيوب المقاومة المحلية "البربرية" والقضاء عليها، يعد في حد ذاته انتصارا

---

[1] تقع مدينة شقبنارية (سيكا في الفترة القديمة والكاف حاليا) على بعد 167 كلم في الجنوب الغربي لتونس، أقيمت على السفح الجنوبي لجبل الدير، وترتفع عن سطح البحر بـــ750م تقريبا، وبفضل موقعها الاستراتيجي وتوفرها على عوامل الحماية الطبيعية والمناخ الملائم وعنصر الماء، أضحت محل نظر الحملات الأجنبية منذ العصور القديمة. مراد عرعار: مصادر الماء والمنشآت المائية بمدينة شقبنارية، مقال ضمن كتاب أعمال الندوة الدولية الثالثة: الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1430هـ/2009م، ص/71. أنظر أيضا: مراد عرعار، ملاحظات أولية حول التوطن بجبل أسرو، ص ص/91-92.

[2] هي من المدن القديمة في تونس تقع في الأطلس التلي على بعد 25 كلم من الجنوب الشرقي لمدينة شقبنارية (الكاف حاليا). Mourad Araar, «À propos du district de Lorbeus de l'arrivée des hilaliens à la fin de l'époque hafside », dans Centres de pouvoir et organisation de l'espace, actes du Xè colloque international d'histoire et d'archéologie de l'afrique du Nord tenu à l'université de caen Basse-Normandiedu 25 au 28 mai 2009, Puc, 2014, pp. 141 - 165.

[3] مدينة قديمة تقع في إقليم الشمال الغربي لتونس تبعد عن العاصمة بحوالي 105 كم. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/188. الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/160.

[4] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/21.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/228. ابن خياط، المصدر السابق، 251/1.

[6] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية، 76/1.

[7] المالكي، المصدر السابق، 50/1 وما بعدها.

[8] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية، 76/1.

[9] هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، ص/29. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/227 فما بعدها. بوبة مجاني، أثر العربية اليمنية، ص/28.

باهرا يكون الخلفاء الأمويون مدينون به للقائد زهير، إذ تم اخضاع المجموعات البرنسية ولم تبق المقاومة منحصرة إلا في مجموعات البتر والروم الذين ينهي مقاومتهم قائد يماني آخر هو حسان بن النعمان الغساني[1].

في سنة 73هـ/692م سيرسل الخليفة عبد الملك بن مروان حملة عسكرية لم يسبق للعرب بلوغ عددها في حملاتهم على المغرب، قوام هذه الحملة أربعون ألف من الجند يقودهم حسان بن النعمان بن المنذر الغساني[2]، الذي توجه إلى المنطقة بعد مقتل زهير بن قيس البلوي في برقة وسوء الأحوال الأمنية ببلاد افريقية[3]، ومع دخوله إليها فتح القائد حسان اليماني مناطق عديدة على غرار قرطاجنة التي مثلت قاعدة الروم البيزنطيين ومركز ملكهم، ثم تابع حسان حملته العسكرية في القضاء على جيوب المقاومة والتحالف المحلي-البيزنطي في مدينتي صطفورة وبنزرت، هناك بالتحديد أين لجأت جماعات الروم للتحصن بمدينة باجة، وقررت الجماعات المحلية من "البربر" الاحتماء في بونة[4].

وفي الحقيقة يعتبر عدد من الباحثين[5] أنّ حسان بن النعمان هو الفاتح الحقيقي لبلاد المغرب خاصة في الجهة الشرقية، لما كان عليه هذا القائد من المقدرة السياسية والمهارة الحربية، إذ استطاع فرض النظام وبسط الأمن داخل القسم الشرقي للمغرب، من خلال سيطرته على الحصون والمدن والقلاع ووضع حد لفلول المقاومة البيزنطية والمحلية ببلاد افريقية، ثم تحول عنها إلى المجالات الشرقية لبلاد الأوراس، وذلك في نطاق حركته العسكرية لمواجهة المقاومة وتثبيت الحكم الأموي، بل لقد كانت محاولة جادة منه في إنهاء آخر مقاومة مثلتها زعيمة السكان المحليين أو قبيلة جراوة[6] المعروفة بالكاهنة[7]، والتي سأل عنها سكان القيروان" فدلوه على امرأة بجبل أوراس يقال لها الكاهنة

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/224. بوبة مجاني، أثر العربية اليمنية، ص/29.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 228/1. ابن عذراي، المصدر السابق، 34/1. السلاوي، المصدر السابق، 148/1.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص/227. ابن الأثير، المصدر السابق، 362/3. ابن خلدون، كتاب العبر، 238/4.

[4] النويري، المصدر السابق، 35/24. ابن خلدون، كتاب العبر، 238/4-239.

[5] موسى لقبال، المرجع السابق، ص/71-72. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/260. بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/29.

[6] يشير الباحث علاوة عمارة إلى ترويج العديد من الدراسات التاريخية الحديثة لفكرة يهودية قبيلة جراوة الأوراسية التي تنتمي إليها الكاهنة، انطلاقا من نص ابن خلدون الوارد في كتاب العبر، وينفي الباحث اعتناق جراوة لليهودية، حيث أنّ مختلف النصوص القديمة والكتابات المنقوشة، لا تشير مطلقا إلى ظاهرة اعتناق البربر لليهودية، لذلك لا يمكن الارتكاز على رواية متأخرة خارج سياقها الزمني، أما الحديث عن يهود إفريقية الوارد في النصوص الفقهية فهو يدل على استقرار سابق للجماعات اليهودية ببلاد المغرب، هذا ما أكدته الدراسات المعاصرة ووثائق الجنيزة التي أشارت إلى استمرار جماعات يهودية بتلمسان في المغرب الأوسط على أكثر تقدير إلى غاية العهد الموحدي. أنظر: موقع تلمسان من كرونولوجية انتشار الإسلام، ص ص/29-30.

[7] Voir la Biographie de kahina: Abdelmajid Hannoum, «Historiographie et légende au Maghreb: La Kâhina ou la production d'une mémoire», Annales. Histoire, Sciences Sociales, 54e Année, No. 3 (May - Jun., 1999), pp. 676-677.

يقال لها الكاهنة وجميع من بأفريقية من الروم منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون فإن قتلتها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضادا ولا معاندا"[1].

وهكذا فقد واجه حسان بن النعمان الكاهنة في معركة جرت على رافد يسمى نيني من روافد وادي مسكيانة[2]، وانتصرت قبيلة جراوة البترية وزعيمتها التي تحصنت بجبل الأوراس[3]، ذلك الإقليم الذي ظل طيلة القرن الأول الهجري/السابع الميلادي حاجزا طبيعيا معقدا ومفتاحا لأغلب العلميات العسكرية، والتحكم فيه والسيطرة عليه يعني احكام القبضة على معظم المجال الجغرافي لبلاد المغرب، وقد عرف هذا المجال الجبلي أغلب الأحداث والمعارك المتعلقة بالفتح وسير الحملات العسكرية الإسلامية، وسيشكل خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ملتقى للعناصر والقوى المعارضة لسلطة الولاة الأمويين بإفريقية[4].

في سنة 81هـ/700م استمر الدور العسكري للجيش الأموي من خلال رغبة حسان بن النعمان في وضع حد لاستطالة الكاهنة على العرب، طالبا الإمدادات من الخليفة عبد الملك بن مروان الذي لم يتوان في تسخير مختلف الإمكانيات الحربية من ولاية مصر، فدخل حسان إلى قابس وقفصة وقسطيلية دون معارك، ثم ضرب الحصار على قرطاج لتسقط قاعدة الروم وتكون حدثا بارزا يحيّن تحول إفريقية نحو مصير شرقي إسلامي جديد، وانهيار الحضارة البيزنطية المسيحية. وبالتالي فقد بقي القضاء على حركة الكاهنة التي تدهورت وضعيتها بعداء السكان المحليين بسبب سلوكها التخريبي في إفريقية، وتهديمها للمدن والحصون والضياع بين الأوراس وبلاد إفريقية[5].

أورد الدباغ[6] بيانا تفصيليا حول المعركة الحاسمة التي دارت بين جيش الكاهنة والجند الاسلامي، ذلك أنها لقيتهم "...في جيوش عظيمة، فقاتلهم حسان، وهزمهم وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بشر تتحصن بها، فأصبحت القلعة لاصقة بالأرض، فمضت تريد جبل أوراس ومعها صنم كبير من خشب تعبده، فتبعها حسان حتى أدركها وانتصر عليها وقتلها عند بئر الكاهنة، فنزل حسان الموضع الذي قتلت فيه، ويقال أنها قتلت عند طبرقة"، وهكذا بمقتل الكاهنة في الأوراس تختفي بشكل نهائي المقاومة المحلية في بلاد المغرب الشرقي.

---

[1] ابن عذراي، المصدر السابق، 35/1. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/46.

[2] مراد عرعار، مسكيانة في العصر الوسيط، مقال ضمن كتاب أعمال الندوة الدولية الثامنة: المدن والآثار الحضرية ببلاد المغرب والمتوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، 1430هـ/2009م، ص ص/13-14. Gsell (S.), Atlas archéologique de l'Algérie, Paris, 1911, p. 190

[3] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص/46-47. ابن خلدون، كتاب العبر، 146/6.

[4] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، 183/1.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 143/6. هشام جعيط، تأسيس الغرب الاسلامي، ص/33.

[6] معالم الإيمان، 66/1-67.

ولما أصبحت المدن والحصون البيزنطية بإفريقية تحت سلطة حسان بن النعمان، انصهر العديد من هياكلها العمرانية ومؤسساتها في الإطار الإسلامي الجديد، فكان الكثير من الخصائص العمرانية والإدارية الحضرية الإسلامية مبنيا على النماذج البيزنطية وهو ما جرت ملاءمته مع المنظومة الإسلامية، فاتبع الولاة المسلمون برنامجا يهدف إلى إدماج المؤسسات القديمة واستحداث مؤسسات جديدة[1]، ولم تتوقف جهود حسان بن النعمان بعد تحقيقه لانتصارات على رموز المقاومة المغاربية، بل تواصلت تنظيماته الإدارية لولاية إفريقية الجديدة، فأمر بتدوين الدواوين[2] وتوزيع الأراضي بالمساواة بين المجموعات المحلية من "البربر" وسمح لهم بالإشراف عليها[3]، كما وضع سياسة مالية محكمة.

وحسب شواهد المسكوكات والنقود الإسلامية، يعتبر حسان بن النعمان أول قائد عربي ينسب إليه ضرب أول فلس في افريقية سنة 80هـ/699-700م، وقد حمل أقدم نقيشة عربية يمكن العثور عليها في منطقة بلاد المغرب عموما لكنه نقش تميز هو الآخر بسوء تنفيذ حروفه، وهذا ما يثبت الاعتماد على الكفاءات المحلية لنقش قوالب النقود[4]، وأول فلس ضربه حسان بن النعمان بإفريقية يمكن بيان صورته في ما يلي:

الشكل رقم (05): فلس نقدي ضرب في عهد حسان بن النعمان الغساني بقرطاج سنة 80هـ/12م[5].

[1] أوليفيا ريمي كونستابل، إسكان الغريب في العالم المتوسطي السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط، تر: محمد الطاهر منصوري، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1436هـ/2015م، ص/79.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 229/1.

[3] المالكي، المصدر السابق، 56/1.

[4] محمد الغضبان، النقود الإسلامية في القرن الأول للهجرة قراءة جديدة في أسباب تأخر التعريب والأسلمة، مقال ضمن كتاب: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العصر الوسيط، ص/344.

[5] Abdelhamid Fenina , «L'arabisation du monnayage d'Ifrīqiya : étapes et signifjcation», in Jean- Luc fournet, Jean- Michel moutonet Jacques paviot (dir),Civilisations en transition (II), Paris, 2016, p. 134.

إلى جانب ذلك اختص حسان بن النعمان العناصر غير المسلمة بدفع ضريبة الجزية[1]، وأتبعها بالخراج كنظام يتعلق بملكية الأرض ومحاصيلها المتنوعة[2]، وجعل على صدقات الناس رجلا يمانيا هو حنش بن عبد الله الصنعاني[3]، ثم أدرك الخليفة الوليد بن عبد الملك إستراتيجية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب، وانفتاحه على البحر المتوسطي والعالم المسيحي، فتوصل إلا أنّه لا يتأتى له إخضاع الروم إلا إذا استكمل عملية بناء دار لصناعة السفن والمراكب لتقوية الأسطول الإسلامي وحماية افريقية بردّ الحملات البيزنطية على السواحل المغربية.

ومنه، فقد ورد الأمر إلى حسان بن النعمان، من طرف الخليفة يحثه على تكوين قاعدة بحرية للجهاد ضد الروم وكان الغرض الرئيسي من ذلك أمنيا عسكريا بحتا، حيث يقول الرقيق القيرواني: "وأمره أن يخرق البحر إلى تونس، ويجعل بها دار صناعة، وأن يعمل المركب ويستكثر منها، ويجاهد الروم في البر والبحر، وأن يغير سواحل الروم ويشغلهم عن بلاج الإسلام"[4]. وهو ما يدفعنا إلى القول بأنّ الهدف من إنشاء دار الصناعة البحرية هو الدفاع عن الولايات الإسلامية، والتمهيد لفتح أقاليم جديدة على غرار الجزر الواقعة في الحوض المتوسطي إلى جانب صقلية[5] وبلاد الأندلس.

لئن أفلح حسان بن النعمان في إلحاق مقاطعة المغرب البيزنطي بدار الإسلام، وتثبيت أركان السلطة الإسلامية في المنطقة بوضع ترسانة من التنظيمات السياسة والإدارية والمالية، فإنّ توتر علاقته مع الوالي عبد العزيز بن مروان بسبب رفضه لقرار ضم برقة إلى ولاية مصر[6] بعد أن اعتبرها مجالا جغرافيا يندرج ضمن مجالات افريقية ويدخل في صلاحياته الإدارية، قد عجل بعودته إلى دمشق عام 85هـ/704م.

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 144/6.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، 38/1.

[3] المالكي، المصدر السابق، 56/1.

[4] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/50. المالكي، المصدر السابق، 49/1. السلاوي، المصدر السابق، 150/1.

[5] تبين المصادر الإسلامية أن قرار إنشاء دار الصناعة في ساحل تونس كان له أثر فعال على حركة الفتوح بالحوض المتوسطي، ومما يشهد لوجاهة الأمر فتح جزيرة صقلية في سنة (9 رمضان عام 212هـ/1 ديسمبر 827م) أي زمن الأمير الأغلبي زيادة الله الأول وعلى يد القائد الفقيه أسد بن الفرات، وبذلك نالت قاعدة بناء المراكب البحرية حظوة لكونها قاعدة انطلاق الحملات العسكرية باتجاه الضفة الأوروبية خلال فترة العصر الوسيط، ولتسهم في حركة الفتوح الإسلامية ولو خلال الربع الأول من القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي بفتح صقلية وميورقة. ابن أعثم، المصدر السابق، 362/2. ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/181. السلاوي، المصدر السابق، 150/1.

[6] الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003، ص/42.

وفي أواخر هذه السنة 85هـ/704م يرسل الخليفة الوليد بن عبد الملك قائدا آخر هو موسى بن نصير، اختلفت النصوص في ضبط نسبه الإثني، فمنهم من يرى أنه ولد من أب مسيحي تم سبيه في الأنبار غربي الكوفة[1]، وتم إطلاق سراحه من طرف بني أمية، وهناك من يعتبره يمني من قبيلة لخم، وذهب تيار ثالث إلى القول بأنّه من الموالي، وفيهم من يرى انتسابه للبلويين من قبيلة أراشه، غير أنّ احتمالات انحداره من اليمنيين كبيرة لثلاث اعتبارات نبهت اليها الأستاذة بوبة مجاني[2].

ويستشف من ثنايا بعض النصوص المصدرية أنّ موسى بن نصير أثناء تكليفه بولاية إفريقية، بدأ نشاطه العسكري بالتوغل في المجالات الغربية والتخوم الصحراوية لبلاد المغرب، حيث اضطلع بتنفيذ سياسة سبي واسعة استجمع من خلالها مجموعات كبيرة من السكان الأصليين، يأتي في مقدمتها الرقم الذي سجلته لنا المصادر حول عملية فتحه لطبنة قاعدة جماعة أوربة حيث قُدّر بعشرين ألفا[3]، وفي مرحلة سابقة طالت عملية السبي إقليم زغوان، فأحصت المصادر حوالي عشرة آلاف رأس كأول سبي يدخل قاعدة القيروان خلال ولايته[4].

ويبدو أنّ هذا السبي الذي شرع فيه موسى بن نصير منذ توليه شؤون إفريقية، كان بقصد تعمير المراكز العمرانية في بلاد المغرب بالجماعات السكانية، ذلك أنّ أغلب المدن قد تضررت ديموغرافيا من جراء العمليات العسكرية للجيش الإسلامي الفاتح، فقد أشار الرقيق القيرواني إلى أن موسى قد"...وجد أكثر مدنها خالية بالاختلاف أيدي البربر عليها، فكان ينقل العجم من الأقاصي..."[5].

---

[1] Yassir Benhima et Pierre Guichard, «Mūsā ibn Nuṣayr Retour sur l'histoire et le pouvoir d'un gouverneur omeyyade en Occident musulman», Bulletin d'études orientales n° 66 2018, p.99.

[2] المرتكزات التي اعتمدتها الباحثة في تحديد انتماء موسى بن نصير الاثني لليمنيين هي: أولا: تقييده لبعض الشخصيات القيسية من عائلة عقبة بن نافع هما سفيان بن مالك الفهري، وأبا صالح الفهري وإرسالهما إلى المشرق في الحديد. ثانيا: موقف القيسية من آل موسى بن نصير بعد عزله، فلقد ترك على ابنه عبد الله واليا على المغرب وابنه عبد على الأندلس، فقتل عبد الله على يد خالد بن حبيب القرشي، كذلك كلف الخليفة سليمان بن عبد الملك خمسة أشخاص مهمة قتل عبد العزيز بن موسى فقتلوه، منهما حبيب بن أبي عبيدة الفهري، وزياد التميمي وكلاهما قيسي فقتلوه وبعثوا برأسه إلى الخليفة. ثالثا: المساعدات المالية التي قدمها اليمنية لموسى بن نصير بعد أن فرض عليه الخليفة غرامة مالية خاصة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي. للمزيد من التفصيل راجع: بوبة مجاني: أثر العرب اليمنية، ص ص/33-34.

[3] ويقول خليفة بن خياط:" غزا موسى بن نصير الذين قتلوا عقبة بن نافع سار إليهم بنفسه فقتل وسبى وهرب ملكهم كسيلة قال محمد بن سعيد قتل موسى وسبى حتى انتهى إلى طبنة وصنهاجة وبلغ سبيهم عشرين ألفا وذلك سنة إحدى وثمانين". أنظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص/279. الاستبصار، ص/172. عماد الدين الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤؤط، ج1، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1986م، ص/342.

[4] ابن قتيبة، المصدر السابق، 52/2. ابن عذاري، المصدر السابق، 40/1. بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/34.

[5] الرقيق القيرواني، ص/51.

وأخبرنا ابن قتيبة عن بداية عمليات السبي في مراحلها المبكرة واتساع دائرة جلب الرهائن من مجالات المغرب الأقصى على عهد موسى بن نصير، حيث قدّر صاحب كتاب الإمامة والسياسة[1] سبي سقوما قاعدة الجماعات الأوربية بمائة ألف رأس[2]. ولئن اتضحت ملامح الوضعية القانونية لقبائل أوربة البرنسية بعد أن أسلمت وحسن إسلامها، وبالرغم من أنها اندرجت سياسيا في سلك نظام الخلافة الإسلامية، إلا أنّ ذلك لم يجنبها عمليات السبي العربي.

إذن لقد "فتح موسى بن نصير سجومة وقتل ملوكها"[3] ثم بادر بإعادة تجميع قواته بالمعسكر الذي أسسه بالتخوم الشرقية المحاذية لنهر ملوية، وشرع في الإعداد لعمليات عسكرية تطال مجالات السوس الأقصى[4]، فتحركت الجيوش العربية نحوها ثم دخلوها وجرت معارك انتصر فيها الفاتحون حتى تم "استئصال أهل السوس"[5]، وفتحت مدينة طنجة[6] وبذلك انتظمت جماعات هوارة وزناتة[7] وكتامة السجلماسية، وصنهاجة الريف ومصامدة السوس الأقصى في ولاية افريقية وتم تفكيك جماعات أوربة[8].

وتطلعنا المصادر المغربية على مجالات أخرى أخضعها موسى بن نصير أثناء عملياته العسكرية، وما تهمنا هنا مجالات السوس الأدنى، حيث يذكر ابن عذاري[9] إسناد مهمة فتحها إلى زرعة بن أبي مدرك الذي لم يواجه صعوبة في ذلك، فانتهت حملته بالسيطرة على بلاد تامسنا وتوقيع معاهدة صلح معهم أساسها الدخول في طاعة المسلمين والالتحاق بفلك الإسلام[10]، وفي مسار عودته إلى القيروان أرسل حملة عسكرية بقيادة بشر بن أرطأة يحاصر بها قلعة تقع بالقرب من مجانة، فنجح في فتحها وحملت اسم قلعة بشر نسبة إلى فاتحها[11].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، 41/1.

[2] قُدّر عدد سبي سقوما [أو سجومة أو سقيوما] في كتاب الإمامة والسياسة بمائة ألف رأس، بينما مؤشر هذا العدد انخفض إلى النصف عند الذهبي الذي حصر سبي موسى بن نصير في خمسين ألف رأس. أنظر: الإمامة والسياسة، 55/2. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: أبو المهاجر محمد السعيد، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص/71. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص/55.

[3] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/290.ابن عذاري، المصدر السابق، 41/1.

[4] موسى لقبال، المغرب الاسلامي، ص/87. أحمد الطاهيري، المرجع السابق، ص/130.

[5] ابن قتيبة، المصدر السابق، ص/59.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر، 239/4. ابن عذاري، المصدر السابق، 42/1. السلاوي، المصدر السابق، 152/1.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، 41/1.

[8] أحمد الطاهيري، المرجع السابق، ص/130.

[9] البيان المغرب، 42/1.

[10] ابن قتيبة، المصدر السابق، 39/2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 21/4. النويري، المصدر السابق، 40/24.

[11] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 21/4.

لقد لعب موسى بن نصير دورا هاما في حركة الفتوح بالمغرب الأقصى بإخضاعه الجماعات السكانية الممتنعة وتثبيت أركان السلطة الأموية ببلاد المغرب، وقد برز دور موسى أكثر في الجانب الإداري التنظيمي بمقاطعة افريقية[1]، فضلا عن الجانب المالي الذي سرعان ما يظهر عند استشهادنا بمعطيات البقايا واللقى الأثرية من قطع نقدية ومسكوكات مغاربية تم العثور عليها في المنطقة[2].

لابد أولا أن لا ننسى الدور المالي لحسان بن النعمان الغساني، على أنه أول من ضرب النقود بإفريقية، فمعه تبدأ مرحلة ارساء النظام النقدي الإسلامي ببلاد المغرب، لا سيما أنها سياسة تتماشى انعكاساتها مع حركة التعريب التي ستشهدها المنطقة بعد تمام الفتح. وهو الأمر الذي شجع موسى بن نصير على استكمال عمليات سك الفلوس والنقود وفق النماذج العربية[3]، حيث استغنى على العملة البيزنطية من ناحية الشكل والسمك والوزن والحجم وأبقى على صورة الإمبراطور وولي العهد، فحذف الخط الأفقي القاطه للصليب، واستبدل العبارات البيزنطية بعبارات إسلامية تعلن وحدانية الله مع كتابتها بحروف لاتينية[4]، كما اختلفت نماذج القطع النقدية "فلوس" بتنوع دور المسكوكات التي ضربت بها والمدن التي وزعت فيها، وهو ما نستوضحه في الجدول التالي الذي يبين أنواع الطرز النقدية المتداولة ببلاد المغرب الإسلامي حسب ورشات السكة خلال فترة ولاية موسى بن نصير:

دور الضرب النقدي	الطراز النقدي	المرجع
طرابلس		Abdelhamid Fenina , op. cit., p.138.
إفريقية		Yassir Benhima et Pierre Guichard, op. cit., p.108.

[1] البلاذري، المصدر السابق، ص/288. الطاهيري، المرجع السابق، ص/134-135. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص/287.

[2] Yassir Benhima et Pierre Guichard, Op. Cit., p.108.

[3] Abdelhamid Fenina , Op. Cit., p.122.

[4] بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/35.

Abdelhamid Fenina , op. cit., p.141.		**تلمسان**
Abdelhamid Fenina , op. cit., p.141.		**طنجة**

الجدول رقم (09): نماذج عن الفلوس المضروبة ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة ولاية موسى بن نصير (85-95هـ/ 704-714م).

بالنظر إلى المعطيات المدرجة في الجدول أعلاه نستخلص أهمية الجهود المبذولة لموسى بن نصير في إرساء النظام المالي الإسلامي ببلاد المغرب، من خلال النقود المضروبة بكل من طرابلس وافريقية وتلمسان وطنجة، فقد برزت بجلاء إسهاماته المالية والإدارية في سك الفلوس لتتضمن ملامح إسلامية عربية، حيث أصبحت لها مميزات تختلف عن العملات البيزنطية، إن على مستوى الشكل وبخاصة ما تضمنته من معطيات بتغيير النقوش والعبارات إلى نقوش وكلمات عربية إسلامية، أو على مستوى الأوزان والمقاسات والمكاييل. كما لا يفوتنا أن نشير إلى استقلالية دور الضرب عن بعضها البعض ببلاد المغرب حسب المدن[1]، ومع أنّ النظام المالي كان موحدا في المرحلة الإسلامية الأولى بالمنطقة، إلا أنّ النقاشين قد أضافوا عبارات دينية واسم مدينة الضرب والتاريخ واسم الأمير أو الوالي[2]، لنتبين

[1] Voir: Abdelhamid Fenina , Op. Cit., p.142. Yassir Benhima et Pierre Guichard, Op. Cit., p.108.

[2] محمد الغضبان، المرجع السابق، ص/349.

بذلك أسماء ورشات الضرب والمدن والمسؤول عن ضرب تلك العملة من الولاة والأمراء، وتحديد المجالات الجغرافية محل التداول النقدي بالإضافة إلى ضبط السنوات المؤرخة لنشاط الضرب النقدي والمالي.

ثانيا– الهجرة القيسية وأثرها في السكان والمجال:

منذ الربع الأول من القرن الهجري الأول/السابع الميلادي، بدأت مجموعات العرب القيسية العدنانية تظهر ضمن تركيبة الجيوش العربية الفاتحة لمجالات بلاد المغرب، ولئن مثلت أعداد القيسيين ببطونهم وعشائرهم وفروعهم قلة بالمقارنة مع نظرائهم من المجموعات اليمانية، إلا أنّهم شكلوا إحدى العصبيات العربية التي تُوِّجت جهودها بإلحاق المغرب بدار الخلافة الإسلامية، وقد تمكنت عناصرهم من الانتشار والبقاء في المنطقة والوصول إلى أعلى المناصب في السلم الإداري من خلال تقلدهم لخطة الولاية التي تناوبت عليها مع عناصر من العرب اليمانية، لتتحكم المجموعات البشرية القادمة من شبه الجزيرة العربية في نظم الحكم المغاربية، على الرغم من أن تواجدهم في المنطقة لا يعدو أن يكون أقلية إثنية وافدة في مقابل أغلبية سكانية محلية.

1– النسب والانتماء الإثنو–جغرافي:

تنقسم العرب كما أشرنا قبلا إلى مجموعتين كبيرتين هما: العرب القحطانية الجنوبية التي شملت مواطنها بلاد اليمن خصوصا، ولقبت باليمانية أو اليمنية، بينما المجموعة الثانية تمثلت في العرب العدنانية الشمالية التي توزعت على بلاد الشام وأطلقت عليها تسميات عرقية أخرى منها المضرية والقيسية[1]، وقد دخلت هذه المجموعات العربية إلى بلاد المغرب خلال القرن الأول للهجرة/السابع الميلادي في إطار حركة الفتوحات الإسلامية[2]، وبعد تناولنا

[1] السمعاني، المصدر السابق، 341/8. ابن حزم، المصدر السابق، ص/329. القلقشندي، قلائد الجمان، ص/102.

[2] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/204. ابن خلدون، كتاب العبر، 573/2. النويري، المصدر السابق، 21/24.

لأصول ومواطن وإسهامات المجموعة اليمانية القحطانية ببلاد المغرب في المباحث السابقة[1]، نحاول الآن أن نتبين الأصول الإثنية للعرب القيسية وفروعها القبلية الممتدة إلى عدنان بن أد بن أدد[2].

تنحدر العرب القيسية من الأصل العربي الشمالي وتنتسب إلى المجموعة العدنانية التي استوطنت بلاد الشام قديما، وتعود في أصولها الاثنية إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[3]، فقد ولد عدنان ولدين هما مَعَدّ وعكّ، وتفرعت عن مَعَدّ ذريته التي انحصرت في ثلاث أولاد هم: نزار بن مَعَدّ وإياد بن مَعَدّ وقنص بن مَعَدّ[4]، والشاهد الذي يهمنا هنا هو أنّ نزار بن مَعَدّ قد تناسل منه مضر وربيعة وإياد وقيل أنمار[5]، وقد ولد من مضر إلياس بن مضر وقيس عيلان بن مضر، وإليه تنتمي المجموعات القيسية المضرية الداخلة إلى بلاد المغرب خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي[6].

ويحسن التنبيه إلى الخلاف الذي سجلته مصادر الأنساب في كون المجموعات القيسية تنتمي في أصلها إلى قيس بن عيلان[7]، والصحيح حسب ابن حزم أنه قيس عيلان، مستدلا بقول حضين بن المنذر وفي حضرة وجوه العرب وقتيبة بن مسلم، حيث قال في حديث طويل:" لو رآها قيس لسمي قيس شبعان ولم يشم قيس عيلان"، وبرهن على صحة نسبة قيس عيلان ببيت شعري قال فيه نصر بن سيار:

أنا ابن خندف تنميني قبائلها للصالحات وعمى قيس عيلانا[8]

[1] أنظر: مبحث الأصول العرقية – الجغرافية للعرب اليمانية.

[2] المبرد، المصدر السابق، 1/1.

[3] يورد النويري شجرة نسب العرب القيسية كاملة، فيقول: تنسب إلى قيس بن مضر بن نزار بن معد بن أد بن أدد بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر. نهاية الأرب في فنون الأدب، 280/2.

[4] ابن حزم، المصدر السابق، ص/9.

[5] البغدادي، المصدر السابق، ص/85. ابن حزم، المصدر السابق، ص/10.

[6] النويري، المصدر السابق، 278/2. ابن حزم، المصدر السابق، ص/10.

[7] ورد في العديد من مصادر الأنساب أنه قيس بن عيلان، وهو ما فنده ابن حزم الذي قدم أدلة حول صحة النسبة التي تقول بقيس عيلان دون أي رابط قرابي يفصل الاسم الواحد إلى الأب والابن. أنظر: ابن الكلبي، المصدر السابق، 29/1. المبرد، المصدر السابق، ص/1. البغدادي، المصدر السابق، ص/59. لطفي بن فرج، القيسية في القرنين الأول والثاني للهجرة، رسالة دكتوراه، إشراف: راضي دغفوس، جامعة تونس، 1420هـ/2000م، ص/15.

[8] ابن حزم، المصدر السابق، ص/10.

وتتفرع عن المجموعة القيسية العدنانية قبائل وعشائر عديدة منها إلياس وسعد وخفصة وجديلة وغطفان وعاشور وأعصر وعكرمة وأشجع وبغيض وأثمار وفزارة وحارب ومازن وهوازن وسليم وبكر وسعد ومعاوية ونصر وصعصعة وعامر وجشم وعدي وهلال[1] وربيعة ونمير وكلاب وجعفر وكعب وعقيل وغيرها[2].

2- الاستيطان العربي القيسي في البلاد الشرقية للمغرب الإسلامي:

تشير المصادر التاريخية إلى غلبة الجموع اليمانية القحطانية على الجموع القيسية العدنانية في بلاد المغرب خلال القرن الأول والثاني للهجرة/السابع والثامن للميلاد[3]، ولا شك أن حركة الفتوحات الإسلامية في المنطقة قد سمحت ببروز العنصر اليماني إلى الساحة على حساب القبائل القيسية من مجموع العرب المستقرين بإفريقية والمغرب[4]، ونادرا ما ذكرت النصوص الإخبارية وكتب التراجم والطبقات أعلاما من العرب القيسية بأسمائهم في شكل قادة عسكريين وولاة عينوا على ولاية المغرب، وعمالا تولوا شؤون الأقاليم المغاربية وأعمالها، كما ظهرت بالموازاة نخب عربية عالمة كانت من أصول قيسية حملت على عاتقها مهمة نشر تعاليم الدين الإسلامي وشرائعه بين السكان المحليين في الولاية الجديدة.

---

[1] شكلت الهجرة الهلالية والسليمية خلال منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إحدى أكبر التحركات البشرية العربية في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، لما كان لها من آثار عميقة على البنيات الاجتماعية والاقتصادية والمجالية في المنطقة، تباينت بين حركة التعريب وحيازة المجال الجغرافي وطرد السكان المحليين وتحول الاقتصاد المغاربي من اقتصاد زراعي إلى اقتصاد رعوي، مع بروز تجمعات عربية بدوية أثرت على شبكة المسالك والطرق التجارية، وتعمقت ظاهرة البدونة من خلال تبدل أنماط المعيشة وأنظمة الحياة الاقتصادية. وتنحدر هذه القبائل الهلالية والسليمية من المجموعة العدنانية المضرية التي سكنت في صعيد مصر بعد نزوحها من بلاد الشام ونجد وحواف مكة والحرة وغيرها، ثم اتجهت إلى بلاد المغرب الإسلامي بأمر من الخليفة المستنصر الفاطمي، وسنتناول موضوع المجموعات الهلالية والسليمية بتفصيل في أصولها، فروعها، مواطنها، وتحركاتها، في الفصل الأخير من هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها.

[2] المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص/142.

[3] لن يتوقف الحضور القيسي المحتشم عند القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي، بل سيستمر إلى غاية منتصف القرن الهجري الخامس/منتصف القرن الحادي الميلادي، وبعد هذه المرحلة سيتدفق إلى المنطقة جموع عربية من بني هلال وبني سليم تعود في أصولها ونسبها الأول إلى المجموعات المضرية القيسية العدنانية النازحة من الجهات الشمالية لبلاد العرب وبلاد الشام كمحطة أولى والصعيد المصري كمحطة ثانية، لتستحوذ على عديد المجالات الجغرافية وتترك بصماتها في تاريخ المنطقة المغاربية، فتكون بذلك الهجرة القيسية التي دخلت عناصرها إلى المنطقة خلال مرحلة الفتح الإسلامي محدودية الحضور العددي، أما المرحلة الثانية للهجرة القيسية ممثلة في الهلالية والسليمية أكثر تواجدا لاختلاف الظروف والعوامل والخصوصيات التاريخية للتحركات البشرية العربية.

[4] ذلك ما أكدت عليه مختلف الدراسات التاريخية، أنظر: بوبة مجاني، أثر العرب اليمنية، ص/17. راضي دغفوس، اليمانيون في إفريقية، ص/371. محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/155.

وفي حين تكشف معطيات النصوص الإخبارية والوصفية عن تميز العرب اليمانية عن بقية المجموعات العربية بحضورها البشري الكثيف، فقد سجلت المظان المصدرية في مقابل ذلك حضورا متذبذبا للمجموعات القيسية العدنانية بالمنطقة. ومن جملة العوامل الكامنة خلف محدودية الحضور القيسي ببلاد المغرب في المرحلة الأولى التي تبدأ من بداية الفتح الإسلامي إلى غاية منتصف القرن الهجري الخامس/منتصف القرن الحادي الميلادي، أي قبل وصول العرب الهلالية والسليمية إلى المنطقة، نذكر ما يلي:

- دور الخلفاء الأمويين ثم العباسيين بعدهم في اختيار العنصر اليماني في مرحلتين هامتين، ترتبط المرحلة الأولى بتعيين قادة الجيش الإسلامي لقيادة الحملات العسكرية التي تستهدف فتح المنطقة، ثم تليها المرحلة الثانية التي استأثر فيها الولاة ذوي الأصول اليمانية بمنصب تسيير ولاية بلاد المغرب[1]، فيما عدا بعض الحالات النادرة التي عُيّن فيها العنصر القيسي على رأس الولاية على غرار عبد الرحمن بن حبيب الفهري وأخيه إلياس[2] وعبيد بن عبد الرحمن السلمي القيسي[3].
- نهاية العمليات العسكرية الإسلامية وتتويجها بفتح بلاد المغرب سنة 94هـ/714م، مع غلبة العنصر اليماني في المنطقة وتوظيفهم في المناصب المهمة في السلم الإداري بالأقاليم الحضرية والريفية، مما مكّنهم من التحكم في سلطة إصدار القرار بإقطاع الأراضي وتميلك العديد من المجالات الجغرافية لبني جلدتهم من العرب اليمانية، وفي المقابل توزيع حصص ضئيلة للفصائل القيسية، وهو ما تفسره المؤشرات الطوبونيمية التي برهنت على استحواذ اليمانيين بشكل لافت على الأحياء والأماكن[4] من خلال قائمة أسمائها الواردة في المظان المصدرية، حيث وردت تسميات جغرافية لمواقع تنسب إلى بطونهم وعشائرهم منها بلد غافق وبلد خولان[5]، وقرية الجهنيين[6] وقرية المريدين[7] وقرية صدف[8]، وقرية مهريين[9] وغيرها.

تعتبر المرحلة الممتدة بين سنتي (50- 55هـ/670-675م) هي الفترة التي تم فيها اختطاط مدينة القيروان من طرف الأسرة الفهرية القرشية الممثلة في شخص الفاتح عقبة بن نافع الفهري، اتخذها كمعسكر للحاميات العربية

[1] أحمد الباهي، سوسة والساحل في العهد الوسيط، ص/301.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، 70/1.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، 244/1.

[4] راجع دراسة: محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/360 فما بعدها.

[5] البكري، المسالك والممالك، 668/2. أحمد الباهي، سوسة والساحل في العهد الوسيط، ص/299.

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، 84/1.

[7] المالكي، المصدر السابق، 400/2.

[8] المصدر نفسه، 187/1.

[9] ابن حوقل، المصدر السابق، 87/2. البكري، المسالك والممالك، 833/2.

الأموية وتوطيدا للقيام بحملات عسكرية تسعى إلى فتح الجبهة المغربية[1]، لاسيما في ظل الصعوبات التي واجهها الفاتحون المسلمون أثناء العمليات التي قاموا بها بقيادة عمرو بن العاص وعبدالله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن حديج[2]، وكان لتأسيس حاضرة القيروان دور في تثبيت العناصر العربية القيسية في بلاد المغرب، حيث سكنت الجيوش الإسلامية الفاتحة بالمدينة المعسكر وكانت بمثابة قاعدة حربية لها، لتنطلق منها الحملات العسكرية باتجاه المجالات الغربية، فاستقر الجند العربي القيسي بالمنطقة وأصبح يمثل مكونا إثنيا جديدا من مكونات الخريطة البشرية المغاربية في طرابلس وبرقة والقيروان وتونس ومدن الزاب على غرار مدينة طبنة ومقرة وطولقة وغيرها[3].

لقد ضمت خريطة الاستيطان البشري في بلاد المغرب منذ بداية عمليات الفتح جماعات من العرب القيسية، تعيش على التجاور والسكنى جنبا إلى جنب مع العناصر الاجتماعية الأخرى، وقد توزعت على المراكز العمرانية الكبرى، لا سيما في مدينة القيروان كما ذكرنا سابقا، والتي شكلت مجال جذب حضري يسكنه المركب القيسي المضري واليمني الكلبي، حيث بلغت دور العرب التي بنيت فيها على عهد عقبة ثلاثة آلاف وستمائة دار[4]، واستقرت فيها الأسرة الفهرية التي ينسب إليها عقبة بن نافع القيسي ومعها العديد من الفصائل المضرية[5]، وقد أثرت النزعة القبلية والصراع بين الكلبية القحطانية والقيسية العدنانية على شبكة الاستيطان العربي من جهة[6]، وسياسة تعيين وعزل قادة الفتوح وولاة الأمصار وعمال الولايات من جهة أخرى، وسار على هذه السياسة أغلب الخلفاء الأمويين من الفرع المرواني فقربوا إليهم العصبية اليمانية الجنوبية واضطهدوا العصبية القيسية الشمالية[7].

وبالرغم من تقريب الدولة الأموية للعصبية اليمنية وتكليفهم بمهام عسكرية وسياسية وإدارية في بلاد المغرب الإسلامي، إلا أنّ المتتبع لقائمة الأسماء البشرية أو الأنثروبونيميا العربية في النصوص الإخبارية، يتبين الحضور القيسي والمضري بالمنطقة، والذي تجلت تمثلاته في أوائل القادة الفاتحين وأبرز الأعلام العسكريين المسلمين على غرار عمرو

---

[1] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/210.

[2] أنشأ عقبة بن نافع الفهري القيسي في مدة خمس سنوات (50- 55هـ/670-675م) قاعدة القيروان، وهو عمل على غاية الأهمية الاستراتيجية والحربية، لأنه اطمأن بأن المدينة المعسكر التي تصدر عنها الحملات العسكرية ستسهل من فتح البلاد المغاربية وبفضلها ستبدأ أولى عمليات الأسلمة، لأنه بنى فيها جامعا ودارا للإمارة الإسلامية وتخلى عن فكرة الانسحاب نحو برقة أو إلى الفسطاط مثلما جرت عليه عادة الجيوش الفاتحة قبله. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 1424هـ/2004م، ص ص/40-41.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/180 وما بعدها.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 63/3.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/225. ابن عذاري، المصدر السابق، 19/1.

[6] النويري، المصدر السابق، 60/24.

[7] موسى لقبال، المغرب الإسلامي، ص/119.

بن العاص السهمي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح[1] وعقبة بن نافع الفهري[2]، وخالد بن يزيد القيسي أسير الكاهنة[3]. أمّا فيما يخص التواجد القيسي في الفترة التي تلت مرحلة الفتح، فتبرز أسماء بشرية عديدة منها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، وابنه عبد الرحمن بن حبيب[4] ويزيد بن أبي مسلم[5] وعبيدة بن عبد الرحمان السلمي القيسي[6]، ومحمد بن يزيد القرشي[7] وابن الجارود الذي ارتبط اسمه طوبونيميا بإحدى المواضع بإفريقية[8] ومنصور الطنبذي القيسي[9] وغيرهم من أعلام القيسية الذين نزلوا بعواصم بلاد المغرب أو المدن المراكز في الأقاليم التابعة لها، فاستقروا فيها وكانت لهم العديد من الأدوار والمساهمات التي سنأتي على ذكرها في المبحث الموالي.

لما تولى عبيد الله بن الحبحاب شؤون إدارة الولاية في عهد هشام بن عبد الملك سنة 116هـ/ 735م[10]، كلّف القائد القيسي حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع للقيام بفتح مجالات السوس الأقصى، وتواصلت حملاته العسكرية بجزيرة سردانية وصقلية[11]، واستغل المغاربة ذلك فانتفضوا على عبيد الله بن الحبحاب وقاموا بثورات في المغرب والأندلس ضد العمال العرب بسبب سياسة التخميس والتجاوزات الخطيرة التي قام بها عمر بن عبد الله المرادي في المنطقة[12]، وبعد سماع الخليفة هشام بن عبد الملك بمجريات الأحداث في المغرب عزل عبيد الله بن الحبحاب وعين مكانه كلثوم بن عياض القشيري في منصب الولاية وكان ينحدر من أصول قيسية[13]. كما عبّر الخليفة هشام عن حالة غضبه من سكان المغرب وامتعاضه منهم لأنهم قاموا بثورات ضد الولاة الأمويين[14]، وقال "والله لأغضبن لهم غضبة عربية، ولأبعثن إليهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي، ثم لا تركت حصن بربري إلى

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/318. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 408/2. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 7/24.

[2] المالكي، المصدر السابق، 97/1. خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/204.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، 37/1.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء، 336/2. ابن خلدون، كتاب العبر، 240/4. السلاوي، المصدر السابق، 157/1.

[6] البلاذري، المصدر السابق، ص/229.

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/241. ابن خلدون، كتاب العبر، 174/3.

[8] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/17.

[9] ابن الأبار، الحلة السيراء، 186/1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 486/5.

[10] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/347. ابن خلدون، كتاب العبر، 156/6.

[11] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4.

[12] السبب الرئيسي في ثورات "البربر" هو سياسية التخميس التي اتبعها عمر بن عبد الله المرادي في طنجة على المغاربة وهو معتنقون للدين الإسلامي، فقاموا بإعلان الثورة على الحكم العربي بقيادة ميسرة المدغري ثم خالد بن حبيب الزناتي، وانتصروا على الجيش العربي في غزوة سميت بالأشراف. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص/108-109. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4-225. السلاوي، المصدر السابق، 162/1.

[13] البلاذري، المصدر السابق، ص/229.

[14] ابن عذاري، المصدر السابق، 54/1.

جعلت إلى جانبه خيمة قيسي أو يمني"[1]، ومما يستشف من هذه الإشارة أنّ البعثات البشرية العربية التي تشكلت منها تركيبة الجند الإسلامي كانت كلها من أصول قيسية أو يمانية، ولا تزال جموعهم منتشرة خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، حيث استوطنوا ببلاد المغرب طيلة عصر الولاة 97-184هـ/716-800م، بل وحتى في مرحلة فتح المنطقة لم تخرج الأصول البشرية لتركيبة الجيش الإسلامي عن الإثنيات العربية المتمثلة في الانتماء القيسي العدناني أو اليماني القحطاني.

ولم يكن المشروع الإدريسي الذي أرسى أركانه إدريس بن عبد الله كما هو معلوم وليد الصدفة في بلاد المغرب الأقصى، وإنما ارتبط بالمخزون البشري المحلي ثم العربي اليماني والقيسي لتكوين كيان إمارتهم[2]، لذلك شهدت فاس الأدارسة استقرارا عربيا تشكل من الجموع العربية وبمؤشر مرتفع المجموعات القيسية واليمانية حيث سجلت لنا المصادر نزول "العرب القيسية من باب إفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم ونزل اليحصبيون بجوار القيسية من الجهة الأخرى"[3]، فكانت بفاس لوحدها حوالي ثلاثمائة من البيوتات العربية القيروانية[4].

لقد حافظت العرب القيسية والتّميمية والقرشية من عرب الشمال خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي على انتشارها بمدن بلاد المغرب الشرقي، فظهرت أسماء بشرية من بني تميم في بلاد الزاب منها أعلام من سلالة الأغالبة نسبة إلى جدهم الأغلب بن سالم التّميمي[5] على غرار إبراهيم الأغلب الذي ولاه هرثمة بن أعين على ناحية الزاب[6]، وتعددت مضارب الأغالبة من عرب بني تميم بإفريقية فبعدما سيطروا على إفريقية استقروا في حاضرة القيروان ثم توطنوا بمدينة رقادة وتونس[7]، واتخذ بنو قيس من المراكز العمرانية مواطن استقرار لهم، فاقتطع عمرو بن معاوية السلمي القيسي ناحية القصرين بإفريقية مع ابنيه الحباب وسكتان[8] ومعهم فصائل من العرب

[1] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 60/24.

[2] رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، ص/101.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص/38-39. علي الجزنائي، المصدر السابق، ص ص/17-18.

[4] ابن الأحمر، المصدر السابق، ص/19 وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/38. محمد حسن، الجغرافيا التاريخية، ص/16.

[5] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/33.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 302/5.

[7] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص/255. الحميري، المصدر السابق، ص/271.

[8] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/110.

القيسية[1]، ولعبوا دورا بارزا في أحداثها السياسية، إذ قاد عمرو بن معاوية تمردا على الأمير زيادة الله بن الأغلب سنة 208هـ/823م، لكن تمرده لم ينجح حيث حاصرهم زيادة الله فاستسلم عمرو مع ولديه وسجنوا ثم قتلوا[2].

وتمكننا عملية تتبع ثورات الجند التي قامت ضد الأمراء الأغالبة من رصد خريطة التوطين والإسكان العربي القيسي من خلال تحديد معاقل المعارضين وقواد الحركات الانفصالية، أو أنها تسمح لنا بالعثور على أسماء قيسية شاركت في أحداث المنطقة، ومن الأمثلة على ذلك بروز شخصية منصور بن نصر الطنبذي القيسي[3] الذي كان عاملا على طرابلس ثم تمت عملية عزله عنها، فاستقر بقصر سمي باسمه "قصر طنبذة" في المحمدية جنوب مدينة تونس[4]، وأراد هذا القائد الذي ينتمي إلى جُشّم القيسية أن ينتقم لمقتل عمرو بن معاوية من رجال عصبيته[5]، كما أنّه كان يميل إلى حزب العرب ببغداد والذي أعلن عصيانه زمن المأمون بإمارة عبد الله بن إبراهيم[6]. وعلى أية حال، فالثابت هو استيطان الفصيل القيسي بمدينة طرابلس وتونس وباجة والقصرين والقيروان ورقادة.

واستقبلت مدن الزاب هي الأخرى الفصائل العربية من بني قيس طيلة العهد الأغلبي (184-296هـ/ 800-909م)، ففي مدينة بلزمة التي شكلت قاعدة دفاعية خلال العهد الأغلبي، يشير ابن عذاري إلى كثافة الحضور القيسي بها، ولقد بلغ "ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة"[7]، أمّا اليعقوبي فيومئ إلى تمدد عربي من طرف المستوطنين العدنانيين ذوي الأصول التميمية العربية باتجاه مجالات الزاب الغربي، حيث صرح بأنّ بلزمة "أهلها قوم من بني تميم وموالي لبني تميم"[8]، وهؤلاء ينسب إليهم الأمراء الأغالبة، وقد ذكر ابن حوقل في حديثه عن بلزمة وسكانها أنها "بلد محدث للعرب وفيه بقاياهم إلى الآن"[9]، كما شهدت مدينة مقرة استقرار المركب العربي الفهري بها، فإلى جانب تواجد جماعات من

[1] الطالبي، المرجع السابق، ص/171.
[2] ابن عذاري، المصدر السابق، 98/1.
[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 487/5. الحموي، المصدر السابق، 43/4.
[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/186.
[5] النويري، المصدر السابق، 108/24.
[6] بوبة مجاني، أثر العرب اليمانية، ص/127.
[7] ابن عذاري، المصدر السابق، 123/1.
[8] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190.
[9] ابن حوقل، المصدر السابق، 93/1.

العجم وبني زنداج وسارسة من السكان المحليين فيها، سكنتها جماعة بني ضبة الذين ينحدرون من النسب القرشي الفهري[1].

ويزودنا اليعقوبي[2] في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بقائمة التكوينات البشرية المستوطنة بالقيروان مشيرا إلى وجود العناصر القيسية، فقد كان بها "أخلاط من مضر وربيعة وقحطان"[3]، وبالنسبة للفظ العرب الذي ورد بصيغته العامة في نصوص اليعقوبي ليدّل على كل الوافدين من بلاد المشرق في إطار حركة الفتوح، فإنه لا يستثني المركب القيسي من مجموعات العرب المستقرين ببلاد المغرب الإسلامي، حيث تساكنت العرب القيسية مع السكان المحليين في كل من برقة وطرابلس وقابس والقيروان وباجة والقصرين والأربس وباغاية وطبنة ومقرة وبلزمة وغيرها[4]، وظهرت تسميات لعرب بني مضر القيسيين والتميميين والقرشيين خصوصا ببلاد الساحل في إفريقية، والتي كانت عبارة عن تجمعات بشرية اتخذت أشكال استقرار عديدة منها المنازل والأحياء والقرى والقصور مثل: السناجرة وبني تميم والسهليين وكنانة وقصر المغيرة القرشي وقصر الطنبذي ومنستير عثمان وما إلى ذلك من مواطن انتشار العربي القيسي والمضري بإفريقية ومجالاتها[5].

تؤكد معطيات المصادر الإسماعيلية على توطن جماعات من العرب القيسية والمضرية بمدينة ميلة، فالداعي إدريس[6] يشير إلى استقرار جماعة السناجرة وهي من بطون ربيعة العربية العدنانية وسموا بالسناجرة لأنّ أولهم من سنجار[7]، وكان متولي شأنهم ابن خنزير الذي يسمى بالحسن بن أحمد بن علي بن كليب[8]، كما استوطنت إلى جوارهم جماعات من السكان المحليين وأحياء تنحدر من أصولهم كبني سليم القيسيين الذين ينتمون إلى قيس عيلان من عرب الشمال، وكان رئيسهم لهذا العهد موسى بن عباس القيسي[9]، وقد شهدت مجالات سطيف بقاء الجماعات العربية من بني خزيمة القرشيين الذين ينحدرون من العرب العدنانية الشمالية[10] وتظهر العوامل السياسية المتحكمة

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/191.

[2] المصدر نفسه، ص/187.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190-191.

[5] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/372 فما بعدها.

[6] تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، ص/109.

[7] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/188.

[8] محمد الطالبي، المرجع السابق، ص/710. زياني الصادق، المرجع السابق، ص/124.

[9] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص/109.

[10] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص ص/165- 166. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص/110.

في توطين العنصر العربي القيسي والمصري والقرشي في الحصون الغربية للإمارة الأغلبية لكون هذه الجاليات العربية كانت موالية لبني الأغلب من خلال تشكيلهم لفصائل الجند أو توليتهم كعمال على أقاليم دولة الأغالبة.

تأتي معطيات البكري خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لتبرهن على تواصل المركب القيسي إثنيا وجغرافيا ببلاد المغرب الإسلامي، حيث يشير إلى صورة التوطين بأقاليم الزاب وبالتحديد في مجالات بنطيوس، حيث تقع في جوفيها مدينة طولقة التي كانت تتشكل من ثلاث مدن استقرت بها العرب، "إحداها يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة قيس"[1]، مما يحيل إلى القول بأنّ خريطة الاستيطان قد ارتبطت بتأثير العصبية القبلية والصراع القائم بين القيسيين واليمنيين، حيث خضعت للتقسيم السكني حسب الانتماء الإثني، من خلال تخصيص مساكن أو أحياء أو مدن منفصلة لكل قبيلة أو عشيرة أو مكون عرقي على حدًى ليحول دون الامتزاج الاثني الذي قد يفضي إلى نزاعات بين مكونات النسيج الاجتماعي، وقد أكّد الباحث أحمد الباهي[2] نقلا عن ابن بسام في الذخيرة بقاء جماعات من العرب القيسية في مدينة سوسة بإفريقية إلى غاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، حيث جرى بينها وبين العرب اليمانية نزاع في سنة 446هـ/1054م، عشية قدوم المجموعات الهلالية والسليمية إلى المنطقة، وذلك بإيعاز الوزير الأندلسي أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدرامي الذي أوقع الفتنة بين العرب القيسية واليمنية، واعتبر "أنّ الحرب قائمة بين هاتين القبيلتين إلى يوم القيامة"[3].

دائما وخلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[4]، يتواصل التوطين العربي القيسي بالمغرب الأقصى، وربما كان هذا الانتشار بأقل مستوى في هذه المرحلة نتيجة التحولات الاثنية والمجالية التي شهدتها المنطقة عقب وصول المجموعات الهلالية والسليمية بأعدادٍ معتبرة، وهي المجموعات التي تعود في أصولها إلى العرب المضرية القيسية، فبعد حلولهم بالمغرب الأدنى سنة 430هـ/1039م خلال فترة حكم الزيريين، وقدرة الوافدين الجدد على التحكم في المجال وتهديم القيروان في عام 452هـ/1060م[5] والاستحواذ على مجالات شاسعة من بلاد المغرب، وهو ما سيحدث تغييرا جذريا في بنية المجتمع المحلي، كما سيخلق حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار إلى جانب نشاط

[1] البكري، المسالك والممالك، 740/2.

[2] سوسة والساحل في العهد الوسيط، ص ص/305-306.

[3] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج4، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1399هـ/1979م، ص/89.

[4] الجدير بالذكر هنا أنّ رصدنا لملامح التواجد القيسي ببلاد المغرب سيتوقف عند القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، لأنّ الهجرات القيسية جاءت على مرحلتين مختلفتين زمنيا، كانت الهجرة الأولى خلال فترة الفتوح الإسلامية وقدوم القبائل القيسية التي مثلت مكونا رئيسيا من مكونات الجيش الفاتح، أمّا الهجرة الثانية فهي الهجرة التي ارتبطت بنزوح القبائل الهلالية والسليمية المنحدرة كذلك من القيسية من عرب الشمال العدنانيين، وهو ما سنتطرق إلى تفاصيله في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 18/6. ابن الأثير، الكامل في الأثير، 201/8.

كثيف في حركة الانتقال والتهجير للسكان من مختلف المناطق والأقاليم ببلاد المغرب، وسيكون له تأثير على طبيعة التوطين بمختلف المجالات الجغرافية[1]، من ذلك نزوح الجماعات العربية اليمانية والقيسية إلى المغرب الأقصى لتستوطن بفاس، حيث يقول عبد الواحد المراكشي: "كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بعيث العرب فيها فر منها أهلها، ونزل أكثرهم مدينة فاس"[2].

وحصيلة القول، فلقد أثر الانقسام الاثني بين العصبيات القيسية واليمانية على شبكة الاستيطان الحضري ببلاد المغرب، فبرزت أحياء وقرى تسكنها الفصائل القيسية وأخرى تمركزت بها القبائل اليمنية، وقد اختلطت الإثنيات العربية مع بعضها البعض في المدن العواصم خصوصا في حاضرة القيروان، حيث ارتبطت وضعية التوطين العربي القيسي أولا بهذه القاعدة العسكرية خلال مرحلة الفتح باعتبارها قاعدة حربية ومركزا للجند الإسلامي القادم من مصر، ثم انتشرت القيسية في أغلب المدن ذات الهياكل الاستراتيجية السياسية والعسكرية والاقتصادية على غرار المراكز العمرانية الليبية ومدن إفريقية وبلاد الزاب وفاس وطنجة بالمغرب الأقصى. والملاحظ أنّ عرب الشمال العدنانيين المستقرين بالمنطقة ينحدرون من جذور عرقية متعددة لا تنحصر في العرب القيسية فحسب، بل تشتمل على العرب التّميمية والعرب القرشية لكنها تنتهي كلها إثنيا إلى الأصل المضري العدناني، ومعظم هذه القبائل ظهرت أسماءها على مستوى خريطة التوطين العربي ببلاد المغرب.

3- الأدوار والوظائف العسكرية والسياسية للعرب القيسية ببلاد المغرب:

إذا كان عدد القادة الفاتحين من الأصول العربية القيسية المضرية في تاريخ المغرب متميزا بقلة الحضور ومحدوديته، ولكونه لا يعدو أن يقارن بالقائمة الطويلة للقادة العسكريين من عرب الجنوب اليمانية، فإنّ في مختلف محطات الفتح الإسلامي ببلاد المغرب نلاحظ مساهمة فعالة للعناصر القيسية المضرية، ففي القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ظهرت جهود عمرو بن العاص السهمي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وعقبة بن نافع الفهري القيسي، مع مشاركة واسعة للبطون القبلية المنحدرة إثنيا من الفرع المضري الشمالي في الحملات الحربية على المنطقة على غرار كنانة وقيس وعامر وسهم وفهر وغيرهم، أمّا في المرحلة الثانية فقد تشكلت فيها إمارة بني الأغلب من بني تميم سنة 184هـ/800م، وظلت العناصر القيسية المضرية تظهر على ساحة الأحداث ببلاد المغرب إلى غاية نهاية العهد الموحدي.

[1] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، 427/2.

[2] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص/256-257.

أ- حملات القائد القيسي عمرو بن العاص السهمي على أقاليم أنطابلس وطرابلس:

وجهت أول حملة من حملات الفتح الإسلامي باتجاه المغرب إلى إقليم أنطابلس "برقة "[1]سنة 21هـ/642م، وهي الحملة التي برهنت على مدى مساهمة المركب القيسي عسكريا في عملية فتح المنطقة وتحولها إلى الإسلام[2]، فلقد قادها عمرو بن العاص السهمي القيسي سعيا منه لفتح الجبهة المغربية، متخذا من السيطرة على مدينة برقة بداية لعملية فتح تطال باقي المدن والمراكز البيزنطية المحصنة[3]، ولذلك تميز المشهد السياسي والعسكري ببروز العنصر القيسي منذ أن وطئت لأول مرة الجيوش الأموية بخيلها المجالات الشرقية للمغرب البيزنطي[4]، حيث منحت الفعالية العسكرية للقادة القيسيين معطيات استراتيجية اكتشفت من خلالها مضمرات المنطقة طبيعيا وسياسيا وعسكريا بالإضافة إلى شبكة الهياكل العمرانية والتحصينات الدفاعية المحلية، وجعلتهم يتولون مهمة القضاء على العنصر الأجنبي، ممثلا في الروم البيزنطيين وإخضاع السكان المحليين للسلطة العربية الأموية.

ظل عمرو بن العاص السهمي متمركزا بمعسكر الفسطاط في مصر، وله رغبته في القيام بحملات عسكرية تمكنه من تحقيق أهداف استراتيجية، من أهمها حماية تخوم الدولة الإسلامية من الخطر البيزنطي في الجهة الغربية، ولعل فتح إقليم أنطابلس أي برقة والبلاد الطرابلسية كانت تحركه جملة من الدوافع التي يمكن تحديدها في ما يلي:

- تأمين التخوم الغربية للدولة الإسلامية وحمايتها من الخطر البيزنطي، إذ اتضح أنّ السيطرة على الأقاليم الحدودية بين مصر والبلاد الليبية لا تكون إلا بمدافعة البيزنطيين عن مجالات الولاية المصرية والوقوف سدا منيعا في وجه الحاميات المستقرة بمدينة برقة أو أنطابلس، لأنها شكلت أهم المراكز الحضرية البيزنطية في أقصى الجهة الشرقية لبلاد المغرب[5].
- مواصلة حركة الفتوح الإسلامية في الجبهة الغربية المتصلة جغرافيا واستراتيجيا بولاية مصر التي انتهى المسلمون من فتحها سنة 20هـ/641م[6]، بقيادة عمرو بن العاص في عهد الخليفة عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

---

[1] أطلقت عليها خلال الفترة القديمة تسمية "أنطابلس- Pentapolis" أو المدن الخمس، وهي: "قورينة - Cyrenae" و "طلمثية- Polémais وتضم "برقة - Parké"، و "توكرة – Touchira"، و"برنيق – Brénice"، و"أبولونيا- Appolonius". محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/157.

[2] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/143.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص ص/221-222.

[4] تذكر مصادر العصر الوسيط المبكر على سبيل المثال بروز شخصيات مضرية لعبت دورا فعالا في حركة الفتوح على غرار عمرو بن العاص السهمي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وعقبة بن نافع الفهري القيسي. أبو العرب، المحن، ص/290. ابن قتيبة، المعارف، ص/570. البلاذري، المصدر السابق، ص/221. الكندي، المصدر السابق، ص/32. ابن أعثم، المصدر السابق، 357/2.

[5] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/158.

[6] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/142. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 383/2.

وتم إرساء مؤسساتها الإدارية وهياكلها التنظيمية، واتخاذها قاعدة تنطلق منها الحملات الإسلامية البحرية والبرية نحو جزر المتوسطي وبلاد النوبة وبلاد المغرب[1].

- تراجع قوة المجموعات القبلية المحلية المتمركزة بمجالات برقة وطرابلس على غرار قبيلة لواتة وهوارة ونفوسة، هذه الجموع البشرية لم تبد أية مقاومة للمسلمين، لاسيما مجموعة لواتة التي سيطرت على المجالات الصحراوية الممتدة بين برقة ومصر خلال الفترة القديمة وكانت أعدادها كبيرة، فقاومت الاحتلال الروماني[2] وواجهت البيزنطيين بشراسة بين سنتي 545- 546م، لكن خلال الفترة المتأخرة من العهد البيزنطي استكانت وضعفت قوتها، مما دفع بالفاتحين المسلمين في مقدمتهم الوالي عمرو بن العاص إلى توجيه حملات عسكرية لإخضاع المنطقة لسلطته[3].

وعلى ضوء هذه العوامل الاستراتيجية انطلقت حملة عمرو بن العاص القيسي حسب النصوص الإخبارية[4] من معسكره الفسطاط، باتجاه مدينة أنطابلس "برقة" سنة 20هـ/641م، بناءً على معلومات قدّمها عقبة بن نافع المنحدر من العائلة الفهرية القيسية[5]، إذ عينه على رأس سرية قادها لاستكشاف أوضاع البلاد الليبية، فدخلها عمرو بن العاص مع الجند العربي دون أي مقاومة عسكرية لا من الروم البيزنطيين ولا من السكان المحليين، لا سيما من طرف قبيلة لواتة التي كانت تسيطر على المجال الجغرافي الممتد بين برقة وطرابلس، وقد صرحت بذلك بعض المصادر المتقدمة[6]، فقد "صالح أهلها على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف يبيعون فيها من أبنائهم من أجبوا بيعه"[7]، بيد أنه في جهة مقابلة يشير ابن أعثم إلى وجود مقاومة محلية اصطدمت بها الجيوش الإسلامية في الأقاليم المحيطة ببرقة، حيث أنه لما سار عمرو إلى هذه المدينة لم "يترك بساحتها حصنا حتى خرجوا إليه فحاربهم ساعة من النهار ثم إنهم انهزموا من بين أيدي المسلمين فزعين مرعوبين ...وقد قتل منهم ما قتل، ثم سألوا الصلح بعد ذلك، فأجابهم إليه عمرو بن العاص، فصالحهم على خمسمائة من السبي، ثلاثمائة غلام ومائتي جارية"[8].

---

[1] ابن أعثم، المصدر السابق، 265/1. الكندي، المصدر السابق، ص ص/37-38.

[2] Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle), Op. Cit, pp.315.

[3] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص ص/50- 51. Yves Modéran, Les Maures et l'Afrique, Op. Cit, pp.186-187.

[4] الكندي، المصدر السابق، ص ص/11-12. ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/198. ابن عذاري، المصدر السابق، 8/1.

[5] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 144/4.

[6] البلاذري، المصدر السابق، ص/221.

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/197.

[8] ابن أعثم، المصدر السابق، 270/2.

لقد دفعت النجاحات العسكرية العربية بقيادة عمرو بن العاص السهمي وعقبة بن النافع الفهري وبسر بن أرطأة وشريك بن سميّ الغطيفي بعد فتح كل من لبدة وأجدابية ومراقية وزويلة وودان وأنطابلس ومجالاتها[1]، إلى تقدم الجند الإسلامي نحو مدينة طرابلس التي حاصرها عمرو بن العاص شهرا كاملا[2]، لكنه لم يفتحها لما كانت تتميز به من تحصينات حربية ودفاعية منيعة حالت دون قدرته على اختراق سورها[3]، ومع ذلك تفطن رجل من بني مدلج كان برفقة بعض الجند العربي إلى طريقة أخرى لدخول مدينة طرابلس، تقضي باقتحامها من جهة الساحل لأنها ليست محصنة بحريا بسور أو جدار دفاعي[4]، وتمكن المدلجي من دخولها والوقوف عند كنيستها، حتى وصلهم المدد العربي بقيادة عمرو بن العاص والجند الإسلامي، فهربت جماعات الروم البيزنطيين راكبين في سفنهم ناحية البحر المتوسطي باتجاه القسطنطينية، وفتحت المقاتلة العربية مدينة طرابلس ثم اتجه عمرو بحملة عسكرية أخرى في اليوم الموالي إلى مدينة صبراتة التي احتمت بها الجماعات "البربرية" ففتحها[5].

إنّ تغير الوضعية القانونية للبلاد الطرابلسية وأنطابلس بسيطرة الفاتحين المسلمين عسكريا وجغرافيا على البلاد الليبية وإخضاع جماعات لواتة وهوارة ونفوسة لسلطتهم، قد جعل من الاستراتيجية الحربية لعمرو بن العاص تتخذ مجرى آخر يتمثل في التخطيط الهجومي ومباغتة "البربر" والروم البيزنطيين في حصونهم ومعاقلهم، وذلك من خلال تجهيز حملات عسكرية لمواصلة عمليات الفتوح غربا، مستغلين حالة الانتصار التي حققوها في البلاد الليبية[6]، وقد اقترح عمرو بن العاص على الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه التوغل في نواحي إفريقية، في كتاب أرسله إليه ورد فيه: "إنّ الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها، ويفتحها الله على يديه فعل"، فردّ عليه الخليفة بالجواب التالي: "لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"[7]. مما يبرهن على رفض عمر بن الخطاب تقدم المقاتلة العربية إلى وسط بلاد إفريقية خوفا على الجند العربي لقوة المقاومة المحلية والحضور البيزنطي الكثيف في المجالات الإفريقية[8].

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 408/2.

[3] النويري، المصدر السابق، 330/19.

[4] يُعبّر عن ذلك ابن خلدون بقوله: "وسار إلى طرابلس فحاصرها، وكانت مكشوفة السور من جانب البحر"، أنظر: كتاب العبر، 573/2.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/198. تيسير خلف، الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، ط1، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 1437هـ/2016م، ص/40. ابن عذاري، المصدر السابق، 8/1.

[6] ابن أعثم، المصدر السابق، 270/2.

[7] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص/199-200. البلاذري، المصدر السابق، ص/223.

[8] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/165.

والخلاصة، لقد تبدت الأدوار السياسية والعسكرية للعنصر القيسي ببلاد المغرب الشرقي من خلال شخصية الفاتح عمرو بن العاص السهمي الذي يعد أول من فتح مدائن البلاد الطرابلسية وحصون الساحل الليبي وبعض الدواخل الصحراوية، مبرما معاهدات سياسية انتظمت بموجبها العلاقة بين دار الإسلام والمجموعات السكانية المحلية في المجال الجغرافي الطرابلسي والبرقي على غرار كنفدرالية لواتة المسيطرة على المجالات الشرقية للمنطقة، وممهدا الطريق أمام قائد مضري آخر هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري، لكي ينطلق بالمقاتلين العرب في الجهات الغربية لتكملة عمليات الفتح الإسلامي، ولمواجهة القوات البيزنطية في معاقلها المحصنة خصوصا مدينة سبيطلة التي شكلت القاعدة الحربية للروم البيزنطيين ببلاد إفريقية.

ب- عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ودوره في فتح القاعدة البيزنطية "سبيطلة":

أشارت النصوص المصدرية[1] إلى عزل عمرو بن العاص من على رأس قيادة الحملات العسكرية ببلاد المغرب سنة 25هـ/646م، واستبداله بعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري المضري، ليكون قائدا على الجند العربي في المرحلة الثانية من تاريخ حركة الفتوحات الإسلامية في الجبهة المغاربية، وفيما يتعلق بنسبه فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جَذِيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2]، كان أخا للخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في الرضاعة، وكاتبا لوحي الرسول صلى الله عليه وسلم[3]. وبالتالي، يعود أصله إلى ولد عامر بن لؤي القرشيين المنتمين إلى الجذور المضرية القيسية من عرب الشمال العدنانيين[4].

في سنة 25هـ/646م طلب عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري الإذن من مركز الخلافة الإسلامية لمواصلة فتح بلاد إفريقية، والواقع أنّ الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه قد تخوف من خوض الجند العربي مهمة عسكرية ثانية تكون صعبة في ظل الظروف التي تعرفها بلاد المغرب[5]، من ذلك، أنّ الفاتحين سيصطدمون بالتحصينات

[1] البلاذري، المصدر السابق، ص/220. المالكي، المصدر السابق، 66/1. الكندي، المصدر السابق، ص/12. النويري، المصدر السابق، 7/24 فما بعدها.

[2] ابن سعد، المصدر السابق، ص/447. المبرد، المصدر السابق، ص/4. ابن حزم، المصدر السابق، ص/464. كحالة، المرجع السابق، 713/2.

[3] أبو العرب، طبقات علماء إفريقية، ص/4. الصفدي، المصدر السابق، 10/17. ابن خلكان، المصدر السابق، 344/4.

[4] ابن حزم، المصدر السابق، ص/464. البغدادي، المصدر السابق، ص/70.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص/199-200.

الدفاعية البيزنطية[1]، فضلا عن عدم معرفتهم بالبلاد الإفريقية جغرافيا وبشريا[2]، مع تعدد جبهاتها الحربية، وتوزع مراكز الروم وتجمعات السكان المحليين من "البربر"، ويضاف إليها قوة الحلف البيزنطي والمجموعات "البربرية"، إلى جانب تقدم المقاتلة العرب كثيرا في المجالات المغربية وابتعادهم عن معسكرهم بالفسطاط في مصر.

ولئن كانت هذه الوضعية الأمنية في نظر سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل معقدة ولا تحفز على فتح أقاليم بلاد المغرب[3]، فإنّ مركز الخلافة قد أعطى أمرا لعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري بتجهيز الجند العربي وتوجيه الجهد الحربي لمقاتلة الجيش البيزنطي والبربر المتمركزين في الأقاليم الداخلية[4]، فسلك عبد الله المحور الداخلي تلافيا لخطر المقاومة المحلية والقوات البيزنطية المتمركزة بالحصون الساحلية، وقد شاركه قائدان آخران من العرب الفهرية القيسية هما عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين[5]، وسار في الطريق الممتد من طرابلس مرورا بحصن قابس إلى قمودة ووصولا إلى مدينة سبيطلة مركز ثقل السلطة البيزنطية بالبلاد الإفريقية.

وقد كانت هذه المدينة من أكبر المراكز العمرانية الرومانية قديما، ثم تحولت إلى عاصمة للبطريق جرجير عقب إعلانه الانفصال عن القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية خلال العهد البيزنطي[6]، ومثلما تعددت معالمها المدنية والدينية كالبيوت والكنائس والمعابد[7]، اتصفت كذلك بتحصيناتها الدفاعية خلال فترة العصر القديم المتأخر، على غرار الأبراج العالية وبعض الأسوار الجزئية الداخلية[8]، وهو ما يبرهن على أدوارها العسكرية والأمنية خلال الحقبة البيزنطية.

---

[1] يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص/321. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص/33.

[2] البلاذري، المصدر السابق، ص/223.

[3] ابن أعثم، المصدر السابق، 258/2. النويري، المصدر السابق، 7/24.

[4] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 252/4. ابن عذاري، المصدر السابق، 8/1.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص/224. الطبري، المصدر السابق، 252/4. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 462/2.

[6] تيسير خلف، المصدر السابق، ص/40.

[7] Duval Noël, «Sufetula : l'histoire d'une ville romaine de la Haute Steppe à la lumière des recherches récentes», L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.), Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990. p. 513.Silvio Moreno, «Sbeitla, la splendeur de la chrétienté africaine». Dossier d'Histoire et Archéologie chrétienne, Tunis, 2020, p.7.

[8] Duval Noël, Op, Cit., p.505.

الشكل رقم (06): البوابة الرئيسية لمدينة سبيطلة وبقايا أسوارها الجانبية[1].

تقدمت نحو التخوم الشرقية لإفريقية جموع الجيش العربي أو كما سميت في المصادر المتقدمة بجيش العبادلة[2] نسبة إلى أسماء العناصر المكونة لتركيبته وفي مقدمتهم الصحابة رضي الله عنهم مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص، ووقع الاختيار على هؤلاء العبادلة لإضفاء شحنة رمزية تهدف إلى إبراز صورة قريش بوصفهم القوة التي نبع منها الإسلام والتي صنعت انتصاراته[3]، وقد قدرت أعداد المقاتلين في جيش عبد الله

[1] أنظر: الصور في دراسة محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص ص/176، 178. Silvio Moreno, Op. Cit., p.9.

[2] يحسن التنبيه هنا أنّ الأصول البشرية المكونة للجند العربي في حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح أغلبها من العرب المضرية الشمالية من بني عدنان، فالنويري يذكر قائمة البطون القبلية التي انحدرت منها العناصر العربية المشكلة لجيش العبادلة، ويقول في ذلك: خرج في الجيش من بنى هاشم: عبد الله بن عباس وكان واليا على المسلمين وعبيد الله بن عباس؛ ومن بنى تيم: عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضى الله عنهما، وعبد الرحمن بن صبيحة في عدّة من قومه، ومن بنى عدي: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وعبيد الله بن عمر، وعاصم بن عمر في عدة منهم؛ ومن بنى أسد ابن عبد العزّى: عبد الله بن الزّبير في عدة من قومه؛ ومن بنى سهم: عبد الله بن عمرو بن العاص والمطّلب بن السّائب بي أبي وداعة، في عدة منهم. وخرج في الجيش مروان بن الحكم، وأخوه الحارث، وجماعة من بنى أميّة، والمسور بن مخرمة ابن نوفل، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وعدة من بنى زهرة؛ ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب: السائب بن عامر بن هشام، وبسر بن أرطاة؛ وعدة من بنى هذيل، منهم أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي– وتوفي بإفريقية ووراه في قبره عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن أنيس وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو البهراني، وبلال بن الحارث المزني، وعاصم، ومعاوية بن حديج، وفضالة بن عبيد، ورويفع بن ثابت، وجرهد بن خويلد وأبو زمعة البلوي، والمسيّب بن حزن، وجبلة بن عمرو الساعدي، وزياد بن الحارث الصّدائي، وسفيان بن وهب، وقيس بن يسار بن مسلمة، وزهير بن قيس، وعبد الرحمن بن صخر، وعمرو بن عوف وعقبة بن نافع الفهري، وخرج من جهينة ستمائة رجل، ومن أسلم حمزة بن عمرو الأسلمي، وسلمة بن الأكوع في ثلاثمائة رجل، ومن مزينة ثمانمائة رجل، ومن بنى سليم أربعمائة رجل، ومن بنى الدّيل وضمرة وغفار خمسمائة رجل، ومن غطفان وأشجع وفزارة سبعمائة رجل، ومن كعب ابن عمرو أربعمائة رجل. النويري، المصدر السابق، 8/24 فما بعدها. ونقل حسين مؤنس نفس النص من النويري، أحليك إلى دراسته، فتح العرب للمغرب، ص/175 "هامش".

[3] حياة عمامو، المرجع السابق، ص/34.

بن سعد بن سرح العامري بعشرين ألفا في معظم النصوص الإخبارية[1] وبثلاثة وعشرين ألفا حسب ابن أعثم[2]. لقد تمكنت الجيوش العربية من اختراق المحور الممتد بين طرابلس وقابس والنزول بفحص قمودة[3] خلال سنة 27هـ/648م[4] الذي بثّ السرايا في كل النواحي والجهات للظفر بالغنائم وتمهيد الطريق للمقاتلين العرب[5]، مما جعل الجيش البيزنطي يتأهب للخطر الإسلامي الداهم بهدف دفعه عن التخوم الشرقية، ويشير النويري إلى التجهز العسكري البيزنطي للتصدي لحملة عبد الله بن سعد في قوله :"وكان ملكهم يدعى جرجير وسلطانه من طرابلس إلى طنجة...، فلما بلغه الخبر بورود الجيوش الإسلامية، جمع وتأهب للقاء، فبلغ عسكره عشرين ومائة ألف"[6].

ويتبين لنا من معطيات النصوص الإخبارية أنّ البطريق جرجير خرج مع جيشه من سبيطلة إلى فحص قمودة لما أحسّ بقرب الخطر الإسلامي من عاصمة المزاق[7]، مفضلا مجاراتهم في هذا المجال الجغرافي لتسهيل تحركات وحدات الجيش البيزنطي المقدرة بمائة وعشرين ألف حسبما ذكرناه سابقا، وكذلك من أجل إبعاد الفاتحين عن قاعدته سبيطلة، ولأنّ المقاتلة العرب نزلوا بنفس الموضع، حيث يذكر النويري "وتلاقى الجمعان في فحص متسع يسمى بعقوبة"[8]، وفي روايات أخرى فحص قمودة الذي "بينه وبين دار ملك الروم مسيرة يوم وليلة"، وجرت المعركة بين الطرفين بالقرب من "المدينة المسماة سبيطلة...ودامت الحرب بين الفريقين وطالت فانهزمت الروم وقتل ملكهم"[9]. ونجحت الاستراتيجية العسكرية العربية المتبعة للمرحلية في تخطي العقبات المتتالية، وفي فتح مسلك آمن أمامها، دون أي تجرؤ على السيطرة على المدن والحصون البيزنطية، وكذلك القبائل البربرية، وهي مخاطر كامنة في خط سير الجند

[1] ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص/81. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 463/2. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، 9/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 141/6.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/183. البلاذري، المصدر السابق، ص/228. ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، 9/1. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 10/24.

[3] اختلفت النصوص المصدرية في تسمية الموقع الذي جرت فيه المعركة بين الجند العربي والقوات البيزنطية بقيادة البطريق جرجير، فهنالك من الإخباريين من سماها "عقوبة" حسب ما ذهب إليه البلاذري والنويري، وهناك من أطلق عليها لفظ قمودة مثل ابن خياط وابن الأثير وابن خلدون، وهو الراجح، لأنّ التسمية الأولى اشتهرت بها المنطقة في النصوص الجغرافية، ولم ترد كلمة عقوبة في حدود اطلاعنا عند الجغرافيين، كما أن اليعقوبي يشير إلى هذا الموضع في قوله: "بلاد قمودة وهو بلد واسع فيه مدن وحصون والمدينة التي ينزلها العمال، والمدينة القديمة العظمى التي يقال لها سبيطلة". وكانت قمودة خلال العصر الأغلبي من أشهر الأقاليم، ولعل تصحيف كلمة "قمودة" إلى "عقوبة" سبّب هذا الخلاف بين المؤرخين. أنظر: البلاذري، المصدر السابق، ص/224. ابن خياط، المصدر السابق، ص/160. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/188. محمد حسن، الجذور التاريخية بلاد المغرب، ص/176.

[4] الفتوح، 360/2.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 463/2.

[6] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 11/24.

[7] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/160.

[8] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 15/24.

[9] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

العربي[1]، مما يؤكد على الخبرة التي كان يتحلى بها القادة الفاتحون في الجانب العسكري من بداية مسير الجيش الإسلامي وتعبئته إلى نهاية المعارك الحربية.

لقد حققت هذه المعركة المفصلية التي برزت فيها أدوار العرب المضرية العدنانية تقدما في حركة الفتوح الإسلامية في جبهة إفريقية، وتراجعت القوة العسكرية البيزنطية بعد الاستيلاء على مقاطعتهم المزاق وعاصمتهم سبيطلة والقضاء على ملكهم البطريق جرجير[2]، كما غنم المسلمون الكثير، إذ بلغ سهم الفارس حسب ابن عبد الحكم[3] ثلاثة آلاف مثقال وسهم الراجل ألف مثقال ذهبا، وقدّم الروم المستقرون بقرطاجنة مائة قنطار ذهبا لعبد الله بن سعد بن سرح فقبلها منهم[4]، وعمد إلى فتح العديد من الحصون والمدن على غرار قفصة ومرماجنة وحصن الأجم الذي نزح إليه أهل البلاد وتحصنوا به ليكونوا في مأمن من الجند الفاتح[5]، وقبل رجوعه إلى الفسطاط أبرم معاهدة مع عظماء ووجهاء إفريقية الذين اتفقوا أن يعطوا لعبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار من الذهب مقابل الانسحاب من أراضيهم، فوافق عبد الله بن سعد وقفل إلى مركز الولاية المصرية منهيا المرحلة الثانية من الحملات الإسلامية على بلاد المغرب.

من خلال هذه الأمثلة المبينة أعلاه، يتضح جليا الدور السياسي والعسكري البارز للعرب المضرية الشمالية سواء أكانت قيسية أو قرشية أو تميمية في تاريخ حركة الفتوح ببلاد إفريقية، فالعديد من المصادر تبرهن على الدور الفعال لعبد الله بن سعد العامري والقائدين الفهريين عبد الله بن نافع بن عبد قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين والمقاتلة العربية التي تشكلت من غالبية مضرية في توطيد السيطرة الإسلامية على مجالات إفريقية ومدنها خاصة في الأقاليم الداخلية، ولئن انسحبت الجيوش الإسلامية من بلاد المغرب إلى فسطاط مصر عقب حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، إلا أنّ حركة الفتح العربي ستتواصل في السنوات الموالية، ويبرز فيها قادة آخرون يسجلون حضورهم القوي من خلال تحقيق الانتصارات العسكرية على مستوى الجبهة المغاربية على غرار عقبة بن نافع الفهري القيسي.

ج- عقبة بن نافع الفهري القيسي ...الإنجازات العسكرية:

[1] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/169.

[2] ابن أعثم، المصدر السابق، 361/2.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/211.

[4] المالكي، المصدر السابق، 27/1.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 464/2. ابن خلدون، كتاب العبر، 574/2. السلاوي، المصدر السابق، 93/1.

برزت شخصية عقبة بن نافع الفهري كقائد عسكري ببلاد المغرب في المرحلة الأولى التي انطلقت فيها الحملات العسكرية الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص السهمي، وتعود الأصول الإثنية لعقبة بن نافع إلى عرب الشمال، إذ ينحدر من الأصول الفهرية القرشية[1]، نسبة إلى فهر بطن من قريش، من العدنانية، فهو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن عامر بن فهر القرشي الفهري[2].

لقد أشارت كتب فن الفتوح إلى قيام عمرو بن العاص السهمي في مرحلة ولايته على مصر بتعيين ابن خالته عقبة بن نافع الفهري على قيادة كتيبة من الجند العربي المتوجه إلى بلاد المغرب لفتحها[3]، حيث عهد له بالقيادة في كثير من الحملات الحربية العربية، وأول نشاط حربي لعقبة بن نافع كان سنة 20هـ/641م في الجهة الغربية عندما أغزاه عمرو بن العاص لتأمين التخوم الغربية لبلاد مصر[4]، هو ما يوحي بالدّور الفعال للعنصر الفهري في حركة الفتوح بالجبهة المغاربية، وقد نجح عقبة في حركته العسكرية "فافتتح زويلة بصلح وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين"[5].

وتبرهن شهادة خليفة بن خياط أنّه بلغ في سنة 41هـ/661م مجالات لوبية ومراقية[6] وغزا المجموعات المستقرة هناك "فأطاعوا ثم كفروا فغزاهم في سنته فقتل وسبى"[7]، كما كُلّلت جهود عقبة بن نافع الفهري في سنة 42هـ/666م برفقة بسر بن أرطأة وشريك بن سُمَيّ الغُطيفيّ المرادي بإخضاع قبائل لواتة ومزاتة وفتح غدامس[8]، وتسميتها حسب رواية ابن عبد الحكم[9] مغدامش من أقاليم سرت. والهدف من الاستحواذ على هذا الإقليم الجغرافي هو إحكام السيطرة على طريقي الجادّة الكبرى والصحراوي، اللذين يمثلان عماد النشاط الاقتصادي لدى لواتة ومزاتة، مما أدى إلى الفصل بين القبيلة ومجالها الاقتصادي[10].

---

[1] الزبيري، نسب قريش، تح: ليفي بروفنسال، ج1، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1953/1372م، ص/442.

[2] ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ص/57. ابن حزم، المصدر السابق، ص/464.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 17/3. ابن خلدون، كتاب العبر، 169/3.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، 8/1.

[5] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/198.

[6] هما كورتان من كور تقعان على ساحل البحر المتوسط بين كورة الإسكندرية وبرقة. اليعقوبي، المصدر السابق، ص/177. الحموي، المصدر السابق، 25/5.

[7] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/204.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 17/3.

[9] فتوح مصر والمغرب، ص/222.

[10] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/199.

وتمكن في سنة 43هـ/663م من دخول كورا من بلاد السودان وودّان وغزوها[1]، كما تركزت في نفس السنة أي في عام 43هـ/663م عمليات الفتح في جهات هوارة ولبدة، بحيث "عقد عمرو بن العاص لعقبة بن نافع على غزو هوارة ولشريك بن سمي على غزو لبدة، فغزاهما"[2]. وتواصل نشاط الفاتح الإسلامي عقبة بن نافع في الأقاليم الصحراوية الجنوبية في فزان عبر طريق الواحات[3]، حيث قام بفتح القصور الصحراوية التابعة لفزان بدءًا بقاعدتها جرمة، مرورا بقصور كوّار وخوار في أقصى المجال الجنوبي لزويلة[4].

ومهما قد تكون طبيعة هذه العمليات الحربية سواء هجومية كانت أو استطلاعية كشفت خبايا المجالات المغاربية ومعطياتها البشرية والجغرافية[5]، والتي قام بها عقبة بن نافع الفهري في أقاليم متسعة من بلاد المغرب بمثابة امتحان اجتازه، وهذا ما سيجعل من الخليفة معاوية بن أبي سفيان يقرر تعيينه قائدا للجند العربي، لعله يتمكن من تنفيذ الخطة الجديدة التي تخول للمسلمين السيطرة على إفريقية وما وراءها بصورة جدية[6].

د- عقبة بن نافع ومدينة القيروان: من التخطيط إلى البناء والتعمير(50-55هـ/670-675م):

تغيرت الاستراتيجية الحربية لدى عقبة بن نافع من انسحابه بالمقاتلة العربية نحو المجالات الطرفية شرقا إلى الاستيطان الدائم ببلاد المغرب من خلال اختطاطه للقيروان، وهو ما يتيح للمسلمين السيطرة النهائية على المجالات الجغرافية لجموع "البربر" والجاليات اللاتينو- بيزنطية، خاصة وأنّ المقاومة المحلية نجحت في كل مرة في استرجاع سيادتها على أقاليمها عقب حملات الفتح الإسلامي، لأنه "لم يكن لإفريقية يومئذ قيروان ولا مصر جامع"[7] ولا يتأتى استقرار الجند العربي بالمنطقة وتحقيق المسلمين لنتائج مفصلية في حركة الفتوح، إلا من خلال تشييد مركز عمراني يكون موضعه استراتيجيا في شكل حلقة وصل تربط المجالات الداخلية بصحراء إفريقية جنوبا وبساحلها البحري شمالا، فيصبح هذا المركز بمثابة قاعدة استيطان بشري تثبّت المركب العربي بالجبهة المغاربية، فضلا عن كونها منطلق للحملات الإسلامية في مختلف الجهات الجغرافية.

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، 324/2. خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/206. أبو المحاسن، المصدر السابق، 125/1.

[2] الكندي، المصدر السابق، ص/27.

[3] موسى لقبال، عقبة بن نافع، وزارة الثقافة، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص/23.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص ص/222-223.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص/222. ابن الأثير، أسد الغابة، 57/4.

[6] حياة عمامو، المرجع السابق، ص/49.

[7] البلاذري، المصدر السابق، ص/225.

تمت عملية إنشاء القيروان في المنطقة الداخلية لإفريقية بعيدة بذلك عن البحر المتوسطي والخطر البيزنطي شمالا[1]، وهو ما يفهم من قول عقبة بن نافع عندما دعا أتباعه لتخطيطها قائلا:" إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيهلكها ولكن اجعلوا بيننا وبين البحر ما لا يدركها صاحب البحر"[2]، وقد تحكمت خطورة الجماعات البربرية في موضعها بالقسم الجنوبي، ذلك أنها شيدت في إقليم وسط حتى يتسنى لها صد كل الغارات الهجومية للقبائل المحلية، مما يفسر معرفة عقبة بن نافع لشبكة العمران المغاربي والمسالك القديمة الواصلة بين مدنه وحصونه، فقد اهتم منذ بداية حملاته الأولى بغزو المجالات الداخلية، وتراكمت لديه خبرة عسكرية كبيرة مكنته من تحديد مكان تأسيس القيروان بدقة[3]، في موقع هام يقع عند مفاصل الطرقات الداخلية المتفرعة نحو الاتجاهات الأربع، وذلك بعد تردد طويل ودراسة للمجال والمسالك والمناخ والغطاء النباتي[4]، كما أنّ اختيار عقبة بن نافع لهذا الموضع الجغرافي، جاء نتيجة للنشاط الحربي العربي وقيادته لحملات عسكرية تمت في مراحل سابقة، وتمثلت نتائجها في فتح عديد القصور الصحراوية والمدن الواقعة في الدواخل الإفريقية.

في سنة 50هـ/670م انطلقت أشغال البناء في موقع القيروان، كما هو مبين في رواية البلاذري "فغزا عقبة إفريقية في عشرة آلاف من المسلمين، فافتتح إفريقية واختط قيروانها"[5] في موضع مدينة قديمة سميت قمونية تقع في السهوب الداخلية للمزاق، والتي كانت تشكل حصنا في الخط الدفاعي البيزنطي إلى جانب حصن جلولا وحصن ممس[6].

وتشير النصوص الإخبارية والوصفية إلى أن مشروع بناء القيروان قد ابتدأه عقبة بن نافع بإنشاء دار الإمارة مركز سلطة القادة الفاتحين، ثم شيّد الجامع محددا اتجاه القبلة، وأمر عقبة القبائل العربية باقتطاع الأرض واختطاط العمران، "فعمّر الناس المدينة فاستقامت"[7] في سنة 55هـ/675م "وبنى الناس الدور والمساكن"[8]، وقد بلغت مساحتها

[1] الحموي، المصدر السابق، 420/4.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، 19/1.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص/226.

[4] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/130.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص/226.

[6] Ahmed M'Charek, «De Zama à Kairouan : la Thusca et la Gamonia, Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique», Hommage à Pierre Salama, Publication de la Sorbonne, pp., 139-183.

[7] الحموي، المصدر السابق، 421/4.

[8] البلاذري، المصدر السابق، ص/226.

حسب ابن الأثير[1] ثلاثة آلاف وستمائة باع، وفي شهادة ابن عذارى[2] ثلاثة عشر ألفا وستمائة ذراع، وأضحى نسق التمصير والتعمير بها سريعا ولم يأت القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حتى زخرت بالمجموعات السكانية بتعدد أجناسها، "البربر" والروم والعرب ويوجد في الصدارة المنتسبون إلى المركب القرشي، ومنهم بنو فهر الذين كانت خطتهم قرب الجامع[3].

وحسب الإصطخري[4] فقد تشعبت شبكة الطرق والمسالك البرية ببلاد إفريقية عقب إنشاء مدينة القيروان، والتي كانت قطبا عمرانيا تلتقي فيه وتتفرع عنه كل الدروب والمسالك الحيوية، حيث أسهمت في ربط أغلب المراكز العمرانية الرئيسية ببعضها البعض في بلاد المغرب، ففي الجهة الغربية تواجد الطريق الممتد بين القيروان وقابس وطرابلس إلى ناحية مصر، وشرقا من القيروان إلى سبيبة وسطيف ثم يمر عبر مدينة تاهرت وفاس ووصولا إلى السوس الأقصى، أمّا جنوبا فقد تدّعمت القيروان بطريق رئيسي يصل بينها وبين زويلة والمهدية، كما تفرع مسلك آخر عن القيروان باتجاه مدينة تونس والمنستير وطبرقة في الجهة الشمالية[5].

وتتحدد أهمية مدينة القيروان في كونها قاعدة عسكرية ظلت تأوي بين أسوارها الجند العربي بعدته وعتاده الحربي، ومنها تنطلق السرايا والبعثات وحملات المقاتلين العرب باتجاه النواحي المختلفة، كما شكلت ثغرا محصنا لتوطن العائلات العربية الوافدة والمحلية بتنوع إثنياتها، وتوسعت شبكات الاستيطان البشري بداخلها وفي النواحي المتاخمة لها، كما كانت لها أهمية إدارية تتمثل في إدارة الشؤون السياسية لبلاد إفريقية، وجعلها موقعها الجغرافي تتحول إلى قطب اقتصادي مميز، مما أدّى إلى تطور شبكة المسالك الرابطة بينها، فأضحت القلب النابض لإفريقية ومحور ازدهارها، لاسيما في القرنين الأول والثاني الهجريين/السابع والثامن الميلاديين.

ومن جهة أخرى، بعد تمام عملية بناء القيروان في سنة 55هـ/675م قام والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري بعزل عقبة بن نافع الفهري وتعيين أبي المهاجر بن دينار خلفا له، فتوقفت إسهامات القادة المنحدرين من المركب الفهري القرشي في حركة الفتوح الإسلامية، ودامت مرحلة عزله سبع سنوات كاملة، أبدى من خلالها عقبة بن نافع امتعاضه الشديد تجاه طريقة تنحيته من طرف والي مصر مسلمة بن مخلد وأبي المهاجر[6]، وذلك ما يظهر في قول ابن

[1] الكامل في التاريخ، 63/3.

[2] البيان المغرب، 21/1.

[3] محمد حسن، الجذور التاريخية لبلاد المغرب، ص/141.

[4] المسالك والممالك، ص/46.

[5] البكري، المصدر السابق، 693/2.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 63/3.

عبد الحكم:" ثم قدم عقبة على معاوية بن أبي سفيان فقال له: فتحت البلاد وبنيت المنازل ومسجد الجماعة ودانت لي، ثم أرسلت عبد الأنصار فأساء عزلي"[1]، وفي رواية المالكي: "بعثتم عبد الأنصاري فأهانني وأساء عزلي"[2]، ومن المؤكد أنّ تغير موازين اللعبة السياسية التي دخلها معاوية بن أبي سفيان منذ توليته هي السبب في عزل عقبة بن نافع من خلال منح خليفة المسلمين مناصب هامة لأتباعه، وخاصة أولئك الذين ساعدوه على مواجهة أعداءه في حرب الخلافة، فقد دّلت إشارة ابن عذارى على ذلك عندما وضّح معاوية لعقبة وضعيته من وراء استبداله[3]، وإمكانية إرجاعه إلى منصبه، فقال له: "قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الإمام عثمان...طِعْ من أطاعه من قومه ومواليه وأنا أردّك إلى عملك"[4].

وفي سنة 62هـ/681م طرأت تغيرات على مستوى القيادة العسكرية ببلاد إفريقية، فقد أمر الخليفة يزيد بن معاوية عقبة بن نافع بالعودة إلى منصبه للمرة الثانية، وفتحت أبواب بلاد المغرب من جديد أمام القائد الفهري الذي قدمها في جيش قدرت النصوص الإخبارية[5] أعداده بعشرة آلاف فارس، ولما وصل إلى قاعدته بإفريقية "خرج بأصحابه وبكثير من أهل القيروان إلى المغرب، واستخلف عليها عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي، وخرج بأبي المهاجر معه موثقا"[6] لاستئناف حملاته على الحصون والمجالات الواقعة في الجهة الغربية.

أخذت عمليات الفتح تتواصل بقيادة عقبة بن نافع لتستهدف الحصون والقلاع البيزنطية، ويشير الرقيق إلى أنّه: "احتصر صاحب قلعة مجانة، فلجأ النصارى إلى مدينة باغاية"[7]، فتتبعهم وجرت بين الطرفين معركة انتهت بدخول الروم إلى حصنهم وظفر العرب بخيل لم ير المسلمون في مغازيهم أصلب منها[8]، كما قاد حملة طالت مجالات الزاب وبلاد الأوراس وبلاد الجريد[9] ففتح حصن لميس ثم اتجه إلى أذنة[10] قاعدة بلاد الزاب وهي "مجمع ملوك الزاب وكان حولها ثلاثمائة قرية وستون قرية وكلها عامرة ولما بلغهم أمره لجأوا إلى حصنهم، وهرب بعضهم إلى الجبال والوعر

---

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/225. ابن عذاري، المصدر السابق، 22/1.

[2] المالكي، المصدر السابق، 34/1.

[3] حياة عمامو، المرجع السابق، ص/53.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، 22/1.

[5] المالكي، المصدر السابق، 34/1.

[6] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[7] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص/11-12.

[8] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 25/24.

[9] ابن خلدون، كتاب العبر، 237/4. السلاوي، المصدر السابق، 137/1.

[10] وردت صيغتها الإسمية في النصوص المصدرية بأشكال مختلفة نذكر منها: "أدنة" و"أربة" و"أزبة"، ويشير الباحث كامبيزات إلى أن التسمية وقعت تحت التصحيف وهي في أصلها مدينة قديمة تسمى:"Zabi Justiniana"، أنظر: Cambuzat , Op. Cit., pp, 322-323

ونزل واديا... وكانت بينهم حرب...فانهزم القوم وقتل فيها أكبر فرسان البربر، فذهب عزهم من الزاب"[1]، ويمكن تفسير سقوط بلاد الزاب في يد الفاتحين بتراجع الروم البيزنطيين إلى حصونهم وتفادي المواجهة العسكرية المباشرة، مما جعل هذا الإقليم الجغرافي سيتحول إلى محور رئيس بالمغرب الأوسط أتاحت عملية السيطرة عليه فتح باقي المجالات الجغرافية من طرف الحاميات العربية[2].

ويشير ابن عبد الحليم[3] إلى توغل عقبة بن نافع والجند العربي عبر المحور الداخلي الممتد من بلاد الزاب إلى تاهرت، حيث وجد في مجالاتها العديد من الجماعات القبلية المناوئة لحملاته مثل لواتة وهوارة وزواغة ومطماطة وزناتة ومكناسة، فأعلن الحرب عليهم وقاتلهم حتى أخضعهم، ثم تفرغ لقتال النصارى من الروم البيزنطيين، وبعد إخضاع وتشتيت المجموعات القبلية بالمغرب الأوسط، شق عقبة بن نافع الطريق نحو المغرب الأقصى قاصدا مدينة طنجة مركز تجمع الروم، ولما وصل إليها مع الجند العربي سنة 63هـ/682م، وجد عليها بطريقا يسمى يليان الرومي، ففتحها سلميا وأهدى إليه يليان هدية حسنة، كما قدّم له معطيات هامة عن تجمعات "البربر" في الجهة الجنوبية لطنجة خاصة في منطقة وليلي وبلاد المصامدة[4]، فرحل الجند العربي إلى السوس الأدنى، وهو في جنوب مدينة طنجة التي تسمى تارودانت، "فانتهى إلى أوائلهم فقتلهم قتلا ذريعا"[5]، ثم فتح أغمات ونفيس ودرعة وبلاد حاحة ورجراجة[6].

في خضم هذه المتغيرات السريعة التي شهدتها المجالات الغربية بعد وصول المسلمين إليها، قرّر عقبة بن نافع الفهري العودة إلى قاعدته القيروان، وكان من الضروري الأخذ بعين الاعتبار مجابهة المقاومة المحلية والبيزنطية للمسلمين عبر الطريق الداخلي في الجهة الجنوبية لجبال الأوراس، لكن عقبة بن نافع لم يهتم للأمر واكتفى بصرف المقاتلة العرب عنه باتجاه القيروان، وأمرهم بالرجوع إلى إفريقية "فوجا فوجا"[7]، ثم اتجه هو ومن بقي معه من الجند إلى تهودا وبادس، فأدركه الجيش البيزنطي – البربري في شكل تحالف عسكري كان على رأسهم كسيلة بن لمزم الأوربي من

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص/11-12.
[2] الطاهر طويل، المدينة الإسلامية وتطورها، ص/102.
[3] كتاب الأنساب، ص/87.
[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 237/4.
[5] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 28/24.
[6] ابن عبد الحليم، المصدر السابق، ص ص/88-89.
[7] المالكي، المصدر السابق، 39/1.

قبيلة أوربة[1]، وقد أشار ابن خياط[2] إلى وقوع معركة بين المسلمين والحلف البربري البيزنطي، انتهت بمقتل عقبة بن نافع وأبي المهاجر بن دينار والجند العربي المرافق لهما.

ختاما، يمكن أن نقر بأنّ عقبة بن نافع يعد من بين أبرز الشخصيات المنحدرة من الأصول الفهرية القرشية التي لم تنقطع جهودها عن المشاركة في حركة الفتح منذ البواكير الأولى لتحركات الجند الإسلامي باتجاه بلاد المغرب، وغالبا ما نلمس أدوراه الفعالة في مختلف النصوص الإخبارية المتقدمة والمتأخرة، والتي أبانت عن توغله في مجالات المغرب الأوسط والمغرب الأقصى وصولا إلى المحيط الأطلسي، فضلا عن ذكر المظان المصدرية لإنجازاته الحضارية التي لم يسبق لها مثيل تتجلى في تمصيره لحاضرة القيروان وإدخاله أنماط العمارة الإسلامية لإفريقية، ومساهمته في توطين القبائل العربية القيسية واليمانية والقرشية بها، مما يبرهن على سيرته الحافلة بالانتصارات العسكرية والإنجازات العمرانية الحضارية.

هـ- دور الجماعات القيسية في بلاد المغرب من القرن الثاني الهجري/8م إلى منتصف القرن الخامس الهجري/11م:

خلال عصر الولاة لما تولى عبيد الله بن الحبحاب شؤون إدارة الولاية في عهد هشام بن عبد الملك سنة 116هـ/735م[3]، كلّف القائد القيسي حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع للقيام بفتح مجالات السوس الأقصى، وتواصلت حملاته العسكرية بجزيرة سردانية وصقلية[4]، واستغل المغاربة ذلك فانتفضوا على عبيد الله بن الحبحاب وقاموا بثورات في المغرب ضد العمال العرب بسبب سياسة التخميس والتجاوزات الخطيرة التي قام بها عمر بن عبد الله المرادي في المنطقة[5]، وبعد سماع الخليفة هشام بن عبد الملك بمجريات الأحداث في المغرب عزل عبيد الله بن الحبحاب وعين مكانه كلثوم بن عياض القشيري في منصب الولاية وكان ينحدر من أصول قيسية مع جيش عربي[6]، يكون من المحتمل احتواؤه على عدد كبيرة من القيسيين، خاصة وأنه بلغ ثلاثين ألف مقاتل من مقاتلة العرب[7].

---

[1] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/226.

[2] تاريخ خليفة بن خياط، ص/251.

[3] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/347. ابن خلدون، كتاب العبر، 156/6.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4.

[5] السبب الرئيسي في ثورات "البربر" هو سياسية التخميس التي اتبعها عمر بن عبد الله المرادي في طنجة على المغاربة وهو معتنقون للدين الإسلامي، فقاموا بإعلان الثورة على الحكم العربي بقيادة ميسرة المدغري ثم خالد بن حبيب الزناتي، وانتصروا على الجيش العربي في غزوة سميت بالأشراف. الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص ص/108-109. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4-225. السلاوي، المصدر السابق، 162/1.

[6] البلاذري، المصدر السابق، ص/229.

[7] لطفي بن فرج، المرجع السابق، ص/230.

وتزودنا المصادر التاريخية المبكرة خلال نفس الفترة التي تلت مرحلة الفتوح الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي، بقائمةٍ لأسماء الأعلام البشرية المنحدرة من الفرع العدناني الشمالي، تتنوع أصولهم الإثنية بين الأصول القيسية والأصول القرشية والتميمية وغيرها، وكان لهذه الشخصيات مساهمات وأدوار فعالة وبارزة في تاريخ المنطقة، على غرار حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع، الذي غزا السوس الأقصى بأمر من عبد الله بن الحبحاب وأخضع قبيلة مسوفة، ووصل بحملاته إلى بلاد السودان فغنم منها الكثير، وقد قاد حملة أخرى إلى صقلية شاركه فيها ابنه عبد الرحمن بن حبيب[1]، أمّا يزيد بن أبي مسلم فقد عين واليا وقام بتجاوزات خطيرة كالوسم في يد الحرس مما أدّى إلى قيام ثورات "البربر"[2]، كما برزت شخصية عبيدة بن عبد الرحمان السلمي القيسي كوالي للمغرب عقب وفاة بشر بن صفوان[3]، ومحمد بن يزيد القرشي هو الآخر عين واليا على المغرب من طرف الخليفة سليمان بن عبد الملك[4]، وابن الجارود الذي ارتبط اسمه طوبونيميا بإحدى المواضع بإفريقية[5]، وهو الذي قدّمه الجند بإفريقية فأعلن الثورة على أميرها الفضل بن روح بن حاتم سنة 178هـ/794م.

في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي شكلت بلاد المغرب الإسلامي قبلة للهجرة الإدريسية بعد نكبتهم في معركة فخ سنة 169هـ/786م، فقد وصل عبر محور الطريق المؤدي من برقة إلى القيروان ثم تلمسان ووصولا إلى المغرب الأقصى رجل ينتمي إلى الأصل العدناني يدعى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب[6]، كان له دور في الدعوة لآل البيت، والتأسيس لكيان سياسي مستقل عن الدولة العباسية، وبدعم من قبيلة أوربة تمكن الشرفاء الأدارسة من تأسيس دولتهم في سنة 172هـ/788م[7]، ولذلك يعتبر تشكيل دولة الأدارسة من بين أبرز الإسهامات السياسية التي قدّمها العنصر القرشي في بلاد المغرب قبل نهاية القرن الهجري الثاني/الثامن الميلادي.

في ذات السياق، تأسست ببلاد المغرب العديد من الإمارات السليمانية المنسوبة إلى سليمان بن عبد الله الكامل من آل بيت النبوة، والذي ينحدر نسبه من علي بن أبي طالب رضي الله عنه[8]، وقد توزعت هذه الإمارات على مجالات جغرافية واسعة، فاليعقوبي يصرح بأنّ المجالات الواقعة بين متيجة ومدكرة ومدينة الخضراء تقع "مدن

[1] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص/347. البلاذري، المصدر السابق، ص/229. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 224/4.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر، 240/4. ابن الأبار، الحلة السيراء، 336/2. ابن خلدون، كتاب العبر، 240/4. السلاوي، المصدر السابق، 157/1.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص/229. السلاوي، المصدر السابق، 160/1.

[4] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص/241. ابن خلدون، كتاب العبر، 174/3.

[5] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص/17.

[6] أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، تح: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، 1307هـ/1889م، ص/406. ابن سعد، المصدر السابق، 442/5.

[7] الطبري، المصدر السابق، 198/8. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/99. السلاوي، المصدر السابق،209/1.

[8] أنظر: الملحق رقم (06).

كثيرة وحصون وقرى ومزارع، يتغلب على هذا البلد ولد محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب...كل رجل منهم مقيم متحصن في مدينة وناحية، وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف بهم وينسب إليهم"[1]، سيما وأنّ المنطقة المغاربية قد صارت دار هجرة آمنة أمام الضربات الموجعة للخلافة في بلاد المشرق الإسلامي[2]، ومن المؤشرات الدّالة على أدوار الشرفاء السليمانيين ببلاد المغرب الإسلامي منذ دخول سليمان بن عبد الله وولده محمد بن سليمان، هي تأسيس الكيانات السياسية المنتشرة على بلاد الساحل بالمغرب الأوسط مثل إمارة الخضراء وإمارة تنس وإمارة سوق إبراهيم وإمارة أرشقول وإمارة جراوة أبي العيش وإمارة ترنانة والعلويين وغيرها[3]، أما بالنسبة للإمارات العلوية غير السليمانية فقد ظهرت إمارة متيجة وإمارة هاز وإمارة برج حمزة[4].

وعلى الرغم من تأسيس الحركات المعارضة للسلطة العباسية ببلاد المغرب كيانات سياسة منفصلة عنها، لا تزال فصائل عربية مضرية بإفريقية تعلن ولائها لبني العباس وتربط مصيرها بهم وتمهد للاستقلال بالولاية الإفريقية[5]، ولذلك في سنة 184هـ/800م أعلن الأمير إبراهيم الأغلبي بموافقة الخليفة هارون الرشيد عن قيام الإمارة الأغلبية[6]، هذه الإمارة أسست من طرف الأسرة التميمية[7] التي تنحدر من تميم بن طابخة من العرب العدنانية[8]، ويكون نسب أميرها إبراهيم المؤسس الأول حسب ابن خلكان[9] كالتّالي: هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[10]، والمتفق عليه حسب مصادر الأنساب[11] أنّ أسرة الأغالبة أصولها تميمية، وليست بالقيسية ولا بالقرشية ولا باليمانية، بل تنحدر من جذور مضرية[12]، أي أنها من أبناء إلياس

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/192 فما بعدها.

[2] رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، 100/1.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/190 فما بعدها.

[4] أنظر: الخريطة المنجزة من طرف الباحث رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، 544/2.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص ص/231-232.

[6] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 272/8.

[7] يؤكد ابن حزم نسب زيادة الله إلى بني تميم في قوله : زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة بن عباد بن عبد الله بن محمد بن سعد بن حرام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم. أنظر: جمهرة أنساب العرب، ص/221.

[8] القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ص/92-93.

[9] وفيات الأعيان، 322/3.

[10] أنظر: ماكتبه محمد الطالبي في نسبهم. الدولة الأغلبية، ص ص/104-105.

[11] أنظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ص/223. ابن حزم، المصدر السابق، ص/466. المبرد، المصدر السابق، ص/6.

[12] الطالبي، المرجع السابق، ص ص/230-231.

بن مضر، أمّا القيسية فهم أبناء قيس عيلان بن مضر، وتجتمع قيس مع تميم في كونهما من مضر ينتميان إلى الجد الأعلى نزار بن معد بن عدنان.

وبرزت العديد من الشخصيات القيسية على ساحة الأحداث في إفريقية، وكان لها دور في رسم ملامح خريطة التوازنات السياسة والعرقية، ولعل منصور الطنبذي خير مثال على قوة المركب القيسي في إفريقية خلال الحقبة الأغلبية، فقد أعلن ثورته على الأغالبة[1]، وأراد هذا القائد الذي ينتمي إلى جُشّم القيسية أن ينتقم لمقتل عمرو بن معاوية من رجال عصبيته[2]، كما أنّه كان يميل إلى حزب العرب ببغداد والذي أعلن عصيانه زمن المأمون بإمارة عبد الله بن إبراهيم[3].

وتوسعت خريطة التواجد القيسي ببلاد المغرب الشرقي، ففي مدن الزاب ظهرت الفصائل العربية القبلية المنحدرة من بني قيس وشكلت عنصرا لافتا طيلة العهد الأغلبي (184-296هـ/ 800-909م)، مما يؤكد على أدوارهم العسكرية والسياسية، على أكثر تقدير تم توظيفهم كحاميات للجند تدافع عن التخوم الغربية والجنوبية للإمارة الأغلبية، والدّليل أنّ مدينة بلزمة التي كانت تمثل قاعدة دفاعية خلال العهد الأغلبي ضمت العديد من الفصائل القيسية والمضرية، ذلك ما يشير إليه ابن عذاري عندما تحدث عن كثافة الحضور القيسي بها، فقال بلغ عدد المكونات الإثنية العربية "ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة"[4].

إنّ محدودية الحضور القيسي وإسهاماته عقب مرحلة القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، يمكن تفسيره بالصّمت اللافت الذي سجلته المظان المصدرية التي أرخت للمرحلة، إضافة إلى عزوف الإخباريين عن ذكر وضعية العصبيات القبلية العربية إلا نادرا، بسبب بروز العصبيات البربرية على غرار صنهاجة الشمال ممثلة في العصبية الحمادية والزيرية، أو عصبية المرابطين المنحدرين من صنهاجة الملثمين في الجنوب، إضافة إلى مصامدة الموحدين، وبالمقابل تراجع الحضور القيسي والمضري بل وحتى اليماني الكلبي فيما بعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فضلا عن عناية أصحاب المصادر التاريخية بالمجموعات الهلالية والسليمية المنحدرة هي الأخرى من الفرع العدناني

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص/186.

[2] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 108/24.

[3] بوبة مجاني، أثر العرب اليمانية، ص/127.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، 123/1.

الشمالي، لأنها شكّلت إحدى أكبر التحركات القبلية في تاريخ المنطقة في منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي.

الفصل الرابع:

المسالك التجارية ودورها في إثراء النسيج الإثني المغاربي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي.

أولا– المسالك التجارية الصحراوية.

ثانيا– المسالك التجارية الأوروبية.

ثالثا– التكوينات الإثنية لمجموعات العبيد بالمجالات المغاربية بين التنوع العرقي والتوطن الجغرا في.

رابعا– الأقليات العرقية في بلاد المغرب...استمرارية أم اختفاء – العبيد أنموذجا –

الفصل الرابع:

المسالك التجارية ودورها في إثراء النسيج الإثني المغاربي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي.

أبرز ما يتميز به الموقع الجغرافي لبلاد المغرب طبيعيا واستراتيجيا هو اتصاله ببلاد السودان على طول المحور الجنوبي، وارتباطه بالحوض المتوسطي وأوروبا شمالا، مع الانفتاح على السواحل الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، ونظرا لهذه الأهمية الاستراتيجية فقد أضحى المغرب بامتداده الجغرافي محطة رئيسية لقوافل التجارة الصحراوية، وملتقى حيوي للتبادل التجاري بين الأقطار الإفريقية والمتوسطية، وتحولت المنطقة بفضل شبكة الطرق والمسالك الواصلة بين المرافئ البحرية شمالا والمدن أو القصور الصحراوية جنوبا إلى قطب تجاري نشيط، أثّر على طبيعة الصادرات والواردات المغربية والوضعية الاقتصادية للبلاد، ففضلا عن تنوع وثراء قائمة المواد التجارية السودانية والأوروبية، شكّل العبيد الأبيض والعبيد الأسود إحدى ركائز التجارة الدولية المتداولة خلال فترة العصر الوسيط، حيث يتم جلبهم من بلاد السودان وأوروبا عبر شبكة من الطرق والمسالك البرية والبحرية إلى بلاد المغرب الإسلامي ويعرضون للبيع في أسواقها.

أولا- المسالك التجارية الصحراوية:

لئن شكلت جغرافية المجال الصحراوي[1] إحدى معوقات التجارة الداخلية ببلاد المغرب، بالإضافة إلى مشكلة تعرض القوافل التجارية لأعمال الحرابة واعتداءات اللصوص وقطاع الطرق، ضمن بيئة معقدة ووعرة تتباين خصائصها بين عروق وحمادات ووديان ومفاوز خطيرة تتوزع على كل الدواخل الجنوبية إلى أقصى مجالات السودان الغربي مصدر الرقيق الأسود، إلا أنّ حركة المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان قد شهدت نشاطا هاما لم يتوقف منذ الفترة القديمة، حيث أشارت النصوص الأدبية والإبيغرافية والنقائش الأثرية إلى انتشار ظاهرة جلب الرقيق خلال العهد القرطاجي[2] والروماني والبيزنطي[3]، كما قامت الدول الإسلامية في

[1] المعيقات الطبيعية في المجال الصحراوي متعددة منها: قساوة المناخ (ارتفاع درجات الحرارة)، الجفاف ونقص الموارد المائية، الامتداد الطويل بين المراكز العمرانية، ندرة الغطاء النباتي، انتشار المنخفضات والمرتفعات(حمادات وهضبات)، طبيعة التربة الرملية، الزوابع الرملية، تغير واختفاء المسالك والدروب والطرق بسبب الرياح وحركة الرمال، اتساع مساحة الصحراء والتعرض لمشكلة التيه.

[2] John price, «Conditions in the development of silent trade», p.76.

[3] سيدي محمد العيوض، العبيد المعتقون والمعتقون ومساهمتهم في الحياة العامة في شمال إفريقيا خلال العصر القديم، مقال ضمن كتاب: التاريخ والمجال والمجتمع والثقافة بالمغرب مقاربات متقاطعة، تن: رشيد يشوتي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1440هـ/2018م، ص/149.

بلاد المغرب خلال القرون الهجرية الأولى بتوريد السلع والبضائع المتنوعة من بينها العبيد السود، حيث أصبحوا يشكلون مادة رفيعة في تجارة المنطقة[1]، لا سيما بعدما نسجت علاقات تجارية قوية مع بلاد السودان عبر الواجهة الأطلسية والمحاور الصحراوية التي مثلت فيها بشكل أساسي مراكز الواحات والقصور نقط ترابط بين المجالين الجغرافيين المغاربي والسوداني[2].

ومن هنا، ارتبطت بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي والأوسط عبر المراكز الحضرية والواحية والساحلية بشبكة من الطرق والمسالك الداخلية والبحرية[3]، انتظمت فيها عمليات تجارة الرقيق السودان الذين يتم جلبهم من أقاصي الجنوب في رحلات محفوفة بالمخاطر الأمنية والصعوبات الطبيعية في إطار التجارة العابرة للصحراء نحو بلاد المغرب[4]، وقد سلك التجار المغاربة مسارات متشعبة أسهمت في تنشيط حركة الصادرات والواردات بين المجالين، وللوصول إلى مناطق جلب العبيد من بلاد السودان سلكوا هذه الطرق الحيوية التي تتوزع على مسالك مختلفة يمكن تحديد اتجاهاتها على النحو الموالي:

[1] الحسين الغماري، المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن 15-18م، ط1، مطبعة وورك بيرو، بني ملال، المغرب الأقصى، 1440هـ/2019م، ص/209.

[2] Lovejoy Paul, «Islam, slavery, and political transformation in West Africa : constraints on the trans-Atlantic slave trade», Outre-mers, 89, n°336-337, 2002. traites et esclavages: vieux problèmes, nouvelles perspectives? p. 272.

[3] تشير الدراسات الحديثة إلى التحولات العميقة التي كانت تعرفها خريطة الطرق التجارية المغاربية السودانية، ذلك أنّ هذه المسالك ليست ثابتة في الزمان والمكان، بل كانت دائما ما تخضع للواقع السياسي والظرفية الاقتصادية والأحوال الجغرافية والطبيعية في الشمال والصحراء والجنوب، لذلك فقد فرضت العديد من المستجدات تغيرات مجالية على شبكة الطرق والمسالك طيلة فترة الدراسة. أنظر، حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص/198. الحسين الغماري، المرجع السابق، ص ص/86-87. جان دوفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا، مقال ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، ط2، المكلس، لبنان، 1417هـ/1998م، ص ص/410-411. بشار قويدر، القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة وآثارها)، مقال ضمن كتاب: طريق القوافل، منشورات المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطابع عمار قرفي، باتنة، 1421هـ/2001م، ص/13.

[4] أنظر: الإحالة رقم (1) من هامش الصفحة السابقة.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

المسالك والطرق التجارية الدولية بين بلاد المغرب وبلاد السودان

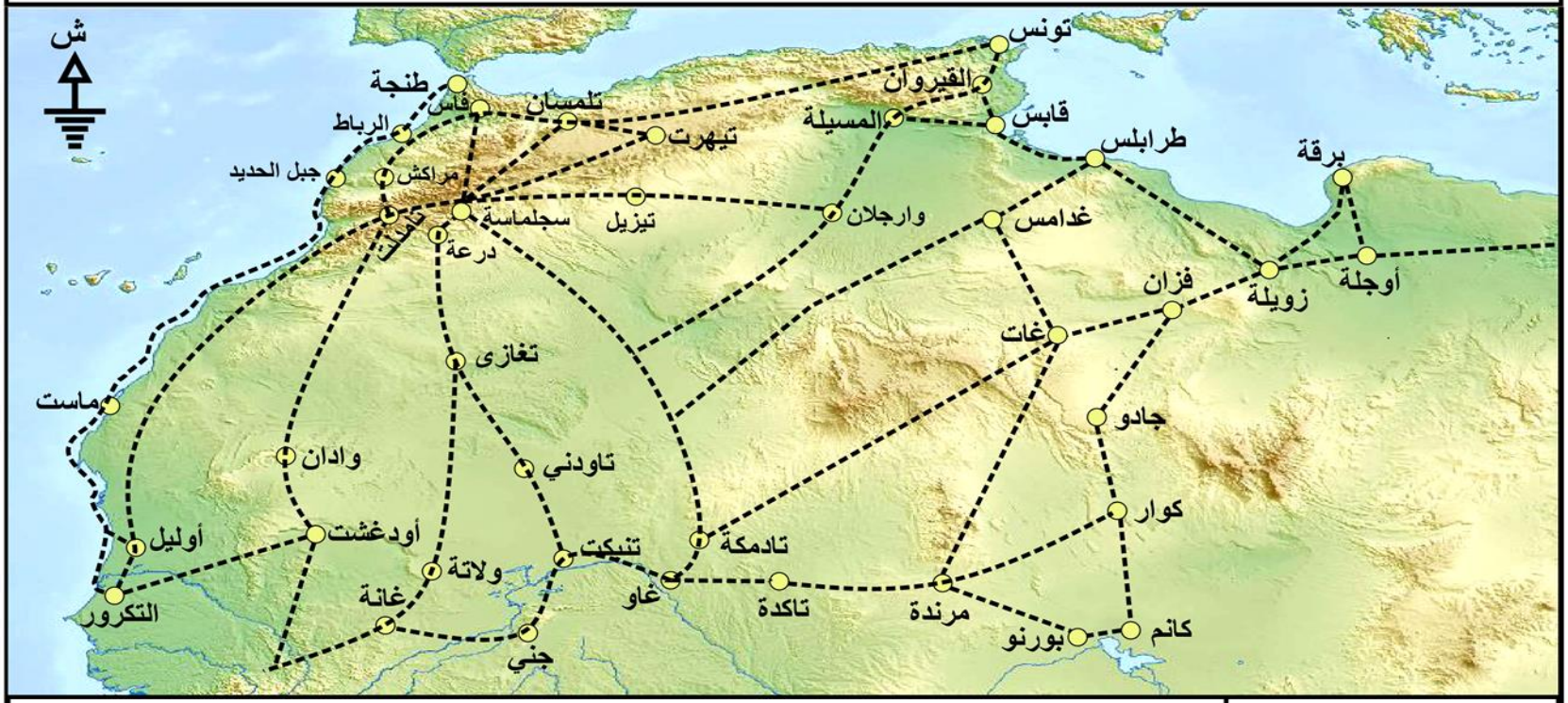

- مصادر ومراجع إنجاز الخريطة: ابن حوقل، صورة الأرض. البكري، المسالك والممالك. عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي، ص/310 .
Joseph Cuoq, Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest: des origines à la fin du XVIe siècle, paris, 1984, p. 27.

1- المسالك الشرقية: تبدأ بالطريق الرابط بين مدن الجزء الشمالي الشرقي من بلاد طرابلس وبرقة ومدن بلاد السودان جنوبا، شكلت فيه مدينة زويلة محطة اتصال رئيسية تتفرع عنها شبكة الطرق التجارية في الجهات الأربع، حيث تبدأ الطريق منها نحو المراكز الوسطى والشمالية مثل ودان طرابلس وسرت وبرقة وأوجلة وأجدابية[1]، وفي الجهة الغربية نجد مسلك زويلة باتجاه فزان وغدامس[2] والقيروان وبلاد الزاب وسجلماسة، وشرقا بلاد مصر عبر جادو والفسطاط[3]، أمّا الطريق الجنوبي فيتحدد مساره من زويلة نحو تادمكة التي تبعد عن مدينة كوكو تسع مراحل ويأخذ عبرها التجار في التوجه إلى قاعدة كانم وكوار في بلاد السودان وذلك لجلب العبيد السود من مواطنهم الأصلية[4].

ويشير اليعقوبي[5] إلى ممارسة الجماعات الإباضية لتجارة الرقيق بمجالات زويلة، حيث يقومون بسبي أجناس السودان من الميريين والزغاويين والمرويين وبيعهم أو استخدامهم في المجالات الاقتصادية والوظائف الاجتماعية، وخلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي يذكر البكري[6] وصاحب الاستبصار أنّ مدينة زويلة "تقرب بلاد كانم وهي من السودان... وهي مجتمع الرفاق وإليها يجلب الرقيق ومنها يخرج إلى بلاد إفريقية"[7].

يعتبر المحور الشرقي المتفرع عن بلاد الجريد نحو بلاد نفزاوة مرورا ببشرى إحدى محاور التجارة العابرة للصحراء، لكنها ليست بالطريق المهمة لخطورة مفاوزها ومسالكها المجهولة[8]، ويخترق هذا المحور الجنوب الغربي باتجاه وراجلان وسجلماسة وصولا إلى مدينة كوكو، ويتجه المسار الثاني إلى مدينة غات ومارندا جنوبا[9]. وتنقسم

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/92.

[2] Joseph Cuoq, Op, Cit., p. 23.

[3] تاديوش ليفيتشكي، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، مقال ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، ط2، المكلس، لبنان، 1417هـ/1998م، ص/324.

[4] Joseph Cuoq, Op, Cit., p. 232.

[5] البلدان، ص/183.

[6] المسالك والممالك، 658/2.

[7] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/146.

[8] العمري، المصدر السابق، 164/4.

[9] لطيفة بشاري، الرق في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح إلى رحيل الفاطميين (1-4هـ/7-10م)، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة الجزائر، 1428هـ/2008م، ص/221.

الطريق باتجاه الشمال لتصل قابس ببلاد الجريد على الساحل، بينما المسلك الجنوبي الغربي فيأخذ نحو بلاد الزاب[1].

2- المسالك الوسطى: بتأسيس مدينة تاهرت عاصمة الرستميين من طرف الجماعات الإباضية خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، تشكلت شبكة من الدروب والطرق التجارية الرابطة بين المغرب الأوسط وبلاد السودان جنوبا، إذ يتعرج المحور الأول من تاهرت إلى المغرب الأقصى مرورا بمدينة بسجلماسة ثم السوس الأقصى ناحية تغازى[2] ويأخذ في الانحدار جنوبا نحو السودان الغربي وصولا إلى تنبكت وجنى وغاو وغانة[3]، فاليعقوبي في شهادته يصرح قائلا "ومن خرج من تاهرت سالك الطريق بين القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا ثلاث مراحل...ومن مدينة أوزكا لمن سلك مغربا إلى أرض الزناتة ثم يصير إلى سجلماسة"[4]، ثم منها في الجهة الجنوبية الغربية باتجاه بلاد السودان، وبحكم الموقع الاستراتيجي لمدينة بادس وارجلان ووادي ريغ وقصور توات الواقعة في الصحراء الكبرى للمغرب الأوسط، فقد شكلت هذه المجالات إحدى أهم مراكز صادرات الذهب والعبيد القادمة من بلاد السودان الغربي والأوسط والموجهة شمالا ناحية المراكز التجارية الشمالية الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي، فمدينة بادس"...بالقرب منها قيطون بياضة وهو أول بلاد سماطة ومنه تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى القيروان وإلى بلاد الجريد وطرابلس وغيرها"[5]، ونقل ابن سعيد نصا يصرح فيه بأنّ وارجلان: "بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية والسفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير، وفي شرقيها بلاد ريغ"[6]، والمتجه في الطريق إلى ورجلان يمر بالعرقين الكبيرين الشرقي والغربي ليصل إلى حوض النيجر عن طريق توات ثم ينحدر جنوبا إلى أدرار الإيفوغاس (الفقاس) ووادي تيلسي[7]، وقد أصبحت كذلك توات في مرحلة لاحقة محطة هامة تجتمع فيها كل القوافل العابرة إلى تادمكة وكوكو، وعلى هذا المحور تتموضع مدن أخرى

---

[1] العمري، المصدر السابق، 391/4.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص/216.

[3] البكري، المسالك والممالك، 837/2. عبد الرزاق خالدي، دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط مدينة وارجلان أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف: عز الدين بويحياوي ومحمد نجيب خالف، جامعة الجزائر، 1430هـ/2009م، ص/40.أنظر: الخريطة عند أحمد الشكري، مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1417هـ/1997م، ص/14.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص/198.

[5] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/175.

[6] ابن سعيد، المصدر السابق، ص/126.

[7] جان دوفيس، المرجع السابق، ص/408. دومينيك فاليريون، بجاية ميناء مغاربي، ج1، تر: علاوة عمارة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1435هـ/2014م، 292/1.

تعتبر محطات لتوقف القوافل التجارية منها سدراتة وقصور ميزاب لتسوق من خلالها الصادرات السودانية إلى مدن بلاد المغرب[1].

3- المسالك الغربية: يمتد المحور الأول على طول الشريط الساحلي للمحيط الأطلسي غربا، وينطلق من مدينة نول لمطة شمالا إلى مدينة أوليل جنوبا[2]، وقد قدّر رايمو موني[3] طوله بحوالي 1600 كلم، تستغرق القوافل التجارية لقطعه 60 يوما، ثم يتمدد في الجهة الجنوبية باتجاه مدينة سلى في السنغال ويصل إلى بلاد التكرور[4]، بينما يربط الطريق الثاني طوليا مدينة سجلماسة ووادي درعة وإيجلي وأغمات ليأخذ نحو الجنوب متصلا بمدينة تامدلت في الصحراء، ومنها إلى أودغشت ليتفرع إلى مسالك باتجاه تادمكة وولاتة وغانة وتنبكت[5].

ويشير رايمو موني[6] إلى ثلاثة محاور رئيسية أخرى تنطلق من مدينة سجلماسة باتجاه بلاد السودان الغربي والأوسط، يتمثل المحور الأول في طريق سجلماسة أودغشت غانة، وغالبا ما كان هذا المحور المؤدي من مدينة سجلماسة إلى بلاد السودان وتحديدا إلى غانة[7]، خاضعا لمجموعات محلية رعوية تتمثل في صنهاجة ومسوفة الظاعنة في المجالات الصحروية الغربية الجنوبية[8]، بينما المحور الثاني يبدأ من سجلماسة إلى تغازى ثم يصل إلى تنبكت، وشكّل المحور الثالث نقطتي اتصال تربط بلاد المغرب الشرقي ببلاد السودان الغربي عبر خط فزان- غاو[9].

ومن بين أهم العوامل التي تحكمت في مسار المحاور التجارية العابرة للصحراء، شبكة المياه الموزعة على المجالات الصحروية وحوافها، فالسباخ والأحواض والآبار التي تتموقع على طول المسالك المؤدية من بلاد المغرب الأقصى إلى بلاد السودان[10]، قد كانت بمثابة محطات مائية طبيعية تستقطب القوافل التجارية نحوها للتزود بالماء،

---

[1] حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص/199.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، 17/1. ابن حوقل، المصدر السابق، ص/92. عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1425هـ/2004م، ص/186. لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/217.

[3] Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age, d' après les sources écrites, la tradition et l'archéologie, Dakar, 1961, p. 427.

[4] عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص/186. لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/217.

[5] البكري، المسالك والممالك، 842/2 فما بعدها. الإدريسي، المصدر السابق، 226/1. حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص/199.

[6] Mauny, Op, Cit., pp. 427-428.

[7] Michel Abitbol, «Le Maroc et le commerce transsaharien du XVIIe au début du XIXe siècle», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 30, 1980. pp. 9-10

[8] المسالك والممالك، 837/2.

[9] Michel Abitbol, Op, Cit., p.427.

[10] البكري، المسالك والممالك، 848/2.

لأنّ ندرة التساقط في الصحراء الكبرى ونقص الموارد المائية عادة ما كان يعرض التجار والحيوانات المستعملة في نقل السلع والبضائع للخطر والهلاك، وذلك ما تبرهن عليه شهادة البكري الذي يشير إلى استعمال القوافل التجارية لمياه الآبار التي أنبطها عبد الرحمن بن حبيب، وفي معرض حديثه عن الطريق الرابط بين تامدلت وأودغشت مرورا بجبل أزوار وتندفس وتغازى ووصول إلى موضع وانزميرن، يقول: "آبار الرشاء فيها العذب والشريب...وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان"[1].

لقد أسهمت شبكة الطرق البرية والمراكز العمرانية الصحراوية الرابطة بين بلاد المغرب وبلاد السودان في تطور العلاقات التجارية، على نحو جعل حركة الصادرات والواردات متميزة بالفعالية والتنوع والحركية منذ الفتح الإسلامي لمنطقة المغرب، كما أنّ اتصال التجار المغاربة رغم تحديات المجال الجغرافي بجيرانهم في السودان الغربي والأوسط خصوصا، مكّنهم من الانخراط في الحياة الاقتصادية والتحكم في المبادلات التجارية، لا سيما عملية توريد العبيد السوادني التي لقيت رواجا طيلة فترة العصر الوسيط، إلى جانب مادتي الذهب والملح، ومع أنّ قائمة المواد المصدرة والمستوردة طويلة، إلا أنّ تجارة الرقيق الأسود قد عرفت حضورا معتبرا في العلاقات التجارية المغاربية السودانية، بدءًا من مصادر جلبهم الواقعة في أواسط وحواف بلاد السودان مرورا بالمحطات الصحراوية ووصولا إلى المجالات الحضرية والريفية، حيث يتم استخدامهم أو تحويلهم إلى بلاد المشرق أو الضفة الأوروبية عبر المسالك التجارية البحرية.

ثانيا– المسالك التجارية الأوروبية:

بالرغم من توتر العلاقات السياسية بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي خلال فترة العصر الوسيط المتقدم، إلا أنّ المشهد التجاري يوحي بقوة الارتباط بين الممالك الإسلامية والصليبية، حيث جمعت بلاد المغرب روابط وصلات تجارية على قدر من الأهمية، تقوم على نظام تبادل السلع والبضائع المتنوعة مع دول الحوض المتوسطي شمالا. وغالبا ما كانت المواد التجارية هي التي تتحكم في مسار مسالك الملاحة الدولية، من حيث الأهمية والتطور والاتجاهات الجغرافية التي تأخذها، فمثلا خضعت تجارة الرقيق في سياق عرضها وبيعها إلى مراكز وطرق تجارية رئيسية يمكن عرضها على النحو التالي:

[1] البكري، المسالك والممالك، 847/2.

المسالك والطرق التجارية المستعملة في تجارة العبيد الأوروبي

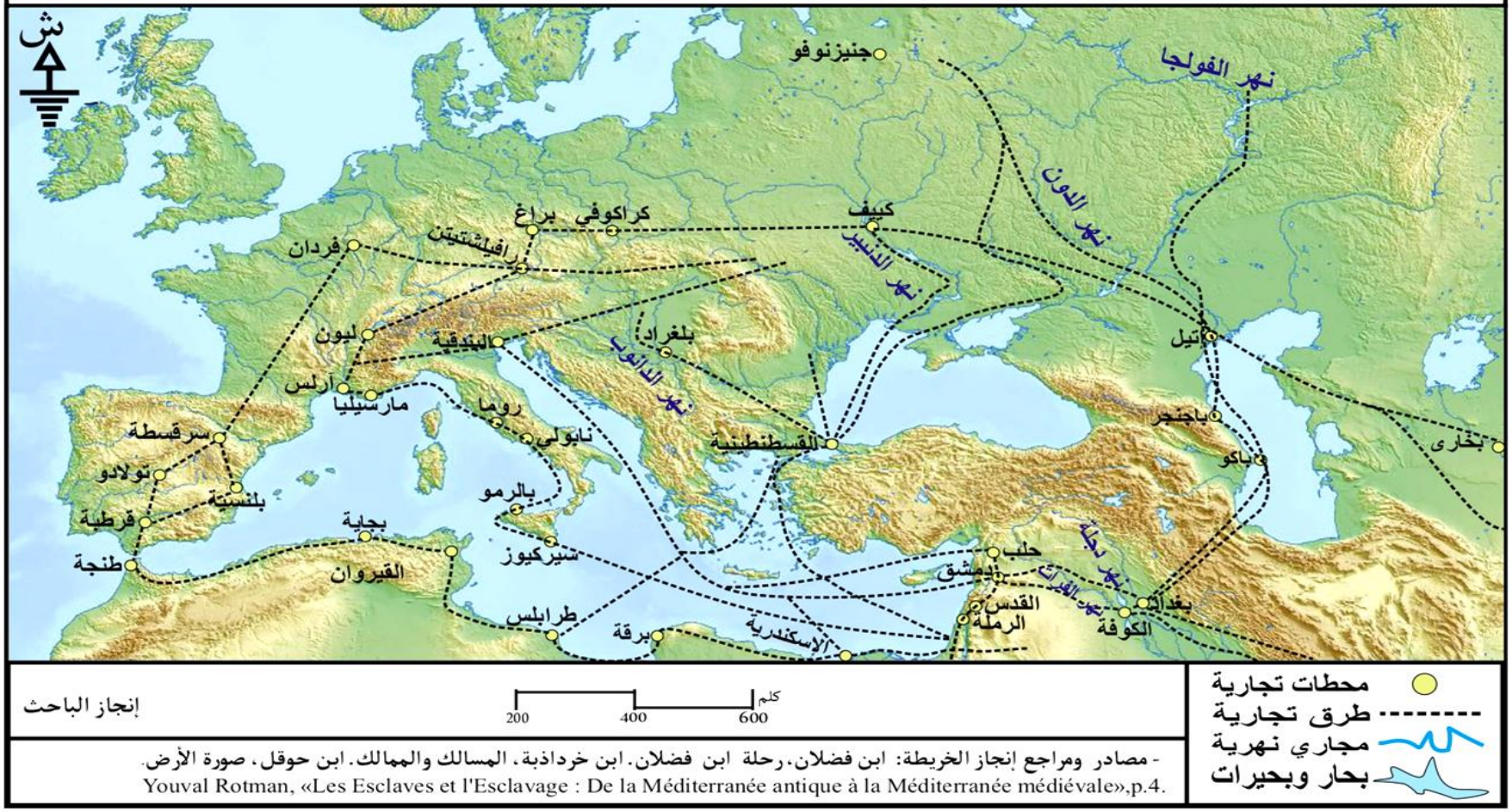

- مصادر ومراجع إنجاز الخريطة: ابن فضلان، رحلة ابن فضلان. ابن خرداذبة، المسالك والممالك. ابن حوقل، صورة الأرض.
Youval Rotman, «Les Esclaves et l'Esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale»,p.4.

1- المسالك الشرقية: يبدأ الطريق الأول من بلاد بلغار مركز تجميع العبيد الصقالبة في الجزء الشمالي الشرقي لأوروبا، حيث يتم حملهم ونقلهم عبر نهري الفولجا وآتل مرورا بمحطات رئيسية منها باكو في بحر الخزر ووصولا إلى مدن بخارى وسمرقند وبلخ في آسيا الوسطى[1]، وينطلق مسلك ثاني من بلاد السلاف إلى فرنسا ثم يتمدد إلى فرعين يأخذ الفرع الأول في الجهة الشرقية باتجاه ميناء أطرابزنده عبر البحر الأسود ثم ناحية القسطنطينية وصولا إلى مجالات خراسان[2]، وثمة تقع مراكز إخصاء الرقيق الصقلبي الذين تتم عمليات إخصائهم ثم يباعون في أسواق بلاد المشرق الإسلامي، أما الفرع الثاني فإنه يتعلق ببلاد المغرب والأندلس وهو ما سنأتي على ذكره في عنصر المسالك التجارية الغربية.

من جهة أخرى، يوجد طريق ثالث من الطرق البحرية الشرقية قاعدة انطلاقه الأولى مدينة كييف بأوكرانيا عبر مسار مباشر نحو القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، والتي كانت تمثل مركز رئيسي لتجميع الصقالبة الذين يحولون ضمن عمليات تصدير العبيد الأبيض الأوروبي إلى الواجهة الجنوبية للبحر المتوسط وتحديدا باتجاه مدينة الفسطاط ببلاد مصر[3].

2- المسالك الوسطى: كما تمت عملية تصدير أوروبا للرقيق الصقلبي عبر المحور البحري الذي يبدأ من جنوب شرق ألمانيا ثم يسير إلى محطة فالنشتاد بجبال الألب والأورال ومنها إلى جنوب إيطاليا والبندقية ثم ينحدر باتجاه صقلية ليوجه إلى المراسي الساحلية عبر الحوض المتوسطي نحو بلاد المشرق وبلاد المغرب[4]، كما شكلت البندقية[5]

---

[1] Rotman, «Les Esclaves et l'Esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale -VIe - XIe», Les Belles lettres, paris, 2004, pp.4-5.

موريس لومبارد، الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبد الرحمن حميدة، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/1998م، ص/261.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، 110/1. عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص/193.

[3] Rotman, Op, Cit., p. 4. لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/230.

[4] توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، تونس، 1416هـ/1996م، ص/243. عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب ولأندلس، ص/193. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول من القرن2 إلى القرن5 (8-11م)، تر: إسماعيل العربي، ط3، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1411هـ/1990م، ص/294.

[5] حول أهمية البندقية في التجارة البحرية وعلاقاتها مع الفضاء المغاربي. أنظر: بنيامين التيطلي، المصدر السابق، ص/358. دومينيك فاليريون، ص/814 وما بعدها.

مدينة مهمة في تجارة الرقيق الأبيض لأهمية موقعها الاستراتيجي الذي يربط أوروبا بثلاث محاور بحرية، لذلك أضحت ملتقى حركة الصادرات والواردات عبر بحر إيجة والأدرياتيكي والبحر الأسود[1].

وبالإضافة إلى هذا المحور، برز طريق تجاري يقطع أواسط أوروبا بداية من مجالات الصقالبة شرقا ناحية كييف وبراغ وبلغاريا[2] ويمر بمحطة رافيلشتيتن، وأثناء عملية العبور جنوبا باتجاه البحر المتوسط ينحني صوب مدينة ليون ببلاد الإفرنج ثم منها إلى مدينة آرل التي شكلت مركزا لعبور الرقيق الأبيض السلافي، ويمر كذلك باتجاه ميناء مارسيليا جنوبا[3]، لترسل مجموعات العبيد الصقالبة عن طريق السفن البحرية إلى سواحل بلاد المغرب الإسلامي.

3- المسالك الغربية: حسب ابن خرداذبة[4] فإنّ مسلك تصدير العبيد الصقالبة في الجهة الغربية ينطلق من بلاد الإفرنج[5] من مدينة ليون ويخترق بلاد الأندلس التي انتشرت فيها تجارة العبيد الأبيض بشكل كبير[6]، ثم يعبر هذا المسلك إلى السوس الأقصى ويسير إلى طنجة ومنها إلى إفريقية ثم يسير إلى بلاد مصر وبغداد والبصرة والكوفة[7]. ومن بين الطرق الغربية الرئيسية المسلوكة ضمن حركة تجارة العبيد الأبيض، طريق بري يبدأ من مدينة فاردن بوسط بلاد الإفرنج ثم يتمدد جنوبا نحو محطات أندلسية مثل سرقسطة وبلنسية وينتهي في قرطبة ليعبر مضيق جبل طارق باتجاه طنجة بالمغرب الأقصى[8].

[1] Rotman, «Les Esclaves et l'Esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale», Op, Cit., p. 5-6.
[2] Rotman, Op, Cit., p.5.
[3] Salah Trabelsi, «Réseaux et circuits de la traite des esclaves aux temps de la suprématie des empires d'Orient Méditerranée, Afrique noire et Maghreb (viiie-xie siècles)», Les esclavages en méditerranée Espaces et dynamiques économiques, Casa de Velázquez, Madrid, 2013, p.25.

[4] المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، 1307هـ/1889م، ص ص/154-155.

[5] تبرهن معطيات الحميري على الدور المحوري الذي لعبته في بلاد الإفرنج في تجارة الرقيق الصقلبي من خلال قوله: "ومنها يرد الرقيق النفيس وإليها يرد الرقيق من بلاد الصقالبة". الروض المعطار، 50/1.

[6] يشير ابن حوقل في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إلى الحضور الصقلبي الكثيف ببلاد الأندلس، حيث انتشر الجواري والغلمان الروقة من سبي إفرنجة وجليقيه، والخدم الصقالبة بعد أن تتم عملية إحصائهم من قبل التجار اليهود يعرضون في الأسواق للبيع، وشاركوا في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. أنظر: صورة الأرض، ص/110. محمد المنوني، ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، ع31، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1405هـ/1984م، ص/189 فما بعدها.

[7] ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص/155.

[8] Voir: la carte de Rotman, «Les Esclaves et l'Esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale», Op, Cit., p.4.

إنّ وضعية شبكة الطرق التجارية المستعملة في توريد العبيد الأوروبي خلال العصر الوسيط الأول كانت متعددة الاتجاهات الجغرافية نحو البلاد الإسلامية، وقد تفرعت مساراتها في كل الجهات الرابطة بين الضفة الأوروبية ودار الإسلام، كما لم تستخدم المسالك البرية لوحدها في تجارة العبيد الأبيض، حيث عرفت المجاري النهرية وطرق الملاحة البحرية هي الأخرى نشاطا متميزا ارتاد من خلالها التجار الأوروبيون السفن محملين بالسلع والبضائع التي من بينها نجد الرقيق بمختلف أجناسهم، والذين شكلوا حضورا في مختلف مناطق التبادل التجاري المغاربي، مما أسفر عنه اتساع دائرة توظيف العبيد الأوروبي في البيوت والقصور والفلاحة والإدارة وفي تركيبة الجيوش المغاربية وغيرها.

ثالثا– التكوينات الإثنية لمجموعات العبيد بالمجالات المغاربية بين التنوع العرقي والتوطن الجغرافي:

شهدت بلاد المغرب منذ بداية الفتح الإسلامي تسرب العديد من العناصر الاجتماعية إلى مجالاتها ضمن نظام الاستعباد الذي ظهر قبل الفترة الإسلامية، ولم تكن هذه التكوينات البشرية متجانسة فيما بينها لا عرقيا ولا جغرافيا، بل طبعها التمايز الاجتماعي والجغرافي عن بعضها البعض، فتعددت أصولها الإثنية، وتباينت أوطانها الجغرافية، وتشعبت مسالك تحركاتها، وتنوعت قنوات دخولها، ويبدو أنّ وضوح أسماءها في الحقول المصدرية وبروز أدوارها وعلاقاتها بالعنصر السكاني المحلي، قد جعل هؤلاء العبيد باختلاف أجناسهم مركبا إثنيا رئيسيا له مساهماته الحضارية في المنطقة عبر محور الزمان والمكان اللامحدود. وبدخولهم إلى بلاد المغرب الإسلامي طرأت تغيرات واضحة على منظومة الإدارة والجيش والإنتاج، فقد اندمجت هذه العناصر في خدمة المجتمع وبذلت جهودا لتطوير الحياة الاقتصادية، كما أنها انضمت إلى الجند المغاربي وشاركته حروبه المختلفة داخليا أو خارجيا في بلاد الأندلس.

1– العبيد السودان "الرق الأسود":

1-1/ إثنونيم السودان:

ينقسم العبيد السود حسب ابن قتيبة[1] إلى مجموعة من التكوينات العرقية منها عبيد الحبشة وعبيد النوبة وعبيد الزنج وعبيد السودان الأوسط مثل عبيد كانم وبورنو أو عبيد السودان الغربي على غرار عبيد التكرور وغانة، ومع أنّ محددات التصنيف الإثنونيمي لمجموعات الرقيق السود، تأثرت بمعيار لون البشرة الأسمر أو الأسود

[1] المعارف، 26/1. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 202/1.

الذي يميزهم عن باقي الأجناس البشرية في دار الإسلام وخارجها، فإنّ النصوص الجغرافية[1] تمدنا بمعطيات أنثربولوجية تبرهن على مدى تأثير العامل المناخي "الحرارة" في ملامح المركب السوداني، وهو ما أشار إليه ابن الفقيه في قوله: "فإذا توسطت الشمس وسط السماء كانت على سمت رؤوسهم فأحرقتهم، فلذلك صارت أجسادهم سودا وشعورهم قططا وجثتهم ذابلة، وطبائعهم حارة وعامة أشكالهم متوحشة لشدة حرّ أرضهم، وهم الحبشة والزنج والنوبة وأنواع السودان"[2].

وفي مقابل ذلك أوردت مصادر الأنساب[3] رواية تفسر سبب تسمية عبيد الحبشة والزنج والنوبة والرقيق السوداني في الجهة الغربية بالعبيد الأسود، ضمن نص ديني لا يكاد يخرج في أصوله عن النصوص التوراتية وكتاب العهد القديم، بل تجاوزت النصوص المصدرية تفسير أصول الإثنونيم والتسمية العرقية لهذا المركب الاثني من خلال إقرارها بتسخير المجموعات السودانية عبيدا لغيرهم منذ الحقبة القديمة، وهو ما تحدث عنه الإخباريون[4] في المصادر الإسلامية، بحيث أنهم صرحوا بأنّ حاما هو أبو السودان وإنما كان السواد من نسل حام لأن نوحا عليه السلام نام فانكشفت عورته ورآها حام فلم يغطها، فبادر سام ويافث إلى سترها بغطاء، فلما انتبه نوح عليه السلام إلى الأمر، دعا على أولاد حام ليكونوا سود الألوان وعبيدا لإخوتهم.

ومن هنا، إن كانت هذه النظرية تعتبر النص التوراتي حجر الأساس في صحتها وقوامها، فإننا حقيقة لا نساير مضمونها، لأنها خليط من الروايات الدينية المندرجة ضمن النصوص الإسرائيلية الخرافية، وذلك ما أكد عليه ابن خلدون خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ففي حديثه عن الأقاليم الجغرافية وخصائصها المناخية تصدى ابن خلدون[5] بالنقد لهذه الرواية التي مفادها أنّ المركب السوداني من نسل حام وأنهم اختصوا

[1] تحفل النصوص الجغرافية بمؤشرات وصفية أنثروبولوجية حول مركب السودان وما يتميزون به من خصائص متنوعة في الجوانب الخلقية والجسدية، وحصر القزويني أوصاف الزنج في أمور عشرة اختصوا بها هي: سواد اللون وفلفلة الشعر وفطس الأنف وغلظ الشفة وتشقق اليد والكعب، ونتن الرائحة وكثرة الطرب وقلة العقل وأكل بعضهم بعضا...وأكثرهم عراة لا لباس لهم". ووصف الإصطخري عبيد السودان الأوسط في قوله: "جنس على حدة، أشد سوادا من الجميع وأصفى وليس هم بنوبة، ولا بزنج ولا بحبشية ولا من البجة". المسلك والممالك، ص/40. القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص/23.

[2] ابن الفقيه، المصدر السابق، ص/430.

[3] ابن حزم، المصدر السابق، ص/463.

[4] المسعودي، أخبار الزمان، ص/86. ابن كثير، المصدر السابق، 131/1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 72/1. الجوزي، المصدر السابق، 247/1. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 202/1.

[5] ابن خلدون، المقدمة، ص/105.

بالسواد لدعوة نوح عليه السلام عليهم، ويعتبرها صاحب المقدمة من "خرافات القصص"[1] التوراتية إذا ما تم التسليم بها، أمّا عن التفسير العلمي[2] لمسألة اختلاف ألوان المجموعات البشرية وتحديدا السبب الرئيسي المفضي إلى سمرة وسواد بشرة المجموعات السودانية الشرقية والغربية هو استقرارهم بالإقليمين الأول والثاني المتميزين بالمناخ الحار وارتفاع درجات الحرارة في هذه المجالات الجغرافية، ممّا جعل ألوانهم تميل إلى السمرة والسواد، ولأنّ "الشمس تسامت رؤوسهم مرتين في كل سنة...فيكثر الضوء لأجلها ويلح القيظ الشديد وتسود جلودهم لإفراط الحر"[3].

إنّ التسمية الإثنية للعبيد السوداني سواء النوبيين أو الأحباش أو الزنوج أو السودان قد خضعت لمعيار فيزيولوجي بشري يتجلى في لون البشرة السوداء التي تميزت بها مجموعاتهم. وباعتبار أنّ مواطن استيطانهم تندرج ضمن المنطقة الحارة، فإنّ تأثير المناخ الجاف والحار على ألوانهم وأجسادهم يبرهن على تدخل عوامل الجغرافيا الطبيعية والمناخية في إكسابهم ملامح السمرة والسواد المعروفين بها.

1-2/ العبيد السودان في بلاد المغرب:

تنوعت مصادر العبيد السوادني ببلاد المغرب الإسلامي بين الحرب والسبي والبيع والهدايا والخطف والسرقة، ولم يتوقف دخولهم إلى المنطقة طيلة الحقبة المدروسة، حيث سجلت مختلف النصوص الوصفية والإخبارية تدفق العبيد السود إلى المغرب مع بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ويشير اليعقوبي[4] إلى تطور العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان في مجال تجارة الرقيق من خلال حركة القوافل الصحراوية، وتوغل التجار المغاربة في المجالات السودانية جنوبا، حيث كانت تقوم جماعات الإباضية بسبي الرقيق السودان من جنس الميريين والزغاويين والمروريين لقربهم من المجالات الصحراوية، وبيعهم في أسواق النخاسة أو تسخيرهم في خدمات عديدة، كما شكلت العلاقات الودية بين ملوك السودان والحكام في بلاد المغرب إحدى ملامح التقارب والود السياسي بين الطرفين، إذ امتلكت الطبقة العليا من المجتمع المغاربي عناصر العبيد القادمين إلى المنطقة عبر روافد متباينة من أهمها البيع والإهداء من طرف سلاطين الممالك السودانية، ففي سنة 423هـ/1032م شهدت إفريقية وصول وفد أرسله ملك السودان إلى المعز بن زيري محمل بهدية جليلة تتمثل في رقيق كثير مرفوق بحيوانات غريبة[5].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص/105.

[2] Voir: John Hunwick, Arab views of black Africans and slavery, p p., 7-8.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص/105.

[4] البلدان، ص/183.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، 275/1.

وفي المصادر الإباضية تكثر المعطيات الدالة على استغلال مجموعات العبيد في تسيير شؤون الدولة وتكليفهم بمهام حيوية في قصور الأئمة الرستميين ومنازل الأثرياء، لكن غياب لفظ السودان والسود ضمن سياقاتها يجعلنا نتعاطى مع هذه النصوص بحيطة وحذر، لأنّ الأصول الإثنية لهؤلاء الرقيق تبقى مجهولة النسب العرقي، كلما بحثنا في هويتهم الإثنو-جغرافية بناء على نصوص أدبية وإخبارية وردوا فيها عرضيا، مما يحول دون تحديد انتمائهم إلى العبيد السوداني، وهو ما يستشف من رواية ابن الصغير[1] عندما تحدث عن بناء مدينة تيهرت أشار إلى استكثار العبيد والخدام بالعاصمة الرستمية، أما الدرجيني[2] فقد لمح إلى مجموعة من العبيد شاركوا في حفر البئر بجوار تامولسة، كما وقف على ممارسات مجموعة من العبيد للنهب واللصوصية في وارجلان لتردي أوضاعهم المعيشية وسوء وضعيتهم الاجتماعية. وفي ضوء ذلك، صرح أبو زكريا[3] بوجود مجموعات من العبيد في خدمة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي بجبل نفوسة، وما أدلى به الشماخي[4] حول تقديم عبد الرحيم بن عمرو النفوسي كميات من التمر والشعير لعبيده.

في جهة مقابلة، أمدتنا المتون الإباضية بإشارات شحيحة تعكس مستوى الحضور السوداني جواريا وغلمانا في المجتمع الرستمي، فمن قبيل خدمة الأئمة في قصورهم، والأثرياء في بيوتهم، والعامة في دورهم، ظهرت فئة الإماء السودانيات اللواتي كن يخدمن أسيادهن ويلتزمن بمهام متنوعة، تحقيقا لمختلف المنافع الحياتية لمكونات النسيج الاجتماعي، ومن الأمثلة على عناية الجماعات الإباضية بالإماء، هو بذل الشيخ ماكسن جهودا لاسترجاع مجموعة إماء تعرضهن للسرقة في غارة من غارات العرب على وارجلان[5]، ونرجح أن تكون من أصل سوداني بحكم الأدوار المحورية التي لعبتها المدينة في تجارة العبيد الأسود، حيث شكلت وارجلان موطنا للعبيد ومركزا تجاريا تدخل منه أجناس الرقيق السوداني وتوزع على مجالات المغرب الأوسط وإفريقية[6].

وبالرغم من نيل بعض الإماء السودانيات الحظوة الاجتماعية إلى درجة أنهن خلفن علماء وفقهاء إباضيين، على غرار والدة العالم اللمائي عبد الله بن أمير التي كانت أمة سوداء[7]، إلا أنّ الحصول على تصنيف اجتماعي

[1] أخبار الأئمة الرستميين، ص/33.

[2] طبقات المشائخ بالمغرب، 442/2. إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص ص/38-39.

[3] سير الأئمة وأخبارهم، ص/104.

[4] كتاب السير، 135/2.

[5] الدرجيني، المصدر السابق، 434/2.

[6] ابن سعيد، المصدر السابق، ص/126.

[7] الدرجيني، المصدر السابق، 414/2-415.

يضعهم ضمن تراتبيات اجتماعية محترمة ظل مستبعدا طيلة حقبة الدراسة، حتى ولو أنّ عناصر الرقيق السوادني ستشهد إدماجا بين السكان المغاربة لما لهم من مهام أنيطت بهم في سبيل خدمات ومكاسب يؤدونها للعناصر المحلية.

في سنة 184هـ/800م أمر إبراهيم بن الأغلب ببناء مدينة القصر الأبيض وتحصينها بشراء خمسة آلاف من العبيد[1] من الرقيق السوادني، لتأمين قصره وحمايته في مدينته الجديدة التي سميت فيما بعد بالعباسية عاصمة الإمارة الأغلبية[2]، وفي سنة 278هـ/891م اشترى الأمير الأغلبي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد مائة ألف من العبيد السودان، وجعلهم في قصره كحرس له وعين عليهم الخادمين ميمونا وراشدا، ولعل تدبير اغتيال الأمير الأغلبي من طرف الفتيان الصقالبة، كان باعثا وراء القضاء عليهم وتكوين فرق عسكرية تتشكل من العبيد السود خلفا لهم بلغ عددها في رواية البلاذري[3] خمسة آلاف بينما ذكر النويري عشر آلاف من الجند[4]، مما يدل على أن العبيد السود شكلوا الأغلبية الساحقة في الجهاز الأمني للأمير إبراهيم بن الأغلب، وأنّ أصولهم أجنبية يأتون من السودان الغربي ليكونوا جندا وخدما في الإمارة الأغلبية[5].

وإلى جانب هؤلاء العبيد السود الذين كانوا أعوانا للسلطة وانخرطوا في الجندية، فقد ساهمت العناصر السودانية في النشاطات اليومية للمجتمع الأغلبي واضطلعت بخدمات اجتماعية جليلة، استفادت منها بشكل أكبر الشرائح المنتمية إلى أعلى السلم الاجتماعي، كالأمراء والوزراء في الدولة وأغنياء البلد وكبار التجار وبعض الفقهاء[6]، وإذا تصفحنا سير الفقهاء المترجم لهم في كتب الطبقات نعثر على كم من المعطيات التي تبرهن على حضور الرقيق السوداني في إفريقية الأغلبية، ومن ذلك أنّ زوجة الفقيه رياح بن يزيد كانت لها أمة سوداء تخدمها،[7]

[1] في هذا الصدد يزودنا البلاذري برقم انطباعي تمثل في خمسة آلاف من العبيد السودان تم جلبهم من طرف عبد الله بن الأغلب واستعمالهم كحرس له في قصره، بينما في شهادة النويري فقد بلغ عدد الجند السوداني عشرة آلاف، ويبقى الاعتماد على رواية البلاذري أولوية منهجية، لأنه أقدم نص وصلنا – إلى حد الآن– يتحدث عن موضوع المجموعات السودانية المصطنعة في إفريقية الأغلبية. أنظر: فتوح البلدان، ص/231. فنون الأرب، 131/24-132.

[2] الطالبي، الدولة الأغلبية، ص/158. دلال لواتي، المرجع السابق، ص/368.

[3] فتوح البلدان، ص/231.

[4] نهاية الأرب في فنون الأدب، 131/24-132.

[5] محمد الناجي، جند وخدم وسراري الرق في المغرب، تر: محمد الغرايب، ط1، منشورات فاليا، بني ملال، المغرب الأقصى، 1440هـ/2018م، ص/194.

[6] ورد في كتاب آداب المتعلمين أن الفقيه محمد بن سحنون كانت له جارية تدعى أم مدام تطعمه وتقوم بكل أشغال بيته، بيد أن الإشارة لم تورد أصولها الاثنية إن كانت سودانية أو أوروبية أو محلية. أنظر: آداب المتعلمين، ص/19.

[7] الخشني، المصدر السابق، ص/70.

ووجدت في بيت الفقيه أبي علي الضرير أمة سوداء تقوم على أعمال بيته لأنه كان ضريرا[1]، أما المثال الثالث فيختص بأبي عمرو ميمون بن عمرو المغلوب متولي خطة المظالم في القيروان، إذ كانت تقوم على شؤونه أمة سوداء تشتغل بحرفة الغزل وتنفق عليه[2].

وعلى الرغم من الأدوار الإيجابية للرقيق السود في حياة المجتمعات المغربية وما صورته لنا المصادر من خضوع واستكانة للعنصر السوداني، إلا أنّ بعض الإشارات تؤكد على انضوائهم تحت لواء الحركات المعارضة[3]، وقيامهم من ناحية أخرى بعمليات اغتيال خطيرة، فأبو جعفر محمد بن خيرون تم اغتياله من طرف السودان بأمر من الشيعي عبيد الله وباتفاق مع ابن أبي خنزير الذي كان يمقته[4]، أمّا بالنسبة للتجاوزات غير الأخلاقية التي تصدى لها الفقهاء ما زودنا به المالكي[5] حول الرجل الأسود الذي كان ينقب ويسرق ويتعرض للساكنة بالسب والشتم، وقد اشتكى منه الجيران للفقيه أبي ميسرة الذي دعا الله عليه وسرعان ما ضربت عنقه في صباح اليوم الموالي من طرف جند الشرطة.

في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وانطلاقا من معطيات المصادر الإسماعيلية قام الخلفاء الفواطم باستغلال العبيد السوداني وتسخيرهم لأداء وظائف هامة في الدولة[6]، وهذا ما نلحظه من خلال تقديمهم لخدمة الحراسة وملازمة الخلفاء في قصورهم والقيام على متطلبات طعامهم وفراشهم ونظافتهم[7]، أمّا في الجانب العسكري، فقد انخرط العنصر السوداني في تركيبة الجيش الفاطمي بتشكيله لفرقة عسكرية قادها العبد الأسود المدعو صندل الفتى، والذي ابتاعه الخليفة عبيد الله المهدي من سجلماسة، وقد تجسد العمل العسكري ميدانيا لهذه الفرقة السودانية في قمعها لحركة التمرد الكتامية المعارضة لعبيد الله المهدي[8].

---

[1] المالكي، المصدر السابق، 141/2.

[2] المصدر نفسه، 180/2.

[3] عبد الإله بنمليح، تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط الفعل ورد الفعل، مقال ضمن كتاب: دراسة في المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، ط1، مطبعة force équipement، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1432هـ/2011م، ص ص/111-112.

[4] المالكي، المصدر السابق، 54/2.

[5] المصدر نفسه، 362/2-363.

[6] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص/303.

[7] الجوذري، المصدر السابق، ص/146. رفيق بوراس، الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية(296-362هـ/908-978م)، رسالة ماجستير، إشراف: محمد الصالح مرمول، جامعة منتوري، قسنطينة، 1428هـ/2008م، ص/75.

[8] اليماني، سيرة الحاجب جعفر، نش: إيفانونف، ج1، مجلس كلية الأدب، الجامعة المصرية، مصر، 1354هـ/1936م، ص/122.

هذا وانطلقت دعوة صنهاجة الملثمين من عمق الصحراء الكبرى جنوبا، فتأسست الدولة المرابطية في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وتمكنت من نسج علاقات تجارية مع الممالك السودانية، سمحت لها بتوريد العبيد السوداني تلبية لحاجيات الدولة في الجوانب الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، ولكيلا تنهك القدرات البشرية للمرابطين في الجهاد والغزو ببلاد الأندلس قام يوسف بن تاشفين بجعل الرقيق السوداني عنصرا أساسيا في الجيش المرابطي، فاشترى ألفي عبد من عبيد السودان[1]، واتسعت دائرة الاعتماد عليهم في النشاط الحربي، فانتقلت فصائل العبيد السودان من المغرب إلى بلاد الأندلس للمشاركة في معركة الزلاقة سنة 479هـ/1086م، وقد قدرت أعداد الجند العبيد المشاركين فيها بحوالي أربعة آلاف، حيث أبلوا البلاء الحسن في هذه المعركة حتى أنهم طعنوا الأذفونش[2] في ساقه وطاردوا قواته وألحقوا بهم هزيمة نكراء[3].

وعبّرت نوازل الفترة المرابطية عن الحضور اللافت للعنصر السوداني في الاحتفالات العائلية والمناسبات الاجتماعية ببلاد المغرب، فقد وردت نازلة حول "السودان والسودانات الذين يجتمعون للعب في الأعراس"، وتدخلت سلطة الفقهاء لصد هذه الظاهرة من خلال فتوى قاضي سبتة أبو عبد الله بن محمد الأموي (ت 527هـ/1132م) التي أقر فيها بوجوب زجرهم ومعاقبتهم لحملهم الدفوف والمشي في الأعراس واللعب فيها[4]، وتؤكد هذه النازلة على استيطان العبيد السودان بالمدن المغربية واندماجهم في التركيبة السكانية، حيث كانوا يشاركون العنصر المحلي في احتفالاتهم الدينية والعائلية، ويقومون بمختلف الأعمال اليومية والنشاطات الحياتية، وتشير رواية ابن القطان[5] انخراط ثلاثمائة سوداني في مدينة فاس لوحدها في الجيش المرابطي بأمر من علي بن يوسف بن تاشفين للجهاد في الأندلس، مما يدّل على ضخامة حضورهم بالمراكز العمرانية وأدوارهم في الانتاج المادي والأعمال الصناعية ومساهمتهم في تأمين القوافل التجارية[6] كأدّلاء وموجهين يستعين بهم التجار المغاربة

[1] مجهول، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1399هـ/1979م، ص/25. إبراهيم القادري بوتشيش، مسألة العبيد في المغرب والأندلس خلال عهد المرابطين، مقال ضمن كتاب: الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1416هـ/1995م، ص/231. المهشمون في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، الرباط، 1435هـ/2014م، ص/287 فما بعدها.

[2] يعرف بـ: ألفونسو السادس ملك النصارى في الأندلس. ابن خلكان، المصدر السابق، 29/5.

[3] المقري، المصدر السابق، 367/4.

[4] القاضي عياض، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح: محمد بن شريفة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1418هـ/1997م، ص/86.

[5] نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م، ص/152.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش، مسألة العبيد بالمغرب والأندلس، ص/291.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

في رحلاتهم إلى بلاد السودان، فالإدريسي يشير إلى تجار مدينة أغمات بقوله:" وما منهم رجل يسفر عبيده ورجاله إلا وله في قوافلهم المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقرة"[1].

وتظهر التقديرات العددية في شهادة البكري خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي أنّ أعداد الرقيق السود كانت كبيرة، فقبل أن يتوغل العرب في مجالات أودغست ومدينة غانة التي شكلت وقتئذ قاعدة السودان الغربي، كانت مجموعات زناتة تسيطر على مجالاتها وتسخر الرقيق الأسود في مختلف الأعمال المنزلية والفلاحية وفي التجارة والحراسة والصناعات الحرفية وغيرها[2]، والدّليل أن جماعات زناتة كانت لهم "أموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم ألف خادم"[3]. ويورد البكري متحدثا عن مناخ مدينة بونة وقدرة السكان على التأقلم معه حيث أن الاستقرار ببونة صعب نوعا ما إذ أنها يصح به السودان ويسقم البيضان[4].

هذا ولم يكتف المغاربة بجلب العبيد من بلاد السودان من جنس الذكور فقط لضمان توظيف المخزون البشري السوداني في الإدارة والجيش والعمل الفلاحي والتجارة، بل ضمت القوافل العابرة للصحراء مجموعات من النساء الجواري اللواتي يتميزن بجمالهن وحسن أجسادهن، فضلا عن مهارتهن في أعمال الطبيخ واضطلاعهن بأشغال البيوت والقصور، ففي مدينة أودغست "سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بمائة مثقال وأكثر، تحسن عمل الأطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطائف وأصناف الحلويات وغير ذلك. وبها جوار حسان الوجوه بيض الألوان منثنيات القدود لا تنكسر لهن نهود، لطاف الخصور ضخام الأرداف واسعات الأكتاف ضيقات الفروج المستمتع بإحداهن كأنه يتمتع ببكر أبدا"[5]. ولعل الإشارة إلى الجواري البيض في هذه الرواية يدل على حضور الرقيق المحلي أو الجواري مختلفة الأصول بربرية وعربية وسودانية[6]، كما تبرهن النصوص المنقبية على

[1] الإدريسي، المصدر السابق، 232/1.

[2] عن دور الرقيق في الصناعة الحرفية، أنظر: خالد حسين محمود، الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام، مجلة الإنسان والمجال، ع5، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير، البيض، 1439هـ/2017م، ص/67.

[3] البكري، المسالك والممالك، 355/2.

[4] المصدر نفسه، 717/2.

[5] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/216. البكري، المسالك والممالك، 849/2. الحميري، المصدر السابق، 64/1.

[6] عبد الإله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص ص/201-202.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

حضور النساء السودانيات من الجنس الحبشي في مدن وحواضر بلاد المغرب، فالولي أبو مدين شعيب تزوج جارية حبشية أهديت له من طرف تاجر في مدينة بجاية[1].

كما تعكس النصوص الإخبارية والوصفية تواصل عملية تجارة الرقيق السوداني وتواجدهم الكثيف خلال الفترة الموحدية، ذلك ما تبرهن عليه الحملة العسكرية التي قادها عبد المؤمن بن علي سنة 524هـ/1129م على مدينة أغمات، والتي انتهت بمقتل ثلاثة آلاف أسود من مجموعة جناوة[2] السودانية[3]، وباعتبار أنّ كثرة العبيد تدل على الرفاهية والتفاخر وسببا للاستكثار منهم، بالإضافة إلى المظهر الاجتماعي الذي يتمثل في الحاجة الملحة لليد العاملة في المزارع والمتاجر والأسواق[4]، فقد كانت تتعرض الساكنة في بلاد فزان وزغاوة السودان إلى سرقة أمم من أولادهم الذين يباعون في أسواق المغرب الأقصى من طرف التجار بأثمان رخيصة[5].

وبقدر ما شكلت مجموعات العبيد الأسود صمام الأمان في الأنظمة السياسية المغاربية، لما كان لها من حضور قوي وفعال في الجوانب الحربية والأمنية، فإنها تغلغلت في السلطة واكتظت بها قصور الأمور والسلاطين والحكام على مر الزمان والمكان في المنطقة، لا سيما على عهد الدولة الموحدية حيث أصبح يطلق عليهم عبيد المخزن لأدوارهم العسكرية البارزة[6]، ومما يعبر عن قرب هؤلاء المستعبدين السود من الخلفاء الموحدين هو وجود غلام أسود[7] كان مرافقا للخليفة عبد المؤمن بن علي في حملته على المغرب الأوسط، حيث كلفه كرسول إلى أهل بجاية، مما يفصح عن توغل سوداني في الحياة السياسية ببلاد المغرب الإسلامي خلال العهد الموحدي[8].

[1] التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1418هـ/1997م، ص/328.

[2] على خلاف ما ذهب إليه محقق كتاب نظم الجمان الذي اعتبر غياب مصطلح جناوة من كل المصادر التاريخية والجغرافية المتوفرة لديه، والتي حالت دون تحديده لهذا المجال الجغرافي، فإننا عثرنا على إشارتين لهذه التسمية عند ابن بطوطة والعمري تؤكدان على وقوع المنطقة في الصحراء الكبرى جنوبا، فبين بلاد جناوة المسكونة بأمم السودان، ومن الشرق آخر حدود طرابلس وهي داخلة من المحدود. أنظر: مسالك الأبصار، 139/4. رحلة ابن بطوطة، 121/2.

[3] ابن القطان، المصدر السابق، ص/158.

[4] حسين بوبيدي، المرجع السابق، ص/286.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، 110/1.

[6] البيذق، المصدر السابق، ص/38،64.

[7] النويري، المصدر السابق، 320/24.

[8] عبد الاله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص/205.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وهكذا يتضح من خلال ما سبق أنّ ظاهرة استرقاق العبيد السوداني بدأت قبل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي أي قبل قيام الدول المستقلة ببلاد المغرب وتمت عبر روافد متباينة، تعددت قنواتها بين السبي والبيع والخطف والإهداء والسرقة، وأنّ تواصل عمليات توريد العبيد الأسود من إفريقيا جنوب الصحراء إلى شمالها يبرهن على مدى قوة العلاقات التجارية بين مجالي بلاد المغرب وبلاد السودان، كما يؤكد من ناحية أخرى على أنّ الإتجار بهؤلاء الرقيق أضحى ضرورة ملحة أملتها الحاجة إلى اليد العاملة والمتطلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمغاربة، ومع أنّ أغلبية العبيد السود عايشوا وضعية متردية بسبب استنزاف طاقاتهم وقدراتهم، إلا أنّ نظام الرق ظل سائدا في بلاد المغرب الإسلامي، وهو ما أبانت عنه المؤشرات المصدرية التي تبرهن على مجهودات المركب الإثني السوداني المتمثلة في تقديمهم لخدمات جليلة استفادت منها البنى الاجتماعية مع اختلاف الزمان والمكان.

2- العبيد الصقالبة "الرق الأبيض":

2-1/ إثنونيم الصقالبة "al-Ṣaḳāliba":

أصل إثنونيم الصقالبة[1] في اللغة الصقلبية القديمة هو سلافينو "Slaveninu"، والتي كانت تدل على الجماعات السكانية المستوطنة على ساحل بحر الخزر، وعرفت لفظيا في اللغة اليونانية سكلافينو"Sklabeno"، أمّا في اللغة الانجليزية فأطلقت على السلاف "Slave"، وفي الفرنسية على اسكلاف "Esclave"[2]، وينقسم العنصر السلافي إلى ثلاث مجموعات رئيسية: شرقية، وغربية وجنوبية، وهي من بين أكبر المجموعات العرقية

[1] تعددت الإثنونيمات التي وردت بالمصادر والدالة عن الصقالبة مثل: السقلبية، وسقلب، وسقلاب، وسقالب، والصقلب، وصقلبون، والصقالب وصقلبة، ولقبوا في نصوص مختلفة بالجبايب والممالك، والعلوج، والخرس، والفتيان. خالد حسين محمود وكريمة عبد الرؤوف الدومي، الصقالبة في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296-362هـ/909-973م)، مقال ضمن كتاب: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس قضايا وإشكالات، ط1، ج2، مطبعة شمس برينت، سلا، المغرب الأقصى، 1441هـ/2020م، ص/254.

[2] أحمد مختار العبادي، الصقالبة في إسبانيا، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1372هـ/1953م، ص/8.

واللغوية في أوروبا[1]، التي تستوطن بشكل رئيسي في مجالاتها الشرقية والجنوبية الشرقية، لتنحصر مواطنهم بين القسطنطينية وبلاد البلغار حول نهر الفولجا[2].

ويشير محمد مواق وبيير غيشارد[3] إلى نقل أعداد كبيرة من مركب الصقالبة مع نهاية الفترة البيزنطية إلى العالم الإسلامي، بعد الأحداث التي شهدتها مواطنهم الأصلية في شرق أوروبا المسيحية بين بلاد الخزر والبلغار شرقا إلى حدود مجالات الافرنج واللومبارديين غربا، أين قام الجرمانيون بحملات عسكرية على العديد من مواطن السلاف، أفضت إلى استرقاقهم ثم نقل مجموعات اثنية منهم في شكل رقيق إلى الأندلس وتحويلهم في مرحلة ثانية إلى مجالات مطلة على الحوض المتوسطي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، القرن الذي عرف انتشارا كبيرا لتجارة الرقيق الصقلبي من الضفة الأوربية باتجاه بلاد المغرب[4].

وأجمعت الدّراسات التّاريخية على اتساع معاني إثنونيم الرقيق الأبيض ليطلق على العنصر الرومي والافرنجي والصقلبي والسلافي و الباسكي أو النورماندي أو اللومبارد أو الصقلي أو الغاليسي، إلى جانب الفتيان والخصيان والغلمان أو الرقيق الأعاجم أو الأعاجم الغلمان، وكذلك المجابيب والعلوج والخرس والمماليك[5]، على أن الكلمة المعروفة بصقلب (Esclave) فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق[6] وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب

[1] يشير القزويني إلى قوة المخزون البشري والاثني للصقالبة في معرض حديثه عن مجالاتهم الجغرافية في قوله: "الصقالبة أقوام مختلفة بينهم حروب، ولولا اختلاف كلمتهم لما قاومتهم أمة في الشدة والجرأة، ولكل قوم منهم ملك لا ينقاد لغيره"، أنظر: آثار البلاد وأخبار العباد، ص/614. ويدعم هذا القول ما صرح به البكري حيث قال:" وبالجملة فإن الصقالبة ذوو صولة وبطش، ولولا اختلافهم بكثرة تفرع أعراقهم وتفرق أفخاذهم ما قامت لهم في الشدة أمة من الأمم"، راجع: المسالك والممالك، 336/1.

[2] ينقسم السلاف عادةً إلى السلاف الشرقيين وهم: "الروس والأوكرانيون والبيلاروسيون"، والسلاف الغربيون وهم: "البولنديون والتشيك والسلوفاك والونديون، والسلاف الجنوبيون "الصرب والكروات والبوسنيون والسلوفينيون والمقدونيون إلى جانب سكان جبل الأسود والبلغار"، ولا يزال الموطن الأصلي للسلاف محل جدل، لكن يرجح المؤرخون أنهم سكنوا أجزاء من أوروبا الشرقية، وظهروا على مسرح الأحداث التاريخية في القرن السادس الميلادي، عندما توسعوا غربًا إلى البلاد بين خط أودر وإلبسال جنوبًا إلى بوهيميا وموارفيا فالمجر والبلقان، ثم اتجهوا شمالًا على طول نهر دنيبر الأعلى بأوروبا. Ge.l, «Slave» Encyclopaedia Britannica, vol 20, 1960, p.430.

[3] Golden, P.B., Bosworth, C.E., Guichard, P. Meouak M, «al-Ṣaḳāliba», Encyclopédie de Islam, V8,brill, leiden,1995, p.909.

[4] Marek Jankowiak, «What Does the Slave Trade in the Saqaliba Tell Us about Early Islamic Slavery?, Roundtable», Middle East Stud. 49 2017, pp. 169-170.

[5] عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص/215. لطيفة بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص/252. أحمد حامد عودة المجالي، الصقالبة ودورهم السياسي والثقافي في الأندلس، أطروحة دكتوراه، إشراف: تقي الدين عارف الدوري، جامعة مؤتة، الأردن، 1428هـ/2008م، ص/45 وما بعدها. بن الذيب عيسي، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (480-540هـ/1050-1145م)، إشراف: أحمد شريفي، جامعة الجزائر، 1428هـ/2008م، ص/30.38., Salah Trabelsi, Op, Cit, p.

[6] Golden, P.B., Bosworth, C.E., Guichard, P. Meouak M, Op, Cit., p.909.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

في العصور الوسطى على المجموعات السلافية عامة، لأنّ بعض الجرمان الاسكندنافيين دأبوا على سبي تلك العناصر السلافية وبيع الرجال والنساء منهم إلى عرب الأندلس ولذا أطلق عليهم اسم الصقالبة[1].

إنّ لفظ الرقيق الأبيض قد ورد في النصوص الاخبارية والوصفية وكتب الأدب العربي ليحمل مدلولات ايثنونيمية مختلفة، نقف على العديد منها مثل العنصر الصقلبي[2] والرومي[3] والإفرنجي[4] والجليقي[5]. لقد ارتبط المركب الاثني المعروف بالصقالبة أو العبيد الأبيض الذي تشكل منه الخصيان والفتيان والقيان والحريم بخدمة الخلفاء والسلاطين والأمراء في القصور والبيوت الأميرية ببلاد المغرب الاسلامي، فلقبوا بأرستقراطية العبيد[6].

ومن الثابت أن ملاك العبيد الصقالبة قد قاموا بتغيير أسمائهم الأصلية التي لا يستسيغها اللسان المغاربي إلى أسماء عربية سهلة النطق مثل: واضح[7]، وبلاغ، ومظفر، وطارق[8]، وأيمن، وميسور، وشفاء[9]، ومسعود، وصابر، وريان وغيرها[10].

2-2/ العبيد الصقالبة من أوروبا إلى بلاد المغرب:

إنّ احتلال العنصر الصقلبي لمكانة راقية في التصنيف الاجتماعي للمنطقة، وقربهم من الحكام واندماجهم مع العناصر الاجتماعية المغاربية الأخرى، جعل المصادر الإسلامية تعج بأسمائهم وألقابهم، وتصور لنا رواية صاحب مفاخر البربر ذلك الموقع الذي حظي به واضح الصقلبي في الجيش، بعد أن استقدمه ابن أبي عامر من

---

[1] سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، عين للدّراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 1418هـ/1998م، ص/22.

[2] أبو العرب، المصدر السابق، ص/62. أبو بكر المالكي، المصدر السابق، 63/2-64. عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، ص/40.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/97.

[4] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1417هـ/1997م، ص/347.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 177/9. ابن خلدون، كتاب العبر، 277/2. السلاوي، المصدر السابق، 42/2. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص/351- 371. عبد الاله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص/218.

[6] آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ص/298.

[7] مجهول، مفاخر البربر، ص/121.

[8] العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي سعيدة، دار الفكر العربي، مصر، د ت، ص/41.

[9] ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص/69.

[10] أنظر معطيات الدراسة التي أنجزها الباحثان: خالد حسين محمود وكريمة عبد الرؤوف الدومي، المرجع السابق، ص/266.

مدينة سالم بالأندلس ولقبه بالفتى الكبير، وعقد له على كور المغرب وقلده حرب زيري وشرط عليه واضح انتخاب الجند فأجابه إلى ذلك وانتقى الحماة من سائر الطبقات الإجتاعية الأخرى[1].

يقدّم لنا ابن الصغير[2] نصا واحدا حول تواجد مركب الصقالبة في مدينة تاهرت خلال إمامة أبي اليقظان، حيث يذكر أن صقلبيا كان يحمل السراج لامرأة جارية توجهت إلى القاضي ليلا، ويستشف من هذه الرواية أن الحضور الصقلبي بالعاصمة الرستمية قد ظل شحيحا في ضوء الصورة القاتمة التي صورتها لنا معطيات المصادر الإباضية، التي لم تصرح بإثنونيم الصقالبة لفظا، بل اكتفت بذكر كلمة العبيد في سياقها العام[3]، فضلا عن الإشارة في مواضع عديدة إلى العبيد السود المجلوبين من بلاد السودان[4].

النصوص الاخبارية التي بحوزتنا والخاصة بالفترة الأغلبية (184-296هـ/800-909م)، تبرز بوضوح التواجد الكبير للصقالبة الذين دخلوا إلى بلاد المغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وبعد استيطانهم لإفريقية التي كانت تحت حكم الأغالبة تم استخدامهم في شكل خدم بالقصور، كما استعملوا في تركيبة الجيش ووظفوا في بيوت الأثرياء ولدى أصحاب الجاه والأمراء، وهذا ما نلمسه في الرواية الإسماعيلية التي تفيدنا بانتقال ألف صقلبي من رقادة بإفريقية نحو مصر، وهم من خدم الأمير الأغلبي زيادة الله الذي انهزم أمام أبي عبد الله الشيعي[5].

أمّا ما يُورده الشماخي[6] فيشير إلى إقدام الأمير إبراهيم بن الأغلب على إلقاء عبيده الصقالبة من أعلى القصر، وفي واقعة ثانية قتل غلمانه من العناصر الصقلبية ثم عوضهم بالعبيد السودان، مما يجعلنا نتبين الأدوار البارزة لهذا المركب البشري في القصور وداخل بيوت الحكام، وقدرتهم على التأثير في الأحداث والمستجدات التي كانت تجري بين الأمراء، وهذا ما أدّى إلى التخلص منهم بشكل أوضح من خلال النص الذي ورد في كتاب

[1] مجهول، مفاخر البربر، ص/121.

[2] أخبار الأئمة، ص/79.

[3] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص/104. الدرجيني، المصدر السابق، 312/2. الشماخي، المصدر السابق، 135/2.

[4] إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص/38. محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص/211.

[5] القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص/234.

[6] الشماخي، المصدر السابق، 231/1.

السير، ويعضده نص المالكي عندما صّرح بتحريض الفتى الصقلبي بلاغ[1] أحد المقربين إلى إبراهيم بن أحمد الأغلبي لتولية ابن طالب القضاء في ولاية ثانية[2].

إنّ التواجد البشري لعنصر لصقالبة خلال العهد الأغلبي (184-296هـ/800-909م)، لا يعدو أن يكون مجرد حضور لم ترتسم ملامحه في مختلف الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد برزت أدوارهم[3] أكثر بعد استيلاء الفاطميين على السلطة في بلاد المغرب. حيث أولوهم أهمية قصوى، وقام الإمام المهدي برعايتهم وتربيتهم وإدماجهم في نظم الحكم والإدارة[4] وعلى قيادة الجيش الفاطمي وكجند في تركيبته.

ومع ما أورده محمد بن حارث الخشني (ت 361هـ/972م) من أحكام شرعية في كتابه أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك، يثبت حضور العنصر الصقلبي في المنطقة بعد أن أجازت النصوص الفقهية شراء العبيد الصقالبة واستعمالهم أو عتقهم، حيث يقول: "وإذا حلف بحرية عبد يشتريه من الصقالبة فوهب له أو تصدق به عليه أو ورثه فانظر: فإن كان إنما كره ملك الصقالبة، وكان ذلك خاصة يمينه ومعناها، فبأي وجه ملك منهم عبدا فإنه يعتق عليه"[5]. ويفهم من الفتوى التي نقلها لنا أنّ هذا المركب البشري كان من بين صنوف العبيد الموجودة ببلاد المغرب الإسلامي عندما ازدهرت تجارة الرقيق الأبيض لتوظيفهم في القصور وخدمة للأمراء والسلاطين والحكام.

---

[1] أحد فتيان إبراهيم بن أحمد الأغلبي المقربين، أصبح ذو نفوذ كبير في الدولة وينزل منزلة الوزير، كان حيا سنة 267هـ، وهي السنة التي أرجع فيها ابن طالب إلى منصب القضاء بسعي من الفتى بلاغ وتحريضا منه. الراجح أنه قتل سنة 279هـ، فيذكر ابن عذاري والقاضي النعمان، أن أحمد بن إبراهيم قام بقتل جميع فتيانه الصقالبة، بسبب قول أحد المنجمين والكهنة الذي نبأه بمقتله على أيدي فتى منهم. أنظر: البيان المغرب، 122/1. وفي افتتاح الدعوة، ص/234.

[2] المالكي، المصدر السابق، 158/2-159.

[3] أثارت مجموعة من الدراسات موضوع الحضور الصقلبي ببلاد المغرب وإسهامات الصقالبة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، للمزيد حول الموضوع، أحيلك إلى الأبحاث التاريخية التالية: محمد المنوني، ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، ع31، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1405هـ/1984م، ص ص/189، 209. عبد الاله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص/261 فما بعدها. لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/269 فما بعدها. فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص/284 وما بعدها. حسين محمود وكريمة عبد الرؤوف الدومي، المرجع السابق، ص/270 فما بعدها.

[4] الجوذري، المصدر السابق، ص/35.

[5] محمد بن حارث الخشني، أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك، تح: محمد المجدوب ومحمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م، ص/212.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وعليه، فمن المؤكد حسب ما ورد في النصوص الإخبارية، في مقدمتها عيون الأخبار[1] تولية الفتيان الصقالبة في مناصب رفيعة مثل قدام[2] الصقلبي من طرف الخليفة الفاطمي المنصور لأمور دولته وعهد إليه بالإشراف على شؤونها، أثناء خروجه في حملته على أبي يزيد النكاري سنة 335هـ/946م، واستخلف الخليفة المنصور بالله عزيزا الجوذري على الملك وسائر البلاد واستأمنه على خزائن المال في الدولة والتصرف فيها[3] عند قيامه بحملته العسكرية ضد أبي يزيد النكاري، وتُعدّ هذه الوظيفة سامية في الدولة الفاطمية، لأنها تسمح لمن يقوم بها إذا كان مخلصا وكفؤا، أن يتبوأ مرتبة هامة في جهاز الدولة[4].

وسيدمج الخلفاء الفاطميون العناصر الصقلبية في تركيبة الجيش والهياكل السياسية والاقتصادية، نظرا للكفاءة العالية والخصال الأخلاقية السامية التي يتميزون بها، وهنا أيضا ستسند إليهم وظائف رفيعة كالحجابة التي عيّن عليها الإمام المهدي صقلبيا يحجبه عن الوافدين عليه[5]، فضلا عن تكليف الفتيان الصقالبة بمهام إدارية كالإشراف على العمالات المغاربية، حيث عهد الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي إلى يشكر الفتى عمالة القيروان، ثم عين في منصبه صابر الفتى[6]، وولى الخليفة المنصور الفتى الصقلبي مظفر[7] عاملا على طرابلس في عهده[8].

لقد أثبتت النصوص الإسماعيلية[9] استخدام العنصر الصقلبي بشكل واضح في المؤسسات الفاطمية ببلاد المغرب، والعامل الأساسي في توظيفهم هو فقدان انتماءهم إلى عصبية معينة يحتمون بها أو يدافعون عنها،

---

[1] الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م، ص/387.

[2] وردت معطيات متضاربة لدى أصحاب المصادر السنية والإسماعيلية تثبت اختلاف تسمية هذا الخادم الصقلبي، فمنهم من ذكره تحت إثنونيم قدام الصقلبي، ومنهم من لقبه بمدام الصقلبي. للتحقق راجع: ابن عذارى، المصدر السابق، 303/1. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص/71. الداعي ادريس، المصدر السابق، ص/387.

[3] الجوذري، المصدر السابق، ص/44.

[4] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/373.

[5] المالكي، المصدر السابق، 63/2-64.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، 191/1.

[7] أحد الفتيان الصقالبة الذين خدموا الفاطميين مثل، جوهر، وميسور، ومفرج، وقد كان يعلم المعز لدين الله الخط في صغره، غير أنّ المعز قام بقتله ولعل السبب الحقيقي هو أن الفتيان الصقالبة قد طغى نفوذهم على الخليفة نفسه، فتخلص من بعضهم مثل قيصر ومظفر سنة 349هـ/960م. القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ص/435-436.

[8] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[9] أنظر: القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، ص/299. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص ص/247-262-357. الجوذري، المصدر السابق، ص ص/35-88-131. ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص ص/69-71.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

وتكون ولاءً تاما لهم، بل وإن الأساس الذي قامت عليه العلاقات بينهم هو النسب بمعناه الضيق[1]، أي بروزهم في شكل أفراد خدم وليسوا في صورة جماعات سكانية، حيث اضطلعوا بخدماتهم ونشاطاتهم ووظائفهم المنوطة بهم، وكانوا مقربين من سادتهم في بلاطات الحكم، فلم يغرهم أي طموح أو ما وجاه، فالعبد وماله ملك سيده[2].

أمّا خلال العصر المرابطي (480-540هـ/1056-1145م)، فليس بحوزتنا إشارات تفصح عن حضور إثنونيم الصقالبة في مصادر الفترة، فالمصطلحات الجديدة التي حلت محل هذا الإثنونيم هي "الروم" و"الحشم" و"العلوج" و"الفتيان" و"الخصيان"[3]، ويرجع ذلك إلى تغير واضح في مواطن توريد العنصر الصقلبي، التي لم تعد بلاد السلاف هي المركز الرئيسي للرقيق الأبيض، بل اقتصرت على الإمارات المسيحية في الأندلس خاصة قشتالة وأرغون[4]، مما ترتب عنه تحول إثنونيمي واضح لأسماء الأقليات الصقلبية ببلاد المغرب خلال المرحلة المرابطية.

في العهد الموحدي[5]، وخلال منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، يشير البكري[6] إلى استمرارية عنصر الصقالبة كمكون من مكونات التركيبة البشرية في إمارة نكور[7]بالمغرب الأقصى، ذلك أنّهم قاموا -بتمرد على الأمير سعيد بن صالح الذي أعفاهم من المغارم، لكنهم طالبوه بالعتق الكلي ليكونوا أحرارا من بين فئات العبيد الأخرى، فتواجهوا في موقعة بقصره وهزمهم، ثم نزحوا باتجاه السفوح الجبلية المتاخمة لمجالات إمارة

[1] محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص/187.

[2] لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص/245.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، 123/2. ابن عذاري، المصدر السابق، 223/2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 352/7. السلاوي، المصدر السابق، 251/2.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص/46. أنظر لنفس المؤلف: المهشمون في تاريخ الغرب الإسلامي، ص/287 فما بعدها.

[5] ارتبط الخطاب السياسي الموجه إلى الرقيق مباشرة ببلاد المغرب الإسلامي، ببعض الرسائل الخاصة بعنصر الصقالبة، لذلك يمكن البحث في حضور مفهومي العبودية والاسترقاق في ذهنية رجال السياسة في المغرب، وتقدم الفترة الموحدية نموذجا معبرا لهذا الحضور، فقد استحضر الإمام المهدي بن تومرت في أكثر من مناسبة، العلاقة بين العبد والسيد، ووظفها توظيفا سياسيا صريحا. عبد الاله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص ص/480-481.

[6] المسالك والممالك، 768/2.

[7] إمارة تقع في بلاد الريف بالمغرب الأقصى على القرب من مدينة مليلة، أسّسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور، وقاعدتها تمسامان المطلة على البحر، والقاعدة البشرية التي قامت عليها إمارة بني صالح، ويتعلق الأمر بنفزة المجموعة القبلية الأساسية التي تمحورت حولها باقي الفروع الأخرى كصنهاجة زناتة وغمارة، البكري، المصدر السابق، 763/2. الحميري، المصدر السابق، ص/576. أحمد الطاهيري، إمارة بني صالح في بلاد نكور، قر: محمد أونيي، مجلة حوليات الريف، ع2، المغرب، 1420هـ/2009م، ص/153.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

نكور، وتحصنوا بقرية تعرف بقرية الصقالبة لمدة سبعة أيام، أين خرج إليهم سعيد بن صالح بنفسه وقاتلهم حتى أخضعهم[1].

وعلى الرغم من افتقارنا إلى تأصيل اثني متين لمركب الصقالبة، إلا أنّ النسّابة[2] والإخباريين[3] والرحالة[4] العرب حاولوا حصر انتماءهم العرقي في الأصول المشرقية وتحديدا انحدارهم من يافث بن حام، ويتضح ذلك في النص الذي قدمه ابن حوقل في قوله "والصقالبة من ولد يافث..."، ويُعزّزه الجواب الذي قدّمه الخليفة المعز لدين الله بعد رده على رسالة الصقلبي جوذر بخصوص المساواة بين جميع التكوينات الاثنية ببلاد المغرب، حيث يقول" أو ليس السودان من ولد حام بن نوح رسول الله؟ أوليس الصقالبة من ولد يافث بن نوح رسول الله؟"[5].

ختاما يمكن القول أننا لا نملك دلائل تتعلق بالنسب الحامي لمركب الصقالبة، خصوصا وأنه تصنيف إثني له أبعاده وخلفياته السياسية، لأنّ اندماج الجماعات الصقلبية في منظومة المجتمع المغاربي[6]، رافقه اعتراف واضح من طرف حكامها بحضورهم كعنصر بشري له حظوة ومكانة مميزة مثل باقي العناصر الاجتماعية الأخرى، لاسيما على عهد الدولة الفاطمية (296-365هـ/909-975م)، وذلك نابع عن ما يقدمونه من إسهامات وخدمات متعددة للفاطميين، شملت مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 177/1. أحيلك إلى مراجعة الدراسة التالية: Dariusz Rozmus, «A More Precise Dating of the as-Saqaliba Rebellion in the Medieval Maghrib», , Folia Orientalia, vol. 32, 1996. p.157-158

[2] السمعاني، المصدر السابق، ص/320.

[3] الطبري، المصدر السابق، 206/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 218/2.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص/110.

[5] الجوذري، المصدر السابق، ص/65.

[6] يجب أن لا نغفل في هذا المقام عن الأدوار والمساهمات التي قام بها الصقالبة في بلاد المغرب خلال مرحلة العصر الوسيط، والدليل ما أوردته الحقول المصدرية التي تناقلت أخبارهم، ذلك أنهم أدمجوا في مختلف الهياكل السياسية والعسكرية والاقتصادية ببلاد المغرب من القرن الثاني الهجري إلى الربع الأول من القرن الهجري السابع أي طيلة فترة الدراسة، فظهروا قادة في الجيوش المغاربية، ومقربين من الحكام في البلاطات، وعينوا موظفين مهمين في مناصب رفيعة، كما شاركوا في تمردات داخلية، وكانت لهم اليد في الاغتيالات داخل القصور، وقادوا حملات برية وبحرية ضد الدول الأوروبية ودول المدن الإيطالية، فضلا عن تسخيرهم للحملات الفاطمية على مصر، الوجهة التي كان يتطلع إلى السيطرة عليها الفواطم منذ حلولهم ببلاد المغرب في القرن الثالث الهجري. لقد عبرت مختلف المصادر السنية والإباضية والإسماعيلية عن الحضور الصقلبي البارز في حياة المغاربة والآداء المتميز الذي قدموه في فترات تم فيه استبعاد العصبيات والعناصر البشرية الأخرى. للتحقق، أنظر: الداعي إدريس، المصدر السابق، ص/425. الجوذري، المصدر السابق، ص ص/41 وما بعدها. ابن عذاري، المصدر السابق، 209/1.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

3/ العبيد الأغزاز:

3-1/ إثنونيم الأغزاز– الغز "Ghuzz":

ورد ايثنونيم "أوغوز"، و"أوغز"، و"غز"، ليدّل على مركب بشري ترجع أصوله إلى إحدى الكنفدراليات القبلية التركية التي كان موطنها خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بين سهوب آسيا الوسطى ومنغوليا. ومن غير المستبعد أن تشير نقوش أورهون[1]، التي تصف الجماعات البشرية التركية مبكرًا، إلى الأغزاز السلاجقة الذين شكلوا فرعًا واحدًا من الغز، ومن جهة أخرى فقد امتدت مجالاتهم من نهر آمو داريا في أواسط آسيا إلى الخليج الفارسي جنوبا ومن نهر السند شرقا إلى البحر الأبيض المتوسط غربا بحلول نهاية القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر[2].

ب– الغز والأغزاز كيف دخلوا إلى بلاد المغرب؟

لقد سجلت لنا المصادر التاريخية دخول مركب الأغزاز إلى بلاد المغرب سنة 486هـ/1093م، على أننا نشير إلى محدودية أعدادهم خلال الفترة المرابطية، فليس ثمة دليل يشير إلى تواجدهم ببلاد المغرب سوى نص واحد انفرد به صاحب روض القرطاس[3] يذكر فيه توظيف الأمير يوسف بن تاشفين للأغزاز الترك في الجيوش المرابطية[4]، وبرزت العناصر الغزية في بلاد المغرب خلال العهد الحمادي أين سيطرت على طرابلس ثم تحولت إلى محطات أخرى نحو إفريقية في سنة 488هـ/1095م، وتحديدا بمجالات قابس والجريد، ممّا أدى إلى حالة فوضى

[1] أنظر الملحق رقم (07).

[2] Adam Zeidan, «Ghuzz, Oghuz», Oguz History, Empire, & Turkic peoples – Encyclopedia, https: //w w w. britannica.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة حجرية، المغرب، ص/140. السلاوي، المصدر السابق، 27/2.

[4] يجدر التنبيه في هذا المقام إلى إشكالية رئيسية تتعلق بتضارب الروايات التاريخية في مسألة دخول جماعات الأغزاز إلى بلاد المغرب خلال العهد المرابطي، والرواية الوحيد التي بحوزتنا تعود إلى ابن أبي زرع في روض القرطاس، انفرد بها عن باقي المصادر، فلذلك لا يمكننا التسليم بها للتأكيد على تواجد العنصر الغزي بالمغرب أثناء حكم المرابطين، لا سيما في ظل غياب الإيحاءات الدالة على حلولهم وتواجدهم بالمنطقة في الحقول التاريخية الأخرى. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/140.

عاشتها إفريقية فخرج إليهم الأمير الصنهاجي يحي بن تميم[1]، ودخل في صراع عسكري مع شاه مالك الغزي[2] قائد الأغزاز وألحق بهم هزيمة في مدينة سفاقس بإفريقية[3].

بعد أكثر من 80 سنة أي في عام 569هـ/1173م عرفت بلاد المغرب حركة أخرى لهذا المركب الاثني الذي تألفت منه تركيبة الجيش المملوكي الداخل إلى مدينة طرابلس ضمن الحملة التي قادها بهاء الدين قراقوش المظفري[4]، ويُعلّل ذلك النص الذي أورده ابن واصل[5] في قوله:" مضى قراقوش...إلى المغرب في طائفة من الترك، وانضم إليه جماعة من العرب، واستولى على أطرابلس الغرب وكثير من بلاد إفريقية".

أمّا في المغرب الأقصى فقد دخلت جماعات الأغزاز إلى مراكش خلال فترة حكم الخليفة أبي يعقوب بن يوسف وبأعداد معتبرة، وأصبحوا يمثلون مكونا من مكونات الخريطة البشرية بالمغرب الأقصى، فقد صرح صاحب المعجب قائلا:" وفي أيام أبي يعقوب ورد علينا المغرب أول ما وردها الغز، وذلك في سنة 74، ومازالوا يكثرون عندنا إلى آخر أيام أبي يوسف"[6]، كما بيّن في نص آخر استمرارية قدوم مركب الأغزاز إلى القسم الغربي من البلاد المغاربية، وعلى ما يبدو أنّ السبب الرئيسي في الحضور الغزي الكثيف خلال الفترة الموحدية هو ارتباطهم بالوظائف والمهام العسكرية التي أسندت إليهم، إذ ظلت هذه الجموع تتوافد على المنطقة طيلة

[1] يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، كانت ولايته بالمهدية 497هـ/1103م ثم خلف والده سنة 501هـ/1107م، له الفضل في بناء الأسطول البحري الزيري وشارك به في غزو مدينتي جنوة وسردانية، توفي سنة 509هـ/1116م. الزركلي، الأعلام، ط15، ج8، دار العلم للملايين، 1422هـ/2002م، ص ص/139-140.

[2] لم أعثر له عن ترجمة في كتب التراجم والطبقات.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، 302/1. شرقي نوارة، الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1267م)، رسالة ماجستير، تحت اشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008م، ص/59. بن الذيب عيسى، المرجع السابق، ص/46.

[4] أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب ببهاء الدين، أصله من المماليك الأتراك، نشأ في خدمة صلاح الدين الأيوبي، وقيل كان خادما لأسد الدين بن شيركوه عم السلطان صلاح الدين، قام ببناء السور المحيط بالقاهرة، ودخل مع جماعات الأغزاز إلى بلاد المغرب في حملته على طرابلس سنة 569هـ/1173م. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ط1، ج4، دار صادر، بيروت، 1390هـ/1971م، ص/91. الزركلي، المرجع السابق، ص ص/192-193.

[5] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال،ج1، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، مصر، 1377هـ/ 1957م، ص ص/236-237.

[6] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م، ص/188.

العهد الموحدي[1]، والدّليل أنه في ولاية الخليفة أبي يسوف بن يعقوب إمّا سنة 83 أو 82 دخل الغز من مصر إلى المغرب الأقصى، وكان من بينهم المملوك قراقش أحد أمراء الغز[2].

إنّ بروز جماعات الغز في القسم الشرقي لبلاد المغرب وسرعة استيلاءهم على مجالاته[3]، يمكن تفسيره بالعامل الجغرافي، بمعنى قرب هذه المجالات من بلاد مصر وهي قاعدة انطلاق وتحرك الأغزاز المماليك، وبالتّالي سهولة السيطرة عليها، ومن جهة أخرى المسافة الطويلة التي كانت تفصل مركز السلطة الموحدية عن أقصى بلاد إفريقية وطرابلس، لكن ذلك لم يقف حائلا دون خوض المنصور بنفسه مهمة القضاء على الاضطرابات والفتن التي عرفتها إفريقية عقب دخول الأغزاز بقيادة زين الدين يوزبا الغزي[4].

في هذه الحملة التي قادها المنصور على مدينة قفصة للقضاء على الفوضى التي شهدتها المجالات الشرقية عقب استطالة الغز عليها، أوضحت رسائل الموحدين تواصل استرقاق مركب الأغزاز واستخدامهم في شكل كتيبة في الجيش الموحدي[5]، لما أظهروه من قوة عسكرية وخطورة كبيرة في التأثير على مجريات الأحداث بالمنطقة، خصوصا بعد تحالفهم مع الميورقيين[6] والعرب وفي الفتن التي اجتاحت إفريقية وقتئذ، كما يمكن القول بأنّ الأغزاز وإن دخلوا بلاد المغرب في خلافة يوسف بن عبد المؤمن، إلا أنهم لم يدخلوا الجيش إلا في خلافة المنصور، الذي قام باسترقاقهم وتجنيدهم في تركيبة الجيش الموحدي، مما يدل على قوتهم وخبرتهم العسكرية التي أغرت المنصور للستفادة منهم مقابل تلقيهم الأموال وإقطاعهم الأراضي، وغدا الأغزاز مكونا رئيسيا في الجيش الموحدي ببلاد افريقية والمغرب[7]. بل وحافظوا على مكانتهم القريبة من سلاطين الدولة الموحدية، ذلك أنّ الأمير أبي يوسف بن

[1] عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص/226.

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص/210.

[3] لمزيد اطلاع حول موضوع الحملات المملوكية على بلاد المغرب وتحركات الجماعات الغزية في مجالات طرابلس وسيطرتهم عليها، راجع: ابن واصل، المصدر السابق، 1/236-237. ليفي بروفنصال، مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، ج10، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المغرب، 1360هـ/1941م، ص/189 وما بعدها .الحميري، المصدر السابق، ص/414. عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص/225.

[4] أبو شامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح: إبراهيم الزيبق، ط1، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م، ص/257. ابن واصل، المصدر السابق، 1/236-237.

[5] ليفي بروفنصال، المرجع السابق، ص/214.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص/414.

[7] عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص/226.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

يعقوب لما خرج قاصدا منطقة تينمل بالمغرب الأقصى صاحبه فصيل من الأغزاز[1]، ولربما كانت مهامهم الرئيسية تتجلى في توفير الأمن والحماية للسلطان وكبار دولته.

رابعا– الأقليات العرقية في بلاد المغرب...استمرارية أم اختفاء –العبيد أنموذجا–:

إنّ تشكيل العبيد السوداني والصقلبي والغزي لمجموعات إثنية متميزة بأدوارها الحيوية في بلاد المغرب خلال الفترة الإسلامية، يؤكد على حضورهم القوي في مختلف الهياكل الاجتماعية والاقتصادية المغاربية، حيث سجلت المظان المصدرية جلبهم بأعداد عالية وتسخيرهم في خدمة أسيادهم، وقد أدّى انتشارهم في المجالات الحضرية والريفية إلا أن أضحوا يمثلون مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية، فظهرت منهم فئات الإماء والجواري والسراري والغلمان والفتيان والوصفان والخدم داخل قصور السلاطين وفي منازل الأغنياء وفي مساكن العامة، ولا ينبغي أن تركن المجتمعات المغاربية لخدمات هذه الفئات المستعبدة، دون أن تلتمس فيها الكفاءة العالية والإخلاص الدائم، فأساس استمرارية العبودية في المغرب واتخاذ الخدم والسراري مرتبط بجودة خدماتهم المقدمة لأسيادهم، فضلا عن العامل الاقتصادي المتمثل في اليد العاملة ومدى تسخيرهم في مختلف مناحي حياة المجتمعات المغاربية، ولذلك فالتساؤل المشروع الذي يطرح في هذا الصدد: هل تواصل نظام استرقاق العبيد ببلاد المغرب من بداية الفتح إلى نهاية العهد الموحدي وماهي المظاهر الدّالة عليه؟

قبل التعاطي مع مسألة التواصل الإثني لمجموعات العبيد السوداني والصقلبي والغزي ببلاد المغرب الإسلامي، يجب التنبيه إلى أنّ الحسم في الأمر قد تم في المباحث السابقة[2]، حيث تتبعنا بتفصيل الحضور البشري لمركب الرقيق عبر الزمان والمكان من بداية الفتح إلى نهاية العهد الموحدي ببلاد المغرب، ومع ذلك سأومئ باختصار إلى بعض الملامح الاجتماعية الواردة في المصادر الإخبارية، وأدعمها ببعض النصوص المتناثرة في كتب الأحكام والوثائق والنوازل[3]، باعتبار معطياتها تلامس الواقع الاجتماعي للفئات الهامشية والمغيبة في تاريخ المنطقة،

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص/211.

[2] أنظر: المباحث السابقة والمعنونة بـ: العبيد السودان– العبيد الصقالبة– العبيد الأغزاز.

[3] يجب التنبيه في هذا المقام إلى ندرة النوازل والفتاوى والوثائق التي تتحدث عن وضعية العبيد وعلاقاتهم بالسكان في المدونة الفقهية المغاربية خلال العصر الوسيط المتقدم، ولو حاولنا مقارنتها بالفترة الإسلامية المتأخرة لوقفنا على زخم مصدري هائل، باعتبار أنّ التأليف في الوثائق والأحكام والنوازل قد شهد تطوراكبيرا عقب القرن الهجري السابع/الثالث الميلادي عشر، فظهرت مصنفات عديدة متأخرة في الغالب عن الإطار الزماني لدراستنا، اللهم بعض النوازل التي تعود إلى الفترة ما قبل نهاية العهد الموحدي محل بحثنا.

التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

ولكونها تقدم صور دقيقة عن حياة الإماء والجواري والغلمان لأنهم أقرب عنصر إلى الساكنة ولهم دورهم بارز في حياة المجتمعات المغاربية.

لقد تناولت المدونة الفقهية المالكية حياة العبيد ونوعية علاقاتهم الاجتماعية بالمغاربة، فقد ذكر محمد بن سحنون[1] في أجوبته عديد المسائل المتعلقة بالإماء والغلمان، حيث سئل عن أهل الذمة من العبيد يجبرون على العمل يوم السبت والأحد، مجيبا بوجوب إجبارهم على الشغل لأنهم يتطيرون ويزعمون أن لا بركة في العمل خلال هاذين اليومين، وتبرز مكانة الإماء عندما كتب الفقيه محمد بن سحنون ثلاثين كتابا لمياسير يطلب من كل واحد جارية، فاجتمعت له ثلاثون جارية قام بكسوتهن ثم إعطائهن لرجل أساء إليه[2]. وقد قام زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب بإهداء الخليفة العباسي المعتضد بالله مائة خادم ومائة جارية[3]. إنّ ما يستشف من هذه المعطيات هو الحضور الكثيف للجواري والإماء والخدم وعلاقاتهم بالفقهاء والسلطة في مجتمع المغرب خلال الفترة الأغلبية.

كشفت النصوص الإباضية عن انتشار الرقيق بمختلف أجناسهم في القصور والمنازل والبيوت يخدمون الساكنة ببلاد المغرب ويشرفون على شؤونها، فشكلوا بذلك مادة تكونت منها فئات الإماء والجواري والغلمان والخدم، لا سيما العنصر السوداني والصقلبي، حيث شهدت مرحلة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب إنجازات حضارية هامة، وهو الذي تولى الإمامة لمدة خمسين سنة فأنشأ الضياع وأجرى الأنهار وبنى القصور، فاتسعت في فترة حكمه دائرة استخدام العبيد والجواري في المجتمع الرستمي، وبخاصة في القصور إذ لم يخل قصر من قصور تاهرت وخارجها من وجود الغلمان والسراري الذين يقومون على شؤونه[4]، وكان للجارية حضور قوي، فهي التي تقوم بأعمال البيت وأشغاله اليومية من تحضير للطعام وفرش وتنظيف وغيرها، ويبرز الشماخي[5] نشاط بيع العبيد من خلال ذكره لنزاع جرى بين رجل وزوجته حول عبد كان للسيد، فباعه واشترى آخر، فتدخلت الزوجة مدعية

[1] كتاب الأجوبة، ط1، دار ابن حزم، تونس، 1432هـ/2011م، ص/340.

[2] المصدر نفسه، ص/74.

[3] القاضي ابن الزبير الرشيد، الذخائر والتحف، تح: محمد حميد الله، دار التراث العربي، الكويت، 1378هـ/1959م، ص/47.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص/51-52.

[5] كتاب السير، 268/1.

الاستفادة من القيمة التي فضلت لزوجها، واختلف الفقهاء الإباضيون في الفصل بينهما بين قائل "ليس لها في العبد شيء"، وقائل "لها في العبد نصيبها"[1].

وبحسب النصوص الإسماعيلية عاش العبيد في المغرب الفاطمي (296هـ-362م/908-972م) وكانوا من بين العناصر الرئيسية المعتمدة في العملية الإنتاجية، فقد استغلوا في خدمة الأرض وفي البناء واشتغلوا في الصناعة الحرفية وفي التجارة، ثم إنّهم وظفوا في السلطة فكانوا على علاقة وثيقة بالخلفاء الفواطم، مستقرين في قصورهم، وقائمين على حاجياتهم، ومرافقين لهم في رحلاتهم، ومتولين لشؤون أعمالهم، ومنخرطين في فرق حمايتهم، فعبيد الله المهدي أثناء بيعته في رقادة سنة 297هـ/909م "اتخذ من العبيد اثني عشر ألف مملوك"[2]، وقد أخبرنا الجوذري[3] بتسخير مجموعات من الصقالبة الخدم في عهد المعز لدين الله الفاطمي، حتى أنه أفرد لهم ديوانا خاصة يتولى الإشراف عليهم وتدريبهم وترييهم[4]، ونظرا لأدوارهم الهامة في تاريخ الدولة الفاطمية، فقد أصبحت المتون المصدرية تحفل بأسماء العديد منهم حتى صاروا يلقبون بالعبيد الخواص[5] مثل جوذر ومدام وريان وغلام وجعفر والمظفر وقيصر وفرح وسليمان وميسور، ونظيف ووصيف وصندل[6] وتبقى قائمة أسماء الفتيان الصقالبة طويلة.

ويشير ابن أبي دينار[7] إلى استمرارية نظام الرق خلال العهد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث أنه لما دخل أبو يزيد النكاري في حركته العسكرية إلى مدينة تونس، قام بالاستيلاء على كميات من الأموال والعبيد والأمتعة، وفي سياق قدوم المجموعات الهلالية والسليمية إلى إفريقية وصدامهم مع المعز بن باديس في حيدران سنة 443هـ/1052م فقد بقي معه عبيده وكان "عدد العبيد عشرين ألفا"، وفي رواية ابن الأثير "اجتمع له ثلاثون ألف مملوك"[8]، حين انهزمت صنهاجة وخذلته زناتة بانسحابها[9]، وهو ما يدل على الأعداد الهائلة للعبيد وتسخيرهم في النشاط الحربي كوحدات عسكرية، ولعل توظيف الرقيق في الفترة الزيرية شكل كذلك مظهرا

[1] عبد الإله بنمليح، الرق في المغرب والأندلس، ص/397. خالد حسين محمود، الصقالبة في بلاد المغرب، ص/269.

[2] خالد حسين محمود، الصقالبة في بلاد المغرب، ص/51.

[3] الجوذري، المصدر السابق، ص/116.

[4] خالد حسين محمود، الصقالبة في بلاد المغرب، ص/271.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، 223/2.

[6] الجوذري، المصدر السابق، ص/35، 91. القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص/240، 256. ابن حماد، المصدر السابق، ص/89.

[7] المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص/7.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 87/8.

[9] المصدر نفسه، ص/83. ابن عذاري، المصدر السابق، 292/1.

من مظاهر الأبهة السياسية، حيث يقول صاحب المؤنس: "ومن الملوك الصنهاجيين باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بن زيري رحل إلى قصره بجزيرة سردانية في رجاله وعبيده"[1].

في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي تبرز شهادة الدرجيني تواصل الرقيق في مجالات المغرب الأوسط وتحديدا بمدينة قنطنار التي انتشرت بها الإماء ومختلف أجناس العبيد، وقد امتعض الفقيه الإباضي سعيد بن زنغيل من دورهم لما تخلفت جموعهم عن مناصرة الوهبية والوقوف مع الدعوة ضد الجماعات النكارية، حيث عبر عن ذلك بقوله إني" متمارض الفؤاد لما نزل بأهل الدعوة من النقص وشماتة الأعداء. كان ظني أنّ عبيدهم وإماءهم يقابلون النكارة ويكفونهم ولو بالخزف والأحجار، قد أصبحوا اليوم لأهل الدعوة أندادا وشفوا بعد الذلة أحقادا"[2]. ومما يستشف من هذه الرواية أن مجموعات العبيد كانت مستوطنة بكثرة في المجالات الواحية ببلاد المغرب الأوسط، وهي التي استغلتها الجماعات الإباضية في خدمتها حتى أصبحت المنطقة متعددة الإثنيات البشرية.

تناولت نوازل القرن الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين حياة الرقيق من الإماء والخدم واندماجهم في تركيبة المجتمعات المغاربية، ورصدت لنا النصوص الفقهية تفاصيل حياتهم بدقة، وغالبا ما كانت تعترضهم مشاكل اجتماعية كثيرة طرحت في شكل مسائل فقهية على الفقهاء في العدوتين للبت في أحكامها، وقد شكلت عيوب شراء الإماء والجواري أبرز الظواهر المستجدة الواردة في المدونة النوازلية، فقد وردت نازلة في فتاوى ابن سهل[3] تخص جارية ردها المشتري لصاحبها بسبب عيب فيها، وكانت الأمة تعرض للبيع كسلعة تحدد أسعارها ويقع التنافس بين المشترين لابتياعها، حيث أفاد عبد الواحد المراكشي بنقله لنازلة قائلا: "اشترى فلان مملوكة جليقية مع ابنها وعمل التاجر على بيعهما كل على حدة"[4]، وأضاف ابن سهل بعض المشكلات التي تخص عمليات بيع الرقيق، ففي نازلة أخرى طرحت قضية "شراء أمة سوداء لم تحض"[5]، أمّا ابن الحاج[6] فقد سئل عن عتق أمة مملوكة لأخوين، وقد أوجب عتقها بعد وفاة أحدهما، كما عاشت بعض العائلات

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص/78.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، 150/1-151.

[3] الإعلام بنوازل الأحكام، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، ج1، د ن، د ب، 1415هـ/1995م، ص/409.

[4] عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417هـ/1997م، ص/335.

[5] ابن سهل، المصدر السابق، 410/1.

[6] نوازل ابن الحاج التجيبي، تح: أحمد شعيب اليوسفي، ط1، ج3، مطبعة تطوان، تطوان، 1439هـ/2018م، ص/468.

المغاربية مشاكل أسرية بسبب الإماء والخدم، حيث سجلت نوازل الونشريسي[1] فتوى حول امرأة أغضبتها الخادمة الجارية فحلفت بصيام العام أن تخرجها من دارها.

وفي الواقع إنّ تساكن الرقيق الخادمات داخل البيوت مع الأسر المغاربية أفضى إلى نزاعات عائلية عكرت صفو العلاقات الزوجية، فقد سئل الإمام أبو عبد الله المازري[2] (ت 536هـ/1142م) عن رجل اتخذ أمة لتخدم والده، فطلبت منه أن لا تسكن مع أبويه ولا معه، وأفتى الفقيه بإلزامية النفقة على الخادمة وأن لا تجبر على السكنى معهم، لما فيه ضرر على العلاقة الزوجية بين الزوجين. ومن جهة أخرى فقد كان يتميز الرقيق المنتمون إلى أصول اثنية متنوعة محلية سودانية وأوروبية ببلاد المغرب خلال القرن السادس الهجري/الحادي عشر الميلادي بحسن الهيئة والتأنق في الملبس، فصاحب الاستبصار[3] يشير إلى قيام الطبقة الغنية بجبل نفوسة بإلباس الوصائف أفخر الألبسة وتحليتهن بأبهى الحلي، وعرضهن على الطريق للفواحش، مما يؤكد على استمرار اتخاذ الجماعات الإباضية للجواري والفتيان خدما لهم أو كمادة مستخدمة في التجارة لتحصيل المداخيل والأرباح المالية، وأثناء عرضها للبيع كان الاعتناء بها مهما إذ يتم ترويجها في أحسن صورة لها.

لقد تعددت إذن، النصوص المصدرية والنوازل الفقهية المتعلقة بالرقيق الإماء والغلمان في بلاد المغرب، وبرهنت معطياتها على تواصل حضورهم الاثني وفعاليتهم الاجتماعية والاقتصادية خلال الفترة الممتدة من بداية الفتح الإسلامي إلى نهاية العهد الموحدي، حيث شكلت فئات الرقيق قاعدة بشرية كلفت بخدمات اجتماعية تقدمها لأسيادها، بين ممارسة للطهي وتربية للأطفال وتدبير لشؤون الدور والمساكن، كما ظهرت مجموعات العبيد في هيئة المركب الإثني الحيوي الذي شارك في العملية الإنتاجية بالمنطقة، وعلى الرغم من كثرة المشاكل التي تعرضوا لها وانعكست صورتها في ثنايا النصوص المصدرية والفقهية، إلا أنّه لا يمكن إغفال دور الفقهاء المغاربة في حماية حقوقهم وصون كرامتهم طيلة فترة الدراسة، وبروزهم اللافت في المدونة الفقهية والتاريخية دليل قوي على استمراريتهم الإثنية ودمجهم في التركيبة السكانية المحلية وانخراطهم في المجالات الحضارية المغاربية.

[1] المعيار المعرب، 130/4.

[2] المصدر نفسه، 303/3-304. عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص/398.

[3] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/145.

الفصل الخامس:

النزوح العربي الهلالي والسليمي وتحولات الخارطة الإثنو-جغرافية ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الخامس إلى الربع الأول من القرن الهجري السابع/11-13م.

أولا-، العرب، العربان، الأعراب، البدو، لماذا تعددت التسميات؟

ثانيا- مكونات التركيب الاثني وتحولات التوطن البشري للعرب الهلالية والسليمية ف ي بلاد المغرب الإسلامي.

ثالثا- الحراك القبلي ببلاد المغرب بعد الانتشار الهلالي والسليمي...محاولة لإعادة تركيب المشهد الجغرافي.

رابعا- جدلية الهجرة الهلالية والسليمية في الخطاب التاريخي بين إدانة الدور التخريبي وإبانة الدور الحضاري.

الفصل الخامس:

النزوح العربي الهلالي والسليمي وتحولات الخارطة الإثنو- جغرافية ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الخامس إلى الربع الأول من القرن الهجري السابع/11-13م:

في نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، شهدت بلاد المغرب الإسلامي حدثا تاريخيا مفصليا يتمثل في الهجرات الهلالية والسليمية إلى المنطقة، مما أحدث تغيرات إثنية وجغرافية عميقة طرأت على عناصر التركيبة الاجتماعية ببلاد المغرب الإسلامي، وتصرح مختلف الحقول المصدرية بالتأثيرات العربية التي مست جغرافية الإثنيات والمجالات واللغات المحلية، حيث كان للنزوح الهلالي والسليمي من الصعيد المصري نحو المنطقة المغاربية، أثر واضح على شبكة الاستيطان البشري الذي تحكمت فيه جملة من العوامل المتباينة في طبيعتها، كما ظلت المجموعات الهلالية والسليمية عند تقدمها في حركة سريعة ودائبة تميزت بالانتقال والتدفق نحو المجالات الجغرافية الشرقية من برقة وطرابلس من البلاد الليبية إلى إفريقية، وعلى اعتبار أنّ النصوص الإخبارية والوصفية تبرهن على ظاهرة التدفق البشري العربي والحركة المستمرة لجموع بني هلال وبني سليم بين الأقاليم والمجالات الجغرافية ببلاد المغرب الإسلامي، فإن اندماج هذه الجموع العربية واستقرارها لم يكن ممكنا في المرحلة الأولى منذ دخولها إلى إفريقية بسبب علاقتهم المتأرجحة بين التحالف تارة والقطيعة تارة أخرى مع السلطتين الزيرية والحمادية ثم الموحدية، لا سيما إذا ما نظرنا للمظهر الثاني الذي تجلى في المواجهات العسكرية الحاسمة على غرار معركة حيدران سنة 443هـ/1053م ومعركة سبيبة سنة 457هـ/ 1065م ثم معركة سطيف سنة 547هـ/1153م، مما أسهم في تحولات مست ملكية المجال الجغرافي ورسمت ملامح جديدة لصورة التوطين البشري ببلاد المغرب الإسلامي.

أولا- العرب، الأعراب، العربان، البدو[1]... لماذا تعددت التسميات؟

يمكن اعتبار التعدد المصطلحي الذي حددت به أسماء المجموعات الهلالية والسليمية يصب في مفهوم واحد يومئ إلى هذه التكوينات البشرية العربية بعد استيطانها ببلاد المغرب الإسلامي، وعلى الرغم من تعاطي مختلف المظان المصدرية لمصطلحات إثنية دلت على بني هلال وبني سليم مثل: "العرب، الأعراب، العربان،

[1] ليس حصرا أن ينطبق لفظ "البدو" على المجموعات العربية الوافدة إلى بلاد المغرب من بني هلال وبني سليم خلال منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، وشيوع الإثنونيم في إطلاقه على العرب يعود إلى الإخباريين والفقهاء الذين آثروا تسميتهم به لغلبة أسلوب الرعي على القبائل العربية، وهو يعني كل المجموعات السكانية بما في ذلك البربر، والتي تعتمد على الظعن والانتجاع كنمط من أنماط الاقتصاد المعاشي.

البدو"، إلا أنّها لم تفصل في معانيها الدلالية ولا أصولها اللغوية التي تمتد إلى فترتي ما قبل الإسلام والإسلام المبكر، وبالتالي فإنّ عملية الرصد الدلالي لهذه الإثنونيمات لا تستقيم إلا بمراجعة المصادر الشرعية والمجاميع اللغوية والمصنفات التاريخية بتنوع ألوانها وحقولها.

لقد ورد في معاجم اللغة معنى لفظ العرب المشتق في أصله من اللفظ عَرَبَ، العُرْبُ والعَرَبُ: جِيلٌ مِنَ النَّاسِ مَعْرُوفٌ، خِلافُ العَجَم، والعَرَبِيُّ منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بَدَوِيّاً[1]. والأَعْرابِيُّ: البَدَوِيُّ، وَهُمُ الأَعْرابُ، والأَعارِيبُ: جَمْعُ الأَعْرابِ. ورجلٌ أَعْرَابِيٌّ، بالألف، إذا كان بدويا، صاحبَ نَجْعَةٍ وانْتواءٍ وارْتيادٍ للكلإِ، وتَتَبُّعٍ لمساقِطِ الغَيْث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم. والأَعْرابِيُّ إذا قيل له: يا عربيّ فرح بذلك وهش له. والعَرَبِيُّ إذا قيل له: يا أَعْرابِيُّ! غضبه. فمن نزل البادية، أو جاور البادين وظعن بظعْنِهم، وانْتَوَى بانْتِوائِهِم: فهم أعراب، ومن نزل بلاد الرّيف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب: فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء[2]. وقول اللَّه، عَزَّ وَجَلَّ: "قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا"[3]. فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي، صلّى اللَّه عليه وسلّم، المدينة، طمعا في الصدقات، لا رغبةِ في الإسلام، فسمَّاهم اللَّه تعالى الأَعْرابَ[4]، ومثلهم الذينَ ذكرهم الله في سورة التّوبة، فقال: "الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً"[5].

ويظهر جليا تأثير النص القرآني في توظيف الفقهاء والمؤرخين والرحالة للمصطلحات الإثنية "العرب–الأعراب–العربان– البدو"[6] وتفاعلهم معها، بدليل حضور إثنونيمات "العرب" و"الأعراب" و"العربان" و"البدو" في مختلف النصوص الفقهية والإخبارية من بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وفي ظل كثرة المواضع التي

---

[1] يعرف الزبيدي البادية لغة بأنها الأرض التي لا حضر فيها، فإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل: بدوا، والاسم البدو، ويطلق على القوم الذين يظعنون عن أعداد المياه وبدوا طلبا للقرب من الكلأ، وقوله تعالى:" يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ"، أي ودوا لو أنهم في البادية أو كائنون بها. أنظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، ج21، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/ 1997م، ص/260. تاج العروس، 149/37.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، 586/1.

[3] سورة الحجرات، الآية 14.

[4] الزبيدي، المصدر السابق، 334/3.

[5] سورة التوبة، الآية: 97.

[6] إذا ما كانت الشواهد المتعلقة بذكر لفظ الأعراب في القرآن الكريم عديدة، فإنها ليست دون ذلك بالنسبة لمصطلح البدو الذي لم يرد سوى في موضعين اثنين فقط، قال تعالى في الموضع الأول:" وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ". سورة يوسف، الآية 100. وفي الموضع الثاني قال عزوجل:" يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا". سورة الأحزاب، الآية 20.

ذكرت فيها اشتقاقات كلمة العرب خصوصا في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[1]، فإنّ صورة المركب الإثني الهلالي والسليمي سترتبط أكثر بلفظ "البدو" أو "الأعراب" أو "العربان" أو "العرب" بقطع النظر عن نمط عيشها وأسلوب حياتها سواء أكان نمط قبلي مستقر أو نمط قبلي متنقل[2]. ومثلما هو مبين في الجدول التالي، فقد احتل لفظ الأعراب الريادة في الخطاب القرآني، إلا أن صار مستوى حضوره كبيرا في كل الأدبيات الفقهية والتاريخية والجغرافية[3].

[1] الظاهر حسب الأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ لفظ البدو قد ثبت حضوره في مواضع عديدة، وقد كان يعبر عن الجماعات السكانية المتمركزة خارج المدن والمراكز الحضرية في دار الإسلام مثل الرحل وأنصاف الرحل وبعض المستقرين، وهذه القضية من القضايا التاريخية التي سنحاول الكشف عنها في هذا المبحث.

[2] يقرر جاك بيرك أن القبيلة المرتبطة بالتوسع الهلالي، انتشرت بسبب تواجد نظام حكم على الطريقة العربية. أنظر: دراسة عادل المساتي، سوسيولوجية الدولة بالمغرب إسهام جاك بيرك، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1431هـ/2010م، ص/60.

[3] أنظر: الإمام مالك، المدونة، 112/2. ابن رشد، البيان والتحصيل، تح: محمد حجي وآخرون، ط2، ج2، در الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ص/443. البرزلي، المصدر السابق، 345/2. المازوني، المصدر السابق، 109/2. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 146/2. ابن عذاري، المصدر السابق، 316/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 47/6-48. المقدسي، المصدر السابق، 141/1. البكري، المسالك والممالك، 735/2. الإدريسي، 352/1.

الرقم	نص الآية	السورة	رقم الآية
01	"وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".	التوبة	90
02	"الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".	التوبة	97
03	"وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".	التوبة	98
04	"وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".	التوبة	99
05	"وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ".	التوبة	101
06	"لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ".	التوبة	120
07	"يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا".	الأحزاب	20
08	"سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا".	الفتح	11
09	"قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا".	الفتح	16
10	"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".	الحجرات	14

الجدول رقم (10): مواضع ذكر لفظ العرب واشتقاقاته في القرآن الكريم.

التعليق:

الملاحظ هو أنّ مصطلح الأعراب الوارد ذكره في القرآن الكريم[1] وتحديدا في آيات من سورة التوبة اتخذ دلالة إثنية، ذلك أنّه استخدم لتعيين البدو الموزعين حول المدينة المنورة من جماعات مزينة وجهينة وغفار وأشجع وأسلم، والتي تخلفت عن النصرة الشرعية لرسول صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله لما دعاهم إلى النفير العام في غزوة تبوك خلال السنة التاسعة للهجرة[2]. وبالجملة فإنّ كلمة الأعراب الواردة في الخطاب القرآني أعلاه ارتبطت دلالتها بمركب إثني بدوي عاش في شبه الجزيرة العربية، هذا المركب وقع عليه اللوم والعتاب في أغلب المواضع المذكورة لأسباب من التخلف أو النفاق أو ادعاء الإيمان، وهو بالضبط ما سيجعل من لفظة الأعراب تُصبغ في مختلف النصوص الشرعية والتاريخية لاحقا بصبغة أكثر تحيزا نحو التحقير والازدراء.

ب- في الحديث النبوي الشريف:

نلاحظ من خلال المسح العام الذي أجريناه على الأحاديث التي اطلعنا عليها، أنّ مصطلح الأعراب يؤدي في الحديث النبوي الشريف نفس المسلك الدلالي الذي يدّل عليه لفظ البدو[3]، وفي ما يتعلق بمستوى حضور كلمة البادي والبدو والبادية الواردة في متون الأحاديث النبوية، يذكر علماء الصحاح العديد منها، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل، ومن اتبع السلطان افتتن"[4]، وينعكس

---

[1] ووردت في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تدل على نزول الوحي بلغة العرب وباللسان العربي، نرى عرضها على النحو الموالي: "إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". يوسف/2. - "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ". الرعد/37. - وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ". النحل/103. - "وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا". طه/113. - "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ". الشعراء/195. -"قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ". الزمر/28. -"كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ". فصلت/3. -"وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ". فصلت/44. -"وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ". الشورى/7. -"إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". الزخرف/3. -"وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ". الأحقاف/12. -"عُرُبًا أَتْرَابًا". الواقعة/37.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ص/231. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، ط1، ج9، مؤسسة الرسالة، مصر، 1240هـ/2000م، ص ص/97-98.

[3] يجدر التنبيه أنه من غير المعقول تقديم مسوح كمية لكل الأحاديث النبوية التي تضمنت مصطلحات "العرب- الأعراب-العربان- البدو"، فنحن نعرف أن كثيرا من هذه الأحاديث الشريفة وردت فيها ألفاظ وصيغ "العرب أو الأعراب أو البدو"، وبالتالي نقلها كلها وتصنيفها في جدول إحصائي يحيل إلى مشكلة الحشو والمراكمة التي نحن في غنى عنها، ولذلك يحسن بنا أن نورد على الأقل أمثلة مبرهنة لاستعمال هذه المصطلحات والألفاظ في المتون الحديثية.

[4] الترمذي، الجامع الكبير، تح: بشار عواد معروف، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1438هـ/1998م، ص/93. النسائي، المجتبى من السنن، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، ج7، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/1986م، ص/195.

معنى هذا الحديث في أنّ المستوطن بالبادية يتغذى من طبيعتها فيصبح قاسيا غليظا في سلوكه وأخلاقه، ولا يضيق استخدام مصطلح البدو وألفاظه في المرويات الحديثية بل تتسع دائرته، إذ نجد في حديث أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم نهى "أن يبيع حاضر لبادٍ"[1] و"لا تجوز شهادة بدويٍّ على صاحب قرية"[2]، وكان أهل البادية يقدمون على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة في أول البعثة يسألونه عن الدين الجديد[3]، كما تكشف رواية مالك بن أنس عن نموذج من العلاقات المتينة بين سكان البادية والرسول صلى الله عليه وسلم، فالبدوي زاهر بن حرام كان يهدي الرسول صلى الله عليه وسلم الهدايا[4].

لقد بدأ طرح مصطلح البدو واشتقاقاته وتوظيف مصطلح الأعراب وألفاظه في الخطاب الفقهي المالكي من بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي. ففي موطأ الإمام مالك ومدونة سحنون ورد لفظ البدو والأعراب في كثير من المواضع ليدل على الجماعات البشرية المتمركزة خارج المدن في المجالات الطرفية للمراكز العمرانية الإسلامية[5]، ثم أخذ مفهوم البادية مكانة في كتابات الفقهاء المالكية منذ العهد الأغلبي، فكان يطلق على المزارعين في الريف مثلما أشار المالكي لبادية سوسة وناحيتها. وهكذا أصبح هذا المصطلح أكثر اقترانا بالترحال في العصر الوسيط الثاني أي بعد القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بعد سيطرة الأعراب على إفريقية والمغرب[6].

وتطابق مضمون الفتاوى والنوازل المالكية مع منطوق المصادر الفقهية المتقدمة، لتسهم المدونة النوازلية المغاربية إلا حد لا يمكن حصره في بلورة ألفاظ العرب والأعراب والعربان والبدو، ذلك ما برزت تمثلاته في الأسئلة التي تطلبت حلا فقهيا وعمليا، لا سيما قضايا اللصوصية ومسائل النهب والحرابة التي غالبا ما ارتبطت بالعرب

[1] البخاري، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، ج3، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ/2002م، ص/71. وفي صحيح ابن حبان قال صلى الله عليه وسلم:" لا يبيعن حاضر لباد دعوا الناس يرزق بعضهم بعضا". أنظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: تح: شعيب الأرناؤوط، ط1، ج11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ/1988م، ص/388.

[2] ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1371هـ/1952م، ص/793.

[3] البخاري، المصدر السابق، 39/8.

[4] ابن حبان، المصدر السابق، 107/13. محمد حسن، المدينة والبادية ، ص/87.

[5] مالك، الموطأ، تح: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، ج2، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 1425هـ/2004م، ص/691. سحنون، المدونة، 248/1. القرافي، الذخيرة، تح: محمد بوخبزة، ط1، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م، ص/61.

[6] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/88.

الهلالية والسليمية[1]، فلُقِّب هؤلاء بألقاب "العرب والأعراب والعربان والبدو"، ومن الأمثلة على ذلك نوازل عديدة أشارت إليها المدونات الفقهية منها فتوى "في قتال المغيرين وقطاع الطرق من عرب المغرب الأوسط"[2]، ونازلة أخرى تعرضت لكفالة صبيان الأعراب أوردها أبو القاسم البرزلي في مدونته[3]، وفي نازلة ثالثة مضمونها أنّ "أهل قرية جاءها أعراب خيلا ورجالا بنجوعها فقاتلهم من بقي بها"[4]، و"رجل لقيه عربي في الطريق فأخذ عدة ذهب منه"[5]. كما وردت نازلة للمازوني عن تقصير القبائل الرحل من العرب للصلاة في سفرها[6].

وتتسع دائرة ألفاظ "عرب" "وأعراب" "وعربان" حسب الباحثة إليز فوقي[7] لتشمل معانٍ متعددة، فهي تشير إلى مجموعات بشرية من أصل عربي مثل القبائل ذات الأصل الهلالي والسليمي مثل زغبة ورياح والأثبج والسويد التي استوطنت في بلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. إنّ كلمة أعراب تشير أيضًا إلى الجماعات التي تعيش في البادية وقتئذ، وعادة ما تكثر هذه الكلمة في الفتاوى لتدل على مصطلح "البدو" كإشارة إلى أسلوب حياة يقوم أساسا على الترحال والرعي، ليس هذا المعنى فحسب بل أطلق لفظ "العرب والأعراب والعربان" في الفتاوى بشكل رئيسي على تلك المجموعات العربية التي كانت تقوم بالإغارة والسطو على سكان القرى والتجمعات السكنية الريفية[8]. وهو ما يتناسق مع التوصيفات التي وردت في القرآن الكريم المبنية على السلوكات المشينة، لذلك أصبحت هذه المصطلحات تتردد في المدونات الفقهية لتدل على فئات تمارس اللصوصية وقطع الطريق والنهب والإغارة، ومع تزايد نشاطها اللصصي أجازت سلطة الفقهاء قتال "العرب والأعراب والعربان" بعد حملهم للسلاح وسفكهم لدماء العناصر السكانية، ولتحقيق أمر لابد منه هو فرض الأمن والاستقرار في المنطقة المغاربية.

---

[1] حول موضوع اللصوصية ودور القبائل العربية الهلالية والسليمية فيها ببلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، أنظر: عفاف غرزول، اللصوصية في المغرب الأوسط 5-9هـ/11-15م دراسة اجتماعية، رسالة دكتوراه، إشراف: بن مهية إبراهيم، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1444هـ/2023م، ص ص/74، 85.

[2] المازوني، المصدر السابق، 382/2.

[3] البرزلي، المصدر السابق، 345/2.

[4] المازوني، المصدر السابق، 386/2.

[5] المصدر نفسه، 111/4.

[6] المصدر نفسه، 290/2.

[7] Elise Voguet, «Islamisation de l'intérieur du Maghreb : les fuqahâ' et les communautés rurales», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126, 2009, p,145.

[8] Jacques Berque, L'intérieur du Maghreb (XVe-XIXe siècles), Gallimard, Paris, 1978, pp. 62-63.

ولئن استخدم مصطلح البدو الذي يواءم دلاليا لفظ العرب والأعراب والعربان في مختلف النصوص الفقهية والتاريخية والجغرافية مع ما يتضمنه خطابها من نظرة تحقيرية في بعض الأحيان[1]، إلا أنّ تعريف ابن خلدون للبدو يعد من أهم الرؤى التعريفية خلال فترة العصر الوسيط المتأخر، حيث يقدمهم على أنهم "المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد"[2]. والبداوة في هذه الحالة تشمل الرحل وأنصاف الرحل وحتى بعض المستقرين، ممن تتميز أحوالهم ومعاشهم بالبساطة، ولذلك فالرحل ليسوا متوحشين بنوع معاشهم، وإنما تكون طبيعة الكسب هي المحدد لنمط الحياة، الذي تتداخل في تشكيله أيضا معطيات بيئية وإقليمية[3]، وما يشهد لوجاهة ذلك ويكشف ما ينطوي عليه هذا الطرح من معان مضمرة هي إشارة ثانية لابن خلدون في معرض حديثه عن النجارة، إذ يشير فيها إلى تناغم سكان البوادي مع طبيعتهم من خلال الاستفادة من مكوناتها، فأهل البدو "يتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم. وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة"[4].

وغالبا ما كان يقترن مصطلح البدو بالجماعات البشرية التي آثرت نمط الترحال والتنقل على أسلوب الاستقرار والتوطن خلال فترة العصر الوسيط، فتعددت مرادفاته مثل أهل الوبر مقابل سكان المدر، وأهل العمود نسبة إلى الخيام التي تعمد، وأهل الإبل والشاوية القائمين على الشاء والبقر، وأهل الغارة، باعتبار أن أسلوب

[1] تصف النصوص الفقهية والإخبارية البدو بأنهم مخربون ومنتجون للفوضى، نظرا للهجمات التي كانوا يقودونها على المراكز الحضرية، وهو ما جعل بعض الدراسات الإستشراقية تسترسل في إدانة مجموعات البدو وأدوارهم السلبية في تاريخ المجتمعات الإسلامية خلال مرحلة العصر الوسيط، ومن ذلك القبائل الهلالية والسليمية وإلصاق صفة تخريبهم لبلاد المغرب خلال القرن الخامس الهجري/11م ، ولا يتوقف حسبهم تدمير البدو للتجمعات الحضرية فقط، بل قاموا ببدونتها، لكن هذه التأويلات الغربية تبقى مضللة، لأنها ارتكزت على بعض المصادر المبالغة في أحكامها على العرب البدو ونظرتها "المأزقية" لها، مثل كتابات ابن خلدون التي عممت فكرة انقسام المجتمع العربي إلى شطرين متوازيين من ناحية وعلى سلبية البدو من ناحية أخرى، ثم إن ما يفند نتائج هذه الدراسات مشاركة البدو في عمليات الفتح ونجاحهم في بلوغ مجالات واسعة مشرقا ومغربا، وانهيار العديد من المدن والحواضر في التاريخ الإسلامي لم يرتبط بعامل التحركات البشرية للبدو، بل بعوامل متباينة سبقتها منها العامل السياسي والمناخي والاقتصادي، كما أن البدو والتجمعات الهلالية والسليمية أسهمت في بناء مدن وتجمعات مستقرة لها ووضع نظم اجتماعية وحضارية متماسكة ومتطورة. للمزيد من التفاصيل أنظر: علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1428هـ/2008م، ص/27 وما بعدها. محمود أحمد أبو صوة، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط، منشورات ELGA، ليبيا، 1422هـ/2002م، ص/19 وما بعدها.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص/151.

[3] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص/27.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ص/514.

حياتهم يستوجب منهم الاستناد إلى الرماح، والظواعن الرحالة الذين يحطون بالحلة أو النزلة، فينصبون أوتاد الخيام ويوقدون النار في الأثافي، ويتنقلون من نزلة الصيف إلى نزلة الشتاء[1].كما لمحت دراسة الباحثة إليز فوقي[2] إلى طبيعة التنظيم الاجتماعي بالمغرب الأوسط الذي ينقسم إلى ثنائية مجموعات الحضر ومجموعات البدو، ويرتكز نمط عيش المجموعات السكانية البدوية على ممارسة النشاط الزراعي والرعوي وتربية الحيوانات، مما يجعلنا نسلم بوجود مجموعتين متجانستين من البدو، رحل متنقلون بين المجالات الجغرافية بحثا عن المراعي والكلأ والماء، وأشباه رحل مستقرون يتوزعون في مواطن معينة ثم يرتحلون عنها من فترة لأخرى، وقد منحت هذه الفضاءات الجغرافية الطرفية استقلالا للمجموعات البدوية عن سلطة المراكز الحضرية والإفلات من سياستها المبنية على فرض الضرائب والجبايات.

ومما يستشف أخيرا أنّ هنالك نقلة مصطلحية نوعية انبعثت عن مستجدات الصراع القبلي في بلاد المغرب عقب الدخول الهلالي والسليمي إلى المنطقة خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، تمثلت في توسيع دائرة استخدام ألفاظ "العرب" "الأعراب" و"العربان" و"البدو" وفي دلالاتها التي أصبحت قادحة وبلورتها في مختلف المظان المصدرية، حيث أضحت المجموعات الهلالية والسليمية تصنف تحت هذه التسميات الإثنية التي انتظمت في النصوص النوازلية والإخبارية والوصفية والأدبيات الشعرية خلال فترة العصر الوسيط الثاني، ليتطابق الخطاب الفقهي والتاريخي والجغرافي والأدبي في بعض معطياته مع مضمون القرآن الكريم حول صيغة هذه الألفاظ الإثنية، فلفظ الأعراب الذي دلّ على البدو في القرآن الكريم على الرغم من ما تعكسه دلالته من طابع تحقيري وصورة سلبية، سيعبّر عن إيديولوجية الفقيه تجاه المجموعات الهلالية والسليمية المتوطنة ببلاد المغرب الإسلامي.

ثانيا– مكونات التركيب الإثني والحراك القبلي للعرب الهلالية والسليمية في بلاد المغرب الإسلامي من منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي إلى نهاية العهد الموحدي.

لقد تركت معركة حيدران سنة 443هـ/1052م بين الزيريين والهلاليين آثارا لا حصر لها في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، وخصوصا بعد أن سقط فيها الجيش الزيري وانتهت بهزيمته أمام المجموعات البدوية العربية التي سرعان ما تدفقت إلى إفريقية واستحوذت على مجالاتها الجغرافية، لتشهد المنطقة تحولات اجتماعية ومجالية هامة

[1] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/88.

[2] Élise Voguet, Le monde rural du Maghreb central (XIVe-XVe siècles). Réalités sociales et constructions juridiques d'après les Nawâzil Mâzûna, Paris, Publications de la Sorbonne, 2014 (Bibliothèque historique des pays d'Islam, 5), pp.289.290.291.

طرأت على الجغرافيا السكانية المحلية من خلال الانتشار الهلالي في السهول الجنوبية الشرقية للمنطقة المغاربية، كما لم يلبث أن تزايد النفوذ السليمي في القسم الشرقي لبلاد المغرب أيضا بسبب انتصارهم في معركة تاجرا (602هـ/1205م)، وليس خفيا أنّ أصول العناصر السكانية الوافدة وجغرافية الجماعات البشرية العربية وأسمائها قد عرفت ثراء وتنوعا إثنيا وإثنونيميا تشكلت ملامحه عقب الاستقرار الهلالي والسليمي بالمغرب لفترة ما بعد القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلاي.

1- المجموعات الهلالية: المعطيات الإثنية والمجالية.

يعود أصل كلمة الهلاليين إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازان بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان بن مضر[1]، وهم من القبائل العدنانية الشمالية التي استوطنت في الجانب الغربي لشبه الجزيرة العربية، ويبدأ الموطن الأصلي لمجموعة القبائل الهلالية من واحة تربة، التي تمتد نحو الشرق إلى غاية موقع "رينيه"، ثم إلى الأراضي المرتفعة جنوب طريق الرياض-مكة، كما سكنت أماكن متفرقة من نجد ومنطقة برك الغماد على ساحل البحر الأحمر وتوزعوا على مجالات حرّة[2]، وقد كان لهلال خمسة أولاد شعبة وناشرة ونهيك وعبد مناف وعبد الله، وتفرعت عن القبائل الهلالية عدة بطون معروفة منها بنو قرة والأثبج ورياح وزغبة[3].

1-1/ زُغْبَة:

يرجع نسب زغبة حسب ابن الكلبي[4] إلى أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوازان بن نهيك بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وتربطهم رابطة الأخوة مع بطن رياح، وتنحدر قبيلتهم من المجموعات البدوية التي كانت مستقرة بصحراء شبه الجزيرة العربية، وانتقلت إلى صعيد مصر ثم دخلت إلى بلاد المغرب الإسلامي مع المجموعات الأخرى من الهلاليين سنة 443هـ/1052م بعد ترتيب الفواطم الشيعة لهذه الهجرات البشرية نتيجة القطيعة الزيرية التي أحدثها بلكين بن زيري مع المذهب الاسماعيلي الشيعي[5]، وكان لمجموعات زغبة عزة وكثرة عند قدومهم إلى إفريقية حيث تغلبوا على مجالات طرابلس وقابس، ودخلوا في خدمة الموحدين ضد بني غانية فتحالفوا مع بني يادين من زناتة لحماية

[1] ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج3، دار صادر، بيروت، ص/396. ابن حزم، المصدر السابق، ص/273.

[2] عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1428هـ/2007م، ص ص/7-8.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 6/31-54.

[4] جمهرة النسب، 2/648.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/79-80.

المغرب الأوسط، وسيطروا على مجالات واسعة تمتد ما بين المسيلة وتلمسان في المجالات الريفية الجنوبية في حين استوطنت المجموعات الزناتية تلول المنطقة[1].

وتوزعت بطون زغبة على مواطن متعددة بالمنطقة، فتوطنوا حول مدينة القيروان عند حلولهم بإفريقية[2]، وسكنت جموع حصين بن زغبة من بني هلال على تافيلالت وتيكورارين بالمغرب الأقصى، وتوزعوا إلى جانب إخوانهم يزيد بن زغبة في هضاب التيطري ونواحي المدية[3]، أمّا بطون بني عامر التي تعتبر من أكبر البطون العربية المنحدرة من قبيلة زغبة فقد انتشروا في مجالات تلمسان واستقروا في تلولها في فصلي الربيع والصيف ثم إنهم كانوا ينزحون شتاءً إلى التخوم الجنوبية للمدينة بسبب العامل المناخي، كما استحوذت سويد بن عامر بن مالك التي كانت تشكل أقوى بطون زغبة على المجالات الخصبة ما بين وادي مينة وشلف بالمغرب الأوسط، وتوسعت مجالاتها لتشتمل على الحيز الممتد بين وانشريس وتلمسان عرضا وخليج أرزيو والشط الشرقي طولا[4].

1-2/ الأثبج:

يشير ابن خلدون إلى القوة الديموغرافية التي تميزت بها مجموعات الأثبج وبطونهم، فيصرح بأنّ "هؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا وكان التقدم لهم في جملتهم وكان منهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة حسبما يظهر في نسبهم وفي دريد بطنان توبة وعنز، ويقولون بزعمهم إنّ أثبج هو ابن ربيعة بن نهيك بن هلال، وكان لهم جمع وقوة، وكانوا أحياء غزيرة من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية، وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقيه"[5].

لقد استوطن بطن سراح من الأثبج ببرقة وبطن عياض بجبل قلعة بني حماد[6] الذي أخذ جزء منه طبونيم عياض نسبة إلى هذا القبيلة، وأمّا دريد فكانوا أعز الأثبج وأعلاهم كعبا وكانت رئاستهم ترجع إلى لحسن بن

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 54/6.

[2] المصدر نفسه، 21/6.

[3] أبو الحسن التلمساني، كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم (جوانب من تاريخ القبائل الهلالية)، تح: طيب بوجمعة نعيمة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 1441هـ/2019م، ص ص/58-59. ابن خلدون، كتاب العبر، 58/6.

[4] أبو الحسن التلمساني، المصدر السابق، ص/61 وما بعدها.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 31/6.

[6] بالنسبة لتسمية هذا الجبل فقد ارتبطت بالقلعة الحمادية التي شيدها بلطين بن زيري على أرض عجيسة، وورد ذكر اسم الجبل في مواضع عديدة، منها صرح به صاحب الاستبصار "قلعة حماد...في جبل عظيم"، وجاءت في أخبار بني حماد "جبل القلعة، وجبل القلعة معروف"، وأيضا في تاريخ ابن خلدون" جبل القلعة، قلعة بني حماد "ويستقر الجبل في الجزء الغربي من سلسلة جبال المعاضيد، إلى الشرق من المسيلة". أنظر: زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب، ص ص/329-330.

سرحان بن وبرة إحدى بطونهم[1]، كما أبانت شهادة ابن خلدون[2] عن مجالات استقرارهم التي انحصرت ما بين بلد العناب إلى قسنطينة وطارف مصقلة، بالرغم من الفوارق الطوبوغرافية وصعوبة التضاريس طبيعيا إلا أنّ العرب قد تسربوا إلى المغربين الأوسط والأقصى وقد تم لهم ذلك عن طريق العلاقات التي نسجوها مع القواد في الدولة الحمادية ثم سلاطين الدولة الموحدية[3]، ومن المؤشرات القوية حول استيطان جموع الأثبج بالمغرب الأقصى ما نقله لنا ابن خلدون[4] أيضا حول إصرار سلاطين الدولة الموحدية على إخضاع القبائل العربية خدمة لسلطتها وجعلهم أداة عسكرية لمواجهة المعارضة والمتمردين داخل حيز دولتهم خاصة بعد إخضاع بني غانية حيث دخل العرب في طاعة المنصور[5]، ولذلك شرعوا في عمليات التهجير القبلي لكثير من بطون الأثبج وجشم ورياح إلى المجالات الغربية بهدف تعميرها بشريا، وقاموا بنقل العاصم ومقدم وقورة وتوابع لهم من جشم وأقطعوهم مجال تامسنا في المغرب الأقصى[6].

1-3/ رياح:

من القبائل العربية التي تنتمي إثنيا إلى المجموعات العدنانية الشمالية، وهم بطن من بني هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان[7]، والقبائل الرياحية منذ وصولها إلى المنطقة في خضم التحركات البشرية العربية صوب بلاد المغرب، عُرفت بقوة شكيمتها وشدة مراسها وصلابة شوكتها، يتجلى ذلك من خلال مشاركتها في الحياة العسكرية والسياسية بالمنطقة خصوصا في صراعهم ضد الجماعات الصنهاجية، كما تؤكده شهادة ابن خلدون على أنّ جموع رياح كانت "من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية وهم ينحدرون من رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، وكانت رياستهم حينئذ لموسى بن يحيى الصنبري من بطون مرداس، وكان رجالاتهم لذلك العهد الفضل بن علي

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 32/6.

[2] كتاب العبر، 32/6.

[3] راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ص/210-211.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 316/6.

[5] أنظر: أحمد عزاوي، رسائل موحدية مجموعة جديدة، تح: أحمد عزاوي، ج2، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب الأقصى، 1422هـ/2001م، ص/170-171. أنظر الدّراسات التالية: مصطفى أبو الضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م)، ط1، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1402هـ/1982م، ص/67 وما بعدها. محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص/45 وما بعدها.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر، 37/6.

[7] ابن الكلبي، المصدر السابق، 358/1. ابن حزم، المصدر السابق، ص/275. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: محمد الإبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م، ص/266. ابن الكلبي، المصدر السابق، 358/1.

مذكور في حروبهم مع صنهاجة، وكانت بطونهم عمر ومرداس، وعلى كلهم بنو رياح وهم الأخضر، ولمرداس بطون كثيرة، داود بن مرداس وصنبر بن حواز بن عقيل بن مرداس"[1].

وحرصا منهم على الانخراط في الفلك السياسي المغاربي وحيازة المجالات الجغرافية بالمنطقة والبحث عن التموقع في فضاء بلاد المغرب، استوطنت رياح وأشهر بطونها كالذواودة بقسطيلية وبلاد الزاب والمسيلة وقسنطينة وبجاية إلى وارجلان جنوبا[2]، وبحسب شهادة ابن خلدون[3] فإنّ المنصور الموحدي نقل أعدادا منهم إلى المغرب الأقصى في عهده وأقطعهم بلاد الهبط ما بين قصور كتامة إلى أزغار وإلى غاية ساحل البحر، وكثيرا ما كانت تتحالف المجموعات الرياحية مع بني غانية لمواجهة الموحدين، كما اصطدمت رياح مع الجموع العربية الأخرى على غرار قبائل عدي والأثبج وزغبة، حيث يروي ابن الأثير مصرحا "قويت بنو رياح على زغبة فهزموهم وأخرجوهم عن البلاد"[4]، وكانت الأثبج في جوار رياح وتحت سيطرتهم[5].

1-4/ بنو قرة:

تعود الأصول الإثنية لبطن بني قرة إلى هلال بن عامر بن صعصعة من قيس العدنانية[6]، ويخبرنا ابن خلدون أنّ بني قرة يتميزون بالقوة العددية والانتشار الواسع بين المجموعات القبلية والتوزع على حساب المدن والمجالات الريفية، وفيما يتعلق برئاستهم فقد كانت "لعبد الله بن علي وبنيه محمد وماضي، وولد محمد عنان وعزيز بطنان، وولد عنان شكر وفارس بطنان، من ولد شكر أولا يحيى ابن سعيد بن بسيط بن شكر"[7].

أمّا من حيث شبكة التوطين العربي لبني قرة فقد شكلت برقة بالجهة الشرقية أول مراكز استقرارهم ببلاد المغرب الإسلامي[8]، واستوطن أولاد عزيز وأولاد ماضي بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة قاعدة بلاد الزاب،

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 46/6.

[2] ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1389هـ/1970م، ص/145.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 49/6.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 255/8.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 35/6.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ص/424. ابن الأثير، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص/397. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م، ص/363. السلاوي، المصدر السابق، 170/2.

[7] ابن خلدون، كتاب العبر، 35/6.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 550/7. ابن خلدون، كتاب العبر، 6/6. المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م، ص/73.

كما توزعت جماعات أولاد شاكر التي تعود إليهم رئاسة بني قرة على جبل راشد جهة تلمسان في الجزء الغربي للمغرب الأوسط[1].

2- المجموعات السليمية: المعطيات الإثنية والمجالية.

ينتسب بنو سليم إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن عدنان[2]، ويحدد ابن خلدون مواطنهم قبل الإسلام مشيرا إلى استيطانهم بحرّة بني سليم وحرّة النار كما أنهم توزعوا على مجالات عالية نجد وخيبر بين وادي القرى وتيماء[3]، وقد استمروا في سكنى هذه المواطن خلال مرحلة صدر الإسلام ثم تحولوا عنها إلى الحجاز فانتشروا بنواحي المدينة المنورة وظلوا مستقرين بها[4]، إلى أن ظهر القرامطة الشيعة بمجالات عمان والبحرين فاصطنعوهم كجند في صفوفهم واستعملوهم في حروبهم ضد العباسيين، لكن سيطرة الفاطميين على بلاد الشام والقضاء على القرامطة سنة 368هـ/978م من طرف الخليفة الفاطمي العزيز بالله نزار، جعل أمر نقلهم إلى الصعيد المصري مع المجموعات الهلالية ضرورة ملحة في ظل تصاعد نشاطهم المناهض للسلطة الفاطمية في مصر[5].

وقبل ظهورهم في الجهة الشرقية لحوض النيل ونزوحهم إلى بلاد المغرب خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، كانت رئاستهم تنحصر في بني شريد ابن رياح بن ثعلبة بن عطية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهنة بن سليم[6]، أمّا بالنسبة لبطونهم المكونة للطلائع العربية الأولى القادمة إلى بلاد المغرب، فإنها تنقسم إلى الكثير من المجموعات البشرية المستوطنة بالمنطقة أشهرها زغب وذبّاب وهبيب وعوف[7].

2-1/ دبّاب (ذيّاب):

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 35/6.

[2] المبرد، نسب عدنان وقحطان، تح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، 1354هـ/1936م، ص/12. القلقشندي، المصدر السابق، ص/123. ابن عبد البر النمري، الإنباه عن قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/1985م، ص/71.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 369/2.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 90/6. ابن خلدون، المصدر السابق، 18/6.

[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين، 215/2، عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص/59.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ص/261. ابن خلدون، كتاب العبر، 94/6.

[7] القلقشندي، المصدر السابق، ص/126.

نسبة إلى بنو دبّاب بطن من بطون بهتة وينحدرون من ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور[1] بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن عدنان[2]، وانتشرت أحياء من عرب دباب بإفريقية على حد قول ابن خلدون[3]، فسكنت جماعات منهم بالمراكز الشرقية كطرابلس وقابس، وفي حملة قراقش على بلاد المغرب خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي قام بإبادة جموع من بني دباب بالمجالات الليبية، لكن سرعان ما ثأرت هذه المجموعات البدوية لعملية الإبادة التي طالتها من خلال قبضهم على الملك قراقش الأرمني وتسليمهم إياه ليحيى بن إسحاق الميورقي الذي ضرب عنقه بمدينة فزان في الصحراء الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي[4].

وتبرز النصوص الوصفية التي تضمنتها رحلة التجاني خريطة التوطين العربي لبني سليم بما في ذلك بني دباب[5]، وعلى الرغم من أنّ هذه الرحلة قد اتبعت المسلك الساحلي ورصدت لنا صورة الاستقرار العربي، فإنّ التجاني لم يعلمنا صراحة بأسماء القبائل المنتشرة في المجالات الداخلية للمنطقة، واكتفى بعرض المشهد الساحلي لشبكة التوطين السليمي، فذكر انتشار جماعات بدوية تنتسب إلى دبّاب مثل النوائل وبني يزيد وبني أحمد من المتوطنين في قابس وبني وشاح[6] المنتشرين بين قابس وطرابلس[7] إلى جانب استقرار عرب المحاميد رؤساء دباب بالمجالات الطرابلسية[8].

2-2/ عوف:

[1] التجاني، المصدر السابق، ص ص/85-86.

[2] القلقشندي، المصدر السابق، ص/126.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، 567/6.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص/440.

[5] التجاني، المصدر السابق، ص/86.

[6] يشير الباحث محمد حسن إلى استقرار أولاد عيسى من بني وشاح الدبابيين بالجنوب الشرقي لمدينة القيروان ونرجح أن أحياء منهم سكنت بمجالات القيروان خلال الفترة الحفصية محل دراسة الباحث. أنظر: المدينة والبادية، ص/130.

[7] إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي، مقال ضمن كتاب أعمال الملتقى الدولي الثاني: القبيلة-المدينة-المجال في العالم العربي الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1434هـ/2013م، ص/170.

[8] ابن الأثير، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص/250. التجاني، المصدر السابق، ص/104.

ينحدر بنو عوف بن امرئ القيس بن بهثة من سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن عدنان[1]، ويتفرع عن بني عوف بطنان هما علاق ومرداس وقد استوطنوا مجالات قابس وسيطروا على إفريقية[2]، ويخبرنا ابن خلدون[3] أنّ رئاسة مرداس في بني جامع، وأمّا رئاسة علاق عند وصول الجماعات السليمية إلى إفريقية فقد كانت تنحصر في المعز وبني رافع بن حماد، ومن أبنائه فرع الكعوب المنتسبين إلى ابن يعقوب بن كعب والذين تناوبوا على رئاسة جماعات بني عوف في إفريقية، أمّا الفرع الثاني فهم بنو حصن وحصن هو أخو يحي بن علاق، وله بطنان أيضا هما بنو علي وحكيم ويتفرع عن حكيم أبناء وائل وأبناء حكيم[4]، والمخطط[5] التالي يستوضح شجرة نسب علاق والفروع القبلية المنحدرة عنه:

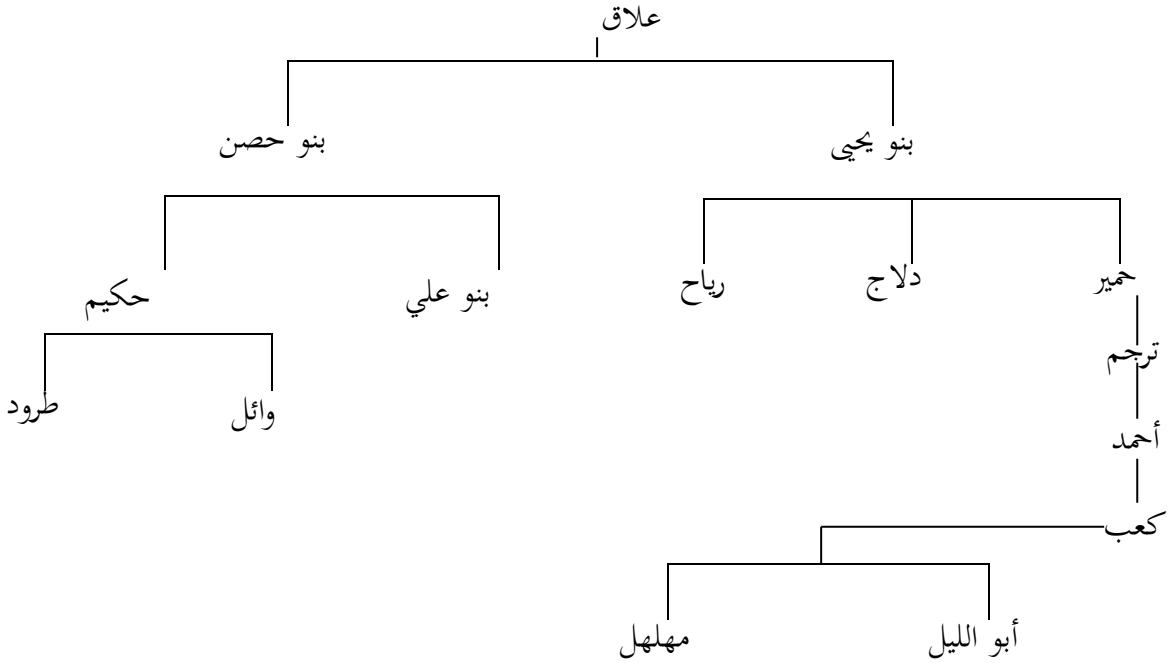

الشكل رقم (07): شجرة نسب بني علاق والقبائل المتفرعة عنها

لقد ظلت المجموعات العربية التي تنتمي إلى بني عوف مستقرة بناحية برقة إلى حد أواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ومع دخول الموحدين إلى البلاد الشرقية للمغرب في ظل قيام حركة بني غانية سنة 580هـ/1184م، استوطنوا من جديد في جهة طرابلس وقابس[6]، وقد كانت مواطن استقرارهم ما بين بلد العناب

[1] ابن حزم، المصدر السابق، ص/262. ابن الأثير، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص/381. ابن خلدون، كتاب العبر، 6/95-96. المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تح: فرناند واسطون فيلد، جوتنجن، ألمانيا، 1236هـ/1847م، ص ص/41-42.

[2] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/130. عبد الحميد خالدي، المرجع السابق، ص/59 وما بعدها.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 2/368.

[4] المصدر نفسه، 6/97. عمر كحالة، المرجع السابق، 2/858.

[5] أنظر: ابن خلدون، كتاب العبر، 2/107. إبراهيم جدلة، المجموعات القبلية البدوية، ص/169. عمر كحالة، المرجع السابق، 1/306.

[6] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/113.

وقابس من بلاد إفريقية[1]، وستسكن جماعات تنحدر من الكعوب المنتمين إثنيا إلى بني عوف في مدينة القيروان والجريد سنة 630هـ/1232م، أمّا مدينة تونس فقد توطنت بها فروع من الكعوب كأولاد أبي الليل وأولاد مهلهل لكن خلال فترة ما بعد الموحدين[2].

2-3/ زغب:

أشار ابن خلدون[3] إلى تضارب الروايات الواردة في أدب الأنساب العربي حول الأصول الإثنية لبني زغب، فابن حزم[4] نسبهم إلى زغب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، وأبو محمد التجاني[5] يقول أن زغب ينحدر من ناصر بن خفاف بن جرير بن ملاك بن خفاف، وحسب شهادة الحسن بن سعيد يكون زغب من مالك بن بهنة بن سليم.

إنّ مراكز التعمير البشري لجماعات زغب في شبه الجزيرة العربية قبل دخولهم إلى بلاد المغرب الإسلامي كانت تنحصر بين الحرمين، لكن في إطار الظروف السياسية والطبيعية والمراحل التاريخية التي مروا بها في المنطقة اختارت جموعهم الانضمام إلى الفصائل المكونة للقبائل العربية الوافدة على بلاد المغرب خلال منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي انطلاقا من بلاد الصعيد، وبعد ضغط الفاطميين بمصر[6] جاءت تغريبتهم المشهورة فاتجهوا غربا واستوطنوا مجالات إفريقية بين مدينتي طرابلس وقابس بإفريقية وأصبحوا مستقرين بجوار إخوانهم من ذباب بن مالك ثم نزحوا عن هذه المجالات وصاروا مجاورين لبني هيب السليميين ببلاد برقة[7].

2-4/ هيب (هبيب):

شكلت مجموعة هيب رابع المجموعات السليمية التي تدفقت إلى بلاد المغرب مع الجموع الهلالية بداية من سنة 442هـ/1051م، ويعود نسبهم حسب القلقشندي[8] إلى بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن عدنان[9]، ويعطينا ابن سعيد تقديرا عدديا لمجموعة هيب إذ بلغت حسبه خمسة عشر ألف فارس والعدد مرشح للتضاعف خاصة أنه يتصل بالفرسان دون أهاليهم، كما أنه يحدد مواطنهم التي

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 368/2.

[2] المصدر نفسه، 108/6.

[3] المصدر نفسه، 95/6.

[4] ابن حزم، المصدر السابق، ص/261.

[5] الرحلة، ص/141.

[6] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 86/8. النويري، المصدر السابق، 211/24.

[7] المقريزي، البيان والإعراب، 41/1. كحالة، المرجع السابق، 474/2.

[8] قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص/127.

[9] المقريزي، البيان والإعراب، 41/1.

امتدت بين العقبة الصغرى في الإسكندرية إلى بلاد برقة لاسيما في مرحلة الاستيطان الأول لبني سليم في الجهة الشرقية لمصر والمغرب، حيث يقول "وهم نحو خمسة عشر ألف فارس في أرض برقة، لها طلمثية إلى درنة إلى عقب الإسكندرية"[1].

وتضاربت الروايات الخلدونية[2] في تحديد التسمية الإثنية لهذه المجموعة البدوية العربية المنحدرة من بني سليم، ففي مواضع مختلفة يطلق عليهم ابن خلدون تسمية هيب، وفي نصوص أخرى لقبهم بهبيب فأصبحوا بذلك يحملون تسميتين مختلقتين بإضافة حرف الباء بعد حرف الهاء لكلمة "هيب"، لكن اللفظة الأخيرة أكثر توظيفا وحضورا في مصادر الفترة التي أعقبت القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وقد تطابقت رواية النسب الإثني لمجموعة "هيب وهبيب"، حيث يرى صاحب العبر أنّهم ينتمون إلى بهثة بن سليم القادمين إلى بلاد المغرب الإسلامي.

وأمّا عن مجالات استيطانهم فتبدأ من "أول أرض برقة مما يلي إفريقية إلى العقبة الصغيرة من جهة الإسكندرية، أقاموا هنالك بعد دخول إخوانهم إلى إفريقية، وأول ما يلي الغرب منهم بنو حميد في أجدابية وجهاتها"[3]، كما أنهم سكنوا جنبا إلى جنب مع جماعات فزارة ورواحة من غطفان وناصرة وغمرة ببلاد برقة وسيطروا على المجالات الشرقية الممتدة واستخدموا السكان المحليين المعروفين بالبربر بالإضافة لليهود لخدمتهم في الزراعة والتجارة[4].

ومن الملاحظات التي نسجلها في هذا المقام أنّ البحث في مسألة الاستيطان الهلالي والسليمي، والتعاطي مع جغرافية التوزيع البشري للمجموعات العربية البدوية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي والقرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي، يخضع بلا شك إلى دراسة تأثير هذه المجموعات البشرية في المجال الجغرافي على مراحل معينة، لكون الجموع الهلالية والسليمية عاشت حركة الانتقال الدائب

[1] ابن سعيد، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1402هـ/1982م، ص/522. الإدريسي، المصدر السابق، 316/1.

[2] لم تورد النصوص الإخبارية والوصفية التي دونت عقب القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لفظة "هبيب" إلا مظان ابن خلدون، فاللفظ ورد صريحا في العديد من نصوص العبر، حيث ذكر أنّ جماعات هبيب تنتسب في رابطتها الدموية إلى بهثة بن سليم بن منصور وبيّن مواطنهم ومضارب توزعهم، وهو ما ينطبق إثنيا ومجاليا على مجموعة "هيب" التي ذكرها في كتابه أكثر من لفظ "هبيب"، لاسيما في معرض حديثه عن بطون هذه المجموعة السليمية، ذلك أنه فصّل في فروعها الإثنية فأشار إلى بني لبيد وشماخ اللذان كانا في صراع بينهما. أمّا اللفظ لدى ابن سعيد في نشوة الطرب والقلقشندي في قلائد الجمان وفي نهاية الأرب وكذلك المقريزي في البيان والإعراب وفي نزهة المشتاق للإدريسي، فقد ورد "هيب" ونرجح أنّه الصحيح لإجماع النصوص المصدرية في أدب الأنساب وحقلي التاريخ والجغرافيا على صيغته.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 95/6.

[4] المصدر نفسه، 95/6.

والصراع المحتدم مع الجماعات السكانية المحلية على غرار زناتة وصنهاجة من أجل حيازة أكبر قدر من المجالات الجغرافية وتثبيت جموعها بالبيئة الجديدة، كما تدخلت السلطة في نقلهم من حين لآخر إلى مواطن مثلما حدث مع المنصور الموحدي الذي نقل جشم ورياح والأثبج والعاصم ومقدم إلى تامسنا وبلاد الهبط وأزغار مما يلي سواحل طنجة وسلا[1]، لذلك شهدت المنطقة تحولات مجالية هامة.

وعلى الرغم من أنّ الإطار الزماني لما بعد الفترة الموحدية ليس من اهتمامات دراستنا التي تتوقف زمنيا عند نهاية العهد الموحدي، إلا أنّ صورة التوطين العربي تتضح أكثر في المصادر التاريخية والجغرافية التي أرخت لمرحلة ما بعد الموحدين أي خلال فترات حكم الدويلات المستقلة (الدولة الحفصية والمرينية والزيانية) لبلاد المغرب الإسلامي، ونذكر على سبيل المثال رحلة التجاني وكتاب العبر لابن خلدون وفيض العباب للنميري، وغالبا ما كانت مظان هذه المصادر حاسمة في تحديد مواطن العرب الهلالية والسليمية باعتبار هذه المجموعات قد دخلت فترة الاستقرار في المرحلة التي أعقبت الحكم الموحدي للمنطقة.

لقد زودتنا النصوص الاخبارية والوصفية بقوائم لأسمائها خلال هذه المرحلة المتأخرة من العصر الوسيط وقد ألحقت تسمياتها الإثنية بألفاظ جديدة مثل " أولاد – أحياء- أوطان"[2]، فظهرت من الهلاليين على سبيل المثال لا الحصر تشكيلات بشرية تنحدر منهم أتبعت أسماءها بهذه الألفاظ الجديدة مثل: أولاد حصين من زغبة وأولاد نابت من كرفة وأولاد عيسى بن رحاب من رياح وأولاد مهلهل من الكعوب وأولاد وشاح من سليم...[3]، ويتتبع لفظ "أحياء" في النصوص المصدرية نعثر على العديد من الإشارات التي تؤكد توظيف اللفظ من طرف الإخباريين والرحالة في مصنفاتهم، والأدلة على ذلك كثيرة خصوصا ما ورد في كتاب العبر ورحلة النميري حولهم[4]، إذ ذكرت أحياء هلال وأحياء بني سليم وأحياء بني يعقوب وأحياء مرداس وأحياء بني كعب وأحياء دباب، أمّا الأوطان فمنهم وطن بني يزيد بن زغبة، ووطن الأثبج، ووطن رياح، ووطن الذواودة وغيرها[5].

ثالثا: الحراك القبلي ببلاد المغرب بعد الانتشار الهلالي والسليمي...محاولة لإعادة تركيب المشهد الجغرافي:

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/230. ابن خلدون، كتاب العبر، 44/6.

[2] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها، ص/24. زياني الصادق، المرجع السابق، ص/149.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 531/6، 542، 569.

[4] النميري، المصدر السابق، ص/415 وما بعدها. ابن خلدون، كتاب العبر، 62/6، 95، 106، 547، 567، 571. رسائل موحدية، ص ص/170-171.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 66/6، 71، 75.

بدأ الإسكان والتعمير العربي مع التغريبة الهلالية والسليمية في التخوم الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي خلال منتصف القرن الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي[1]، فالشهادة الأولية التي نسجلها حول شبكة الاستقرار الهلالي والسليمي في الفضاءات المغاربية، تعود إلى النصوص الاخبارية التي قدمها لنا ابن الأثير في الكامل[2]. فلقد استحوذت المجموعات البدوية من بني سليم على مراكز التعمير البشري بالبلاد الليبية فسكنت برقة والمجالات المحيطة بها بعد نزوح المجموعات الزناتية عنها رغم ضخامة أعدادها وقوة شكيمتها[3]، ووصلت مجموعة زغبة إلى مدينة طرابلس سنة 446هـ/1054م فقامت بحيازة مجالها والتوطن فيها[4]، وتواصلت عملية الاستيطان العربي لتستحوذ الفصائل الهلالية والسليمية على المواطن الشرقية لبلاد المغرب خلال منتصف القرن الخامس للهجرة، ذلك ما يؤكده ابن خلدون في قوله "واقتسمت العرب بلاد إفريقية سنة ست وأربعين، وكان لزغبة طرابلس وما يليها ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس إلى الغرب وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرة والأثبج والخلط وسفيان وتصرم الملك من يد المعز"[5]. إنّ ما يفهم من الشهادة الخلدونية هو تمكن الهلاليين في فترة وجيزة من السيطرة على إفريقية ومجالاتها الريفية والحضرية إضافة شريطها الساحلي، ما جعل سلطة المعز تنحصر في المهدية وحدودها الساحلية، ثم شرع الهلاليون في التقدم

[1] يحسن التنبيه في هذا الصدد إلى استراتيجية الحسن اليازوري وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في توجيه المجموعات الهلالية والسليمية باتجاه الغرب الإسلامي، لتكون أهدافه واضحة ألا وهي التخلص من الجموع البدوية العربية باحتواء خطرهم من جهة، ثم الانتقام من السلطة المركزية الزيرية زمن حكم الأمير المعز بن باديس الذي أعلن ولاءها للعباسيين من جهة أخرى، وتردد المصادر التاريخية المقولة المشهورة للوزير الفاطمي اليازوري في مختلف مظانها الاخبارية فقد خاطب الأمراء الزيرين قائلا:" أمّا بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا". ابن الأثير، المصدر السابق، 87/8. النويري، المصدر السابق، 211/24. ابن خلدون، كتاب العبر، 79/4.المقريزي، اتعاظ الحنفا، 216/2.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 87/8-88.

[3] تشير المصادر إلى نجاح المجموعات السليمية بالاستقرار في البلاد الليبية أي أقصى شرق المغرب الإسلامي، بينما تحولت المجموعات الهلالية إلى إفريقية، وهو ما نلمسه في شهادة المقريزي الذي صرح قائلا:" وأقامت بطون من سليم وأحلافها بأرض برقة وسارت قبائل دياب وعرق وزغب وجميع بطون بني هلال إلى إفريقية". أنظر: اتعاظ الحنفاء، 217/2. وقد أشار إلى ما ذكرناه كل من جورج مارسي والهادي روجي ادريس في اختيار بني سليم طرابلس وبرقة والمناطق المحيطة بهما مواطنا للاستقرار والتوطن. راجع في الموضوع: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ص/232. الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م، ص/249.

[4] تباينت الروايات التاريخية حول الفترة الزمنية التي قدمت فيها الجموع العربية الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب الإسلامي، فرواية ابن خلدون تؤرخ دخولهم في سنة 446هـ/1054م إلى برقة وطرابلس، بينما يجعل ابن الأثير السنة المذكورة سابقا وسنة 442هـ/1051م تاريخ حلول العرب الهلاليين والسليمين بالمنطقة، لكن المتفق عليه بين جميع النصوص الإخبارية أن معركة حيدران بين الجيش الزيري والجموع العربية الهلالية حدثت في سنة 443هـ/1052م.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 21/6-22. المقريزي، اتعاظ الحنفاء، 217/2.

صوب المغرب الأوسط مستغلين الصراعات الداخلية الحاصلة بين الحماديين في القلعة من ناحية والعلاقة العدائية بين الحماديين والزريين من ناحية ثانية[1].

تميزت المرحلة الأولى من التحركات البشرية للعرب الهلالية والسليمية بعد انتصارهم في معركة حيدران سنة 443هـ/1052م[2] على القوات الزيرية بممارسة النشاط الحرابي الذي بسطت فيه المجموعات البدوية العربية نفوذها على أهم المسالك والدروب والمناطق الداخلية والجنوبية المحيطة بالقيروان، متخذة من أعمال الغارة والغصب والسلب استراتيجية تسبق الاستقرار التدريجي لها في المجالات المغاربية[3]، ثم إنّ انتقالها في المرحلة الثانية من وضعية الانتجاع البدوي والتحرك البشري ونمط الترحال القبلي إلى حالة الاستيطان السكاني، جعلها تنخرط في الفضاء الاجتماعي والاقتصادي لبلاد المغرب الإسلامي من خلال الاندماج في التركيبة البشرية المحلية ودورهم الريادي في العمل الفلاحي والنشاط الزراعي[4]، مكونة تجمعات بشرية مستقرة في المناطق الشرقية والجنوبية للمغرب الإسلامي، ومتحكمة في مساحات جغرافية واسعة مثلت فيها المجالات الريفية مواطن استقرار للمجموعات السكانية العربية.

إنّ التطورات السياسية التي شهدتها السلطة المركزية داخل البيت الزيري وما تبعه من بروز للحماديين كقوة جديدة على ساحة الأحداث بالمغرب الأوسط[5]، والتزام المعز بن باديس بإعلان القطيعة المذهبية عن الدولة الفاطمية بمصر سيجعل من بلاد المغرب تعيش حالة من الصراعات والاضطرابات الداخلية قبل نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إضافة إلى وصول المجموعات الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب وإفريقية، وما صاحب هذه التطورات السياسية من نتائج حاسمة عصفت بالمنطقة خصوصا عقب معركة حيدران سنة 443هـ/1053م بين البدو العرب والقوات الزيرية

[1] راضي دغفوس، دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة، ص/159.

[2] نسبة إلى جبل حيدران بالجنوب الشرقي لتونس، يبعد عن القيروان حسب النصوص الإخبارية مسيرة ثلاثة أيام. للتفصيل أحيلك إلى: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8/87-88. النويري، المصدر السابق، 24/214. ابن خلدون، كتاب العبر، 6/211.

[3] الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت، ص/112.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، 1/263 وما بعدها.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، 1/294. ابن خلدون، كتاب العبر، 6/227 فما بعدها. العمري، المصدر السابق، 5/183-184.

هذه المعركة الفاصلة في تاريخ المغرب هل حددت مصير إفريقية؟ هكذا يتساءل أحد الباحثين المتخصصين في موضوع التغريبة الهلالية[1]. لقد تمكنت المجموعات البدوية الهلالية عقب الانتصار في موقعة حيدران سنة 443هـ/1052م من التدفق صوب مجالات القيروان والاستحواذ على المناطق المحيطة بها، في حركة واسعة لم تخل من الاستيلاء القسري على الملكيات الزراعية والتعدي على المجالات الريفية والمراكز العمرانية بأعمال السلب والإغارة لتملك الإقطاعات ونهب الخيرات ومقدرات البلاد المغاربية[2]، فأثرت بسرعة على شبكة التوطين السكاني ببلاد إفريقية وأحوازها، وأرغم العرب البدو من بني هلال وبني سليم الجماعات السكانية على النزوح من مجالاتها ما أدّى إلى تشكل "المغتصبات الهلالية"[3] على إثر اقتسامها لأراضي فلاحية وطردها لسكانها المحليين خصوصا في البلاد الليبية وجريد إفريقية وبلاد الزاب[4]، وهو ما يتجلى في شهادة الإدريسي[5] الذي قال بأنّ مدينة أطرابلس قد أضرت بها وبما حولها وأجلت أهلها وأقفرت بواديها وغيرت أحوالها، وكذلك فتاوى السيوري الذي خصص أجوبة عن واقع الغصب والنهب ودور الأعراب فيه[6].

وفي سنة 446هـ/1054م تقدمت الجموع الهلالية بقيادة مؤنس بن يحيى باتجاه المجالات الداخلية الشمالية فسيطرت على مدينة باجة[7]، وقاموا بتقسيم بلاد إفريقية فكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها[8]، ومن الأكيد أن سيطرة قبائل بي هلال وبني سليم على المجالات القروية والريفية عموما على إفريقية هو أمر واقع من منتصف القرن الخامس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ثم بقية بلاد المغرب بداية من منتصف

[1] راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط، ص/200. أنظر دراسته الموسومة بـ: معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي، مجلة الكراسات التونسية، ع169-170، تونس، 1416هـ/1995م، ص/15 وما بعدها. دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة في إفريقية وبلاد المغرب، ص ص/158-159.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 87/8.ابن عذاري، المصدر السابق، 291/1.ابن خلدون، كتاب العبر، 211/6. النويري، المصدر السابق، 221/24. السلاوي، المصدر السابق، 164/2. الإدريسي، المصدر السابق، 297/1.

[3] مصطلح "المغتصبات" استعمله علاوة عمارة في دراساته وهو مشتق من لفظ "الغصب" الذي وظفه الفقهاء المالكية منهم الفقيه السيوري في المدونة النوازلية ليدل على جماعات الأعراب الذين اتخذوا من أسلوب الغصب والنهب طريقة للسيطرة على المجالات الجغرافية والاستحواذ على الموارد والمقدرات التي تحوزها بلاد المغرب لتحصيل احتياجاتهم على كافة المستويات. راجع في الموضوع: علاوة عمارة، الهجرة الهلالية، ص/18. التحولات المجالية والطبونيمية، ص ص/16-17.

[4] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، ص/18.

Amara Allaoua, «Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval: le cas du Maghreb .Hammadide (XI-XIIe siècles)»,The Maghreb review 22-1 (2003), p. 15.

[5] نزهة المشتاق، 297/1.

[6] الونشريسي، المصدر السابق، 543/9، 544، 545.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، 294/1. النويري، المصدر السابق، 217/24. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 89/8.

[8] ابن خلدون، كتاب العبر، 21/6-22. المقريزي، اتعاظ الحنفا، 217/2.

القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي[1]، ويثبت ابن عذراي سيطرتهم على أقاليم استراتيجية ترتب عنها تنامي نفوذهم في المنطقة الشرقية لبلاد المغرب وإحداثهم لتحولات مجالية عكستها تغريبتهم، إذ يقر صاحب البيان باستحواذهم "على كثير من تونس وما يليها من البلدان... مثل باجة والأربس وما يليها...وصارت عمالة القيروان في أيديهم مدة بمداختلهم العرب وإحسانهم إليهم وانقطع ملك المعز"[2]، واتسع مجال السيطرة العربية لبني هلال وبني سليم ليسيطروا على مدينة قابس إذ يصرح التجاني[3] أنّ مضارب بني عوف امتدت بين بونة وقابس، ومنها إلى توزر استوطنت مجموعة دياب[4]، وازداد الحضور الهلالي والسليمي بالبلاد الإفريقية فاقتسموها ثانية، حيث كان لهلال من تونس إلى الغرب، وهم رياح وزغبة والمعقل وجشم والقرة والأثبج والخلط وسفيان، فيما نزلت سليم من جهة الشرق[5] مع أحلافها رواحة وناصرة وغمرة بأرض برقة[6].

لقد استفاد بنو هلال وبنو سليم من تراجع نفوذ العصبيات الزناتية والصنهاجية في الدواخل الجنوبية والشرقية لبلاد إفريقية والزاب وشرق المغرب الأوسط على إثر العمليات العسكرية التي قادوها ضدهم، ففي منتصف القرن الخامس الهجري/منتصف القرن الحادي عشر الميلادي يخبرنا لسان الدين بن الخطيب عن انهزام المجموعات القبلية المحلية تحت سلطة الحماديين أمام العرب الهلالية في معركة سبيبة سنة 457هـ/1065م[7]، وبالرغم من تحالف الناصر بن علناس مع الأثبج وعدي إضافة إلى تشكيلة جيشه المتكونة من الجماعات الصنهاجية والزناتية، إلا أنه انهزم في موقعة سبيبة ضد رياح وزغبة وسليم بدعم من تميم وقتل فيها أخوه القاسم بن علناس وقد "كان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة أربعا وعشرين ألفا، وبهذه المعركة تم للعرب ملك القيروان"[8]. ولم تتوقف سيطرتهم على مدينة القيروان فقط بل تجاوزته إلى ممتلكات الناصر وعتاد جيشه، إذ يقول ابن الأثير "وغنمت العرب جميع ما في العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك، فاقتسموها على ما استقر بينهم،

[1] عادل لطيف، الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط، ط1، زينب للنشر، نابل، تونس، 1440هـ/2019م، ص/345.

[2] ابن عذراي، المصدر السابق، 315/1.

[3] الرحلة، ص/134.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 95/6. إلهام حسين دحروج، مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي 442-665هـ/1051-1247م، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد بركات البيلي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م، ص ص/154-155.

[5] المقريزي، اتعاظ الحنفا، 217/2.

[6] ابن خلدون، كتاب العبر، 20/6.

[7] صالح علواني، موقعة سبيبة 457هـ/1065م حيدران الجديدة، نشر ضمن أعمال ملتقى القصرين ذاكرة وتاريخ، تونس، 1430هـ/2009م، ص ص/5-6.

[8] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/168. لسان الدين بن الخطيب، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1383هـ/1964م، ص/93 فما بعدها. أنظر أيضا: الطاهر طويل، الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/439.

وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فإنهم قدموها في ضيق وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامي عن البلاد"[1].

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حسب ما صرح به الإدريسي[2] بسط الهلاليون سيطرتهم على المسالك والطرق الواصلة بين قلعة بني حماد ومدينة بجاية[3] وتمكنوا من حيازة المجالات الجغرافية لمواطن ميلة التي كان أهلها من "أخلاط البرابر جملة والعرب تحكم بخارجها"[4]، و"لما رحل المعز من القيروان وصبرة إلى المهدية تمكنت العرب، ونهبت الناس وخربت البلاد، فانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب"[5]، وهو وضع طبيعي يبرز رغبة المجموعات العربية في الاستقرار في فضاء المغرب الأوسط بجانب الجماعات السكانية المحلية[6] بعد انتصارهم في سبيبة واتخذاهم من أسلوب النهب والسلب والإغارة والنشاط الحرابي أداة لتحصيل موارد عيشهم وتحقيق أسباب بقائهم والتأسيس لموقعهم بين القوى البشرية المحلية في بلاد المغرب الإسلامي.

نجحت السلطة المركزية لبني حماد في سياسة توظيف المجموعات العربية، وبرهنت الأحداث أنها أفضل من سياسة أبناء عمومتهم بني زيري على الرغم من تحالفهم مع رياح وزغبة[7]، حيث استثمر الحماديون في القوة الديموغرافية للعرب الهلالية من خلال استعمالهم في العمليات العسكرية ضد الزيريين[8]، كما أن الناصر بن علناس استعان بعرب الأثبج خلال حملته على مدينة الأربس وتوجه بعدها إلى القيروان ودخلها مع العرب[9]، ومع ذلك تبقى طبيعة العلاقة بين بني حماد والعرب متأرجحة بين التحالف أحيانا والتصادم أحيانا أخرى، لأنّ تأثير أسلوب

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 202/8.

[2] نزهة المشتاق، ص/265.

[3] فيما يتعلق بجغرافية توزيع العرب الهلالية في بجاية ومجالاتها، أحيلك إلى دراسة: دومينيك فاليريون، المرجع السابق، 194/1.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، الصفحة نفسها. الطاهر بونابي، مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 1438هـ/2017م، ص/125.

[5] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 200/8.

[6] Élise Voguet, Le monde rural du Maghreb central (xive-xve siècles), pp. 331-332.

[7] حول الدليل التاريخي عن قيام التحالف الهلالي الزيري، أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، 294/1. ابن خلدون، كتاب العبر، 27/6. دومينيك فاليريون، المرجع السابق، ص/206.

[8] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 201/8. الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، 300/1.

[9] ابن عذاري، المصدر السابق، 299/1.

الغارات والغصب يعكس نمط العيش لدى الجموع العربية الذي أضحى أبرز مظاهر طبيعتها البدوية ووقف للحيلولة دون قيام كيان سياسي أو تشييد دولة[1].

ومن الأدّلة حول التقارب الحمادي الهلالي ولاء جموع من العرب للناصر بن علناس الذي ولى عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان على تونس، وقد لعب دورا في ترويض العرب واحتواء خطرهم من خلال فرضه لضريبة عليهم[2]، وأورد النويري نصا يؤكد على استدراج العنصر العربي من طرف السلطة الحمادية بغية مواجهة المجموعات القبلية المحلية، ففي "سنة خمسين وأربعمائة، خرج بلكين بن محمد، ومعه من العرب الأثبج وعدي لحرب زناتة، فكسرهم وقتل منهم عددا كثيرا"[3]. وبالتالي فقد نسجت القبائل الهلالية علاقات ودية مع الطرف الزيري والحمادي، وعقدت معهم تحالفات متعددة أفرزت ظهور كتلتين متنافستين، تتشكل الكتلة الأولى من رياح وزغبة المتحالفين مع سلطة الزيريين بالمهدية، بينما الكتلة الثانية تضم الأثبج وعدي المتحالفين مع دولة بني حماد[4].

إنّ سياسة التحالف بين الزيرين والعرب الهلالية والسليمية قد مكّنت بطون الأثبج من التوسع مجاليا والسيطرة على برقة بالبلاد الليبية ثم ما لبثوا فترة ليست بالطويلة حتى تقدمت جموعهم باتجاه الغرب لتستوطن الأربس في بلاد إفريقية، وبسبب الصراع القبلي مع رياح وزغبة تركوا مجال الأربس وتوجهوا إلى الجنوب الغربي ليستقروا ببلاد الزاب، ويؤشر ابن خلدون على ذلك بقوله "فأمّا الأثبج فمنهم سراح بجهة برقة، وعياض بجبل القلعة المسمى لهم ولغيرهم، وأمّا رياح فبلادهم بنواحي قسنطينة والسلم والزاب، ومنهم عتبة بنواحي بجاية"[5]، كما مثلت الجماعات الرياحية أكثر البطون الهلالية حضورا في إفريقية، حيث إضافة إلى قسنطينة وبجاية تبدأ

[1] الطاهر طويل، الجغرافيا التاريخية بلاد المغرب الأوسط، ص/430.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر، 217/6.

[3] النويري، المصدر السابق، 217/24.

[4] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/39.

[5] ابن خلدون، كتاب العبر، 371/2.

مجالاتهم من جزيرة شريك ومركزها باشو[1] إلى صحراء وارجلان موزعين على المسيلة بقسطيلية في جنوب البلاد التونسية[2]. وانتشروا في مواقع هامة ببلاد الزاب خاصة الذواودة الذين استوطنوا بالدوسن وتهودة وبادس[3].

استوطنت مجموعات الأثبج التي تفرعت عنها الضحاك ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفة بمجالات إفريقية، فاتسع مجالهم لتشمل مواطنهم كل الأقاليم الممتدة ما بين بلد العناب إلى طارف مصقلة إلى قسنطينة التي عُيّن عليها لحسن بن سرحان الدريدي[4]، وأقامت كرفة إحدى فروع الأثبج بالسفوح الشرقية لجبل الأوراس وتوزعت جماعات من عياض على جبل القلعة[5]، وتصرح النصوص الوصفية والنصوص الإخبارية بتواصل تعمير الجماعات الهلالية والسليمية للمجالات الجغرافية ببلاد المغرب في قسمه الشرقي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلاي، ويظهر ذلك في استحواذهم على المجال الجغرافي ببلاد برقة وطرابلس والمراكز العمرانية ببلاد إفريقية والزاب والأوراس إلى الدواخل الغربية بالمغرب الوسط.

ولا يمكن أن نقف على خريطة التوطين العربي للمجموعات الهلالية والسليمية ببلاد المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إلا من خلال تتبع المعطيات الوصفية التي وردت في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق[6]، والتي تبين بوضوح صورة التوزيع الجغرافي العربي بالمنطقة من النصف الثاني من القرن الهجري الخامس إلى غاية القرن الهجري السادس، وبالتالي فإنّ نصوص الإدريسي جعلتنا نستكشف ملامح شبكة الاستيطان العربي في أغلب المراكز الحضرية والمجالات الريفية والأقاليم الجبلية بدقة، وهو ما تعكسه معطيات الجدول التالي:

[1] التجاني، المصدر السابق، ص/15. يقر أحمد الباهي في دراسته عن منزل باشو أنه كان عبارة عن مدينة تقع في جزيرة شريك، واستنادا إلى التراث المكتوب قام الباحث بتحقيق لفظ باشو وحاول موضعة مكانه جغرافيا، وذكر أن الوحدة الإدارية التي مثلت مدينة منزل باشو عاصمة لها هي جزيرة شريك المشتملة على شبه جزيرة الوطن القبلي وجهة زغوان في تونس حاليا، وشهدت هذه الجزيرة أحداثا وأدوارا مهمة خلال العصر الوسيط المبكر، لكن تراجعت خلال العهد الزيري الثاني، وقد يكون ذلك مرتبطا بالتحولات التي أعقبت وصول الموجات الهلالية والسليمية إلى إفريقية سنة 443هـ/1051م ثم انتشارهم بها. للتفصيل راجع دراسة: أحمد الباهي، باشو أو باشوا تحقيق في اسم إحدى عواصم إفريقية وإحدى كورها في العصر الوسيط المتقدم، مقال ضمن كتاب: دراسات في التراث المكتوب، المركز الوطني لفنون الخط، تونس، 1438هـ/2017م، ص ص/13-14.

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ص/145.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 34/6.

[4] المصدر نفسه، 26/6.

[5] المصدر نفسه، 31/6.

[6] الملاحظ من خلال معطيات كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، أن المجموعات العربية الهلالية والسليمية قد استقرت في المجالات الزراعية في بلاد المغرب في الأراضي السهلية والهضاب وعلى سفوح المنحدرات الجبلية وعلى ضفاف الأودية والأنهار ونقط الماء في المناطق الصحراوية وقرب القصور وحول المدن والمراكز العمرانية. يوسف نكادي، المرجع السابق، ص/19.

محتوى النص الوصفي	اسم المكان الجغرافي	طبيعة المجال الجغرافي	الصفحة
الباب هي جبال...تصل غارات العرب وضررها.	الباب	ريف (جبل)	.262/1
حصن الناظور إلى سوق الخميس وهذه الأرض تجولها العرب وتضر بأهلها...ولا تقدر العرب عليه لمنعته.	حصن الناظور وحصن سوق الخميس	حصن	.263/1
المنزل وهو قصر حصين والعرب محدقة بأرضه.	قصر المنزل	قصر	.263/1
دار ملول...مدينة عامرة فيها حصن مطل فيه مرصد من البلد ينظر فيه إلى مجال العرب في بلادهم.	المجالات المحيطة بدار ملول	ريف	.264/1
حصن بادس وهو في أسفل جبل أوراس ...والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه.	المجالات المحيطة ببادس	ريف	.264/1
قلعة بني حماد وأهلها أخلاط من البربر والعرب تحكم خارجها.	المجالات المحيطة بقلعة بني حماد	ريف	.265/1
دور مدين ...ومنها إلى مرسى القل يومان في أرض العرب.	مجالات دور مدين ومرسى القل	ريف	.267/1
ومن حصن كلديس إلى جبل سحاو ثمانية أميال وهو من أعظم الجبال...وهذا الجبل لا تتعداه العرب.	جبل سحاو	ريف (جبل)	.267/1
ومن القل إلى القسنطينة مرحلتان جنوبا والطريق في أرض تغلبت العرب عليها.	مجال جغرافي بين القل وقسنطينة	ريف	.269/1
وأما حصن بشر فهو قلعة عامرة...وله عمارات هي الآن في يد العرب.	المجالات المحيطة بحصن بشر	ريف	.270/1
مدينة باغاي...والأرباض خالية بإفساد العرب.	المجالات المحيطة بباغاي	ريف	.276/1
جبل أوراس..أهله مسلطون على من جاورهم.	مجالات جبل أوراس	ريف (جبل)	.277/1
قفصة وهي الآن خراب أفسدتها العرب واستولت على...جميع أرضها.	قفصة	مدينة	.278/1
المنستير قصور ثلاث يسكنها قوم متعبدون والأعراب لا تضرهم.	المجالات المحيطة بالمنستير	ريف	.282/1
زويلة...من جهة غربيها حمى كان قبل دخول العرب إفريقية.	إفريقية	مدينة – ريف	.283/1
مدينة القيروان...فسلط الله عليها العرب وهي الآن ولاة أمورها العرب.	القيروان	مدينة	.284/1
تونس ...والعرب تجاور أرضها.	المجالات المحيطة تونس	ريف	.285/1
قرطاجنة...يسكنها رؤساء العرب يعرفون ببني زياد.	قرطاجنة	مدينة	.285/1
وطبرقة حصن ...قليل العمارة وحوله العرب لا خلاق لهم.	المجالات المحيطة بطبرقة	ريف	.285/1

مدينة مرسى الخرز...حولها عرب كثير.	المجالات المحيطة بمرسى الخرز	ريف	.290/1
بونة...ولها أقاليم وأرض واسعة تغلبت العرب عليها.	بونة والمجالات المحيطة بها	مدينة—ريف	.291/1
مرماجنة وهي لأهلها وللعرب عليها ضريبة.	المجالات المحيطة بمرماجنة	ريف	.292/1
وأرض مجانة تغلبت عليها العرب.	مجانة والمجالات المحيطة بها	مدينة – ريف	.293/1
جبل واسلات...وفيه من الحصون...حصن الجوزات وتيفاف والقيطنة ودار إسماعيل ودار الدواب ...والعرب متغلبون على سهول	المجالات المحيطة بجبل واسلات	حصن— ريف	.294/1
ومن قصر صبرة إلى أطرابلس ...خلاء قد أتت العرب على عمارتها...وهي مستباحة لقبيلة من العرب تسمى مرداس ورياح.	مجال جغرافي بين قصر صبرة وأطرابلس	قصر– ريف	.297/1
ومدينة أطرابلس...العرب أضرت بها بوما حولها وأجلت أهلها وأقفرت بواديها.	أطرابلس والمجالات المحيطة بها	مدينة – ريف	.297/1
مدينة صرت...غير أن العرب تأتي على أكثر ذلك بإفسادها.	صرت	مدينة	.298/1
جبل دمر...وفي أطراف هذا الجبل قوم من البربر..وليس من العرب المجاورين لهم إلا ويتشكي أذيتهم.	المجالات المحيطة بجبل دمر	ريف (جبل)	.299/1
لبدة...تسلطت العرب عليها وعلى أرضها فغيرت ماكان بها من النعم وأجلت أهلها.	لبدة والمجالات المحيطة بها	مدينة– ريف	.308/1
والسويقة تنسب إلى ابن مثكود ويسكن حولها هوارة برابر تحت طاعة العرب.	السويقة	ريف	.309/1
برقة... لهاكور عامرة بالعرب.	برقة والمجالات المحيطة بها	مدينة – ريف	.310/1
مدينة أوجلة فيها ...العرب.	أوجلة	مدينة	.312/1
زويلة...والعرب تجول في أرضها وتضر بأهلها.	المجالات المحيطة بزويلة	ريف	.313/1
قافز هي لناصرة وعميرة وهما قبيلتان من العرب.	قافز	مدينة	.313/1
ومن قافز إلى طلميثة إلى لك هي لقبيلة من البربر متعربين يقال لهم مزاتة وزناتة وفزارة يحمون تلك الأرض عن العرب إن تدوس ديارهم.	المجال بين قافز وطلميثة	مدينة– قصر– ريف	.313/1
ومنه إلى قصر طلميثة...حوله قبائل رواحة من جهة المغرب ومن طلميثة إلى جهة المشرق قبائل هيب.	طلميثة والمجالات المحيطة بها	قصر– ريف	.319/1
عمالة هيب ورواحة وهم قبائل من العرب.	المجالات المتاخمة لطلميثة	ريف— مدينة	.319/1
وآخر عمل هيب لكة.	لكة	مدينة	.319/1

الجدول رقم (10): مجالات التوطن الهلالي والسليمي ببلاد المغرب الإسلامي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي.

التعليق:

في ضوء المعطيات الدلالية التي أوردها الإدريسي حول الجغرافيا البشرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي، نستعرض ما تبدى من الملاحظات المرتبطة بالتوطين العربي الهلالي والسليمي في النقاط التالية:

- أولا يجب التنبيه إلى أنّ كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي يكتسي أهمية بالغة في موضوع التغريبة الهلالية[1]، إذ يقدم الكثير من المعطيات الدلالية ذات الصلة بخريطة التوطين العربي لبني هلال وبني سليم، فكلما اتجهنا من غرب البلاد المغاربية إلى جهتها الشرقية تتضح صورة التوزيع الجغرافي للعرب الهلالية والسليمية في المنطقة رغم امتداد المجال بما يحتويه من مظاهر تضاريسية متنوعة تتباين بين المناطق السهبية والسباسب إلى التلول الداخلية إضافة إلى المجالات الواحية جنوبا والساحل البحري شمالا، وتزداد أهمية نزهة المشتاق في كونه مصدر جغرافي تندرج في ثناياه معلومات قيمة تخص صورة التعمير البشري بالمجالات الريفية والقروية والبوادي المغربية التي قلما تزودنا بها الحقول المصدرية الأخرى، كما أنّه يؤرخ لفترة القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي التي تعوزنا فيها الإشارات التاريخية وتندر فيها النصوص الوصفية والإخبارية[2]، وبالتالي فله أولوية مطلقة في رسم ملامح الخريطة السكانية للهلاليين والسليميين التي مثلت مراكز للإسكان العربي بالمنطقة على الرغم من تأخره عن أحداث التغريبة.
- علاقة العنصر العربي الهلالي والسليمي بشبكة الإسكان الريفي في بلاد المغرب علاقة متلازمة بين الإنسان والمكان في جغرافية الإدريسي، حيث أشارت نصوصه الوصفية في العديد من المواضع إلى سيطرة الهلاليين والسليمين على الأرباض والنواحي والجهات المحيطة بالمدن والمجالات الممتدة بين الحواضر والحصون والقصور[3]،

---

[1] حول الإدريسي وإسهاماته في الأدب الجغرافي الإسلامي. يراجع:

Allaoua Amara et Annliese Nef,«Al-Idrîsî et les Hammûdides de Sicile», Op. Cit., p.60.

[2] الملاحظة التي تسترعي الانتباه هنا تتمثل في ندرة المصادر التاريخية والجغرافية التي تمكن الباحث من إماطة اللثام عن الخريطة البشرية ببلاد المغرب الإسلامي وتوزيع الجماعات السكانية بتباين إثنياتها خلال فترة القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار المجموعات العربية موضوع دراستنا، فإن نصوص نزهة المشتاق للإدريسي تكاد تكون المرتكز الوحيد في حقل المصادر الرحلية والجغرافية المتضمنة نصوصا قيمة، تكشف لنا عن صورة التوطين العربي الهلالي والسليمي في المنقطة المغاربية، فضلا عن أوصافها المعالجة لحالة التعمير الريفي دون ارتباطها بمجال جغرافي محدد، حيث ركز صاحب النزهة على بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة في رصده للظواهر السكانية وشبكات الاستيطان بها.

[3] لقد انخرطت العرب الهلالية والسليمية في الفضاءات الريفية ببلاد المغرب الإسلامي لا سيما في القسم الشرقي منه، وتوصيف الإدريسي لخريطة التعمير البشري العربي خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي يجعلنا نقف على مواطن الانتشار العربي التي لطالما وظف عبارات دالة تخص تساكنها بالقرب من المجموعات السكانية المحلية وجنبا إلى جنب بمجاورتهم، فعلى سبيل المثال يذكر صاحب نزهة المشتاق أنّ: المنزل قصر حصين والعرب محدقة به، وبالنسبة للطريق من حصن الناظور إلى سوق الخميس أرض تجولها العرب وتضر بأهلها، أمّا بالنسبة لمدينة تونس فالعرب تجاور

والإشارات عديدة منها انتشار العرب حول قصر طلميثة وحول زويلة ومجانة وقلعة بني حماد التي تغلبوا على أرضها، بينما توزعت مجموعات البدو في أرباض باغاي وطبرقة وجهات تونس واستحوذوا على أراضي بونة ونواحي حصن بشر وغيرها من الأرياف والبوادي المغربية[1]، واستهدفت العرب الهلالية والسليمية الممرات الرئيسية للتجارة الداخلية والطرق الواصلة بين القصور والمدن الصحراوية، واستطاعت هذه الجماعات أن تمتلك إقطاعات عن طريق الغصب والنهب والغارة، فانفردت بملكية المجالات الريفية دون بني حماد والعصبيات الصنهاجية والزناتية، وتحولت الأراضي إلى مغتصبات هلالية سيتوارثها أجيال عدة بفضل التزايد الديموغرافي، إذ توالدت هذه المجموعات الهلالية وكثرت بطونها وفروعها وعمرت البلاد الليبية وإفريقية والمغربين الأوسط والأقصى[2].

- يعكس المشهد الجغرافي الذي ارتسمت ملامحه في نزهة المشتاق انتشار العرب الهلالية والسليمية في ثلاث مناطق كبرى[3] ببلاد المغرب الإسلامي، نرى تصنيفها مجاليا على النحو الموالي:

1- مجالات طرابلس وبرقة:

استوطنت الجماعات العربية برقة التي كانت "لها كور عامرة بالعرب"، وتوزعوا على مدينة أوجلة واختارت جماعات منهم تحويل مسارها من خلال اختراق المناطق الصحراوية جنوبا لتقوم بحيازة مجال زويلة والمجالات المحيطة بها[4]، كما أنهم استحوذوا على المجالات الواقعة بين قصر صبرة ومدينة طرابلس حتى أصبحت أراضيها خالية من الجماعات السكانية المحلية، فقامت قبيلتي مرداس ورياح بتعميرها وإدارة شؤونها، وامتد التوطن العربي إلى بلاد الساحل الليبي، فسكنت العرب مدينة سرت[5]، وتوزعوا على الأقاليم المجاورة لمدينة طرابلس وجهاتها،

أرضها، وذكر أنّ مرسى الخرز حوله عرب كثير، ومن قصر صبرة إلى طرابلس خلاء أتت العرب على عمارتها. وفي نص آخر قال: دار ملول مدينة عامرة فيها حصن مطل فيها مرصد من البلد ينظر فيه إلى مجال العرب في بلادهم. للمزيد من التفاصيل راجع: نزهة المشتاق، 262/1 فما بعدها.

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص/267 فما بعدها.

[2] زياني الصادق، الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب، ص/137. علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها، ص/18. التحولات المجالية والطوبونيمة، ص/16-17.

[3] بالنظر إلى المعطيات الواردة في الجدول أعلاه نلاحظ السيطرة الفعلية للمجموعات العربية الهلالية على الجهة الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي(البلاد الطرابلس والبرقة- إفريقية وبلاد المغرب الأوسط)، ولا شك أنّ المعارك التي خاضتها بنو هلال وبنو سليم في حيدران وسبيبة وسطيف ضد العصبيات المحلية خير دليل على الصراع المجالي بينهما، أما في ما يخص القرائن الدالة على سكنى العرب الهلالية للمغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط حسب الإدريسي فإننا لم نعثر على مؤشرات تؤيد ذلك، بيد أنّ النصوص الإخبارية تبرهن على سياسة السلطة الموحدية فيما بعد معركة سطيف 548هـ/1153م في ترحيل بطون من الهلاليين منهم جشم وزغبة ورياح وأزغار وتوطينهم بمجالاته. ابن خلدون، العبر، 29/6. ابن القطان، المصدر السابق، ص/199. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/230.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، 310/1.

[5] المصدر نفسه، 298/1.

وإلى جانب توطن جماعات ناصرة وعميرة في منطقة قافز واستقرار جماعة هيب في مدينة لكة، شهد قصر طلميثة على الساحل المتوسطي حضورا عربيا، إذ عمّرته "قبائل رواحة من جهة المغرب ومن طلميثة إلى جهة المشرق قبائل هيب"[1]، وعلى ما يبدو أنّ انفتاح البلاد الطرابلسية والبرقية من الجهة الشرقية وتشكيلها لأولى المجالات الجغرافية المتاخمة حدوديا لمصر، زيادة على كون بيئة المنطقة مشابهة في تضاريسها لجغرافية الصعيد المصري موطن العرب الهلالية والسليمية، وضعف نفوذ العصبيات القبلية المحلية وبعد السلطة المركزية في إفريقية عن البلاد الليبية، كل هذه المحفزات سهلت من عملية تسرب العرب البدو إلى أراضيها، ومكنتهم من الاستحواذ على مجالاتها بسرعة.

2- مجالات إفريقية:

شكلت بلاد إفريقية أكثر المناطق الجغرافية استقطابا للعنصر العربي الهلالي والسليمي[2]، ذلك أنها مثلت مركز ثقل السلطة المركزية لبني زيري الذين اصطدموا في حيدران سنة 443هـ/1052م مع الجموع البدوية الوافدة، وإخضاع العرب لها لا يعني بالضرورة إنهاء المهمة الموكلة لهم من طرف السلطة الفاطمية في مصر فقط[3]، بل لكون إفريقية تتوفر على الإمكانات والمحفزات الاقتصادية الكاملة التي افتقرت إليها مصر في عهد المستنصر[4]،

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، 319/1.

[2] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/179.

[3] نشير في هذا الصدد إلى القطيعة الزيرية التي أحدثتها الدولة الصنهاجية مع المذهب الشيعي الإسماعيلي في عهد المعز بن باديس عندما ارتقى إلى الخلافة سنة 406هـ/1016م، وقام بقطع الخطبة وخلع طاعة الخليفة الفاطمي المستنصر، مظهرا ببلاد إفريقية الدعاء للخليفة العباسي القائم بأمر الله، وما تبعه من عمليات تحويل المجموعات الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب من طرف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ويروي ابن عذارى المراكشي نقلا عن ابن شرف القيرواني وأبي الصلت أنه :"لما آل الأمر إلى التصريح بلعنة بني عبيد على المنابر وأمر المعز بن باديس بقتل أشياعهم، أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل وكان قبل ذلك ممنوعا، ثم أمر لكل جائز منهم بدينار، فجاز منهم خلق عظيم...". راجع في موضوع القطيعة الزيرية الفاطمية: البيان المغرب، 291/1-292. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 46/8. المقريزي، اتعاظ الحنفا، 190/2. ومن الدراسات أنظر: علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب، ص/15 فما بعدها. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي الاسلامي، ص/151 وما بعدها. محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية، ص/396. محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص/70 فما بعدها.

[4] أشارت المصادر كثيرا إلى الأزمات الاقتصادية والصحية الدورية التي اكتسحت مصر في عهد الدولة الفاطمية بداية من سنة 444هـ/1052م وأخطرها في عهد الخليفة المستنصر(427-487هـ/1036-1094م)، وقد أفرزت مشكلات مجتمعة رصدت لنا النصوص المصدرية تمظهراتها، فتدهور الوضع الاقتصادي والصحي كان نتيجة تعرض البلاد المصرية لموجات وبائية ومرضية متعاقبة واجتياح المجاعات والأزمات الغذائية لها، ولعل من بين أعنف المجاعات التي عصفت بمصر في خلافة المستنصر نذكر منها مجاعة 444هـ/1052م ثم مجاعة 447هـ/1055م، ومجاعة 457هـ/1065م، ولئن كانت شدة الأزمات الاقتصادية منذ منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إلا أن مقدماتها سبقت ذلك، لا سيما مع تزايد النمو الديموغرافي للعرب الهلالية والسليمية وانعدام التوازن بين التزايد السكاني والنمو الاقتصادي خاصة المتطلبات الاستهلاكية لمواشيهم، وبالتالي فإن المعطى الاقتصادي كان دافعا لتحرك المجموعات الهلالية والسليمية نحو بلاد المغرب من مرحلة التخطيط إلى غاية التنفيذ. ويبقى الحدث البارز متمثلا في مجاعة 444هـ/1052م، إذ دامت عدة سنوات وتزامنت مع الهجرة الهلالية والسليمية إلى إفريقية، ولكون شهادة المقريزي أظهرت بوضوح تلكم الصورة القاتمة التي عمت مصر زمن هذه المجاعة، مما أسهم في حدوث التغريبة الهلالية، فهو يقول:" ثم وقع غلاء في خلافة المستنصر ووزارة الوزير

وطموح هاته المجموعات البدوية في السيطرة على خيراتها ومساحاتها الرعوية، جعل حركتها تتقدم وسط إفريقية وتلولها[1]، فنزلت العرب ورؤساءهم المعروفون ببني زياد في قرطاجنة[2]، وامتدت مواطنهم إلى ناحية مدينة تونس، ونزحوا جنوبا فتوطنوا بقاعدة القيروان التي كان "ولاة أمورها العرب"، كما خضع المجال الجغرافي المحيط بحصن طبرقة في أقصى الشمال الغربي لتونس لسيطرة الأعراب، حيث يذكر الإدريسي أنّ هذا الحصن "قليل العمارة وحوله عرب لا خلاق لهم"[3]، أما قصور المنستير ففيها قوم متعبدون والأعراب لا تضر بهم، فيما شهدت السهول الواقعة بالقرب من جبل وسلات المطل على القيروان تجمعات عربية تنتمي إلى بني هلال وبني سليم، على الرغم من تواجد شبكة واسعة من الحصون مثل حصن الجوزات وتيفاف والقيطنة ودار إسماعيل ودار الدواب، إلا أن "العرب متغلبون على سهول هذه الأرض كلها"[4]، وأصبحت كذلك نواحي قفصة وأرباضها مركزا استيطانيا للعرب الهلاليين[5]، وهو ما يؤيد من استمرارية النشاط الرعوي بإفريقية كنظام اقتصادي اختصت به المجموعات البدوية العربية المنتشرة في المجالات الريفية والأرباض المحيطة بالمراكز العمرانية.

3- مجالات المغرب الأوسط:

تحكمت في خريطة التوزيع الجغرافي للعرب الهلالية والسليمية في بلاد المغرب الأوسط جملة من العوامل السياسية والاقتصادية والطبيعية المتعلقة بنظرة السلطة لهذا المكون البشري في المنطقة، وطبيعة الرهانات والتحالفات السياسة والعسكرية التي طرحتها ظرفية ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[6]، فالتحولات المجالية والبشرية في المجالات المحيطة بعاصمة المغرب الأوسط يؤشر عليها الإدريسي في

الناصر لدين الله أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري، وسببه قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة، وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات، فاشتدت المسغبة، وكان سبب خلو المخازن أنّ الوزير لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات كان ينزل إلى الجامع بمصر في يومي السبت والثلاثاء من كل جمعة، فيجلس في الزيادة منه للحكم على رسم من تقدمه، وإذا صلى العصر رجع إلى القاهرة...والأخبار بمصر في أزمنة المساغب متى بردت لم يرجع منها إلى شيء لكثرة ما يغش بها...". ويضيف ابن تغري بردي دليلا تاريخيا مقتضاه:" وحدث في أيام المستنصر بمصر الغلاء الذي ما عهد بمثله منذ زمان يوسف عليه السلام، ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا....". راجع المقريزي، كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشره: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م، ص/18 وما بعدها. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، تح: ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج2، مصر، 1383هـ/1963م، ص/2. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي، ص/153. محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص/82،84.عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل، الجزائر، 1429هـ/2008، ص/69 وما بعدها.

[1] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/141. راضي دغفوس، دراسات في التاريخ العربي، ص/153.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، 286/1.

[3] المصدر نفسه، 289/1.

[4] المصدر نفسه، 294/1.

[5] المصدر نفسه، 278/1.

[6] محمد بن ساعو، المرجع السابق، ص/114.

قوله: "وفي الشرقي من مدينة قلعة بني حماد مدينة ميلة...وأهلها أخلاط البرابر جملة والعرب تحكم بخارجها"[1]، ولا شك أنّه بعد معركة سبيبة سنة 547هـ/1152م تغيرت هياكل المجتمع في إفريقية والمغرب الأوسط وآلت الوضعية العمرانية إلى التحول العميق، لأنّ القلعة الحمادية لم يبق لها وجود ما دامت تتوسط مجتمع رحل غير قادر على هضم السلطة ولا يتعامل مع المستقرين إلا بمنطق اليد العليا[2]، ويبقى التوطن العربي خلال القرن السادس الهجري مثلما أشار إليه الإدريسي يغطي كل المجالات الداخلية السهبية وبين الأطلسين التلي والصحراوي، لكن باعتبار الخصوصية الطبيعية المتمثلة في صعوبة التضاريس من بين العوامل الفاعلة في رسم حدود خريطة التوطين الجغرافي للجماعات الهلالية والسليمية، فإنّ المناطق الجبلية بالمغرب الأوسط ظلت مواطنًا مهيأة لاستقرار الجماعات السكانية المحلية دون العرب الذين توزعوا على سفوحها والسهول المحاذية لها، فالجبل يبقى المجال الطبيعي الآمن الذي لجأت إليه الجموع البشرية المحلية تحصنا وحماية وامتناعا عن العرب، والدليل أنّ "حصن كلديس إلى جبل سحاو ثمانية أميال وهو من أعظم الجبال...وهذا الجبل لا تتعداه العرب"، كما شكلت منطقة الباب مجالا ضم العديد من الجبال التي تصل غارات العرب وضررها إليها[3]، أما بالنسبة لسوق الخميس فهو عبارة عن حصن في أعلى جبل لا تقدر العرب عليه لمنعته[4]، ولذلك كان التوزيع الجغرافي للمجموعات البدوية في الأراضي المنبسطة والمناطق السهلية رغم أنها خضعت لتجاذبات السكان الرحل المحليين والعرب الطارئين على المغرب الأوسط[5]، ولا شك أن هذه الأهمية التي اكتستها السهول الداخلية والساحلية جعلتها محل أطماع بني هلال وبني سليم، حيث استحوذت على بونة وأقاليمها الواسعة وملكت مجانة وجهتها[6]، واستوطنت في المجالات الواقعة بين القل وقسنطينة[7]، كما توسعت ملكيتها لتشمل المجال الريفي الممتد من حصن الناظور إلى سوق الخميس وناحية قصر المنزل[8]، ويتضح من خلال تتبع إشارات الإدريسي أنّ التعمير العربي قد وصل

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، 265/1.

[2] صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص ص/49-50.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، 262/1.

[4] المصدر نفسه، 262/1-263.

[5] جدير بالإشارة أن الجماعات السكانية المحلية لم تنسحب نهائيا من مواطنها بعدما سيطرت العرب على السهول والهضاب، فالسيطرة في المناطق الجبلية كانت من نصيب السكان المحليين مثل هوارة بجبال الأوراس، وعلى سبيل المثال أيضا نجد مدينة باغاي في العهد الزيري يتم تحويل أسواقها إلى الربض لكن الهجرة الهلالية وما ترتب عنها من غارات واغتصابات جعل الأرباض خالية وعجل بنقل الأسواق إلى المراكز الحضرية نتيجة الإضرار العربي بالبوادي والمحالات الريفية وأحواز المدن إضافة إلى المحيطة بالمراكز العمرانية. تتبع ذلك عند: الطاهر طويل، الجغرافيا التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/221.

[6] الإدريسي، المصدر السابق، 291/1 فما بعدها.

[7] المصدر نفسه، 269/1.

[8] الإدريسي، المصدر السابق، 262/1.

إلى مجالات الأوراس وباغاي ومرماجنة[1]، وأخذ في الانحدار باتجاه الجهة الشرقية الجنوبية لبلاد الزاب حيث تمركزت العرب في المناطق المجاورة لحصن بادس وملكت أرضه ومنعت أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم[2].

إجمالا، فإنّ المتتبع لمسار التحركات البشرية العربية يلاحظ سيطرة العرب الهلالية والسليمية على مجالات ريفية وقروية حيوية ببلاد المغرب الشرقي، ويبرهن على نمط الترحال المستمر الذي يضمن بقاءهم وعيشهم من خلال تدبير المجال الرعوي والزراعي حسب ما تمليه متطلبات أسلوب الظعن والانتجاع البدوي، فتأقلم العرب الهلالية والسليمية مع المعطيات الطبيعية بالمغرب واستحواذاهم على مجالات واسعة ينم عن ضعف المجموعات السكانية المحلية في الأراضي المنبسطة وتراجع نفوذ العصبيات القبلية في النصف الثاني من القرن الخامس والقرن السادس الهجريين/11-12م، وهو ما أسفر عن نزوحهم إلى المناطق الجبلية المحصنة طبيعيا واستيطانهم بها، وتعتبر مرحلة القرنين الخامس والسادس الهجريين من أبرز الفترات الزمنية التي شهدت فيها منطقة بلاد المغرب حراكا قبليا كبيرا تمثلت خلفياته في الهجرة الهلالية، مما ترتب عنه اختلاط المجموعات الاثنية المتساكنة لاسيما في مجالات إفريقية والمغرب الأوسط، التي وإن تباينت العناصر السكانية العربية فيها ومستويات تحركاتها فإنها من وجهة أخرى لا تعبر عن التوطن النهائي لها، وهو ما يطرح مشكلة التداخل الجغرافي بينها، أمّا المغرب الأقصى فقد ظل قبل منتصف القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي مجالا مستقلا لم يخضع لاستيطان الهلاليين إلا بعد سياسة التهجير السكاني العربي من طرف السلاطين الموحدين، وهو ما سنقف عليه في العنصر الموالي.

4- الموحدون والتوطن الهلالي بالمغرب الأقصى بعد معركة سطيف 548هـ/1153م...أي علاقة بين السلطة وتعمير المجال؟

أدركت السلطة الموحدية أنّ نجاح المشروع السياسي لدولتهم بعد وفاة المهدي بن تومرت[3] مرتبط بإخضاع جماعات العرب الهلالية والسليمية لسلطتهم بالمغرب الأوسط وإفريقية، فركزت منذ البداية في استراتيجيتها الحربية على إرسال الحملات العسكرية نحو المجالات الجغرافية الطرفية ببلاد المغرب سنة 547هـ/1152م، وكانت أول خطوة قام بها عبد المؤمن بن علي(487-558هـ/1094-1163م) تتمثل في حركته التوسعية على حساب المجالات

[1] المصدر نفسه، 264/1.

[2] المصدر نفسه، 264/1.

[3] يظهر من خلال المعطيات التاريخية التي أفادنا بها ابن خلدون أنّ أول لقاء جرى بين المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية والعرب الهلالية كان مع فرع الثعالبة الذين استوطنوا في سهل متيجة بالمغرب الأوسط، وقد قاموا باستقباله وإكرامه أثناء عودته من رحلته المشهورة ومروره بالمجالات الصنهاجية نواحي مدينة الجزائر ومنطقة التيطري بالمدية حاليا. ومن ناحية أخرى فقد حظي سباع بن ثعلب بن علي بن مكر بن صغير بمكانة رفيعة لدى السلطة الموحدية. حول تفاصيل اللقاء التومرتي والعرب الثعالبة، راجع: ابن خلدون، العبر، 84/6. السلاوي، المصدر السابق، 100/2.

الحمادية وامتداداتها الشرقية، وتشير النصوص الإخبارية إلى هزيمة العرب الهلالية في معركة سطيف سنة 548هـ/1153م إذ تم الإطاحة بها وتقويض قوتها، وتمكن الموحدون بعد هذه المعركة الحاسمة من بسط سلطتهم على البنى الاجتماعية والمجالات الجغرافية الواقعة في الجهة الشرقية للمغرب الإسلامي، وشهدت بذلك المنطقة المغاربية حراكا بشريا للعصبيات القبلية المحلية والوافدة، إضافة إلى جملة من التحولات المجالية التي طرأت على ساحة التوطين بالمغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي.

ولئن عرض الملك روجار الصقلي قواته المقدرة حسب المصادر التاريخية بخمسمائة آلاف رومي على بني هلال في معركتهم بسطيف سنة 548هـ/1153م تحضيرا لدحر الموحدين، إلا أنّ الأثبج وزغبة ورياح المعسكرين في ناحية باجة وقائدهم يحي بن عبد العزيز[1] قد رفضوا التحالف معه لاعتقادهم في الانتصار لوحدهم دون الحاجة لدعم عسكري[2]، ولكون عدوهم من المسلمين. إذ لا يستقيم التحالف مع كافر ضد مسلم[3]، لكن نتيجة المعركة كانت حاسمة وانتهت بانهزام الحلف الهلالي المكون من جماعات الأثبج وزغبة ورياح وبني قرة وانسحابهم إلى المجالات المتاخمة لحصن تبسة بالأوراس، حيث تتبعتهم جيوش الموحدين بعمليات الإجلاء والسبي إلى غاية دواخل المجال الصحراوي[4].

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 316/6.

[2] النويري، المصدر السابق، 305/24. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 207/9.

[3] مصطفى أبو الضيف أحمد، المرجع السابق، ص/70. محمد بن ساعو، القبائل الهلالية في مشاريع الإخضاع السياسية الموحدية، ص/90.

[4] ابن خلدون، كتاب العبر، 316/6. رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص/109 فما بعدها.

مسار الهجرات الهلالية إلى المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي

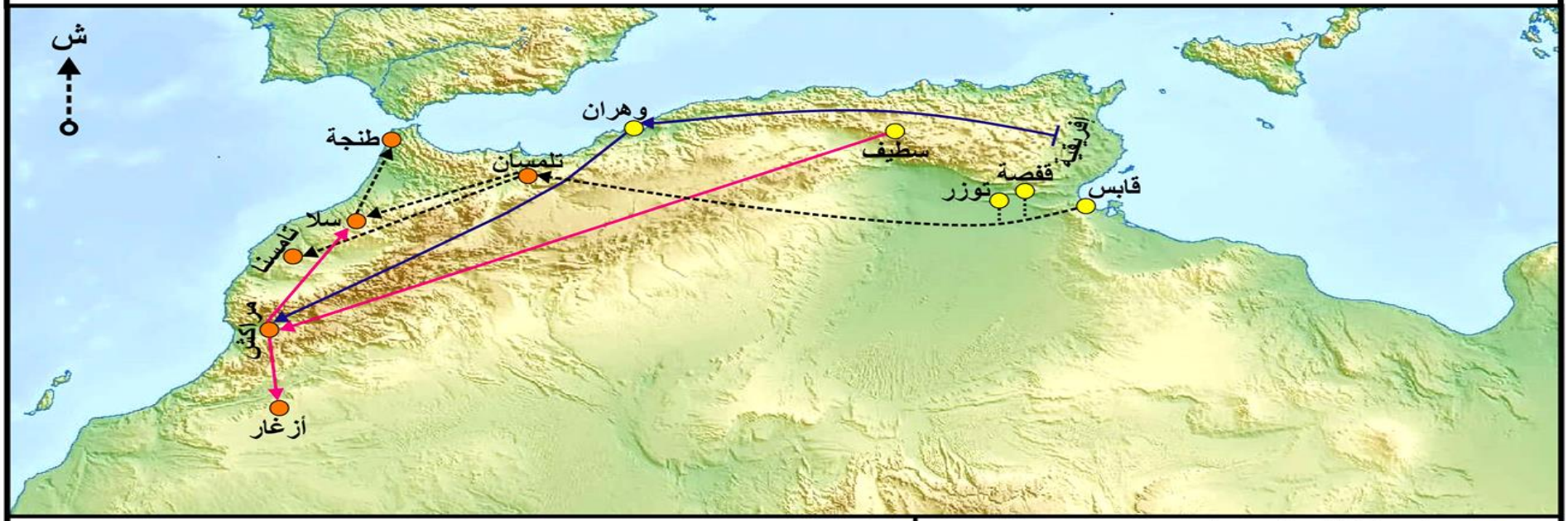

- المصادر المعتمدة في إنجاز الخريطة: ابن القطان، المن بالإمامة. ابن الأثير، الكامل في التاريخ. ابن أبي زرع، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب. ابن خلدون، كتاب العبر.

دفعت النتائج المحققة في المغرب الأوسط على إثر سيطرة الموحدين على مجالات بجاية وبعدها سطيف، الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى ترحيل السبي الهلالي المكون من العائلات الهلالية نساء وولدانا إلى المغرب الأقصى. هذه التحركات البشرية الهلالية كانت نتيجة لاستراتيجية رشيدة ترتكز على تخطيط سياسي مغرض له أهداف عديدة في مقدمتها استمالة الزعماء العرب الذين امتنعوا عنه في موقعة سطيف سنة 548هـ/1153م[1] ومحاولة منه لتقريبهم من أجل كسب حليف استراتيجي مهم لصالح الموحدين، وقد أخبر عبد المؤمن شيوخ العرب أثناء عملية نقل أُسرِهم إلى الجهة الغربية من بلاد المغرب بأنّ نسائهم وأولادهم تحت الصيانة والأمان والحفظ، فبعد حلولهم بمراكش "أنزلهم في المساكن الفسيحة وأجرى لهم النفقات الواسعة"[2]، وما إن بلّغ عبد المؤمن بن علي القادة العرب بوضعية عائلاتهم حتى سارعوا إلى مراكش، حيث تسلموا نسائهم وأبنائهم واستفادوا من الأموال والعطايا الممنوحة لهم من السلطة الموحدية[3].

والملاحظ أنّ العرب الهلالية لم يكتفوا بالاستيطان في حاضرة مراكش فقط عقب معركة سطيف سنة 548هـ/1153م، بل توزعوا على عدة مدن بالمغرب الأقصى في فاس وسلا ومكناسة، وتبرهن رواية البيذق على سياسة إدارة المجموعات والعصبيات القبلية وتوزيعها في جهات المغرب الأقصى، مما يتيح التحكم الدقيق فيها والتوظيف الأنسب لها[4]، حيث يذكر قائلا: "أمّا ما كان من أمر غنائم العرب وسبيها فترك منها أمير المؤمنين في فاس ومكناسة وفي سلا، وحمل مع نفسه سلاطينهم إلى مراكش وعيالهم وهم ديفل بن ميمون، وحباس بن الرومية، وابن الزحامس وابن زيان، وأبو قطران، وأبو عرفة، والقائد ابن معرف، فهؤلاء الملوك ردّ لهم الخليفة عيالهم وأعطاهم المال وصرفهم إلى بلادهم، فقالوا للخليفة تأمرنا بالرجوع إليك، فقال لهم الخليفة مجاوبا لهم نحن نصل إليكم وردهم كافة بنسائهم حملها لهم القبائل، وكان ذلك في عام سبعة وأربعين وخمسمئة"[5].

كما يشير ابن أبي زرع إلى قيام عبد المؤمن بن علي بعملية تهجير أخرى في سنة 555هـ/1160م مست مجموعات من عرب جشم المستوطنين بإفريقية نحو المغرب الأقصى[6]، وقد "نقل منهم إلى المغرب ألفا من كل

---

[1] النويري، المصدر السابق، 306/24.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 207/9.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 316/6.

[4] محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص ص/115-116.

[5] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوارقة، الرباط، 1390هـ/1971م، ص/76.

[6] تعكس تقديرات النصوص الإخبارية ارتفاع أعداد العرب الهلالية المستوطنين بالمغرب الأقصى، فابن الأثير يذهب إلى القول بأنّ عددهم قد بلغ عشرة آلاف نسمة، وفي مقابل ذلك يذكر ابن أبي زرع قدوم ألف أسرة عربية، كما بين الرأي الانطباعي لابن صاحب الصلاة كثرة جموعهم إلى درجة أنّه شبههم بعدد الحصى والذباب. للاطلاع أحيلك إلى: الكامل في التاريخ، 262/9. الأنيس المطرب، ص/199. المن بالإمامة، ص/90.

قبيلة بعيالاتهم وأبنائهم...وقسم العرب على البلاد"[1]. وذلك لتحقيق بعض الأهداف، يتجلى أولها في محاولة تفتيت الوحدة القبلية للهلالين والقوة البشرية التي تتسم بها هذه القبائل البدوية بغرض تسهيل عملية إخضاعهم والتحكم فيهم ومنع قيام أي طرف مهدد لأمن الدولة الموحدية، كما لا نستعبد البعد الاقتصادي المتمثل في تكريس جهود الفصائل الهلالية في خدمة الأرض وممارسة الأعمال الاقتصادية لاسيما في ميدان الزراعة لرفع مردود الانتاج الفلاحي الموحدي، ثم إنّ البعد الثالث يكمن في توظيف هذه الموجة البشرية عسكريا لحماية الأقاليم الإسلامية وبخاصة بلاد الأندلس التي عصفت بها التمردات والحركات الانفصالية المناوئة للموحدين.

وتظهر شهادة ابن صاحب الصلاة مآلات الوضع العام ببلاد الأندلس نتيجة التمردات الداخلية والأخطار الخارجية التي كانت تهددها. وعليه، فقد سارعت السلطة الموحدية إلى استعمال الكتلة البشرية الهلالية في العديد من العمليات العسكرية بهدف إبقاء الأندلس في حظيرتهم[2]، حيث خرج أبو يعقوب بن عبد المؤمن في سنة 550هـ/1155م "وقد استاق في أتباعه من العرب وبني رياح وبني جشم وبني عدي وقبائلهم ما يضيق بهم الفضا،

[1] الأنيس المطرب، ص/199. البيذق، المصدر السابق، ص/80.

[2] يمكن الاستدلال بشكل عام من المعطيات التي طرحتها النصوص المصدرية على ظاهرة ثقافية وسياسية في آن واحد، تعبر عن دهاء وحنكة السلاطين الموحدين في التحكم في المجموعات العربية خدمة لمصالحهم الأمنية، وتتمظهر هذه الظاهرة أساسا في تشجيع شعراء وأدباء الدولة الموحدية ببلاد المغرب والأندلس على نظم القصائد الشعرية والمتون الأدبية لتحريض العرب على الجهاد، بما يمكن من تعبئتهم للمشاركة في الأعمال الحربية بالأندلس من خلال الإعلاء من مكانتهم والثناء عليهم وإبراز الدور الكبير للعناصر الهلالية والسليمية الذي اضطلعت به في الجهاد ضد نصارى الأندلس والذود عن الحمى الإسلامية خصوصا في ظل ما يتميزون به من الشجاعة وقوة الشكيمة والطاقة العددية والخبرة العسكرية، وتحسن الإشارة هنا إلى أبيات شعرية تمجد العرب وتمدحهم من نظم الشاعر أبي بكر بن طفيل:

أَفْرُسَانُ قَيْسٍ مِنْ هِلَالٍ بنِ عَامِـــرٍ ... وَمَا جَمَعْتْ مِنْ طَاعِنٍ وَمُضَـارِبِ
لَكُمْ قُبَّةٌ لِلْمَجْدِ، شُدُّوا عِمَادَهَـــا ... بِطَاعَةِ أَمْرِ اللهِ مَنْ كُلِ جَـانِـبِ
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ ثَائِـــرٍ ... وفِيئُوا إِلَى التَّحْقِيقِ فِيئَـةَ رَاغِـبِ
دَعَوْنَاكُمْ نَبْغِي خَلَاصَ جَمِيعِكُـــمْ ... دُعَاءً بَرِيئًا مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِـــبِ
نُرِيدُ لَكُـــمْ مَا نَبْتَغِي لِنُفُـوسِنَا ... وَنُؤْثِرُكُـمْ زُلْفَى بِأَعْلَى المرَاتِـــبِ
فَلَا تَزْهَدُوا فِي نَيْلِ حَظِّكُـــمْ الَّذِي ... لَكُمْ فِيهِ فَوْزٌ مِنْ جَمِيعِ المعَاطِـبِ
بِكُمْ نُصِرَ الإِسْلَامُ بَدْأً، فَنَصَـــرَهُ ... وَهَذَا عَوْدُه جِـــدُّ وَاجِـــبِ
فَقُومُوا بِمَا قَامَتْ أَوَائِلُكُـــم بِـــهِ ... وَلَا تُغْفِلُوا إِحْيَاءَ تِلْكَ المنَـــاقِب
وَقَدْ جَـــعَلَ اللهُ النَّبِيَ وَآلِـــهِ ... وَمهديَّهُ مِنْكُمْ بِلَا عَـيْبِ عَـائِبِ

وقد أورد ابن صاحب الصلاة قصيدتين مطولتين أسهب فيهما شعراء الدولة الموحدية في مدح العرب الهلالية، وربط أصولهم الأولى بقيس عيلان واستحضار أمجادهم وأعمالهم في نصرة الإسلام الأول، وذلك بغرض تحريضهم على الجهاد في بلاد العدوة، وتعبئتهم لقتال النصارى والنفير إلى الأندلس، واخترنا الأبيات الشعرية السابقة على ما تتضمنه من حمولة دلالية توحي باعتماد السلطة في بلاد المغرب على النص الشعري لإثارة الحمية العربية في نفوس المجموعات الهلالية التي توجهت إلى مراكز التجمع بضواحي بجاية معلنة جهادها ودعمها ووقفوها إلى جانب الموحدين. للاطلاع على القصيدتين أحيلك إلى: ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص/325 فما بعدها. عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص/403 فما بعدها.

على عدد الذباب وعدد الحصى"[1]، وذلك لمواجهة الخطر المسيحي في قرمونة مدركا أنّ توظيفه للجموع العربية سيحقق له النصر وقد كانت النتيجة كذلك، حيث انتصر في هذه الموقعة وشتت فلول المسيحين، كما تظهر من جهة أخرى جهود أبي يوسف يعقوب الموحدي في التصدي لمحمد بن سعد بن مردنيش[2] بمرسية على السلطة معتمدا على مجموعات العربية من الهلاليين والجشميين والزغبيين في معركة حاسمة سيطرت فيها القوات الموحدية مدعومة بالقبائل العربية على بلاد الأندلس[3]، وهذا ما يؤكد على استقرار العرب الهلالية بالمغرب الأقصى ثم جوازهم إلى بلاد العدوة بتوجيه من السلاطين الموحدين للقضاء على التمردات والحركات الانفصالية وتوسعات المسيحيين في الأندلس.

لقد أحدثت سيطرة الدولة الموحدية تغييرا في الخريطة البشرية ببلاد المغرب، وأعاد تشكيل التحالفات القبلية بإقامة توازنات جديدة بين المجموعات السكانية، خلال مدة إخضاعها المنطقة لسلطتها صلحا أو عنوة، وامتد نفوذ السلاطين الموحدين إلى التحكم في وضعية التوزيع السكاني على المجال الجغرافي من خلال ترحيل العصبيات العربية مثل جُشْم والخلط وسفيان إلى السهول الخصبة بتامسنا ودكالة[4]، وساهمت السلطة الموحدية في تهجير هذه البطون من العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى[5] نحو تامسنا ودكالة لتحقيق جملة من الأهداف منها إضعاف تحالف العرب مع بني غانية[6]، حيث تمكن المنصور الموحدي من نقل العاصم ومقدم من فروع الأثبج[7]، بينما وطّن بطون رياح ببلاد الهبط وأقطع جشم مجالات سهل تامسنا ما بين سلا ومراكش وأزغار على

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص/90.

[2] محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الجذامي (518-567هـ/1124-1171م)، كان واليا على مرسية وضم إليها بلنسية وشاطبة ودانية، واتسع نطاق دولته بعد أن تحالف مع الروم ضد الموحدين الذين حاصروه ومات أثناء الحصار. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، 73/2. الزركلي، المرجع السابق، 137/6-138.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص/199.

[4] للتفصيل أنظر: الحسين إسكان، الدولة والمجتمع في العصر الموحدي518-668هـ/1125-1270م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1431هـ/2010م، ص/265.محمد القبلي، حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط مقدمات أولية وقضايا، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 1418هـ/1998م، ص/29. عبد الحق الطاهيري، الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1436هـ/2015م، ص/194.

[5] أصبحت التسميات القبلية العربية والمحلية متشابكة في النصوص المؤرخة لمجال المغرب الأقصى، مما يؤيد وجود العرب الهلاليين بين مكونات التركيبة البشرية بأقصى النواحي الغربية لبلاد المغرب الاسلامي. أنظر دراسة: محمد براص، صورة البادية المغربية عند الإخباريين المغاربة الناصري أنموذجا، مقال ضمن كتاب: المجال البدوي المغربي الخصوصيات والتحولات، ط1، مكتبة دار السلام، الرباط، 1427هـ/2007م، ص/73.

[6] ابن خلدون، العبر، 33/6. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص/152 وما بعدها.

[7] من المفيد الإشارة إلى ندم الخليفة المنصور الموحدي بخصوص عملية ترحيل العرب الهلالية إلى المغرب الأقصى، حيث يخبرنا صاحب روض القرطاس أنه لما اشتد بالمنصور المرض قال ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلا ثلاث وددت أني لم أفعلها وذكر منها: إدخال العرب من إفريقية إلى المغرب لأنهم سبب فساده. تتبع ذلك عند: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص/230. عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ص ص/418-419.

الشريط الساحلي بين طنجة وسلا فظهرت أحياء العرب الهلالية بأقصى الجهة الغربية لبلاد المغرب[1]، وقد دفعت عملية جباية الضرائب[2] والمصلحة الاقتصادية يعقوب المنصور إلى جلب الجموع العربية وتوطينها بالمناطق السهلية لأنّ الحاجة إلى زيادة الانتاج الفلاحي لمواجهة الاستهلاك المتزايد للحبوب كان من أولويات المنصور، لاسيما في ظل الفراغ الديموغرافي الذي كان نتيجة للصراع القبلي بين مصامدة الجبل عصبية الدولة الموحدية ومصامدة السهل النازحين عن سهلي دكالة وتامسنا[3].

أمّا الهدف السياسي، فقد انعكس في توظيف الموحدين للمجموعات العربية في الجباية وجمع الضرائب من ناحية[4]، وفي عمليات الجهاد في الأندلس من ناحية أخرى[5]، إذ وظفت الطاقات البشرية لبني هلال وبني سليم في حروب الأندلس[6]، وأصبحت بذلك العرب تمثل طرفا هاما في الجيش الموحدي خاصة رياح وجشم وزغبة وعدي[7]، وتمكن بذلك الموحدون من التحكم في خريطة الانتشار البدوي، وضبط التحركات القبلية وتسييرها وفق إرادتهم وحسب ما تمليه مصالحهم العسكرية[8]، فاندماج العنصر الهلالي في النسيج الاجتماعي الأندلسي وظهور تجمعات هلالية تواصل بقاؤها ببلاد الأندلس إلى ما بعد القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي، خير دليل على التحول من نمط التنقل والارتحال إلى حياة الاستقرار الدائم. خصوصا في ظل التزايد العددي المعتبر للعرب الهلالية بشبه الجزيرة الإبيرية، حيث يقول عبد الواحد المراكشي "بالجزيرة اليوم من العرب من زغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم خمسة آلاف فارس سوى الرجالة"[9].

---

[1] ابن خلدون، كتاب العبر، 29/6.

[2] كلفت القبائل العربية من طرف السلطة الموحدية بمهمة جمع الضرائب وجباية القبائل الأخرى. عبد الحق الطاهيري، نظام الحكم عند الموحدين الوسائل والمؤسسات، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1439هـ/2018م، ص/191. عفاف غرزول، المرجع السابق، ص/82.

[3] محمد الطويل حجاج، عودة إلى القبائل الهلالية، مجلة أمل، ع2، 1412هـ/1992م، ص/132. محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، ص/48.

[4] تشير الباحثة إليز فوقي إلى سعي السلطة في بلاد المغرب إلى توظيف شيوخ القبائل العربية والأعراب الذين كانوا يمثلون الحليف القوي للسلطة المركزية وسموا "بجبابرة العرب" أو "البدو" في تركيبة الجيوش المغربية، أو من خلال دمجهم في نظم والإدارة وتعيينهم كقادة مناطق (وطن– بلد)، لذلك تفصح الكثير من النوازل والنصوص الفقهية عن أدوارهم فيجمع الضرائب والإتاوات، كما منحتهم صلاحيات واسعة في إدارة الأقاليم الريفية بغرض استصلاح الأراضي الفلاحية وتطوير التجارة المحلية وتعمير المجالات الجغرافية ديموغرافيا. أنظر:
Élise Voguet, «Chefs de tribus et murâbitûn: des élites rurales du Maghreb médiéval ?», Mélanges de l'École Française de Rome - Élites rurales méditerranéennes au Moyen âge, pp. 376-377.

[5] أحمد عزاوي، الغرب الإسلامي، ص/51.

[6] المن بالإمامة، ص/90، 199.

[7] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص/260، 286.

[8] محمد حسن، المدينة والبادية، ص/40.

[9] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص/167.

لا مانع من القول أنّ التداخل المجالي الكبير بين المجموعات العربية عقب التغريبة الهلالية، قد صعّب من عملية التحديد الجغرافي والضبط المكاني لمواطن البطون الهلالية والسليمية وتجمعاتها البشرية قبل نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، فالتحركات السكانية والقبلية المستمرة التي عرفوا بها ونمط الانتجاع والظعن القائم على التوغل في المجالات الزراعية الغنية واستغلال مواردها ثم النزوح عنها إلى مجالات أخرى تتوفر على نفس المؤهلات الطبيعية والاقتصادية، يكشف عن مدى تحريك العامل الزراعي والرعوي للجماعات الهلالية والسليمية باستمرار، إذ تبقى الأراضي الزراعية الخصبة والمراعي الواسعة والغنية بشبكة الماء والكلأ من المحددات التي لا غنى عنها في توجيه مسار التعمير البشري للجموع العربية، كما أنّ وضوح خريطة الاستيطان الهلالي في بعض الأقاليم الجغرافية من منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ببلاد المغرب عموما، كان حصيلة تحالفات سياسية أبرمتها العرب الهلالية مع القوى المحلية كالزيريين والحماديين، أو مؤداها الفراغ الديموغرافي في بعض المجالات الجغرافية الحيوية، وسعي السلطات المغاربية إلى تعميرها على غرار قيام السلطة الموحدية بملء فراغ مجموعة برغواطة في تامسنا ودكالة من خلال توطين الهلاليين والتحضير لإدماجهم في منظومتها البشرية والاقتصادية، وينضاف إليها العامل الأمني المتمثل في موضعة المجموعات العربية لتأمين المسالك الحيوية للحركة التجارية وحماية القوافل الصحراوية في بلاد المغرب من جهة، أو توظيفهم عسكريا في حروب الأندلس وصقلية من جهة أخرى.

رابعا– جدلية الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب بين إدانة الدور التخريبي وإبانة الدور الحضاري.

نقاشٌ تاريخيٌ ظل مفتوحًا لكل دارس لموضوع الهجرة الهلالية والتحركات السكانية العربية ببلاد المغرب الإسلامي بداية من منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، يتأسس هذا الجدل التاريخي على أسئلة جديرة بالطرح: هل انحصر الدور الهلالي والسليمي في تخريب البنيات الاقتصادية والعمرانية المغاربية بعد وصولهم إلى المنطقة في منتصف القرن الهجري الخامس/11م؟ أم أنّ الأزمة سابقة للوجود الهلالي بالمنطقة؟ هل يمكن الحديث عن دور البدو العرب في البناء الحضاري والإسهام الاقتصادي ببلاد المغرب؟ ما مدى صحة الأطروحة القائلة بأنّ بلاد المغرب الإسلامي تعرضت لأكبر ظاهرة بدونة من طرف العرب الهلالية والسليمية أخرجتها من وعاء التحضر وربطتها بعالم البداوة أو كما عبّر عليها أحد الباحثين[1] بـ:"مأزق البداوة"؟

1– الهجرة الهلالية في النصوص التراثية:

[1] محمود أحمد أبو صوة، تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي، ص/19.

ليس خفيا أنّ أقدم المصادر التاريخية التي عاصرت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب الإسلامي تعود إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، مصادر إفريقية معطياتها ذات طابع إخباري أو أدبي "شعر" اعتنت بأحداث التغريبة الهلالية، كتبها كل من ابن رشيق وابن شرف وابن أبي الصلت، تناقلت رواياتها مشهد التخريب الجماعي للجانب الزراعي والعمراني من طرف العرب الهلالية، واتفقت توصيفاتها على ملامح الفوضى وصور الإغارة والنهب العربي. لم تصدر عن أطراف غير رسمية بل كانت مرجعيتها سليلة البلاط الزيري والحمادي، وإلا فكيف قدمت المادة العلمية فيها رؤية أحادية تعكس مستويات الضرر الاقتصادي والعمراني الهلالي والسليمي؟

لابد من التنبيه إلى أنّ أغلب الكم المعرفي الذي تضمنته المصادر الإفريقية المتقدمة نجده مبثوثا بين ثنايا النصوص الإخبارية المتأخرة، بوصفها روافد مصدرية مشتركة أكدت على ظاهرة التخريب الهلالي والسليمي لمعالم المنطقة اقتصاديا وحضاريا، واعتمدت على منهج النقل مثل ابن الأثير في الكامل، وابن عذارى في البيان، وابن خلدون في كتاب العبر. ولئن تناولت هذه الحقول المصدرية قضية الهجرة الهلالية ومجرياتها في الفضاء المغاربي انطلاقا من جمع الروايات المتقدمة ونقلها، فإنّ معطيات كتب الرحلة والجغرافيا بلغت مدى قيميا كبيرا في موضوع التغريبة، ذلك لأنّها تحمل في طياتها إشارات قيمة تخص المجموعات الهلالية والسليمية، على غرار نزهة المشتاق والاستبصار ورحلة التجاني، ومع ذلك يُعدّ "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي" أهم المصادر الوصفية[1]، لأنّه قدّم نصوصا جديدة عن المركب البشري الهلالي والسليمي، فيما يخص علاقتهم بالحراك السكاني والتوطن الجغرافي والوضع الأمني ببلاد المغرب خلال القرن الهجري السادس/الثاني عشر الميلادي.

من الناحية الأمنية والاقتصادية، يشير الإدريسي إلى أعمال التخريب والنهب الهلالي والسليمي في نطاق اقتصاد القبيلة الناجعة القائم على الغزو والغارة، تجاوزات عديدة وأعمال سرقة متنامية وقطع الطريق والحرابة[2]، بمدينة لبدة في البلاد الليبية "تسلطت العرب عليها وعلى أرضها فغيرت ما كان بها من النعم وأجلت أهلها"[3]، وتحول العرب في مجالات زويلة وتضر بأهلها[4]، أما سرت فتأتي العرب على أراضيها بالإفساد[5]، وشهدت مدينة قفصة بإفريقية خرابا من طرف العرب الذين أضروا بها[6]، إضافة إلى باجة وطبرقة والقيروان وقلعة أبي الطويل مدن

[1] أنظر: الصفحة 32 من هذا الفصل.

[2] عفاف غرزول، المرجع السابق، ص/80.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، 308/1.

[4] المصدر نفسه، 298/1.

[5] المصدر نفسه، 313/1.

[6] المصدر نفسه، 278/1.

كثيرة خربتها العرب عند دخولهم بلا إفريقية[1]، وكذلك باغاي بالمغرب الأوسط هي الأخرى كانت أرباضها خالية بإفساد العرب[2]. وبالتّالي فقد غدا الفساد وإلحاق الضرر شكلين من أشكال التحركات الهلالية والسليمية التي اقترنت ممارساتها بالمناطق والمجالات الداخلية والصحراوية، خاصة أمام فشل السلطة المركزية في السيطرة التامة على هذه القبائل الممانعة ضدها وإخضاعها[3].

وتبرهن المعطيات الوصفية للإدريسي على التجاور الجغرافي للعرب الهلالية والسليمة مع الجماعات السكانية المحلية[4]، من ذلك نجد الأمثلة بكثرة حول شبكة الاستيطان العربي والعنصر المحلي[5]، إضافة إلى تعامل أهل تونس مع العرب، فنصوصه تسعف إلى حد ما في تجاوز الأحكام النمطية التي اتسمت بها بعض الروايات الإخبارية[6]، ويضع العرب في منظومة علاقات سلمية مع العناصر المحلية لأنهم التجأوا إلى التعامل معهم لدوافع اقتصادية وأمنية وسياسية بوصفهم كيانات بشرية تتعايش مع بعضها البعض ضمن بيئة مغاربية واحدة.

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تظهر شهادة صاحب الاستبصار وابن سعيد والزهري استمرارية التسلط الهلالي العربي على الساكنة المحلية ببلاد المغرب، حيث تعرضت عديد المجالات الجغرافية إلى الإنهاك الاقتصادي والضرر الزراعي والهدر الديموغرافي، إمّا بتهجير الجماعات السكانية تحت الضغط البدوي أو التخريب الممنهج للملكيات الزراعية والعمرانية أو التقتيل زمن الحرب أو الاستنزاف القبلي لموارد المجال بكافة عناصره، وهي حالات تكررت كثيرا كما تشهد به معطيات الزهري[7] الذي يخبرنا عن انتشار العرب ببرقة ثم إفريقية وشنهم للغارات ومحاربتهم للمعز حتى تحولت القيروان إلى خراب، كما أدلى صاحب الاستبصار بشهادته منبها إلى أثر التخريب الهلالي الذي طال قصور قفصة حتى أصبحت "خربة لا أنس بها من وقت دخلت العرب بلاد إفريقية وأفسدت بلاد القيروان وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثيرا من المدن بإفريقية"[8].

---

[1] مجهول، الاستبصار، ص/161.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، 276/1.

[3] نورة الوسلاتي، تمثّل البداوة مقاربات في التاريخ الثقافي بين المغاربي والمحلي، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 1441هـ/2019م، ص ص/290.

[4] راجع: المبحث الثالث الخاص بالتوزيع الجغرافي الهلالي والسليمي ببلاد المغرب من هذا الفصل.

[5] أنظر الجدول رقم (10) المنجز سابقا في هذا الفصل:"مجالات التوطن الهلالي والسليمي ببلاد المغرب الإسلامي من خلال نزهة المشتاق.

[6] محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص/91.

[7] الجغرافية، ص/112.

[8] الاستبصار في عجائب الأمصار، ص/154.

ولا تفوتنا الإشارة إلى تطابق النصوص الوصفية مع معطيات النصوص الإخبارية، حيث أشار ابن الأثير وابن عذاريوالنويري إلى خراب الشبكة العمرانية المكونة من المدن والقصور، وتقلص الملكيات الزراعية وتراجع البستنة في المجالات الريفية، وانعدام الأمن على مستوى المسالك والطرق الحيوية[1] بسبب التجاوزات الهلالية والسليمية وتأثيراتهم السلبية، ويصرح ابن الأثير بأنّ العرب "شنوا الغارات وقطعوا السبيل وأفسدوا الزروع وقطعوا الثمار وحاصروا المدن"[2]، كما أشار ابن عذاري في ذات السياق نقلا عن ابن شرف القيرواني إلى التحولات العميقة والأزمات المتلاحقة بسبب الحضور الهلالي السليمي ببلاد المغرب، في قوله: لم تبق " قرية إلا وسحقت وأكلت، أهلها عراة أمام حيطانها من رجل امرأة وطفل، يبكي جميعهم جوعا وبردا وانقطعت المير عن القيروان وتعطلت الأسواق"[3].

هذه الخصوصية التي تتعلق بواقع التحركات الهلالية والسليمية وآثارها على المجتمع والاقتصاد والعمران ببلاد المغرب، نجدها في روايات الإخباريين المعاصرين للهجرة. نقصد بذلك المصادر المتقدمة على غرار ابن شرف وابن رشيق وأبي الصلت، والتي نسخها عنهم ابن الأثير[4] وابن عذاري[5] وخضعت للنقل من النويري[6] كذلك. فلا عجب إذن أن نجد مظاهر التخريب الهلالي وتداعياته الوخيمة على الحياة الزراعية والمعالم العمرانية متكررة ومتطابقة في العديد من المواضع، ولا ريب أنّ التخريب الاقتصادي والعمراني ظاهرة تخلفها التحركات البشرية، وتحدث تأثيرا سلبيا على الاقتصادي الفلاحي المحلي، إذا اعتبرنا هذا الاقتصاد اقتصاد كفاف، فلا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت للنشاط الرعوي، كأهم نشاط اقتصادي لهذه القبائل العربية، وأضفنا إلى هذه الظاهرة[7]، ظاهرة التهجير القسري الذي عرفته المجموعات العربية تحت أمر من السلطة المركزية لاسيما على عهد خلفاء الدولة الموحدية.

---

[1] لطفي بن ميلاد، إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/11م إلى مطلع القرن 10هـ/16م وقائع الانفصال وتحديات الاتصال، المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 1432هـ/2011م، ص ص/224-225.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 87/8.

[3] ابن عذاري، المصدر لسابق، 291/1.

[4] أنظر: حول المواضع التي نقل منها ابن الأثير عن أبي الصلت. 274/1، 292، 309.

[5] أنظر: حول المواضع التي نقل فيها ابن عذارى عن ابن شرف. 280/1، 288، 291.

[6] أنظر: حول النقول التي نسخها النويري عن ابن الأثير. 211/24، 213.

[7] رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة، بيروت، 1411هـ/1991م، ص/93.

2-الحضور الهلالي والسليمي وظاهرة خراب الاقتصاد والعمران المغاربي – قراءة في الخطاب الخلدوني–:

إنّ الجدال التاريخي حول موضوع الهجرة الهلالية وآثارها ببلاد المغرب الإسلامي لا يمكن حسمه نهائيا، ذلك أنّ الروايات التاريخية التي أرخت لهم مرتبطة بالعنصر المحلي ومنتمية إلى دوائر رسمية سياسة أو دينية فقهية على عكس العناصر العربية الذين لم يدونوا تاريخهم[1]، والحديث عن القطيعة الحضارية ببلاد المغرب الإسلامي بين الماضي الزيري الحمادي إلى التوافد الهلالي السليمي، وتحميل المجموعات العربية الدخيلة مسؤولية التحولات السلبية العميقة على مستوى البنيات الاقتصادية والعمرانية، ينبني أساسا على نصوص ابن خلدون التي اكتسحت مختلف الدراسات التاريخية العربية والفرنسية خصوصا.

لقد اكتسبت المجموعات الهلالية والسليمية حسب ابن خلدون صفات بدوية متوحشة انعكست بوضوح في صورة المشهد التخريبي الذي عرفته بلاد المغرب عند وصول البدو العرب. ففي أثناء مناقشته لطبائع السكان وعوائدهم في كتاب المقدمة، خصص ابن خلدون فصلا حمل عنوان: "في أنّ العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب"[2]، وبوصف الحضور الهلالي والسليمي بالمغرب نموذجا أضحى الأساس القوي والمتماسك لبناء الخطاب الخلدوني، فهو لا يتردد في الاستشهاد بأمثلة صريحة عن مستويات الضرر الاقتصادي والعمراني الذي لحق بالمنطقة، حتى يتأتى له تكريس رؤيته نحو العنصر العربي الدخيل إلى بلاد المغرب وتجسيد فكرة البداوة المناقضة للحضارة في نظريته، ومما صرح به أنّ: "إفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر"[3].

يصف ابن خلدون المجموعات العربية من بني هلال وبني سليم "بالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه"[4]، ارتبطت عملياتهم بالنهب والسلب والفوضى "وإفساد السابلة"[5] في البلاد الليبية. فيقول عن برقة:

[1] المعطيات الإخبارية المتعلقة بالتغريبة الهلالية صدرت عن البلاط الزيري والحمادي، ومن أبرز الإخباريين والشعراء الذين تزامنوا مع مجرياتها ودونوا أحداثها نذكر ابن شرف القيرواني وابن رشيق وأبي الصلت وابن شداد الصنهاجي.

[2] ابن خلدون، كتاب العبر، 187/1-188.

[3] ابن خلدون، كتاب العبر، 188/1.

[4] المصدر نفسه، 20/6.

[5] المصدر نفسه، 220/6.

"تمرنت بمرانها بادية العرب وناجعتهم، فتحيفوها غارة ونهبا إلى أن فسدت"[1]. أمّا الخراب فقد كانت صورته قاتمة في المجتمعات الزراعية داخل المجالات الريفية ببلاد المغرب، إذ أن تحركات العرب بالأرياف المغربية حسبما يشير إليه ابن خلدون قد كبدّها خسائر اقتصادية كبيرة، وظهرت التجاوزات الهلالية والسليمية في قوله: "هلكت الضواحي والقرى بإفساد العرب وعيثهم"[2]، وقد "اضطرمت إفريقية نارا"[3] لما انتصر العرب على المعز في القيروان وسيطروا على المهدية واقتسموا أعمالها.

يواصل ابن خلدون عرض توصيفاته في موضوع خراب العمران واندثار عدد من المدن الموزعة على منطقة الهضاب العليا والزاب، نظير الغارات الهلالية التي شنتها على التجمعات الحضرية والريفية ببلاد المغرب، لكن إذا كان موقف ابن خلدون تجاه العرب يعكس وضعا يتميز بالخراب الاقتصادي والتراجع العمراني، فإنه في هذه الحالة وقع في تناقض بين عنصر التنظير في المقدمة وعنصر الرواية والحدث في كتاب العبر عند معالجته للظاهرة الهلالية، وهو الذي أشار إلى إمارة بني مزني العربية في بلاد الزاب مما يبرهن على إمكانية العائلة تأسيس العائلة الهلالية لملك على غرار الأسر المحلية[4]. وعلى ما يبدو أنّ الاعتماد على ابن خلدون ونفس المصادر والنصوص سواء الاخبارية أو أدب المناقب أو كتب الأحكام والفتاوى والشعر، لا يحيل إلى نتائج يعول عليها في البت تاريخيا في قضية الهلالين وآثارهم بالمنطقة، كما أنّ الذين كتبوا عن العنصر العربي الدخيل أغلبهم فقهاء يناصبون العداء للأمراء الزيريين وأشياخ المجموعات الهلالية، فلا غرو من وجود أحكام وآراء استباقية جاهزة تؤيد نظرة كل فريق وتضفي طابعا مهولا على أعمال العنصر العربي من ذلك الكتابات الخلدونية[5].

إذن، يتعلق الأمر بشخصية محلية أرخت تحت مراقبة سلطة مغاربية لمركب إثني هلالي وسليمي دخيل، ولكون ابن خلدون ينتمي إلى الطبقة السياسية في البلاط الحاكم، فإنه بلا شك يعكس هواجس الدول المغربية المحلية، وكان متأخرا عن الهجرة الهلالية بحوالي أربعة قرون كاملة على الرغم من معايشته لفترات سيطرة الأعراب[6] في حياته واستحواذهم على مجالات جغرافية واسعة باعتماد أسلوب الغارة والغزو.

[1] المصدر نفسه، 6/113-114.

[2] المصدر نفسه، 6/21.

[3] المصدر نفسه، 6/217.

[4] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، ص ص/24-25.

[5] الطاهر طويل، الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط، ص/434.

[6] محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص/90.

3- الهجرة الهلالية في الدراسات التاريخية:

إنّ الإلمام بجميع النقاشات التاريخية حول الهجرة الهلالية والسليمية وآثارها على الاقتصاد والمجتمع والعمران ببلاد المغرب الإسلامي، يقتضي عرضا مفصلا ودقيقا لكل الدراسات الأكاديمية بتعدد حلقاتها العربية والفرنسية والأنجلوسكسونية والإسبانية، ثم الإبانة عن اتجاهاتها الأيديولوجية وطبيعة أحكامها ومرجعياتها في التعاطي مع إشكالية الحضور الهلالي والسليمي وأضراره التخريبية على مستوى الفضاءات المغاربية.

3-1/ الدراسات الأوروبية:

معلوم أن استكثار عرض الدراسات الأوربية – على تنوعها وكثرتها- في هذا الطرح ليس بمقصدنا الذي نرومه، بل إنّ باعثنا الرئيسي هو تقديم نماذج بحثية أوروبية تناولت ظاهرة التخريب الهلالي والسليمي وأثره على البنيات الاقتصادية والعمرانية باختصار، لأنّ الموضوع يطول كلما أوغلنا في تقصي جوانبه وتفصيلاته، ولا إمكان لذلك، إلا بتخصيص دراسات مستقلة مثل تجربتي الباحثين علاوة عمارة[1] ومحمد الشريف[2]، وما لمح إليه مؤخرا الباحث محمد بن ساعو[3].

باعتبار المدرسة الاستعمارية ذات خلفيات إيديولوجية مغرضة، فإنها حاولت ربط سببية الانهيار الحضاري والتدهور الاقتصادي لبلاد المغرب بما ألحقه الهلاليون والسليميون بها من سلوكيات بدوية همجية، وبتقديمه لنظرة كولونيالية منحازة قدّم إيميل فيليكس غوتيي[4] لوحة مأساوية تعبر عن التقلبات الخطيرة التي عرفها المغرب بعد قدوم المجموعات العربية، فهو يصف الهجرة الهلالية والسليمية "بالكارثة الكبرى"[5]، حيث مارسوا لصوصية المسالك وقطعوا الطرق ونهبوا القوافل وتسلطوا على سكان الأرياف[6]، كما أنه ينسب خراب المغرب اقتصاديا وحضاريا واختفاء العديد من المدن مثل القلعة وتيهرت والبطحاء وأرشقول، للمجموعات الهلالية والسليمية التي نزلت بالمنطقة في منتصف المائة الخامسة للهجرة/11م[7].

---

[1] الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط قراءة في نقاش تاريخي، ص ص/31-75.

[2] الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، مقال ضمن كتاب أعمال ندوة: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق شمال إفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، 1425هـ/2004م، ص ص/395-418.

[3] الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص ص/87، 101.

[4] l'islamisation de l'Afrique : du nord Les siècles obscurs du Maghreb, Paris, Payot, 1927, pp.41 .

[5] ذكر هذا اللفظ محمد بن ساعو نقلا عن إيميل فيليكس غوتيي. أنظر: الحضور الهلالي في بلاد المغرب الأوسط، ص/93.

[6] Émile Félix Gautier, Op. cit, p.390.

[7] Ibid, p.397.

والبديهي أنّ الدّراسات الفرنسية انبثقت عن رؤية جنينية واحدة يعتبر جورج مارسي من أوائل المبلورين لها في كتاباته[1]، حين وصف الهجرة الهلالية بالغزوة والبلية التي ألمت بالمجتمعات المغاربية وكانت عواقبها خطيرة صنفت ضمن خانة النتائج الكارثية[2]، ففي أثناء سقوط المهدية والقيروان سيطرت الجماعات الهلالية على مصادر المال وقاموا بتهجير السكان المحليين وأطلقوا العنان للفوضى والفساد في مختلف المجالات الحضرية والريفية بإفريقية [3].

لا تتوقف الرؤى السابقة عند هذه المسلمات القاسية بشأن العرب الهلالية والسليمية، بل يندرج ضمن سلسلة الدراسات الفرنسية في السياق ذاته ما تقدم به روبار برونشفيك في دراسته عن تاريخ إفريقية في العهد الحفصي[4]، والدليل أنه استعمل لأول مرة مصطلح "الكارثة الهلالية" للتعبير عن وجهة نظره فيما يخص دور الهجرة الهلالية في التاريخ الحضاري والاقتصادي لبلاد المغرب[5]، وكون الفكرة تبناها تلميذه الهادي روجي إدريس الذي تلقى تكونيه بفرنسا وأشرف عليه روبار برونشفيك في رسالته عن الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م. فكيف هي إذن طبيعة موقفه من حادثة الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب؟

لقد انساق الهادي روجي إدريس للدفاع عن موقف أستاذه المشرف روبار برونشفيك[6]، عندما نعت المجموعات الهلالية والسليمية بالقبائل المشاغبة والحشود الهمجية في دراسته عن تاريخ الدولة الصنهاجية، منزلا القدوم العربي الهلالي والسليمي إلى المغرب منزلة الغزو والاجتياح والكارثة الاقتصادية والسياسية التي لا مثيل

[1] محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، ص/402. علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص/45.

[2] Voir : Georges Marçais, Les arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle, Constantine, Paris, Ernest Leroux, 1913, p. 172.

[3] Ibid, p.172.

[4] تر: حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م، ص/31 فما بعدها.

[5] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص/46.

[6] عارض بشدة الباحث الفرنسي جون بونسي (Jean Poncet) ما ذهب إليه الهادي روجي إدريس في دراساته عن المجموعات الهلالية وإدانتها بالتخريب والفوضى والفساد في بلاد المغرب، بل كتب بونسي مقالا يبرز فيه سلبية توظيف المصادر التاريخية من طرف الهادي روجي إدريس وضبابية النتائج التي توصل إليها في أبحاثه بخصوص الحضور الهلالي والسليمي ببلاد المغرب الإسلامي. أنظر:

Jean Poncet, «Le mythe de la « catastrophe» hilalienne», Annales. Economies, sociétés, civilisations. 22e année, N. 5, 1967. pp. 1099.

لها[1]، فلقد خربت القبائل البدوية العمران وأتلفت المجالات الزراعية وطردت السكان المحليين، وبالتالي فالهجرة الهلالية حسب الهادي روجي إدريس تعد ضربة قاضية لحضارة المغرب ومثلت نهاية لعصره الذهبي[2].

والحق أنّ دراسة الهادي روجي إدريس انتهت إلى نفس نتائج خطاب الاتجاه الكولونيالي الذي أصدر أعلامه أحكاما قاسية لا تخلو من التحامل على الحضور الهلالي السليمي ببلاد المغرب الإسلامي[3]، وما لبثت أن أضحت النصوص الخلدونية بمثابة الأصول الأولى المؤسسة للكتابات الفرنسية، مما جعل نتائجها مشوبة بالذاتية والإيديولوجية المغرضة في توجهاتها، إذا ما استثنيا بعض الدراسات من ذلك دراسة إيف لاكوست الذي ينفي مسؤولية العرب الهلالية والسليمية في أزمات مغرب القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي والقرون التي تلته، ويؤكد أن الصراع بين البدو والحضر، بين العرب والبربر، بعيدٌ عن الحقيقة التاريخية، فإرادة التقسيم بوصفها من المحركات الأساسية في السياسة الكولونيالية الفرنسية التي تبنت أطروحة التعارض بين البدوي "العربي" والحضري "البربري" ببلاد المغرب[4]. لتجتمع كلها في قالب إيديولوجي يستهدف بلوغ مقاصد استعمارية.

ومع دومينيك فاليريون[5] وإليز فوقي[6] لا تنقاد كل الدراسات الأكاديمية الفرنسية إلى اعتبار القبائل الهلالية والسليمية مفسدة ومخربة، لكونهم أدخلوا المنطقة في انحطاط حضاري غير مسبوق، بل يجب التعامل مع المصادر التي أرخت لهم بحذر، لأنّ السلطة المركزية ببلاد المغرب هي من دفعت بهم تلبية لرغبتها العسكرية، فالزيريون وجهوا العرب الهلالية والسليمية ضد الحماديين في القلعة، والموحدون استعملوهم في حروب الأندلس واستعانوا ببني سليم في حربهم مع بني غانية.

على خلاف المدرسة الفرنسية الكولونيالية ظهرت دراسات أنجلوسكسونية حديثة تعاطت مع إشكالية الهجرة الهلالية بأكثر موضوعية مثلما بيّنها الباحث علاوة عمارة[7]، فهي تتصف برفضها للطروح المتحاملة على الهلاليين والسليميين والاتهامات المشينة بشأنهم، بمعنى أنّ الآلة التخريبية التي دمرت اقتصاد المغرب وعمرانه لا

---

[1] الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص/247، 249، 251. أنظر نفس الطرح في دراسته باللغة الفرنسية:
Hady Roger Idris, «L'invasion hilalienne et ses conséquences, Cahiers de civilisation médiévale», 3, 1968, p.362.

[2] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص/47.

[3] Hady Roger Idris, «De la réalité de la catastrophe hilâlienne, Annales. Economies, sociétés, civilisations», 2, 1968. p. 394.

[4] محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، ص/402.

[5] بجاية ميناء مغاربي، 193/1.

[6] Élise Voguet, Le monde rural du Maghreb central (xive-xve siècles), pp. 314-315.

[7] الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص/47.

تنسب إلى المجموعات العربية، والدليل أنّ رائد الإنصاف الإستشراقي تجاه العرب الهلالية مايكل برات يستبعد دور العرب البدو كسبب وحيد في انهيار حضارة المغرب، واعتبر أنّ ما كتب حولها لا يعد سوى أسطورة صنعتها الكتابات الفرنسية وعملت على بلورتها لخدمة الإدارة الاستعمارية.

وإذا كان الخط الذي سارت فيه المدرسة الفرنسية هو إدانة العرب الهلالية والسليمية وتخريبها للمغرب من خلال تحميلها مسؤولية القضاء على حضارته، فإنّ الباحثين الإسبان تصدوا بالحفر والتنقيب في قضية الهجرة الهلالية وآثارها، وهنا تتقدم دراسة الباحثة فيكتوريا أقيلار سيباستيان الموسومة بـ:" القبائل العربية في المغرب خلال العهد الموحدي-1152-1269"[1]، حيث تعرضت بالنقد لرواية ابن خلدون الذي يقر بأنه ليس بإمكان العرب تأسيس ملك سياسي أو بروز سلالة حاكمة تنحدر من الهلالية والسليمية[2]، ولتدحض ذلك أعطت مثالا عن تشكيل إمارة سياسية عربية لبني جامع في مدينة قابس. لقد ناقشت فيكتوريا سيباستيان أطروحة الدور الهلالي في التداعي الحضاري والاقتصادي والخراب العمراني والزراعي في بلاد المغرب، واستبعدت أن تكون آثار القدوم الهلالي كبيرة على المنطقة إلى حد تصويرها "بالكارثة الهلالية"[3] في بعض الدراسات التاريخية، أمّا عن الأعمال الهلالية السليمية وسيطرتهم على المجالات الجغرافية والمحاصيل الزراعية، فهي نتاج لجملة من مظاهر الغلبة والقوة القبلية التي يقوم فيها المنتصر بفرض سلطته وتوجيه القبائل الخاضعة له[4].

ومع خوسي راميراز دل ريو[5] الذي وقف على الدور العسكري للعرب في بلاد الأندلس واستعمالهم من طرف السلطة الموحدية، ينتقد الرأي القائل بأنّ الهلاليين تسببوا في تراجع المغرب وتخريبه لسبعة قرون من الزمن على الرغم من التحولات العميقة التي عرفتها إفريقية عند وصولهم إليها. ويشير محمد بن ساعو[6] إلى تراجع الباحث الإسباني في بعض مواضع دراسته، معتبرا القبائل العربية عاملا من عوامل الاضطراب لاسيما في المناطق الزراعية التي ضمنت فيها الانتشار والتأثير.

3-2/ الدراسات العربية:

[1] Victoria Aguilar Sebastián, , tribus árabes en el magreb en época almohade, 1152-1269, Tisis doctoral, Universidad Complutense de Madrid, Madrid, 2012.
[2] Ibid, p.79.
[3] Ibid, p.84.
[4] Ibid, p.89.
[5] José Ramírez del Río, «Documentos sobre el papel de los árabes hilalíes en el al-Andalus almohade: traducción y análisis Documents Related to the Role of the Hilali Arabs in al-Andalus During the Almohad Period: Translation and Analysis», AL-Qantara, 35, 2014, p. 362.
[6] محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص/100.

سلطت الدراسات العربية[1] الضوء على مسألة الهجرة الهلالية والسليمية، واتسعت دائرة الحديث عن الحضور العربي ببلاد المغرب، لتنقسم أعمال الباحثين العرب إلى فريقين، أحدهما: أصدر أحكاما لإدانة الفعل التخريبي للعرب الهلالية والسليمية، والثاني اشتغل بالإبانة عن الدور الحضاري لهم.

بالاقتصار على تقديم أمثلة من كتابات الفريق الأول يمكن القول أنّ كل من عقيلة الغناي ومحمود إسماعيل وإسماعيل العربي وحسين مؤنس وغيرهم كثير قد نسبوا التخريب العمراني والتدهور الاقتصادي والتداعي الحضاري ببلاد المغرب إلى العرب الهلالية والسليمية، وهو ما يوحي بتأثر بعض الدراسات العربية في أحكامها بأيديولوجيات الاستشراق الفرنسي[2].

بينما الفريق الثاني، رصد بالنقد والتقييم تجربة الكتابة التاريخية في موضوع الهجرة الهلالية والسليمية في مختلف الحقول البحثية، وحاول نقد الأطروحة الاستعمارية التي انبثقت عن الدراسات الفرنسية الأولى، والمعتمدة أساسا على منطلقات أيديولوجية محضة، ليثبت هؤلاء الباحثون أنّ التواجد الهلالي والسليمي ببلاد المغرب الإسلامي ليس بالدافع الأساسي المفضي إلى تقويض أركان حضارته عمرانا واقتصادا، بل إنّ انخراط القبائل العربية في الحياة السياسية والاقتصادية دليل على مساهمتها في بناء الحضارة المغربية، وتتضح لنا معارضة عبد الله العروي[3] للاتهام غير المبرر من طرف المؤرخين المنسوب للعرب الهلالية والسليمية. ويعيب العروي على هؤلاء المؤرخين عندما ينغمسون في العوامل الداخلية إلى حد التعامي عمّا يجري في الحوض المتوسطي والمشرق الإسلامي من تصدع الجبهة الإسماعلية وانبعاث الدعوة العباسية ومجريات الحروب الصليبية ودخول سكان أوروبا الغربية في مرحلة انتعاش فكري وبالمقابل تراجع المسلمين مشرقا ومغربا.

[1] واضح هنا أننا لسنا بصدد عرض كل الدراسات التاريخية العربية التي تعاطت مع إشكالية الهجرة الهلالية وآثارها على المجتمع والاقتصاد والعمران ببلاد المغرب، ولكننا فضلنا تقديم نماذج حولها لأنّ دراستنا محدودة الحيز الورقي والزمني والإغراق في هذا الموضوع يستوجب بحثا مستقلا. وبالتالي، يكفي أن نحيل إلى دراسة الباحث علاوة عمارة الذي تطرق بتفصيل للموضوع وتعرض بالنقد والتقييم للعديد من الدراسات العربية والأجنبية على السواء. أنظر: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص ص/31-75.

[2] علاوة عمارة، الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص/55 فما بعدها.

[3] مجمل تاريخ المغرب، 99/2.

وعلى هذا النحو، تخطى كل من علاوة عمارة[1] ومحمد حسن[2] ومحمد الشريف[3] الأحكام القاسية والتوصيفات المتحاملة في حق الجماعات الهلالية والسليمية من خلال مواجهة فكرة تحميلهم مسؤولية التداعي الحضاري والاقتصادي لبلاد المغرب، وبعبارة أخرى لا يخفى بأنّ الهجرة الهلالية والسليمية أحدثت تحولات اقتصادية واجتماعية ومجالية مهمة بالمنطقة، منها الإيجابية تارة والسلبية تارة أخرى، ومن الطبيعي أنّ تكون لهم عواقب أضرت بالمجالات الزراعية والمسالك والطرق التجارية وبالوضع السكاني بوصفهم مركب بشري من البدو الرحل، نمط معيشتهم هو من أحدث تغييرا واضحا في البيئة المغاربية[4]، لكن من ناحية أخرى هنالك ظروف ضاغطة تفككت تحت تأثيرها البنى الاقتصادية والعمرانية بالمنطقة، من ذلك المناخ وندرة التساقط وتدهور التجارة قبل القدوم الهلالي حسبما صرحت به وثائق الجنيزة[5]، وتأكيد النصوص الإباضية على ممارسة المركب المحلي "البربري" للحرابة وقطع الطريق والإخلال بالأمن في المغرب وغيرها. لذلك، بات واجبا التنبيه إلى إمكانية الدراسة الشاملة لأحداث الحضور الهلالي والسليمي ببلاد المغرب ضمن انحطاط حضارة المغرب الوسيط على نحو عام[6].

من كل ما سبق يتبين لنا أنّ تعدد الرؤى حول ظاهرة التخريب الهلالي والسليمي للعمران والاقتصاد في الفضاء المغاربي منذ النصف الثاني للقرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي، قد تبعته إدانة تاريخية ترتكز على اتهام العرب الهلالية والسليمية بإدخال المنطقة في فلك الانحطاط ومرحلة التداعي الحضاري، وها هنا يجب التنبيه إلى أنّ هذه الإدانة التاريخية أسّست لها المدرسة الفرنسية بخلفياتها الأيديولوجية خدمة لمصالح دولتها الاستعمارية، وتبنت أطاريحها الكثير من الدراسات العربية العامة مستمدة أدلتها من النصوص الإخبارية لكل من ابن الأثير وابن عذاري وابن خلدون. وفي مقابل ذلك، يكون من مقتضى البحث التاريخي العميق حسب الأقلام المعاصرة التي كتبت في المسألة الهلالية بموضوعية واعتدال في أحكامها، أنّ توصيف وتحليل الدور الهلالي والسليمي سلبا أو إيجابا يقتضي إبراز طبيعة العلاقة بين مجموعة العوامل العميقة داخليا وخارجيا، والتي تتباين جغرافيا وبشريا واقتصاديا وسياسيا، من قبيل دخول المنطقة في تقلبات مناخية قاسية أو الهدر الديموغرافي والمالي

[1] أنظر مناقشته الجادة للإشكالية بدقة وتفصيل: الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة المغرب الإسلامي الوسيط، ص ص/31-75 بعدها. الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، ص/19 فما بعدها.

Allaoua Amara, «Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval : le cas du Maghreb hammadide XI-XIIe siècles », The Maghreb Review, 1 ,2003, pp. 2-26.

[2] المدينة والبادية، 31/2 فما بعدها.

[3] محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، ص ص/406-407.

[4] محمد بن ساعو، الحضور الهلالي في المغرب الأوسط، ص/225.

[5] محمد حسن، المدينة والبادية، 35/1. محمد الشريف، الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة، ص/418.

[6] Allaoua Amara, «Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval : le cas du Maghreb hammadide XI-XIIe siècles », Op. cit. pp.16-17.

خلال العهد الفاطمي، وتراجع العملة الزيرية قبل التغريبة الهلالية، إضافة إلى الثورات الاجتماعية والسياسية وحملات القضاء عليها خلال العهدين الزيري والحمادي، والتحولات السياسية في دار الإسلام ببروز السلطة العباسية من جديد وبداية تضعضع الإسماعيلية، وتراجع الحركة التجارية بين الدولة الزيرية والخلافة الفاطمية، ومتبوعات التغير في أوروبا المسيحية مع الأزمات التي خلفتها الحروب الصليبية في البلاد الإسلامية والحوض المتوسطي.

الخاتمة

تأسيسا على ما تقدم، أفضى بنا البحث في موضوع: «التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي»، إلى جملة من العناصر المندرجة ضمن الإطار الاستنتاجي التالي:

- إنّ إعادة تركيب صورة الهوية الإسمية للمجموعات السكانية ببلاد المغرب، من خلال إثبات تواصلها أو اختفاءها، تستدعي العودة إلى مصادر الفترة القديمة بتنوع أجناسها سواء الأدبية منها أو الأثرية، والتنقيب عن أسماء الهياكل البشرية بمختلف اللغات التي كتبت بها الليبية المحلية واللاتينية واليونانية، من أجل معرفة قوائم الإثنونيميا المرتبطة بسكان المنطقة في الماضي، لأنّ تجاوز الفواصل الزمنية والقطيعة بين العصرين القديم والإسلامي، سيجعل قراءة تاريخ الأسماء السكانية تسير في مسار دقيق يمكن من خلاله تتبع التحولات التي طرأت عليها، إن على مستوى التواصل الإثنونيمي أو انقطاعه بين المرحلتين القديمة والإسلامية، أو على مستوى التغير الجزئي لإثنونيمات المجموعات البشرية بسبب حركة التعريب وتغلغلها في الأوساط الاجتماعية والثقافية المغاربية.

- كشفت الدراسة عن تصنيف المظان المصدرية الإسلامية للسكان الذين سكنوا بلاد المغرب خلال العصر الروماني والفترتين الوندالية والبيزنطية، وهم "النوميد والجيتول والباقواط والباوار والمور" وغيرهم من المجموعات البشرية، تحت تسمية "البربر" التي لها أصول متجذرة في التراث اليوناني والروماني القديم، وقد عملت النصوص الإخبارية والوصفية والفقهية خلال العصر الإسلامي الوسيط على بلورة هذا الإثنونيم وعممت إطلاقه ليشمل كافة السكان المغاربة المحليين باستثناء جماعات الأفارق اللاتينيين والروم البيزنطيين، ولعل لذلك صلة ببعض الغايات التي كانت تسعى السلطة الأموية إلى تحقيقها بعد تمام الفتح، من خلال ربط أصول المجموعات السكانية المغاربية بالهوية المشرقية، من أجل دمجها في منظومتها الثقافية والحضارية، ولم يتوقف تحول أسماء السكان المعروفين بالجيتول والنوميد أو الذين جمعتهم تسمية المور، التي كانت سائدة خلال العهد البيزنطي عند هذا التصنيف الإثنونيمي الجديد، بل تعداه إلى تصنيف إثني آخر سعت من خلاله الخلافة الأموية عبر آلتها التدوينية ربط البربر بعمق سلالي يمتد إلى أصول إثنية حامية وسامية تنحدر منها مجموعات "البربر"، أو من الأصل العربي الذي تنتمي إليه بعض القبائل المحلية المنسوبة إلى الحميرية اليمنية مثل قبيلتي "كتامة وصنهاجة".

- تنوعت المكونات الإثنية المشكلة للبنية الاجتماعية لبلاد المغرب في الفترة قبل نهاية العهد الموحدي، إذ يستشف من خلال المعطيات التاريخية التي حملتها المصادر التي أرخت لمرحلة الفتح أنّ النسيج الاجتماعي تشكل من المجموعات "البربرية" التي مثلت أغلبية ساحقة من السكان القدامى، بالإضافة إلى تسجيل حضور مركب الأفارق المولدين وجاليات الروم البيزنطيين في شكل أقليات عرقية بالمدن البيزنطية، وقد تواصلت هذه الجماعات اللاتينية في المجالات الشرقية لبلاد المغرب عقب الفتح، وتوزعت على طول محور طرابلس وقابس وتوزر ونفطة

والحامة وبلاد الجريد وصولا إلى بلاد الزاب، مُكونة بذلك تجمعات بشرية نازحة نحو الجنوب، بسبب تحركات الجند العربي عبر مسار الفتح في المجالات الداخلية، ولئن انخرط الأفارق وبقايا الروم في منظومة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالمغرب في المرحلة الموالية، إلا أنهم حاولوا الحفاظ على انتماءهم الحضاري والثقافي متمسكين بالموروث اللاتيني اللغوي والديانة المسيحية.

- سجّل المعيار اللغوي حضورا مؤثرا في التصنيف السكاني لبلاد المغرب ضمن الحقول المصدرية العربية خلال العصر العباسي، بحيث أنّ إثنونيم "العجم" قد جمع كل السكان غير الناطقين باللغة العربية، رغم تباين أصولهم الإثنية، وتعدد أسماءهم العرقية، وتنوع مجالاتهم الجغرافية، وعلى الرغم من تلقيب اليعقوبي للمجموعات البربرية المحلية بالعجم، فقد انسحب هذا التوصيف أيضا في كتاباته على الجاليات اللاتينو-بيزنطية من الأفارق والروم، بل حتى على الفرس والخراسانيين الداخلين إلى المنطقة ضمن المقاتلة العربية في إطار البعوث العباسية، وعلى الرغم من حضور إثنونيم العجم في منظومة الأسماء التي أطلقت على الساكنة ببلاد المغرب، إلا أن ذلك لم يمنع من تواصل استخدام اللفظ الشائع والمعروف بـ"البربر" ليدّل على كل السكان المغاربة طيلة العصر الوسيط.

- بالرغم من التحول اللغوي الطارئ على صيغ منظومة الأسماء الإثنونيمية للمجموعات السكانية ببلاد المغرب خلال فترة العصر الوسيط المبكر، إلا أنّ المجموعات القبلية قد حافظت على أسماءها القديمة مع بعض التحولات الجزئية التي ميزتها خلال الحقبة المدروسة، فمعظم أسماء القبائل الأصلية القديمة أضيفت لها تاء مربوطة في آخر التسمية مع حذف الحرف الأول في بعض الحالات منها، ومن أمثلة ذلك هو تحول إثنونيم كنفدرالية لقواطن (Laguautan) إلى لواتة، وإثنونيم قبيلة زنانسيس (Zanenses) إلى زناتة، وإثنونيم أكتامن (Ucutumani) إلى كتامة، مما يبرهن على تأثير حركة التعريب في منظومة أسماء المجموعات البشرية ببلاد المغرب الإسلامي.

- شهدت بلاد المغرب دخول المركب الإثني العربي ممثلا في الجماعات اليمانية والقيسية منذ بداية الحملات العسكرية الأموية سنة 21هـ/641م، وعند نهاية مرحلة الفتح الإسلامي وتراجع النفوذ البيزنطي لصالح الفصائل اليمانية والقيسية، اختارت قبائل الجند العربي الاستقرار بالمنطقة، فبرزت منهم طبقة عربية متنفّذة ومؤثرة غيرت من وضعية البلاد المغاربية سياسيا وإداريا، وأضحى اليمانيون والقيسيون الذين تناوبوا على حكم المغرب أسيادا للبلاد، حيث سكنوا القيروان وصنفوا اجتماعيا في أعلى الهرم السكاني، واحتكوا بالعناصر الاجتماعية المحلية وعاشوا جنبا إلى جنب معها، وظلوا كذلك حتى العهد الأغلبي حينما برزت الأسرة التميمية المضرية ذات الأصول العدنانية الشمالية على ساحة الأحداث السياسية، ثم انتشرت اليمانية والقيسية في أغلب المدن ذات الهياكل

الاستراتيجية السياسية والعسكرية والاقتصادية على غرار المراكز العمرانية ببرقة وطرابلس ومدن إفريقية وبلاد الزاب وفاس وطنجة بالمغرب الأقصى، ومنهم من انتقل إلى بلاد الأندلس.

- من الناحية الإثنونيمية، أضافت الهجرة اليمانية والقيسية إلى المنظومة الإسمية المغاربية العديد من أسماء القبائل والبطون والعشائر العربية، كان لها الأثر البالغ في صورة التوزع البشري والخارطة الطوبونيمية، حيث أدّى الاستقرار اليماني والقيسي إلى بروز أحياء وبلدات وقرى تحمل أسماء قبلية عربية منحدرة من اليمنية القحطانية والمضرية العدنانية خصوصا ببلاد إفريقية، ومن بين ما نسب منها إلى اليمانيين بلد غافق وبلد خولان وقرية صدف وقرية الجهنيين...، بينما لا تستحضر المظان المصدرية بلدات وأماكن تتسمى بأسماء القيسيين إلا نادرا، ويعود ذلك إلى مستوى الحضور اليماني الكثيف بالمقارنة مع القيسيين، ومع ذلك عرف هؤلاء توزعا في سوسة والقصرين وباجة وقصر طنبذة واستقروا ببلزمة وميلة وحصون الزاب وغيرها.

- في الشق الأنثروبونيمي سمحت قائمة أسماء الأعلام البشرية المنحدرة من الأصول اليمنية والقيسية والتميمية والقرشية، بتتبع أصولهم، ورصد مستويات حضورهم، وتحديد أماكن استقرارهم، كما مكنت من إبراز أدوارهم وإسهاماتهم المختلفة، حيث اضطلع عرب الفتح بالدور العسكري منذ بداية دخولهم إلى المنطقة، وبرز منهم قادة أكْفاء تُوجت جهودهم بإنهاء الوجود البيزنطي ببلاد المغرب، كما شاركت العرب القحطانية والعرب العدنانية في الحياة السياسية والإدارية والمالية بالمنطقة، وعلى الرغم من التحولات البطيئة التي شهدتها المنطقة دينيا وثقافيا بفعل حركة الأسلمة والتعريب، إلا أن للعرب اليمانية والقيسية كان لهم الدور الأبرز في هذه الجوانب الدينية والثقافية.

- إن بلوغ بلاد المغرب مرحلة من التطور الحضاري والنمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي، مع تنامي الحركة التجارية وازدهار المسالك والطرق الواصلة بينها وبين البلاد المجاورة، قد أدّى بالمغاربة إلى جلب العبيد الذين تنوعت أصولهم الإثنية، بين الأصل السوداني والحبشي والنوبي والإثيوبي، وهؤلاء الذين أطلق عليهم العبيد الأسود لسواد ألوانهم، أمّا العبيد الأبيض الصقلبي فتعود جذورهم إلى الأصل الأوروبي، وهم الذين دخلوا إلى المنطقة عبر مسالك البحر الأبيض المتوسط، قادمين من بلاد الأندلس وصقلية على وجه الخصوص، وبقدر ما عرفت الجغرافيا البشرية ببلاد المغرب تنوعا إثنيا من خلال تسرب هذه العناصر الأجنبية المشكلة من العبيد، بقدر ما أسهمت في إثراء الخريطة السكانية المحلية، وتنوع قائمة الأسماء الإثنونيمية للعناصر السكانية الوافدة، حيث ظهرت أسماء ترتبط بالعبيد مثل الصقالبة والسودان والأغزاز، والتي استمرت بتواجدها في بلاد المغرب الإسلامي طيلة الفترة الممتدة بين القرن الأول الهجري/7م حتى نهاية العهد الموحدي.

- أثبتت الدراسة اضطلاع الرقيق بمختلف أجناسهم وألوانهم بالعديد من الأدوار الإيجابية منها خدمة القصور والبيوت والمنازل، والعمل في مجال الفلاحة والرعي والأسواق، والمساهمة في النشاط الحرفي والعملية الإنتاجية، كما أنهم اشتغلوا في الإدارة من خلال تقلدهم مناصب هامة كالحجابة، وتجسدت إسهاماتهم العسكرية بتوظيفهم في الحروب وانخراطهم في تركيبة الجيوش المغاربية، وبالمقابل كانت لهم أدوار سلبية تتمثل في تدبير الاغتيالات السياسية والمشاركة في الانقلابات على السلاطين والحكام ببلاد المغرب وإحداث الفوضى والإخلال بالأمن، لكن تبقى معظم الهياكل الإدارية والاقتصادية والعسكرية في الدول المغاربية خلال الحقبة المدروسة، قد خضعت لمحددات تسخير العبيد في خدمة الطبقات الاجتماعية بحكم مركزية هذا العنصر ومكانته الهامة كيد عاملة مؤهلة، استغلتها المجموعات المغاربية في مختلف مجالات الحياة العامة.

- شكلت الهجرة الهلالية والسليمية إلى بلاد المغرب الإسلامي أكبر الحركات السكانية الخارجية خلال فترة العصر الوسيط، حيث انطلقت الكتلة العربية بناءً على ظهير التملك والإقطاع الذي منحتهم إياه السلطة الفاطمية لما كانوا بالصعيد، وكانت حركة الانتقال الهلالي والسليمي إلى بلاد المغرب سريعة، لأنّ تلك القبائل كانت تحمل منذ انطلاقها من مصر تصورات عن مكتسبات المنطقة وثراءها بالموارد المتنوعة، وبذلك دفعت الحوافز الاقتصادية الجموع العربية لبسط سيطرتها على المجالات المغاربية، بدءًا بالأقاليم الشرقية مثل برقة وطرابلس ثم التوجه إلى مناطق الاستقطاب في إفريقية والمغرب الأوسط، حيث وجدت التسهيلات والامتيازات التي منحها لهم الزيريون والحماديون عقب انهزامهم في معركتي حيدران وسبيبة، ولعبت هذه المكونات الإثنية دورا فعالا في الأحداث السياسية والعسكرية بالمنطقة، وكان منطق التحالف مع الطرف السياسي القوي، محددا لطبيعة العلاقة بين القبائل العربية والسُّلط المغاربية، وأساسا في تشكيل صورة التقارب السياسي والعسكري بينها.

- تمكنت المجموعات الهلالية والسليمية منذ منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي من بسط نفوذها على المجالات الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي، هذه السيطرة على المجال الجغرافي جاءت نتيجة لضعف الدولتين الزيرية والحمادية وتركيزهما على إبرام التحالفات مع الوافد الجديد عوض دفعه عن الأقاليم المغاربية، بالإضافة إلى تراجع قوة العصبيات المحلية الزناتية والصنهاجية خصوصا، والوهن الديموغرافي الذي لحق بالمغرب الأوسط بعد الانتقال الكتامي إلى مصر مع الفاطميين، وعلى الرغم من استحواذ المجموعات السليمية على مراكز التعمير في برقة وطرابلس واستيطانها بها، فإن توغل الهلاليين بالمجالات الداخلية لإفريقية والمغرب الأوسط جعلهم يدركون حجم الثراء الذي كانت تتميز به المنطقة اقتصاديا، لاسيما الحوافز الرعوية المكونة من الأراضي

الزراعية والموارد المائية، مما دفعها لتجسيد مشروعها والعمل على تحقيق هدف رئيسي يتمثل في حيازة المجال الجغرافي بما يتوفر عليه من مقدرات معاشية، تمكنهم من ممارسة نظامهم الرعوي المستمد من بيئتهم البدوية.

- طرأت على الخريطة السكانية ببلاد المغرب الإسلامي عقب الهجرة الهلالية والسليمية تحولات عميقة، مست التركيب الإثني للنسيج الاجتماعي الذي أصبح يضم إلى جانب المركب البربري وعرب الفتح ومركب الفرس والعبيد، العديد من الجماعات العربية الجديدة التي تنوعت بطونها وأفخاذها، فالهلاليون تشكلوا من الأثبج ورياح وزغبة وبني قرة ودريد إلى جانب العديد من البطون والأفخاذ الأخرى، بينما تكونت القبائل السليمية من دباب وعوف وزغب وهيب وغيرها، وتمخضت عن التحركات البشرية العربية تغيرات مجالية هامة، رسمت ملامح جديدة لخارطة التوطن البشري في المنطقة، حيث تمسكت العرب الهلالية بالطرق والمسالك والدروب الداخلية الحيوية، وتوزعت في المجالات السهلية خصوصا، فيما ظلت المجموعات المحلية موزعة على البيئة الجبلية، كما أثر الحضور الهلالي والسليمي على الطبونيمات المحلية، فطبعها بأسماء قبلية عربية تشكلت صورتها أكثر عقب القرن الهجري السابع/13م.

- لئن تسببت هزيمة الجماعات الهلالية أمام الموحدين في معركة سطيف سنة 548هـ/1153م، في بداية انخراطهم التدريجي في مشاريع الدولة الموحدية بشريا وجبائيا واقتصاديا وعسكريا، من خلال سعي حكامها إلى كسب حليف استراتيجي، يوظف في الجيش الموحدي في حروبه بالأندلس، ويستعمل في الجباية وجمع الضرائب، وتسخر قوته الديموغرافية في العملية الإنتاجية ليَرفع من الإنتاج الفلاحي، فإنها أدت في المقابل إلى تحولات بشرية وجغرافية طرأت على ساحة التوطين بالمغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن الهجري السادس/12م، من أبرز ملامحها امتداد الوجود الهلالي إلى الجناح الغربي لبلاد المغرب، من خلال تهجير قبائل جشم والخلط وسفيان ورياح والعاصم ومقدم إلى سهول تامسنا ودكالة وبلاد الهبط.

ختاما، إنني لا أدّعي في هذه الدراسة الإلمام بكل جوانب الموضوع الذي تم بسط فصول منه، وعلى الرغم من أنني لم أدخر جهدا للبحث فيه، إلا أنّ عملية الحفر في موضوع التصنيف السكاني بالمغرب الإسلامي لا تزال في بدايتها، وتستدعي من الباحثين تثوير آليات منهجية ومعرفية ولغوية تتميز بالعمق والشمولية، من أجل دراسة هذا الموضوع بهدف فك مضمراته، وسبر أغواره، والرد على استفهاماته، وتبعا لذلك فإنّ الآفاق المستقبلية التي فتحتها هذه الدراسة، تتحدد في إضافة لبنة جديدة إلى الجهود الرامية إلى رسم ملامح التصنيف السكاني في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، وتكون في الآن نفسه منطلقا لأبحاث أخرى أكثر عمقا ودقة لاسيما إذا ما تمَّ توجيه الأقلام الأكاديمية إلى هذا المنحى البحثي الذي لا زال يحتفظ بالجزء الأكبر من أسراره.

ولله الحمد في الأولين والآخرين، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الملاحق

الإمارات والممالك الموريـة خلال القرن السادس الميلادي

- المرجع المعتمد في إنجاز الخريطة: يوسف عيبش، الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، ص/397.

نقلا عن يوسف عيبش بيد الباحث

- **ملحق رقم (02):**

قائمة لأسماء القبائل "المغربية" المستوطنة ببلاد المغرب الإسلامي في القرن الرابع الهجري/السادس الميلادي من خلال صورة الأرض لابن حوقل

يقول ابن حوقل: "وقد أعدت فى غير موضع ما استكثرته من عدد أحياء البربر وقبائلهم الذين تجمعهم أبوّة جالوت وكأنّى ببعض المتصفّحين لكتابي هذا يستثقل ذلك ولا ينزله منزلته، وقد أعدت بهذه الصفحة وما يتلوها ذكر ما وقع الىّ من أسماء قبائل صنهاجة وبطونها وأفخاذها وعصبتهم، وهم انكيتو وبنى ماركسن وبنى كاردميت وبنى سيغيت وبنصالح وبنى مسوفا وبنى وارت وبنى توتك وسرطه وسطط وترجه ومداسه وبنى لموتونا ومغرسه ومومنه وفريّه ولطه وملوانه وانيكارت فهذه قبائل صنهاجة الخلّص، وأمّا بنى تامناك ملوك تادمكه والقبائل المنسوبة اليهم فيقال أنّ أصلهم سودان ابيضّت أبشارهم وألوانهم لقربهم الى الشمال وبعدهم عن أرض كوكو وهم لأمّاتهم من ولد حام، وهندزه ومكيته وكلماته وانكرياغن وكركه وايللغموتن وكطوطاوه وسكره وبلغلاغه واندىمن وهاكته وانمزيرن وايمزواغن وكيلتموتى وكيلمكزن وكيلفروك وفداله وكلساندت وكيل دفر وبنى بزار وايمكدرن وايكوفان وانككلن وايسطافن وايفكرن، ويقول آخرون بل من صنهاجة أنفسهم واحتجّ ملحق بنى تامناك ببنوّة حام بقول الكندىّ أنّ البيضان إذا تناسلوا فى بلد السودان سبعة أبطن عادوا فى سحنتهم وبسوادهم وإذا توالد السودان فى بلد البيضان سبعة أبطن عادوا فى صورتهم وخلقهم من البياض والنقاء وليس بمثل هذه الدعوى يتكلّم على الأنساب ويقرّ منكر بنى تامناك بأنّ بنى تماكيزت منهم، ومساطه آل يوسف بن زيرى بن مناد خليفة آل عبيد الله أصحاب المغرب على المغرب وبلكين يوسف بن زيرى بن مناد هو صاحب المغرب يومنا هذا وملكه مذ يوم شخوص أبى تميم عنه، ومن قبائل صنهاجة الخارجة وبنى عمر زيرى وقبيلته يسّوه وايفرين وايمكيتن وايتوتين وايتروين وايوازين واسواله وبنى كسيله وبنى ورتاف وايزقارن وتلكاته، وسيّد ملوك تادمكه فى وقتنا هذا فسهر بن الفاره واياناو بن سبنزاك وهم الولاة وفيهم رياسة وعلم وفقه وسياسة الى علم بالسير واضطلاع بالأثر والخبر وهم بنو تامناك، ومن قبائل البربر الخارجة عن صلب زناتة بنو مغراوه وبنو وتاجن وبنو يلوما وبنو يزللن وبنو بزمرنتا وبنو زاوين وبنو امندرين وزواوه ومكلاته وبنو ملنتيس وبنو واريتن ونزارته وبنو سنوس وبنو يانكانس واى سراوسن وبنو يوكسّن وبنو يوجين وبنو يوجلين وبنو تيكرت ومريطاطه وبنو يغمريتن وبنو يلغيل وبنو يلاسيكشن يريد قوم الله وبنو نفوريت ومنجصه ودانه وزواوه ونفزه وبنو واريفن وبنو يرنيان وبنو امزيور وبنو وارونيفن وبنو صندرين وبنو بطوى وبنو غرميست وكرنتايه وفنزازه وبنو ورياغن وبنو مطكوداسن وبنو مومناسن وبنو مستيزين وبنو غمرت وبنو يسوكين وبنو طارق وبنو مومان وبنو احوب وبنو مستنيتن وبنو ورتيزان وبنو غليان وبنو ومانوا وبنو وريليتس وبنو وفا وبنو يليان وبنو لوه ورجمه وبنو ويسروكن وبنو تدرج وبنو وصين وبنو مصنان وبنو بوليت وبنو سبلين وبنو سيكرين وبنو غفاوسن وصدينه وبنو وكلادن وبنو وطوف وبنو غرزوات وبنو سغماز وبنو يرزال وبنو تزارت وبنو زوراغ وبنو شلكان وبنو يوراسن ويغمره ، وهؤلاء عصبة زناتة من لواتة ومزاتة وهم بنو خطاب ملوك مزاتة وهم من مزاتة أنفسهم، وبنو يكدلين وبنو يزدرن وبنو عكاره ورماته ونجاسه، وسيّد بنى خطاب اليوم أبو عبد الله مبارك بن عيسى بن خطاب بزويله مطاع فى أدانيه وأباعده ورهطه بنو مزليكش وفيهم المملكة وهم آل خطاب علية مزاته، وبلكاوه واسيله وفطناسه وسمتيسه وكلله وبنو درف وبنو مندره وبنو دوسين وبونيسه الأشرار الأنكاد الأقذار وبنو اجرفزان وباجايه وبنو سدوين وبنو غيلين وبنو يرمزيان وبنو الهكم وزهاته وبنوعبد الملك وبنو يفوكسن ونسيده ووردىغه ورزيفه وكرداسه ورهاوه وبنو ايكلان وورزيغه وبنو سفتلن وبنو يطوفه وبنو الاسوار وبنو عاصم وبنو يزتاسن وبنو مكسن وبنو ويان وبنو زعرور وبنو اسماعيل وبلاجه وعنزوره واكوده ومزوره وفرطبطه ومقرطه وبنو كملان، ومن قبائل زناتة أيضا ، وبنو يفرن قبيل يعلى بن يحمد وهم وولديه فى غاية البلاء مع يوسف بن زيرى وقتنا هذا، وبنو واسين ومطاره وبنو واصل وبنو حمزة وبنو وابوط ومكناسه وبنو تيغرين ومسغونه وبنو ياكرين، وملوك زناتة بنو ورززمار وكان منهم محمّد بن الخير بن محمّد بن خزر وعطيّة ومقاتل ولقمن وخزرون بن فلفل قاتل أبى عبد الله بن المعتزّ صاحب سجلماسه وكان أبو عبد الله بن المعتزّ قتل أخاه المنتصر وهم اثنا عشر رجلا فأمّا محمّد بن الخير فإنّه قتل نفسه بيده إذ بايته يوسف بن زيرى خوفا من أن يأسره وكان أجمل قومه وكان محمّد أبو عبد الله بن خزر وعطيّة فارسى زناتة ومقاتل أخوهما بالسوس حىّ، وبنو ستاته وبنو دركمون وبنو مسكن وبنو لنت وكورايه وسندراته وبنو زنداج وبنو ورسفيان ووورداجه وبنو دمر وبنو سنجاسن، ولو قلت أنّى لم أصل الى علم كثير من قبائلهم لقلت حقّا إذ البلاد التى تجمعهم والنواحى التى تحيط بهم مسيرة شهور فى شهور والعلماء بأنسابهم وأخبارهم وآثارهم هلكوا وكنت قد أخذت عن بعضهم رسوما أثبتّها ولم أرجع منها الى غير ما قدّمته من ذكر قبائلهم"[1].

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص/101-102-103.

- **ملحق رقم (03):**

نقيشة أثرية تخلد مصطلح " أفري" خلال العهد الروماني مكتشفة في الشمال الشرقي لبئر ماقرا بتونس[1]

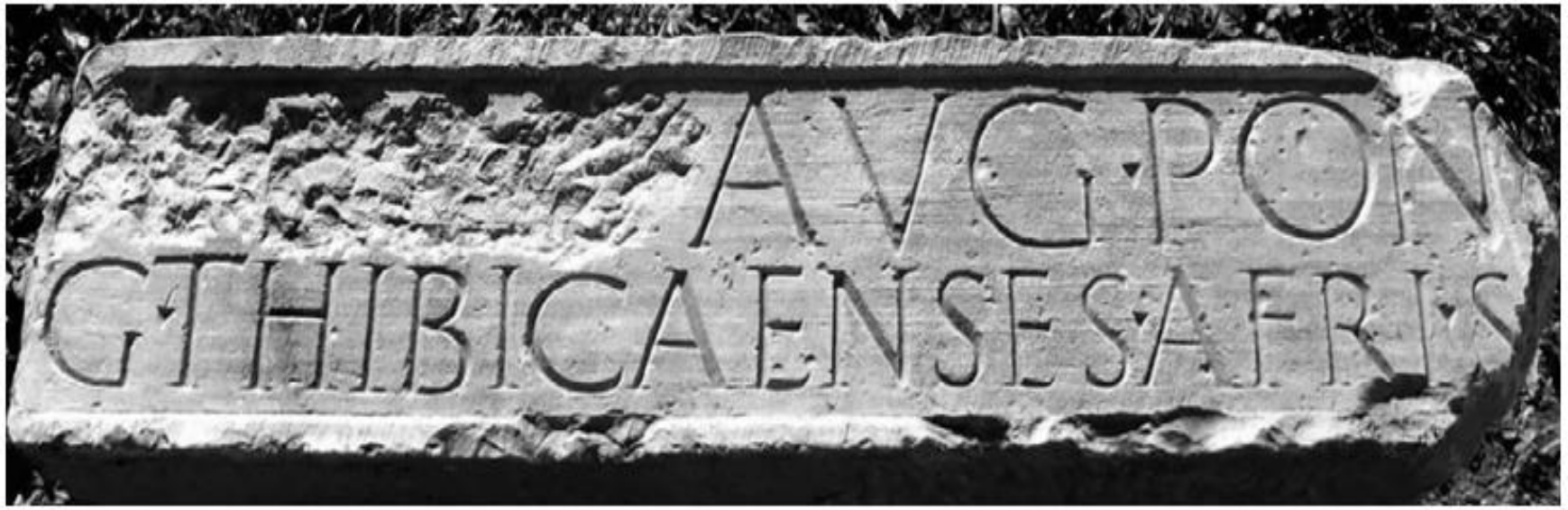

Fig. 1: photo de l'inscription

[[---]] AVG•PON[---]
[---]G•THIBICAENSES•AFRI•S[---]

[1] Hamdane Ben Ramdane, «Les Afri et Pagani sur deux inscriptions de Thibicaae (Tunisie)», aus: Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik, 199. 2016, p.300.

• **ملحق رقم (04):**

صيغة مصطلح العجم ولواحقه اللفظية في نصوص البلدان لليعقوبي

العدد	مضمون النص الوصفي	الصفحة
1	"...ثم الرمادة وهي أول منازل البربر يسكنها قوم من مزاتة وغيرهم من **العجم** القدم...".	ص/180.
2	"...ومن أطرابلس إلى نفوسة وهم قوم **عجم** الألسن إباضية كلهم...".	ص/184.
3	"...قابس أهلها أخلاط من العرب **والعجم** البربر وبها عامل من بني الأغلب...".	ص/185.
4	"...وفي مدينة القيروان أخلاط من قريش...وبها أصناف من **العجم** من أهل خراسان...وبها **عجم** من **عجم** البلد البربر والروم وأشباه ذلك...".	ص/187.
5	"...وجزيرة أبي شريك...فيها قوم من رهط عمر بن الخطاب وسائر بطون العرب **والعجم**...".	ص/187.
6	"...ومن القيروان إلى مدينة يقال لها مجانة...وأهلها قوم يقال لهم السناجرة... وبها أصناف من **العجم** من البربر...".	ص/188.
7	"...ومدينة باجة مدينة كبيرة...بها قوم من جند بني هاشم القدم وقوم من **العجم**...".	ص/188.
8	"...مدائن قسطيلية وهي أربع مدائن...توزر...الحامة...تقيوس...نفطة، وأهل هذه المدن قوم من **عجم** من الروم القدم والأفارقة والبربر...".	ص/189.
9	"...ومدينة الزاب العظمى طبنة...وبها أخلاط من قريش والعرب والجند **والعجم** والأفارقة والروم والبربر...".	ص/190.
10	"...والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية بها قبائل من الجند **وعجم** من أهل خراسان **وعجم** من **عجم** البلد من بقايا الروم...".	ص/190.
11	"...تيجيس من عمل باغاية حولها قوم بربر **عجم** يقال لها نفزة...".	ص/190.
12	"...ومدينة يقال لها مقرة بها حصون كثيرة...أهلها قوم من بني ضبة وبها قوم من **العجم**...".	ص/191.

• **ملحق رقم (05):**

صورة لكنسية تامزدّة البيزنطية التي حولت إلى مسجد خلال فترة العصر الوسيط[1]

[1] Virginie Prevost, «Des églises byzantines converties à l'islam ? Quelques mosquées ibadites du djebel Nafûsa (Libye)», Revue de l'histoire des religions (229), 3/2012, p.345.

- **ملحق رقم (06):**

شجرة نسب الأشراف السليمانيين

ابن جزي الغرناطي، مختصر البيان في نسب آل عدنان، مخطوط مؤسسة آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، و/55. رضا بن النية، أشراف المغرب الأوسط، 542/2.

- **ملحق رقم (07):**

نقيشة أورهون مذكور فيها اسم الغز الأتراك بأواسط آسيا

Image Philipp Roelli, Encyclopedia, https: //w w w. .britannica

ملحق رقم (08): **شجرة نسب الهلاليين**

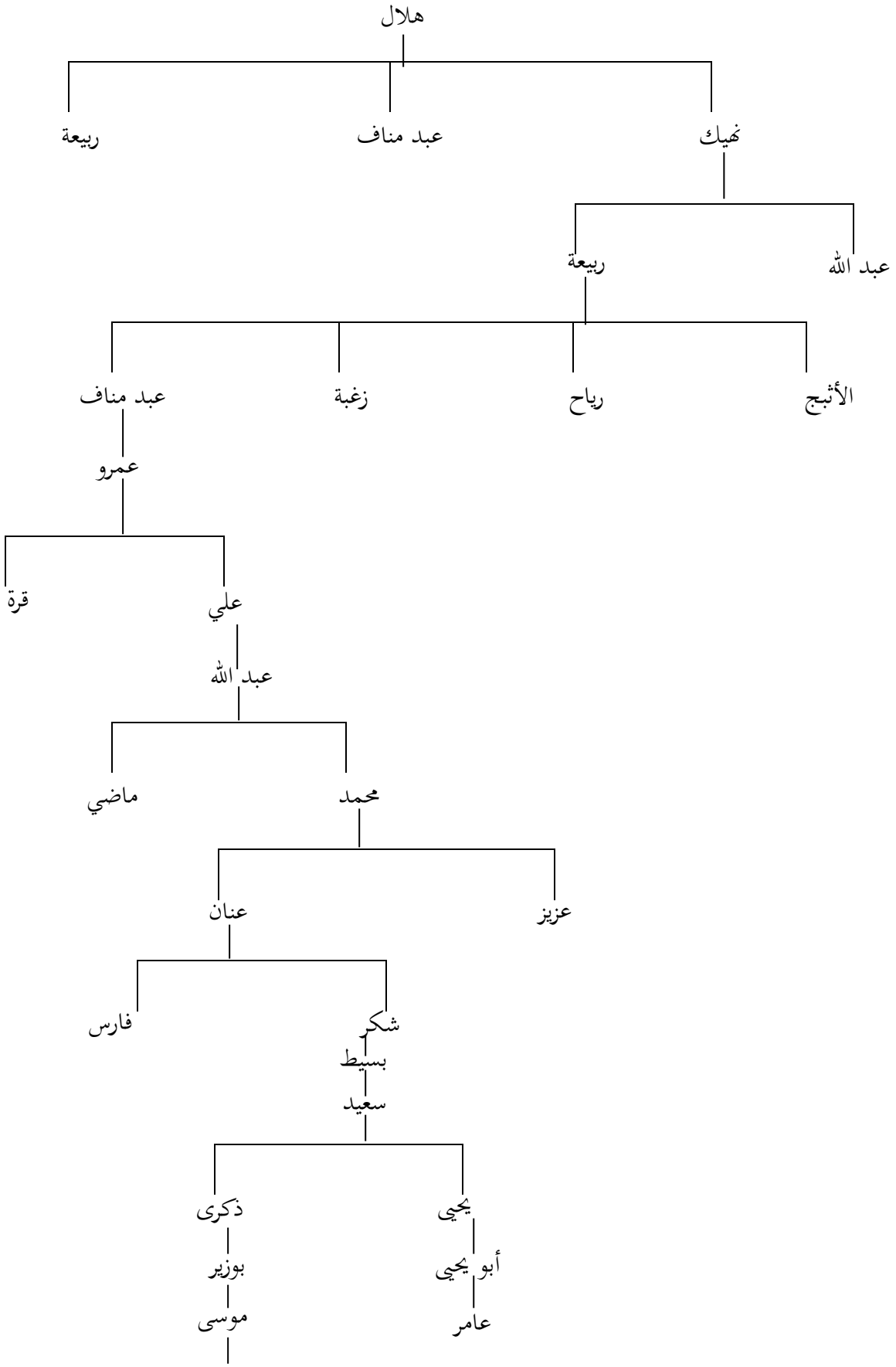

ابن خلدون، العبر. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. التلمساني، كتاب نسب زغبة. مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي

• **ملحق رقم (09):**

شجرة نسب بني سليم

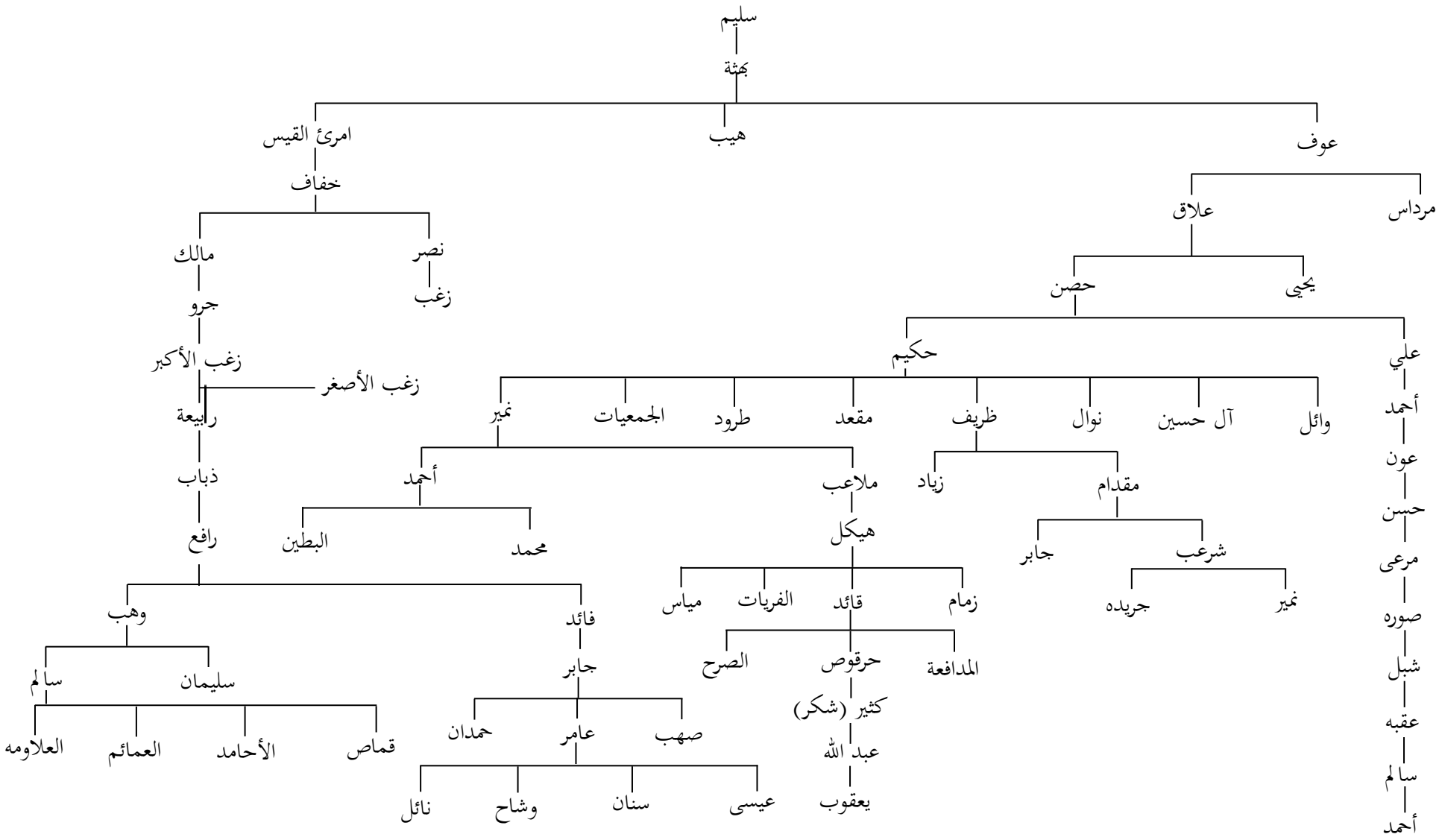

ابن خلدون، كتاب العبر. التجاني، الرحلة، مصطفى أو الضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية.

مسار هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب ومعاركهم الكبرى مع القوى المحلية

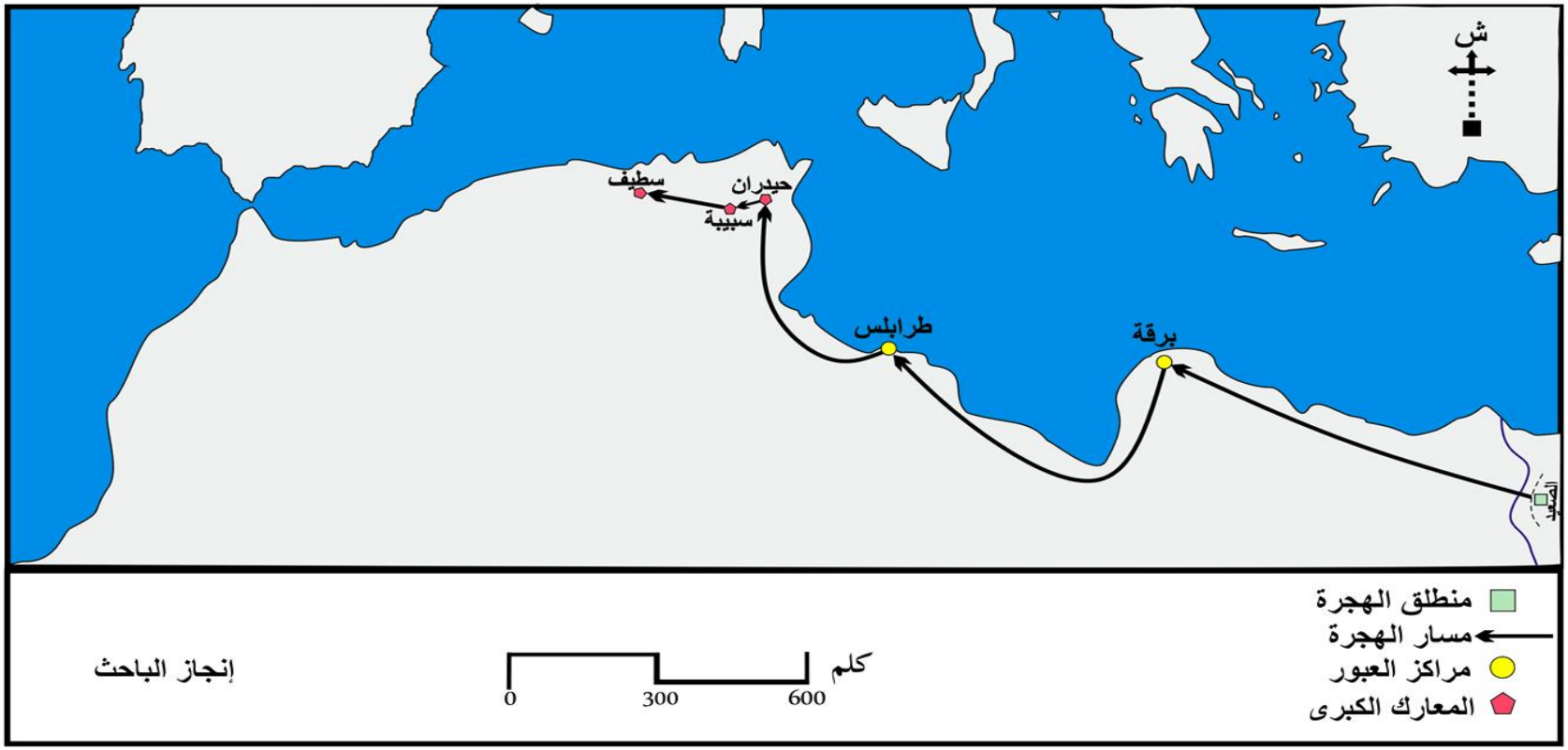

ثبت

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولا- المصادر المخطوطة:

1. ابن جزي الغرناطي أبو عبد الله محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي (ت785هـ/1383م)، مختصر البيان في نسب آل عدنان، مخطوط مؤسسة آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، رقم 74.

ثانيا- المصادر المطبوعة:

2. ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني (ت 1092هـ/1681م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، تونس، 1286هـ/1869.

3. ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 729هـ/1328م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، طبعة حجرية، المغرب، دت.

4. ابن أبي لحية المنتصر ابن المرابط أبي يحيى القفصي (حيا 1032هـ/1622م)، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تح: لطفي عيسى وحسين بوجرة، تونس، 1418هـ/1998م.

5. ابن أعثم أحمد بن محمد بن علي الكوفي (ت 314هـ/926م)،كتاب الفتوح، تح: علي شيري، بيروت، دار الأضواء، 1411هـ/1991م.

6. ابن الأبّار أبو عبد الله محمد البلسني (ت 651هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ/1985م.

7. **التّكلمة لكتاب الصلة**، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م.

8. ابن الأحمر إسماعيل (ت 807هـ/1405م)، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1391هـ/1972م.

9. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي التيمي (ت 597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.

10. ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب التجيبي (ت 529هـ/1135م)، **نوازل ابن الحاج التجيبي**، تح: أحمد شعيب اليوسفي، ط1، ج3، مطبعة تطوان، تطوان، 1439هـ/2018م.

11. ابن الزيات أبو الحجاج يوسف بن يحي التادلي (حيا 627هـ/1230م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح: أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1417هـ/1997م.

12. ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد (حيًا 861هـ/1457م)، **الأدّلة البيّنة النورانيّة في مفاخر الدّولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1405هـ/1984م.

13. ابن الصغير المالكي (نهاية ق 3هـ/9م)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وبحاز إبراهيم، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1406هـ/ 1986م.

14. ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي (ت 1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، ج5، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1986م.

15. ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم (ت 340هـ/951م)، **كتاب البلدان**، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ/1996م.

16. ابن القطان محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي (ق 7هـ/13م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي المكي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1989م.

17. ابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت 555هـ/1160م)، تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، ط1، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1403هـ/1983م.

18. ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ/819م)، **نسب معد واليمن الكبير**، تح: ناجي حسن، ج2 ط1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1408هـ/1988م.

19. ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر القرشي (ت 852هـ/1448م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الاسلامية، القاهرة، 1428هـ/2008م.

20. ابن تغري بردي جمال الدين يوسف أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هـ/1469م)، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تح : محمد أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1423هـ/2003م.

21. ابن تغري بردي جمال الدين يوسف أبو المحاسن الأتابكي (ت 874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، د ت.

22. ابن حبان أبو حاتم محمد (ت 354هـ/965م)، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تح: شعيب الأرناؤوط، ط1، ج11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ/1988م.

23. ابن حجر أحمد بن علي بن محمد الشافعي العسقلاني(ت 852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1995م.

24. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/1063م)، **جمهرة أنساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.

25. ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي (ت 628هـ/1231م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ/1981م.

26. ابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي الموصلي (ت 367هـ/977م)، **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت، 1356هـ/1938م.

27. ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280هـ/893م)، **المسالك والممالك**، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1307هـ/1889م.

28. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ/1406م)، **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1422هـ/2001م.

29. **رحلة ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي**، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2004م.

30. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي(ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1410هـ/1990م.

31. ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي (ت 595هـ/1198م)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، تح: محمد حجي وآخرون، ج8، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م.

32. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت 685هـ/1286م)، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1389هـ/1970م.

33. **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، تح: نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1402هـ/1982م.

34. ابن سلام اللواتي (ت 273هـ/887م)، **بدء الإسلام وشرائع الدين**، تح: فيرز شفارتز والشيخ سالم بن يعقوب، فرانزشتايز، فيسبادن، ألمانيا، 1406هـ/1986م.

35. ابن سهل أبو الأصبغ عيسى بن **عبد** الله الأسدي (ت 256هـ/869م)، **الإعلام بنوازل الأحكام**، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط1، ج1، د ن، د ب، 1415هـ/1995م.

36. ابن صاحب الصلاة عبد المالك بن محمد (ت 594هـ/1198م)، **المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تح: عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

37. ابن صاعد أبو القاسم بن أحمد الأندلسي القرطبي (ت 462هـ/1070م)، **كتاب طبقات الأمم**، تح: لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1330هـ/1912م.

38. ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري الأندلسي (ت 403هـ/1090م)، **العقد الفريد**، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ/1983م.

39. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تح: علي محمد بجاوي، ج4، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م.

40. **الإنباه عن قبائل الرواة**، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ/1985م.

41. ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/871م)، **فتوح مصر والمغرب** تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1425هـ/2004م.

42. ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (حيا 712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح : ج. س.كولان و ل. بروفسال، ط 3، دار الثقافة، بيروت، 1403هـ/1983م.

43. ابن فضل الله العمري أحمد بن يحي (ت 749هـ/1348م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تح: عبد الله بن يحي السريحي وآخرون، ج3، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1423هـ/2002م.

44. ابن فضلان أحمد العباس بن راشد بن حماد (ت 310هـ/912م)، **رحلة ابن فضلان إلى الترك والروس والصقالبة**، تح: شاكر لعيبي، ط1، ارتياد الآفاق، الأردن، 1423هـ/2003م.

45. ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الدينوري (ت 276هـ/890م)، **الإمامة والسياسة**، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1401هـ/1981م.

46. ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الدينوري (ت 276هـ/890م)، **المعارف**، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1401هـ/1981م.

47. ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد الدينوري (ت 276هـ/890م)، **عيون الأخبار**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1987م.

48. **أدب الكاتب**، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، لبنان، دت.

49. ابن كثير أبو الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر القرشي (ت 774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، تح: علي شيري، ط1، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1408هـ/1988م.

50. **تفسير القرءان العظيم**، تح: سامي بن محمد بن سلامة، ج6، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ/1999م.

51. ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ/886م)، **سنن ابن ماجة**، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1371هـ/1952م.

52. ابن مسكويه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ/1031م)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط2، ج1، سروش، طهران، 1420هـ/2000م.

53. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي (ت 711هـ/1311م)، **لسان العرب**، ط 6، دار صادر، بيروت، 1428هـ/2008م.

54. ابن واصل أبو عبد الله جمال الدين محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم المازني، (ت 697هـ/1297م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح: جمال الدين الشيال،ج1، دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، مصر، 1377هـ/1957م.

55. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت 630هـ/1233م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.

56. **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.

57. **اللباب في تهذيب الأنساب**، ج2، دار صادر، بيروت، 1400هـ/1980م.

58. أبو العباس العزفي، **دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)**، تح: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، الرباط، د ت.

59. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي (ت 333هـ/944م)، **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1416هـ/1996م.

60. **كتاب المحن**، تح: عمر سليمان العقيلي، دار العلوم، الرياض،1405هـ/1984م.

61. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري (ت 538هـ/1143م)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ/1986م.

62. أبو حيان علي بن محمد بن العباس البغدادي التوحيدي (ت 414هـ/1023م)، **الإمتاع والمؤانسة**، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط1، المكتبة العنصرية، بيروت، 1424هـ/2003م.

63. أبو زكرياء يحي الوارجلاني (ت 471هـ/1078م)، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.

64. أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسي المغيلي المازوني (ت 883هـ/1503م)، **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، تح: مختار حساني، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1430هـ/2009م.

65. أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت 555هـ/1160م)، **عيون الروضتين في أخبار الدولتين**، تح: محمد الزيبق، ط1، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ/1997م.

66. الإصطخري إبراهيم بن محمد الكرخي (ت 346هـ/957م)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، 1424هـ/2004م.

67. الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ/976م)، **مقاتل الطالبيين**، تح: أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، 1307هـ/1889م.

68. الأيلاني صالح بن عبد الحليم (ق 8هـ/14م)، **كتاب الأنساب**، تح: محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1416هـ/1996م.

69. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ/869م)، **صحيح البخاري**، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، ج3، دار طوق النجاة، بيروت، 1422هـ/2002م.

70. البرزلي أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي، **جامع مسائل الأحكام لما نزل بالمفتين من القضايا والأحكام**، (ت 841هـ/1437م). تح: محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ/2002م.

71. البغدادي أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت 245هـ/859م)، **مختلف القبائل ومؤتلفها**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.

72. البغدادي أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت 245هـ/859م)، **المحبر**، ط1، تح: إيلزة ليختن شتيتر، د ت.

73. البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق الحنبلي(ت 739هـ/1339م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح: محمد علي البجاوي، ط1، ج3، دار الطباعة للنشر، بيروت، 1373هـ/1954م.

74. البغدادي محمد بن خلف بن حيّان (ت 306هـ/919م)، **أخبار القضاة**، تح: عبد العزيز مصطفى المراغي، ط1، ج3، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1366هـ/1947م.

75. البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م)، **كتاب المسالك و الممالك**، تح: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م.

76. البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر بن داود البغدادي (ت 279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1409هـ/1988م.

77. البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت ق 6هـ/12م)، **أخبار المهدي بن تومرت و بداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1391هـ/1971م.

78. التجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد (ت 717هـ/1317م)، **رحلة التجاني**، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1402هـ/1981م.

79. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى (ت 279هـ/892م)، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1438هـ/1998م.

80. التطيلي بنيامين الرابي (ت 569هـ/1173م)، **رحلة التطيلي**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1422هـ/2002م.

81. التلمساني أبو الحسن، **كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم (جوانب من تاريخ القبائل الهلالية)**، تح: طيب بوجمعة نعيمة، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، 1441هـ/2019م.

82. التنوخي محمد بن سحنون بن سعيد (ت 256هـ/869م)، **كتاب الأجوبة**، ط1، دار ابن حزم، تونس، 1432هـ/2011م.

83. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي (ت 255هـ/868م)، **الرسائل السياسية**، تح: علي أبو ملحم، ط2، دار ومكتبة هلال، بيروت، 1423هـ/2002م.

84. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي(ت 255هـ/868م)، **رسائل الجاحظ**، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ/1964م.

85. الجزنائي أبو الحسن علي، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/1991م.

86. الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 748هـ/1347م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تح: محمد بعد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.

87. الجوهري إسماعيل بن حماد الفرابي (ت 393هـ/1002م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح : أحمد عبد الغفور عطار، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/1987م.

88. الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ/1987م.

89. الحاكم أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (ت 405هـ/1014م)، **المستدرك على الصحيحين**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م.

90. الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، 1415هـ/1995م.

91. الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1404هـ/1984م.

92. **صفة جزيرة الأندلس**، تح: ليفي بروفنصال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م.

93. الخشني محمد أبو عبد الله محمد بن الحارث القيرواني الأندلسي(ت 361هـ/971م)، **أصول الفتيا في الفقه على مذهب الإمام مالك**، تح: محمد المجدوب ومحمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م.

94. خلف تيسير، **الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية**، ط1، دار التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 1437هـ/ 2016م.

95. الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن موسى (ت بعد 232هـ/847م)، **كتاب صورة الأرض من جغرافية بطليموس في المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار**، تح: هانس فون مزيك، مكتبة ببليون، لبنان، د ت.

96. الداعي إدريس عماد الدين القرشي (ت 827هـ/1488م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب" القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار"**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.

97. الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ/1297م)، معالم **الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، ج1، المكتبة العتيقة، تونس، د ت.

98. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/1272م)، **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1394هـ/1974م.

99. الدمشقي أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري (ت 281هـ/894م)، **تاريخ أبي زرعة**، تح: شكر الله نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1417هـ/1996م.

100. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي (ت 748هـ/1347م)، **العبر في خبر من غبر**، تح: أبو المهاجر محمد السعيد، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

101. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط 2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ/1993م.

102. الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم (ت بعد 418هـ/1027م)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ليبيا، 1414هـ/1994م.

103. الزبيدي السيد محمد الحسيني (ت 1205هـ/1790م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المحققين، ط2، ج10، دار الهداية، الكويت، د ت.

104. الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، (ت 894هـ/1486م)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، ط 2، المكتبة العتيقية، تونس، 1416هـ/1996م.

105. الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(حيا 548هـ/1154م)، **كتاب الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت.

106. الزياني أبو القاسم (ت 1249هـ/1833م)، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1411هـ/1991م.

107. سالوستيوس، **الحرب اليوغرطية**، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، د ت.

108. السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر الناصري التميمي (ت 1376هـ/1957م)، **تيسير الكريم في تفسير كلام المنان**، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م.

109. السلاوي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد الناصري(ت 1315هـ/1897م)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج2، دار الكتب، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1418هـ/1997م.

110. السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت 562هـ/1166م)، **الأنساب**، تح: عبد الرحمن بن يحي، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1382هـ/1962م.

111. الشماخي أبو العباس أحمد (ت 928هـ/1522م)، **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود السيابي، ج1، مطبعة النهضة، مسقط، 1407هـ/1987م.

112. الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام (ت 748هـ/1347م)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح: إحسان عباس، ج4، ط1، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1399هـ/1979م.

113. الصفدي أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح: علي أبو زيد و آخرون، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1419هـ/1998م.

114. الصفدي أبو الصفاء صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرنؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م.

115. الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت 360هـ/970م)، **المعجم الأوسط**، تح: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، ط1، ج8، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ/1995م.

116. **الروض الداني**، تح: محمد شكور،ط1، ج2، المكتب الاسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.

117. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ج2، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ/1967م.

118. **جامع البيان في تأويل القرءان**، تح: أحمد محمد شاكر، ج20، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ/2000م.

119. عبد الواحد المراكشي بن علي (ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين**، تح: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1426هـ/2006م.

120. العزيزي أبو علي منصور الجوذري (ت 390هـ/1000م)، **سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين**، تح: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي سعيدة، دار الفكر العربي، مصر، د ت.

121. العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي (ت 616هـ/1219م)، **شرح ديوان المتنبي**، تح: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، د ت.

122. عمر كحالة، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/1994م.

123. عياض القاضي أبو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبي (ت 544هـ/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تح: عبد القادر الصحراوي، ط1، ج3، مطلعة فضالة، المحمدية، المغرب الأقصى، 1389هـ/1970م.

124. **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تح: محمد بن شريفة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1418هـ/1997م.

125. الفراهيدي الخليل بن أحمد (ت 170هـ/786م)، **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار و مكتبة هلال ، د م ، د ت .

126. الفسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي (ت 277هـ/890م) **المعرفة والتاريخ**، تح: أكرم ضياء العمري، ط2، ج3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

127. الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر محمد (ت 817 هـ/1414م)، **القاموس المحيط**، تح: نعيم العرقسوسي، ط 8 ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م.

128. القاضي أبو الحسين الرشيد بن الزبير أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني المصري (ت 563هـ/ 1167م)،، **الذخائر والتحف**، تح: محمد حميد الله، دار التراث العربي، الكويت، 1378هـ/1959م.

129. القاضي النعمان أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي (ت 363هـ/973م)، **كتاب افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1406هـ/1986م.

130. **المجالس والمسايرات**، تح: الحبيب الفقي وابراهيم شتوح ومحمد اليعلاوي، ط1، دار المنتظر، بيروت، 1416هـ/1996م.

131. القرافي أبو العباس بدر الدين (ت 1009هـ/1601م)، **الذخيرة**، تح: سعيد أعراب، ج2، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

132. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت 671هـ/1273م)، **الجامع لأحكام القرآن**، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م.

133. القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1399هـ/1979م.

134. القلقشندي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الفرازي (ت 821هـ/1418م)، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تح: محمد الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1402هـ/1982م.

135. **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح: محمد الإبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1400هـ/1980م.

136. الكندي محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، **كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي**، تح: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.

137. لسان الدين بن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت 776هـ/1374م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ/2003م.

138. **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط – القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تح: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتب، الدار البيضاء، 1383هـ/1964م.

139. مالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ/795م)، **الموطأ**، تح: محمد مصطفى الأعظمي، ط1، ج2، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، 1425هـ/2004م.

140. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 460هـ/1068م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونُسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

141. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ/898م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1417هـ/1997م.

142. **نسب عدنان وقحطان**، تح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، 1354هـ/1936م.

143. المراكشي عبد الواحد (ت 1346/647م)، **المعجب في تلخيص أحبار المغرب**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.

144. **وثائق المرابطين والموحدين**، تح: حسين مؤنس، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417هـ/1997م.

145. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 345هـ/956م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر مروج الذهب**، تح: كمال حسن مرعي، ط1، ج3، المكتبة العصرية، 1425هـ/2005م.

146. **أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1417هـ/1996م.

147. **التنبيه والإشراف**، تح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، د ت.

148. المقدسي المطهر بن طاهر (ت 355هـ/966م)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د ت.

149. المقري أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله التلمساني(ت 1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، ج5، ط1، دار صادر، بيروت، 1417هـ/1997م.

150. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1442م)، **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تح: فرناند واسطون فيلد، جوتنجن، ألمانيا، 1236هـ/1847م.

151. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.

152. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م.

153. **كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة**، نشره: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م.

154. مؤلف مجهول (ت ق 6هـ/12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: عبد الحميد سعد زغلول، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1406هـ/1986م.

155. مؤلف مجهول (ق 6هـ/12م)، **مفاخر البربر**، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 1425هـ/2005م.

156. مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في الأخبار المراكشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1399هـ/1979م.

157. النديم أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (ت438هـ/1046م)، **الفهرست**، تح: إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/1997م.

158. النسائي أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت 303هـ/915م)، **المجتبى من السنن**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط2، ج7، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/1986م.

159. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح : عبد المجيد ترجيمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

160. الهمداني أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي (ت 584هـ/1188م)، **الأماكن وما افترق مسماه من الأمكنة**، تح: حمد بن محمد جاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1415هـ/1994م.

161. هيرودوت، **تاريخ هيرودوت**، تر: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 1421هـ/2001م.

162. الواقدي محمد بن عمر السهمي (ت 207هـ/822م)، **فتوح الشام**، ج2، ط1، تح: عبد اللطيف بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ/1997م.

163. الونشريسي أحمد بن يحي بن محمد (ت 914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.

164. اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح الكاتب (ت 284هـ/897م)،**كتاب البلدان**، تح: محمد أمين الضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م.

165. اليماني محمد بن محمد (ق 4هـ/10م)، **سيرة الحاجب جعفر**، نشره: إيفانونف، ج1، مجلة كلية الأدب بالجامعة المصرية، القاهرة، 1354هـ/1936م.

ثالثا– المراجع العربية والمعربة:

166. إدريس الهادي روجي، **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، تر: حمادي الساحلي، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م.

167. أزايكو علي صدقي، **تاريخ المغرب والتأويلات الممكنة**، ط1، مركز طارق بن زياد، الرباط، 1422هـ/2002م.

168. إزنار هيلدبرت، **الحيز الجغرافي**، تر: محمود إسماعيل الشيخ، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1414هـ/1994م.

169. إسكان الحسين، **الدولة والمجتمع في العصر الموحدي 518-668هـ/1125-1270م**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1431هـ/2010م.

170. الباهي أحمد، **سوسة والساحل في العهد الوسيط: محاولة في الجغرافيا التاريخية**، ط1، مركز النشر الجامعي، تونس، 1424هـ/2004م.

171. بحاز إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم**، ط1،كتابك، الجزائر، 1440هـ/2019م.

172. برنشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، تر: حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1409هـ/1988م.

173. بروديل فرنان، **المتوسِّط و العالم المتوسِّطي**، تر: مروان أبي سمرا، ط1، دار المنتخب العربي، بيروت، 1413هـ/1993م.

174. بروفنصال ليفي، **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، ج10، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، المغرب، 1360هـ/1941م.

175. البري عبد الله خورشيد، **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1412هـ/1992م.

176. بعيزيق صالح، **بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1427هـ/2006م.

177. بن النية رضا، **صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر دراسة اجتماعية**، ط1، دار توكل للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، 1436هـ/2015م.

178. بن جراد بلقاسم بن محمد، **قابس عبر التاريخ**، مطبعة الخدمات السريعة، قابس، 1421هـ/2001م.

179. بن سلامة عبد الرحيم، **المملكة المغربية تعريف بالمدن والقرى والأسر والجهات**، ط2، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي، الرباط، 1436هـ/2015م.

180. بن منصور عبد الوهاب، **قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م.

181. بن ميلاد لطفي، **إفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/11م إلى مطلع القرن 10هـ/16م وقائع الانفصال وتحديات الاتصال**، المغاربية لطباعة وإشهار الكتاب، تونس، 1432هـ/2011م.

182. بنمليح عبد الإله، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 1423هـ/2003م.

183. بوتشيش إبراهيم القادري، **المهشمون في تاريخ الغرب الإسلامي**، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، الرباط، 1435هـ/2014م.

184. **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1422هـ/2002م.

185. بورقية رحمة، **الدولة والسلطة والمجتمع دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب**، دار الطليعة، بيروت، 1411هـ/1991م.

186. بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م.

187. بوسماحة عبد الحميد، **رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية**، دار السبيل، الجزائر، 1429هـ/2008م.

188. بوطالب محمد نجيب، **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1423هـ/2002م.

189. بوقاعدة البشير، **الصراع العسكري وخراب المدن بالمغرب الأوسط والأدنى بين 296هـ/909م-547هـ/1152م(دراسة تاريخية)**، ميم للنشر، الجزائر، 1436هـ/2015م.

190. بونابي الطاهر، **مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط**، سلسلة الكتب الأكاديمية لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المسيلة، 1438هـ/2017م.

191. بيرك جاك، **في مدلول القبيلة في شمال إفريقيا**، مقال ضمن كتاب: الأنتربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1408هـ/1988م.

192. توفيق بن عامر، **الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق**، تونس، 1416هـ/1996م.

193. الجابري محمد عابد، **العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1414هـ/1994م.

194. جعيط هشام، **تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/السابع والثامن م**، دار الطليعة، بيروت، 1425هـ/2004م.

195. جلول ناجي، **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، تونس، 1419هـ- 1999م.

196. حارش محمد الهادي، **مملكة نوميديا دراسة حضارية**، دار هومة، الجزائر، 1434هـ/2013م.

197. حركات إبراهيم، **المجتمع الاسلامي والسلطة في العصر الوسيط**، أفريقيا الشرق، بيروت، 1418هـ/1998م.

198. حسن محمد، **الجذور التاريخية لبلاد المغرب جدلية السلطة والمجتمع والمجال(خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين/السابع والثامن الميلاديين)**، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 1443هـ/2022م.

199. **الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/7- 15م**، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 1424هـ/2004م.

200. **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، المطبعة العربية التونسية، تونس، 1406هـ/1986م.

201. **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، ج1-2، جامعة تونس الأولى، تونس، 1377هـ/1999م.

202. حسين طه، **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية تحليل ونقد**، تر: محمد عبد الله عنان، دار الكتب والوثائق القومية، 1426هـ/2006م.

203. حقي محمد، **البربر في الأندلس دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م-422هـ/1031م)**، ط1، شركة النشر والتوزيع المدراس، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1422هـ/2001م.

204. خالدي عبد الحميد، **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1428هـ/2007م.

205. دبيش لطفي، **الإنسان والمكان في الثقافة العربية الإسلامية قراءة في نصوص الجغرافيين والرّحالين والمسالكيين العرب إلى القرن الخامس الهجري**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1431هـ/2011م، تونس.

206. دغفوس راضي، **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1425هـ/2005م.

207. الدوري عبد العزيز، **نشأة علم التاريخ عند العرب**، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، 1420هـ/2000م.

208. دومنيك فاليريون، **بجاية ميناء مغاربي (1067–1510م)**، تر: علاوة عمارة، ج1-2، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1435هـ/2014م.

209. ذنون طه عبد الواحد، **الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1425هـ/2004م.

210. رحمة تويراس، **تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط**، مؤسسة الإدريسي للأبحاث والدراسات، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1436هـ/2015م.

211. روجي الهادي إدريس، **الدولة الصنهاجية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1412هـ/1992م.

212. الزاوي الطاهر أحمد، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، ط4، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1424هـ/2004م.

213. **ولاة طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي**، ط1، دار الفتح للطباعة والنشر، 1390هـ/1970م.

214. زغلول سعد، **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال**، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1413هـ/1993م.

215. الشريف محمد، **سبتة الإسلامية دراسات في تاريخها الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرنيين)**، ط2، منشورات جمعية تطوان، الرباط، 1427هـ/2006م.

216. الشكري أحمد، **مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1417هـ/1997م.

217. الشنقيطي أحمد، **خبر الواحد وحجيته**، ط1، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، 1422هـ/2001م

218. شنيتي محمد البشير، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م–40م)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1405هـ/1985م.

219. **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1404هـ/1984م.

220. **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1419هـ/1999م.

221. الطالبي محمد، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800-909م)**، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.

222. الطاهري أحمد، **فتوح إفريقية والمغرب والأندلس حقائق جديدة**، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 1438هـ/2017م.

223. الطاهيري عبد الحق، **الدولة الموحدية أسس الشرعية والمشروع السياسي**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1436هـ/2015م.

224. **نظام الحكم عند الموحدين الوسائل والمؤسسات**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1439هـ/2018م.

225. طحطح خالد، **الكتابة التاريخية**، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1433هـ/2012م.

226. طه جمال أحمد، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين 448هـ/1056م إلى 668هـ/1269م دراسة سياسية وحضارية**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 1421هـ/2001م.

227. طويل الطاهر، **المدينة الاسلامية وتطورها في المغرب الأوسط (من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس)**، ط1، مطابع حسناوي، الجزائر، 1431هـ/2010م.

228. عبد الرازق محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1406هـ/1985م.

229. العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1420هـ/2000م.

230. عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، 1403هـ/1983م.

231. **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1403هـ/1983م.

232. عزاوي أحمد، **رسائل ديوانية مغربية(من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع هـ)**، ط1، مطابع الرباط، الرباط، 1435هـ/2014م.

233. **رسائل موحدية مجموعة جديدة**، تح: أحمد عزاوي، ج2، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب الأقصى، 1422هـ/2001م.

234. عزب خالد، **الفسطاط النسأة الازدهار الانحسار**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، د ت.

235. عطوان حسين، **الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول**، دار جيل، بيروت، د ت.

236. عقون محمد العربي، **الأمازيغ عبر التاريخ نظرة موجزة في الأصول والهوية**، ط1، مطبعة الرباط، 1432هـ/ 2010م.

237. **المجتمع والاقتصاد في الشمال الإفريقي القديم**، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1428هـ/2008م.

238. العلوي قاسم هاشم، **مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري منتصف القرن العاشر الميلادي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب الأقصى، 1415هـ/1995م.

239. عمارة علاوة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1428هـ/2008م.

240. عماري الحسين، **المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن 15-18م**، ط1، مطبعة وورك بيرو، بني ملال، المغرب الأقصى، 1440هـ/2019م.

241. عمامو حياة، **أسلمة بلاد المغرب إسلام التأسيس من الفتوحات إلى ظهور النحل**، دار أمل للنشر والتوزيع، تونس، 1433هـ/2012م.

242. عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1411هـ/1991م.

243. غوتييه إميل فليكس، **ماضي شمال إفريقيا**، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة توالت الثقافية، طرابلس، ليبيا، 1432هـ/2010م.

244. فاليريون دومينيك، بجاية ميناء مغاربي، ج 1 – 2، تر: علاوة عمارة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1435هـ/2014م.

245. فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1404هـ/1994م.

246. فرحاتي فتيحة، **نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213 ق.م-46 ق.م**، منشورات أيبك، الجزائر، 1428هـ/2007م.

247. القبلي محمد، **الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1407هـ/1987م.

248. القبلي محمد، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 1432هـ/2011م.

249. **حول تاريخ المجتمع المغربي في العصر الوسيط مقدمات أولية وقضايا**، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، 1418هـ/1998م.

250. قزال ستيفان، **تاريخ شمال إفريقيا القديم**، تر: سعود محمد التازي، ج5، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربي، الرباط، 1428هـ/2007م.

251. القطان مناع، **تاريخ التشريع الإسلامي**، ط5، مكتبة وهبة، القاهرة، 1422هـ/2001م.

252. كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر: أمين بنيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ/1968م.

253. كامبس غابريال، **البربر ذاكرة وهوية**، تر: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1435هـ/2014م.

254. **في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، تر: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1433هـ/2012م.

255. كحالة عمر، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، ج2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ/1994م.

256. كونستابل أوليفيا ريمي، **إسكان الغريب في العالم المتوسطي السكن والتجارة والرحلة في أواخر العصر القديم وفي العصر الوسيط**، تر: محمد الطاهر منصوري، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1436هـ/2015م.

257. لطيف عادل، **الخوف ببلاد المغرب في العصر الوسيط**، ط1، زينب للنشر، نابل، تونس، 1440هـ/2019م.

258. لقبال موسى، **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1402هـ/1981م.

259. **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.

260. لواتي دلال، **عامة القيروان في عصر الأغالبة**، ط1، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1436هـ/2015م.

261. لوسيان فافر: **التاريخ وعلم اللهجات**، تر: صادق علي أزايكو، مقال ضمن كتاب: وقفات في تاريخ المغرب أعمال مهداة إلى الأستاذ إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1390هـ/1970م.

262. لومبار موريس، **الإسلام في مجده الأول من القرن2 إلى القرن5 (8-11م)**، تر: إسماعيل العربي، ط3، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1411هـ/1990م.

263. **الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، تر: عبد الرحمن حميدة، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/1998م.

264. ليفيتشكي تاديوش، **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، تر: ماهر جرار وريما جرار، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، د ت.

265. ليليا بنسالم وأرنست كلينر وآخرون، **الأنثروبولوجيا والتاريخ**، حالة المغرب العربي، تر: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1409هـ/1989م.

266. مارسي جورج، بلاد **المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، القاهرة، 1411هـ/1991م.

267. مجاني بوبة، **أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1425هـ/2003م.

268. **دراسات إسماعلية**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، 1423هـ/2003م.

269. محمد الطالبي والعبيدي إبراهيم، **البرغواطيون في المغرب**، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1420هـ/1999م.

270. محمود أحمد أبو صوة، **تاريخ العرب الاجتماعي والاقتصادي في العصر الوسيط**، منشورات ELGA، ليبيا، 1422هـ/2002م.

271. مزهودي مسعود، **الإباضية في المغرب الأوسط**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، 1416هـ/1996م.

272. المساتي عادل، **سوسيولوجية الدولة بالمغرب إسهام جاك بيرك**، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1431هـ/2010م.

273. مسعد سامية مصطفى، **صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية**، ط1، عين للدّراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 1418هـ/1998م.

274. مصطفى أحمد أبو الضيف، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين (524-876هـ/1130-1472م)**، ط1، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1402هـ/1982م.

275. المعزوزي محمد، علم الأنساب على مر العصور، ط1، طوب بريس، الرباط، 1428هـ/2008م.

276. المغراوي محمد، **الموحدون وأزمات المجتمع**، جذور للنشر، ط1، الرباط، 1427هـ/2006م.

277. موسى عز الدين عمر، **الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.

278. مؤنس حسين، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د ت.

279. ميتز آدم، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، دت.

280. الناجي محمد، **جند وخدم وسراري الرق في المغرب**، تر: محمد الغرايب، ط1، منشورات فاليا، بني ملال، المغرب الأقصى، 1440هـ/2018م.

281. النفاتي عادل، **المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ألقصى، 1436هـ/2015م.

282. هواري زهير، **السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11-132هـ/612-750م**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1423هـ/2003م.

283. الوسلاتي نورة، **تمثّل البداوة مقاربات في التاريخ الثقافي بين المغاربي والمحلي**، ط1، سوتيميديا للنشر والتوزيع، تونس، 1441هـ/2019م.

284. ولد السالم حماه الله، حركة **المرابطين بين العصبية والدعوة**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، هـ/2015م.

285. وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، ج21، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ/1997م.

286. يوسف عيبش، **الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية**، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 1430هـ/2009م.

رابعا– المراجع باللغة الأجنبية:

287. Abitbol Michel, «**Le Maroc et le commerce transsaharien du XVIIe au début du XIXe siècle**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 30, 1980.

288. Aillet Cyrille , «**Islamisation et arabisation dans le monde musulman médiéval : une introduction au cas de l'Occident musulman (VIIe-XIIe siècle)**», in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VII^{e} XII^{e} siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011.

289. «**Islamisation et arabisation dans le monde musulman médiéval : une introduction au cas de l'Occident musulman (VIIe-XIIe siècle)**», Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011.

290. Aillet Cyrille et Gilotte Sophie, **Sedrata : «l'élaboration d'un lieu de mémoire**».

291. Ait Amara Ouiza, «**Le rôle de Massinissa dans la deuxième guerre punique**», Libyca, CNRPAH, 02, 2017.

292. «**Massinissa et la sédentarisation du peuple numide, Vie et genres de vie au Maghrebd Antiquité et Moyen Age**», Actes du quatrième colloque international, Sousse, 2017.

293. Amara Allaoua et Nef Annliese, «**Al-Idrīsī et les Ḥammūdides de Sicile: nouvelles données biographiques sur l'auteur du Livre de Roger**», Arabica, 67, 2000.

294. Amara Allaoua, "**Dynamiques du peuplement et transformations socioculturelles dans les oasis du Maghreb central (siècle VIII-XIV)**",Vivre, circuler et échanger sur la bordure septentrionale du Sahara Antiquité-époque moderne (éd, S. Guédon), Ausonius éditions Scripta Receptoria 18, Bordeaux 2020.

295. «**L'islamisation du maghreb central (VIIe XIe siècle)**», in Dominique Valérian (dir.), Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VII^{e} XII^{e} siècle), Éditions de la Sorbonne, 2011.

296. «**Entre le massif de l'Aurès et les oasis : apparition, évolution et disparition des -communautés ibâḍites du Zâb (VIIIe XIVe siècle)**», REMMM 132.

297. «**Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval: le cas du Maghreb .Hammadide (XI-XIIe siècles)**»,The Maghreb review 22-1, 2003.

298. «**Bône et la littoralisation du pays Kutāma**», Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016.

299. «**L'évolution du discours sur les Berbères dans les sources narratives du Maghreb médiéval (IXe-XIVe siècle)**», In : Les Berbères entre Maghreb et Mashreq (VIIe-XVe siècle)[en ligne]. Madrid : Casa de Velázquez, 2021.

300. «**La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (XIe-XVe siècle): Groupes sociaux et catégorisation sociale dans le dar al-islam médiéval (VIIe-XVe siècles)**», Annales islamologiques, Institut français d'archéologie orientale, 42. 2008.

301. «**Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval : l'exemple du pays des Kutãma**», Alborav. Poblamiento e intercambios en las zonas costeras de al-Andalus y el Magreb, Granada, 2018.

302. Bahri Fathi, «**Les 'Adjam al-balad une minorité sociale d'origine autochtone en Ifrîqiyya aghlabide IIIe-IXe siècles**»; Dans Mutations, identités en Méditerranée, 2000.

303. «**Des conversions, des hommes et des biens en Ifrīqiyya musulmane : le cas des 'aǧam**», Africa XVI, tunisie, 1998.

304. Barrow Prescott David, «**Berbers and Blacks: Impressions of Morocco,Timbuktu, and the Western Sudan**», New York and London: The Century Co., 1927.

305. Belkhodja Khaled, «**L'Afrique byzantine à la fin du VIe et au début du VIIe siècle**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°8, 1970.

306. Ben Hassine Boutheina, «**Le Peuplement au Maghreb médiéval :Un Etat des lieux**», Le peuplement du Maghreb antique et médiéval Actes du troisième colloque international, Sousse, 2017.

307. «**L'image des Berbères dans les sources ibadites**», dans Abdellatif Mrabet (éd.), Géographie historique du Maghreb antique et médiéval. État des lieux et perspectives de recherche, Sousse, Université de Sousse, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 2015.

308. Ben Ramdane Hamdane, «**Les Afri et leurs territoires à l'époque romaine**», Actes du troisième colloque international. le peuplement du Maghreb antique et médiévale, Sousse, 2016.

309. Bénabou Marcel, **La résistance africaine à la romanisation**, La Découverte, Paris, 2005.

310. Benhima Yassir et Guichard Pierre, «**Mūsā ibn Nuṣayr Retour sur l'histoire et le pouvoir d'un gouverneur omeyyade en Occident musulman**», Bulletin d'études orientales n° 66, 1/2018.

311. Benhima Yassir, «**Quelques remarques sur les conditions de l'islamisation du Maġrib al-Aqṣā : aspects religieux et linguistiques**», in Dominique Valérian .dir, Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (VIIe XIIe siècle), Éditions de la Sorbonne.

312. benhima Yassir, Guichard Pierre, «**De la tribu à la ville : un essai d'approche « régressive» de l'histoire du peuplement de la région de Tébessa**», Revue des mondes musulmans et de la Méditerrané.

313. **Histoire d'un espace en mutation: la plaine d'al-Marîj, Majjâna et les hauteurs environnantes au Haut Moyen âge**, Centres de pouvoir de l'espace- colloque int (Caen, 2009), PUC, 2014.

314. Benseddik Nacéra et Pierre Laporte J., «**Les Bavares transtagnenses, peuple de Maurétanie césarienne Bibliographique Détail**s», Fait partie de: Les auxiliaires de l'armée romaine : des alliés aux fédérés : actes du sixième congrès de Lyon 23-25 octobre 2014.

315. Berque Jacques, **L'intérieur du Maghreb (XVe-XIXe siècles)**, Gallimard, Paris, 1978.

316. Bocharti Samuelis, **Geographia Sacra**, Caen, 1664.

317. brett Michael, «**ibadism in the Societies of Mediaval Islam: A few Remarks**», In: L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval. Modèles et interactions, 2018.

318. Brett Michael, Fentress Elizabeth, **The-Berbers**, Oxford and Cambridge, MA: Blackwell, 1996

319. Bulliet Richard W., Desaive Jean-Paul. «**Botr et Beranès, hypothèses sur l'histoire des Berbères**», Annales. Economies sociétés, civilisations. 36e, N. 1, 1981.

320. Cadenat Pierre, «**Notes d'archéologie tiarétienne**», Antiquités africaines, 24, 1988.

321. Caiozzo Anna, «**Images des vestiges préislamiques de l'Ifrîqiya chez les géographes arabes d'époque médiévale**», Anabases, 9/ 2009 .

322. Callegarin Laurent et Moreau Julien, «**Le Getule: Cet Autre insaisissable**», Figures de L'Etranger Autour de La Méditerranée Antique, Université de Paris I,2009.

323. Cambuzat Paul Louis, **L'évolution des cités du Tell en Ifriqiya du VIIe au XIe siècle**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1986, t. II.

324. Camps Gabriel, «**Afāriq**», Encyclopédie berbère, 2, Ad – Ağuh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud, 1985.

325. «**Bavares**», Gabriel Camps (dir.), Baal – Ben Yasla, Aix-en-Provence, Edisud, encyclopédie berbère, 9, 1991.

326. «**les Bavares, peuples de Maurétanie Césarienne**», Rev, Afr.,99 , 1955.

327. «**Rex gentium Maurorum et Romanorum. Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles Recherches sur les royaumes de Maurétanie des VIe et VIIe siècles**», Antiquités africaines, 20,1984.

328. Capel Chloé and Fili Abdallah, «**Sijilmāsa au temps tes Midrārides: nouvelles approches historiques et premier bilan archéologique**», - In: L'ibadisme dans les sociétés de l'Islam médiéval. Modèles et interactions, 2018.

329. Carcopino Jérôme, «**L'Insurrection de 253 d'après une inscription de Miliana récemment découverte**», Rev Afr, 1919.

330. «**La fin du Maroc romain**», Mélanges d'archéologie et d'histoire, 57, 1940.

331. «**Un «empereur» maure inconnu d'après une inscription latine récemment découverte dans l'Aurès**», Revue des Études Anciennes, Tome 46, n°1-2, 1944

332. Cazeaux Mathilde, «**Massinissa et Syphax Un diptyque barbare chez Tite-Live**», Formes du portrait.

333. Chaker Salem, «**Données sur la langue berbère à travers les textes anciens**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 31, 1981.

334. «**La langue berbère à travers l'onomastique médiévale : El-Bekri**», ROMM, 35,1983.

335. Charles pellat., «**al-Furs**», Encyclopaedia of Islam, Second Edition, Edited by: P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, W.P. Heinrichs. brillonline. com/entries/encyclopaedia-of-islam-2/al-furs SIM. 2405.

336. Chény Soléna, «**Les berbères chez les arabes, étude sur la définition, d'une catégorie ethnique**», umr 8167, université de phanthéon- sorbonne, paris, lacnad, inaclo, paris, 2013.

337. Cuoq Joseph, **Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest: des origines à la fin du XVIe siècle,** paris, 1984.

338. Courtois Christian, **Les Vandales et l'Afrique**, Paris, 1955.

339. Del Río Ramírez José, «**Documentos sobre el papel de los árabes hilalíes en el al-Andalus almohade: traducción y análisis Documents Related to the Role of the Hilali Arabs in al-Andalus During the Almohad Period: Translation and Analysis**», AL-Qantara, 35, 2014.

340. Desanges Jehan, «**Baquates**», Encyclopédie berbère, 9, 1991.

341. «**Gétules**», Encyclopédie berbère, 20, 1998,

342. «**Les territoires gétules de Juba II**», Revue des Études Anciennes, 66, 1964.

343. **Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil**, Université de Dakar, Faculté des lettres et sciences humaines, Publications de la section d'histoire, n° .4, 1962, p.,113.

344. Diehl Charles, **L'Afrique byzantine histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709)**, paris,1896.

345. Djait Hichem, «**L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800)**», Annales. Economies, sociétés, civilisations, 28eannée,N. 3, 1973.

346. Drici Salim, «**Inscription inédite des Bavares d'El Bayadh et les troubles au Maghreb ancien**», IKOSIM, A.A.S.P.P.A , 4, 2015.

347. E. Kaegi Walter, «**Seventh-Century North Africa Military and Political Convergences and Divergences**», Deutsches Archäologisches Instjtut, Palilia, 34, Harrassowitz Verlag, 2019.

348. Edmond Frézouls, «**Rome et la Maurétanie tingitane: un constat d'échec ?** », Antiquités africaines, 16,1980.

349. El- Cheikh, Nadia and Bosworth, C.E., «**Rūm**», Encyclopaedia of Islam, Leiden, Brill, Online, http :/ / dx .doi.org /10.1163/1573-3912_islam_COM_0939.

350. Ellefi Mohamed, Turris Tamalleni: «**Essai de Géographie Historique D'une Cité du Néfzaoua Antique**», Géographie Historique du Maghreb Antique et Médiévale: état Des Lieux Et Perspectives De Recherches, éd: A. Mrabet, Sousse, 2014.

351. Fenina Abdelhamid, «**L'arabisation du monnayage d'Ifrīqiya : étapes et signification**», in Jean‑Luc fournet, Jean‑Michel moutonet Jacques paviot(dir), Civilisations en transition (II), Paris, 2016.

352. «**La ville de Maǧǧāna sous Ziyādat Allāh: un atelier monétaire peu connu et une principauté éphémère à l'époque aġlabide**», Arabica 55 Koninklijke Brill NV, Leiden, 2008.

353. Fentress Elisabeth, **Numidia and the Roman Army. Social, Military and Economie Aspects of the Frontier Zone**, Oxford, 1979.

354. Franco Sánchez Francisco, «**Rabita-s, ribat-es y al-munastïr-es. Bibliografía comentada con una introducción historiogràfica**», Bibliografía comentada con una introducción historio gràfica, Universitat d'Alacant, 2004.

355. François Paul, Flatters Xavier, «**L'Afrique septentrionale ancienne**», Revue Africaine, 21. 1877.

356. Frézouls Edmond, «**Les Baquates et la province romaine de Tingitane**», Bulletin d'archéologie marocaine, 2, 1957.

357. «**Nouvelles inscriptions de Volubilis**», l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 96, N. 3, 1952.

358. «**Rome et la Maurétanie Tingitane : un constat d'échec** ?», Antiquités africaines, 16,1980.

359. Gabrieli, F. «ʿ**Adjam** » The Encyclopaedia of Islam, Second Edition, edited by P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth, E. van Donzel, and W.P. Heinrichs. Leiden: Brill, 2012. Accessed March 10, 2017. http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam _SIM_0322.

360. Galand Lionel, «**Baquates et BarghwâTa**», Hesperis,35, 1948.

361. Gerard Gertoux, **Dating the foundation of Carthage**.

362. Ghaki Mansour, «**Questions autour d'un Siècle numide (205 – 105 av. J.C.)**», Actes du colloque international La Numidie, massiNissa et L'histoire, Libyca 2, 2016.

363. Ghaki Mansour, Jean-Pierre Laporte et Xavier Dupuis, «**Numides, Numidie**», Encyclopédie berbère, 2012.

364. Golden, P.B., Bosworth, C.E., Guichard, P. Meouak M, "**al-Ṣaḳāliba**", Encyclopédie de Islam, V8,brill, leiden,1995.

365. Gonzalez Munoz Fernando, «**Un perfil para el autor de la Crónica Mozárabe de 754**», Collectanea Christiana Orientalia, 15, 2018.

366. Gsell Stéphane, **Atlas archéologique de l'Algérie**, Paris, 1911.

367. **Inscriptions latines de l'Algérie, Inscriptions de la Proconsulaire**, Paris, 1922.

368. **Les monuments antiques de l'Algérie**, Paris, Albert Fontemoing, 28, 1901.

369. Hamdoune Christine, «**Ptolémée et la localisation des tribus de Tingitane**», Mélanges de l'École française de Rome, Antiquité,105,1993.

370. Hannoum Abdelmajid, «**Historiographie et légende au Maghreb: La Kâhina ou la production d'une mémoire**», Annales. Histoire, Sciences Sociales, 54e Année, No. 3 May - Jun., 1999.

371. Heyden Vendre, **La berbère orientale sous la dynastie de benou El-Aghleb**, 800-909, Librairie orientaliste , paris, 1927.
372. Hunwick John, «**Arab views of black Africans and slavery**».
373. J. Despois et R. Mantran, «**Djerba**», Encyclopédie berbère [En ligne], 16. 1995.
374. Jankowiak Marek, «**What Does the Slave Trade in the Saqaliba Tell Us about Early Islamic Slavery**», Roundtable, Middle East Stud. 49 .2017.
375. Jean-Marie Lassère, «**Onomastica africana V-VIII**», Antiquités africaines, 18, 1982.
376. Khaled Belkhodja, «**L'Afrique byzantine à la fin du VIe et au début du VIIe siècle**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°8, 1970. Unica.
377. Kommer Odile, Liccardo Salvatore, Nowak Andrea, «**Comparative Approaches to Ethnonyms The Case of the Persians**», Hungarian Historical Review 7, nº. 1 2018.
378. Kotula T. et Peyras J., «**Afri**», Encyclopédie berbère, 2. 1985, document A78.
379. L. Rinn, «**Les premiers royaumes Berbères**», Revue Africaine, 29, 1885.
380. l'Ancien Pline, **Naturalis historiae libri XXXVII.** I, Interpretatione et notis illustravit Joannes Harduinus, usum Serenissimi Delphini, 1685.
381. Laporte Jean-Pierre, «**les Vandales, l'Afrique et les Maures, La Méditerranée et le monde mérovingien: témoins archéologiques BAP**», Supplément 3, 2005.
382. Le Glay Marcel, «**L'administration centrale de la province de Numidie de Septime Sévère à Gallien**», Antiquités africaines, 27,1991.
383. Leone Anna, Bockmann Ralf - von Rummel Philipp, «**From Africa to Ifrīqiya The Transition from Byzantine to Islamic North Africa: an Introduction**», Deutsches Archäologisches Instjtut, Palilia, 34, Harrassowitz Verlag, 2019.
384. leveau Philippe, «**L'archéologie française en Algérie et la résistance à la résistance à la romanisation: les enjeux d'un débat, Approches occidentales de l'archéologie nord-africaine(XIXe-XXe siècles)**», sous la direction de Hédi Dridi et Antonella Mezzolani Andreose, Bologne, 2016.
385. Lewicki Tadeusz, «**Une langue romaine oubliée de l'Afrique du nord. Observations d'un arabisant**», Rocznik Orientalistyczny, 17. 1952.
386. Lipinski Edward, «**Itineraria Phoenicai**», studai Phoenicai XVIII, Département osterse studies leuven, paris, 2004.

387. live Tite, **Histoire roumaine**, Paris, 1968, XXX.

388. Louis-Adrien Berbrugger, «**Observations archéologiques sur les oasis méridionales du Sahara algérien**», Revue africaine 2, 1857.

389. M'Charek Ahmed, «**Continuité de l'éthnonymie, continuité du peuplement au Maghreb, de l'antiquité à nos jours : le cas des avares (haouara) et dianenses ou zanenses (zanāta)**», l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 2015.

390. «**De Tacite à Ibn Khaldoun : à la recherche de deux tribus berbères: Masofi (Masufa) et Usinazenses (Banu Sinag / Sanhadja)**», dans VIIe colloque de Sbeitla sur les steppes, Tunis, 2010.

391. «**De Zama à Kairouan : la Thusca et la Gamonia**», Frontières et limites géographiques de l'Afrique du Nord antique, Hommage à Pierre Salama, Publication de la Sorbonne.

392. Marçais Georges, «**La berbèrie au IX e Siècle D'après el- Ya'qoubi**», Revue Africaine, 85.1941.

393. Marcellin Ammien, **Histoire Romaines**, edit, M.A.Marie, paris, 1984, XXXIX,V.

394. Marius Canard, «**Les sources arabes de l'histoire byzantine aux confins des Xe et XIe siècles**». In: Revue des études byzantines, tome 19, 1961.

395. Mela Pomponius, **Chorographie**, l'édition d'Abraham Gronovius, paris, 1804.

396. Meouak Mohamed, «**Remarques sur la genèse du peuplement antique et médiéval du Maghreb: l'apport de la toponymie et de la philologie**», l'apport de la toponymie et de la philologie, Rocznik Orientalistyczy, LXVI, Z. 1, 2013.

397. «**La langue berbère au Maghreb médiéval Textes, contextes, analyses**», brill, 2015.

398. «**Le Hodna occidental entre régions méditerranéennes et plaines désertiques: organisation des terroirs, communautés rurales et productions agricoles au Moyen Âge**», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126, 2009.

399. **Les Ziban entre Aurès et Sahara. Une Géographie Historique de Biskra et de ses oasis du Moyen Âge à la fin de l'époque moderne**, Helsinki, Academia Scientiarum Fennica, 2017.

400. Modéran Yves, «**Botr et Branès: sur les origines du dualisme berbère médiéval**», dans Mutations d'identités méditerranéennes, Ed Bouchène, Paris, 2000.

401. **Les Maures et l'Afrique Romaine (IVe-VIIe siècle)**, Rome, École Française de Rome, 2003.
402. Morizot Pierre, «**Pour une nouvelle lecture de l'elogium de Masties**», Antiquités africaines, 25,1989.
403. Mrabet Abdelatif, «**l'état économique de l'Afrique byzantine d'après les récits des chroniqueurs arabes**», Africa XIII, 1995.
404. Noël Duval, «**Sufetula : l'histoire d'une ville romaine de la Haute Steppe à la lumière des recherches récentes**», L'Afrique dans l'Occident romain (Ier siècle av. J.-C. - IVe siècle ap. J.-C.), Actes du colloque de Rome (3-5 décembre 1987) Rome : École Française de Rome, 1990.
405. «**Inscriptions byzantines de Sbeitla (Tunisie)**», III. In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité, tome 83, n°2. 1971.
406. Norris Harry, **The Berbers in Arabic Literature**, London: Longman; Beirut, Librairie du Liban, 1982.
407. Özükan Bülent, **Tabula peutingeriana**, MMXVII, Costantinople, Turkey, 2000.
408. Paul Lovejoy, «**Islam, slavery, and political transformation in West Africa : constraints on the trans-Atlantic slave trade**», Outre-mers, 89, n°336-337, 2002.
409. Poncet Jean, «**Le mythe de la "catastrophe" hilalienne**», Annales. Economies, sociétés, civilisations. 22e année, N. 5, 1967.
410. Populus Vbique, **Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 av. J.-C. – 235 ap. J.-C.)**, Préface de Marcel Le Glay, Éditions du Centre National dela Recherche Scientifique, Paris,1977.
411. Prevost Virginie , «**L'Ibadisme berbère La légitimation d'une doctrine venue d'Orient**», La Légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval De l'orientalisation à l'émancipation politique, Etudes réunies par A. Nef et E. Voguet, Casa de Velazquez, V. 127, Madrid, 2011.
412. «**Abd al-Raḥmān ibn Rustum al-Fārisī. Une tentative de biographie du premier imam de Tāhart**» (Der Islam), 86, 2011.
413. «**Ibāḍisme et ṣufrisme dans le Maghreb central**», Histoire générale de l'Algérie. L'Algérie médiévale, Zaytūn, 2014.
414. «**La formation des réseaux ibadites nord-africains (VIIIe-XIIe siècle)** (in Damien COULON, Christophe PICARD et Dominique VALÉRIAN (dir.), Espaces et réseaux en Méditerranée VIe-XVIe siècle, vol. II, La formation des réseaux, Paris, Éditions Bouchène, 2010.

415. «**Des églises byzantines converties à l'islam ? Quelques mosquées ibadites du djebel Nafûsa (Libye)**», Revue de l'histoire des religions (229), 3, 2012.

416. «**Les dernières communautés chrétiennes autochtones d'Afrique du Nord**», Revue de l'histoire des religions, 4, 2007.

417. Procope, **Histoire de la guerre des Vandales**, traduit par Léonor de Mauger, libraire juré, paris, 1670.

418. Raymond Mauny, **Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age, d' après les sources écrites**, la tradition et l'archéologie, Dakar, 1961.

419. Richard Bulliet Desaive Jean-Paul W., «**Botr et Beranès : hypothèses sur l'histoire des Berbères**», Annales. Economies, sociétés, civilisations. 36e année, N. 1, 1981.

420. Roger Idris Hady, «**L'invasion hilalienne et ses conséquences, Cahiers de civilisation médiévale**», 3, 1968.

421. Rouighi Ramzi, «**Berberization and Its Modern Artifacts**», Storica 67-68.

422. «**La berbérisation et ses masques : le peuple berbère en question (VIIe Xe siècle»**, Les Berbères entre Maghreb et Mashreq (VIIe-XVe siècle), Madrid, Casa de Velázquez, 2021.

423. «**The Andalusi Origins of the Berbers**», Journal of Medieval Iberian Studies 2, 2010.

424. «**The Berbers of the Arabs**», Studia Islamica, n.s, 2011.

425. «**The Mediterranean between Barbaria and the Maghrib: Questions for a Return to History**»,al-Masāq: Journal of the Medieval Mediterranean, 2019.

426. Inventing the Berbers : History and Ideology in the Maghrib University of Pennsylvania Press, 2019.

427. Rozmus Dariusz, «**A More Precise Dating of the as-Saqaliba Rebellion in the Medieval Maghrib**», Folia Orientalia, 32, 1996.

428. Salah Abidi, «**Le rôle des ribāts dans la protection des ports et des mouillages en Ifrīqiya au Moyen Âge**», Presses Universitaires de Provence Aix-Marseille Université, 2021.

429. Salem Chaker, «**Données sur la langue berbère à travers les textes anciens**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, 31, 1981.

430. Sebastián Aguilar Victoria, «**tribus árabes en el magreb en época almohade**», 1152-1269, Tisis doctoral, Universidad Complutense de Madrid, Madrid, 2012.

431. Shatzmiller Maya, «**Le mythe d'origine berbère (aspects historiques et sociaux)**», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, 1983.

432. Silvio Moreno, «**Sbeitla, la splendeur de la chrétienté africaine**». Dossier d'Histoire et Archéologie chrétienne, Tunis, 2020.

433. Strabon, **Géographie**, XVII, trad. B. Laudenbach, Paris, 2014, 3.

434. Touati Houari, «**Entre érudition et colonisation, de Slane éditeur et traducteur d'Ibn Khaldoun (1840-1868)**», Actes du colloque Ibn Khaldoun et sa réception, 2006, Alger.

435. Touxier Henri, «**Note sur les variations de sens des mots Berber, Roum, Afarek, Beranès, Botr, Mazigh, et Frank**», Revue Africaine, 23, 1879.

436. Trabelsi Salah, «**Réseaux et circuits de la traite des esclaves aux temps de la suprématie des empires d'Orient Méditerranée, Afrique noire et Maghreb (viiie-xie siècles)**», Les esclavages en méditerranée Espaces et dynamiques économiques, Casa de Velázquez, Madrid, 2013.

437. Vanacker Wouter, «**Ties of resistance and cooperation. Aedemon, Lusius Quietus and the Baquates**», Mnemosyne, 2013.

438. Voguet Élise , «**Chefs de tribus et murâbitûn: des élites rurales du Maghreb médiéval ?**», Mélanges de l'École Française de Rome - Élites rurales méditerranéennes au Moyen âge.

439. «**Islamisation de l'intérieur du Maghreb : les fuqahâ' et les communautés rurales**», Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée, 126, 2009.

440. **Le monde rural du Maghreb central (XIVe-XVe siècles). Réalités sociales et constructions juridiques d'après les Nawâzil Mâzûna**, Paris, Publications de la Sorbonne, 2014.

441. Walter kaegi, **Muslim Expansion and Byzantine Collapse in North Africa**, Cambridge, 2010.

442. Yahiaoui Nora. «**Les Confins occidentaux de la Maurétanie Césarienne. Sciences de l'Homme et Société**», Ecole pratique des hautes études - EPHE PARIS, 2003.

443. Youval Rotman, «**Les Esclaves et l'Esclavage : De la Méditerranée antique à la Méditerranée médiévale -VIe - XIe**», Les Belles lettres, paris, 2004.

444. Zeidan Adam, "**Ghuzz, Oghuz**", **Oguz History**, Empire, Turkic peoples – Encyclopedia, https: //w w w. britannica.

خامسا– الكتب الجماعية والمقالات:

445. أحمد علي مسعد، **دور اليمانيين في قيام الدولة الأموية**، مج2، ع3، رؤى في الآداب والعلوم الانسانية، بسكرة، الجزائر، 1441هـ/2020م.

446. أزايكو علي صدقي، **النسب والتاريخ وابن خلدون**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، عدد11، 1405هـ/1985م.

447. الباهي أحمد، **القيروان في كتاب آكام المرجان لإسحاق بن الحسين المنجم(منتصف القرن 4هـ/10م)**، مقال ضمن كتاب: دراسات في تاريخ القيروان، تنسيق: نجم الدين الهنتاتي وميكلوش مرواني، منشورات مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان، 1429هـ/2009م.

448. **القيروان في نهاية العهد الحفصي من خلال مناقب أبي القاسم المسراتي**، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ج2، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1431هـ/2010م.

449. **المحرس في العصر الوسيط من القصر إلى القرية**، مجلة إفريقية، ع23، وزارة الثقافة، تونس.

450. **باشو أو باشوا تحقيق في اسم إحدى عواصم إفريقية وإحدى كورها في العصر الوسيط المتقدم**، مقال ضمن كتاب: دراسات في التراث المكتوب، المركز الوطني لفنون الخط، تونس، 1438هـ/2017م.

451. **معركة ماواس في العصر الفاطمي (شمال غرب توزر) في العصر الفاطمي**، مقال ضمن كتاب: التعمير في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، سوسة، 1438هـ/2017م.

452. براص محمد، **صورة البادية المغربية عند الإخباريين المغاربة الناصري أنموذجا، مقال ضمن كتاب: المجال البدوي المغربي الخصوصيات والتحولات**، ط1، مكتبة دار السلام، الرباط، 1427هـ/2007م.

453. بنمليح عبد الإله، **تهميش الرقيق في بلاد المغرب والأندلس في العصر الوسيط الفعل ورد الفعل**، مقال ضمن كتاب: دراسة في المجالات الاجتماعية المهمشة وتاريخ المغرب، ط1، مطبعة force équipement، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1432هـ/2011م.

454. بوتشيش إبراهيم القادري، **مسألة العبيد في المغرب والأندلس خلال عهد المرابطين**، مقال ضمن كتاب: الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1416هـ/1995م.

455. بوجاه صلاح الدين، **القيروان من التاريخ إلى الجغرافيا**، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ج1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1431هـ/2010م.

456. بوخشيم النوري، **ملاحظات أولية حول التعمير ببلاد نفزاوة**، مقال ضمن كتاب: نفزاوة (الجنوب الغربي التونسي) تاريخ وتراث، مركز النشر الجامعي، تونس، دت.

457. بوسعيد أحمد، **البارون دي سالان (1801-1879م) وحركة نشر المخطوط الجزائري**، مجلة رفوف، ع11، مارس 1439هـ/2017م.

458. بيار ديري، **علم الأنساب**، مجلة الدوحة، الرباط، ع3، 1417هـ/1997م.

459. جدلة إبراهيم، **المجموعات القبلية البدوية وتأثيرها على الحياة الاجتماعية والسياسية بإفريقية أثناء العهد الحفصي**، مقال ضمن كتاب أعمال الملتقى الدولي الثاني: القبيلة-المدينة-المجال في العالم العربي الإسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1434هـ/2013م.

460. جهيدة مهنتل، **قبائل البوار إمارة مورية في مواجهة الاحتلال الروماني خلال القرن الثالث الميلادي**، مجلة الباحث، مج14، ع1، 1444هـ/2022م.

461. جهيدة مهنتل، **قبائل البوار في المغرب القديم على ضوء المصادر والنقوش اللاتينية**، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، ع18، 1436هـ/2014م.

462. دغفوس راضي، **الحضور اليماني في إفريقية (البلاد التونسية) والقيروان في القرون الأولى للهجرة**، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ج2، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1431هـ/2010م.

463. **دور القبائل الهلالية والسليمية في التعريب والأسلمة في إفريقية وبلاد المغرب في أواخر العهد الوسيط**، مقال ضمن كتاب: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العهد الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1436هـ/2015م.

464. **معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي**، مجلة الكراسات التونسية، ع169-170، تونس، 1416هـ/1995م.

465. دوفيس جان، **التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا**، مقال ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، ط2، المكلس، لبنان، 1417هـ/1998م.

466. ذهبية سي الهادي، **الملوك النوميد وعلاقتهم بالرومان**، مجلة الحوار المتوسطي، مج10، ع3، 1440هـ/2019م.

467. سعيد محمد، **تعريب النخب الأفريقية**، مقال ضمن كتاب: الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب وفي المشرق في العهد الوسيط، المنعقد بتونس في 26-27-28 أفريل، 2012م، منشورات جامعة تونس، 1433هـ- 2012م.

468. سعيودني ناصر الدين، **المسألة البربرية**، مجلة عالم الفكر، ع4، مج32، جمادى الأولى 1425هـ/جويلية 2004م.

469. الشريف محمد، **الهجرات الهلالية من خلال بعض الكتابات الفرنسية المعاصرة**، مقال ضمن كتاب أعمال ندوة: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق شمال إفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، 1425هـ /2004م.

470. الطاهيري أحمد، **إمارة بني صالح في بلاد نكور**، قر: محمد أونيي، مجلة حوليات الريف، ع2، المغرب، 1420هـ/2009م.

471. الطويل حجاج محمد، **عودة إلى القبائل الهلالية**، مجلة أمل، ع2، 1412هـ/1992م.

472. الطويلي أحمد، **الصحابة بالقيروان**، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1431هـ/2010.

473. العبادي أحمد مختار، **الصقالبة في إسبانيا**، المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد، 1372هـ/1953م.

474. العرباوي محمد المختار، **الهجرات القديمة إلى شمال أوروبا**، ، مقال ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق افريقيا قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره، ط1، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1425هـ/2005م.

475. عرعار مراد، **ملاحظات حول الفرس والخراسانيين بالقيروان وإفريقية خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة**، مقال ضمن كتاب: إشعاع القيروان عبر العصور، ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1431هـ/2010.

476. **مسكيانة في العصر الوسيط**، مقال ضمن كتاب أعمال الندوة الدولية الثامنة: المدن والآثار الحضرية ببلاد المغرب والمتوسط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القيروان، 1430هـ/2009م.

477. **مصادر الماء والمنشآت المائية بمدينة شقبنارية**، مقال ضمن كتاب أعمال الندوة الدولية الثالثة: الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1430هـ/2009م.

478. **ملاحظات أولية حول التوطن بجبل أسرو**، مقال ضمن كتاب: التوطن والمجال والثقافة المادية في المجال المتوسطي، معهد الآثار، القيروان، د ت.

479. عطية كيحل البشير، **قرطاجة والممالك النوميدية دراسة في الأصول التاريخية (من القرن 12 ق.م إلى 146 ق.م)**، مجلة الدّراسات التاريخية، مج 21، ع1، 1442هـ/2020م.

480. علواني صالح، **موقعة سبيبة 457هـ/1065م حيدران الجديدة**، نشر ضمن كتاب أعمال ملتقى القصرين ذاكرة وتاريخ، تونس، 1430هـ/2009م.

481. عمارة علاوة، **أبو المهاجر دينار بين الروايات العربية والقراءات الغربية صور وأبعاد**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع11، 1431هـ/2010م.

482. **أسلمة بلاد المغرب الأوسط: محاولة في التحقيب والآليات**، الملتقى الدولي السابع حول الأسلمة والتعريب في المغرب وفي المشرق في العهد الوسيط، المنعقد بتونس في 26-27-28 أفريل، 2012م، منشورات جامعة تونس، 1433هـ- 2012م.

483. **التحولات المجالية والطبونيمية لبلاد الزاب من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الهجري الثامن/الرابع عشر الميلادي**، مجلة تراث الزيبان، بسكرة، الجزائر، 1438هـ/2016م.

484. **الكتابة التاريخية في الغرب الاسلامي الوسيط**، مجلة التاريخ العربي، ع 32، 1425-2004م.

485. **المذهب المالكي في الغرب الإسلامي من خلال دراسة جديدة**، مقال ضمن كتاب: دراسات وبحوث مغربية مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 1428هـ/2008م.

486. **الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب**، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع10، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة، 1430هـ/2009م.

487. **الهجرة الهلالية وإشكالية انحطاط حضارة الغرب الإسلامي الوسيط**، قراءة في نقاش تاريخي مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة كلية الآداب والحضارة الإسلامية ع4، 1424هـ/2004م.

488. **الهجرة ودورها في تشكيل التركيبة الاجتماعية للمجالات الكتامية (ق1-8هـ/7-14م)**، مقال ضمن كتاب: الهجرات والتحركات البشرية ببلاد المغرب وامتداداتها الراهنة، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، 1444هـ/2023م.

489. **موقع تلمسان من كرونولوجيا انتشار الاسلام في بلاد المغرب ق2-6هـ/8-12م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات (دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الاسلامي الوسيط)**، 1434هـ/2013م.

490. العيوض سيدي محمد، **العبيد المعتقون والمعتقون ومساهمتهم في الحياة العامة في شمال إفريقيا خلال العصر القديم**، مقال ضمن كتاب: التاريخ والمجال والمجتمع والثقافة بالمغرب مقاربات متقاطعة، تن: رشيد يشوتي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1440هـ/2018م.

491. غديري فتيحة وشلالقة السعيد، **الجيتول أحد شعوب بلاد المغرب القديم في المصادر الرومانية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج15، ع2، 1443هـ/2022م.

492. الغضبان محمد، **النقود الإسلامية في القرن الأول للهجرة قراءة جديدة في أسباب تأخر التعريب والأسلمة**، مقال ضمن كتاب: الأسلمة والتعريب في المغرب والمشرق في العصر الوسيط،

493. قويدر بشار، **القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة وآثارها)**، مقال ضمن كتاب: طريق القوافل، منشورات المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطابع عمار قرفي، باتنة، 1421هـ/2001م.

494. اللبار محمد، **الموقف الموري من الزحف الوندالي سنة 429م**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، فاس، 1420هـ/2000م.

495. لعياضي حفيظة، **القبيلة والمغرب الروماني**، مجلة دراسات تراثية، مج7، ع1، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، 1439هـ/2017م.

496. ليفيتشكي تاديوش، **دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب**، مقال ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، ط2، المكلس، لبنان، 1417هـ/1998م.

497. مجاني بوبة، **القيروان وفقهاء الدولة الحمادية**، مقال ضمن كتاب أعمال ندوة دولية: إشعاع القيروان عبر العصور، ج1، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1431هـ/2010م.

498. محمود خالد حسين والدومي كريمة عبد الرؤوف، **الصقالبة في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي (296-362هـ/909-973م)**، مقال ضمن كتاب: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وتاريخ الذهنيات بالمغرب والأندلس قضايا وإشكالات، ط1، ج2، مطبعة شمس برينت، سلا، المغرب الأقصى، 1441هـ/2020م.

499. محمود خالد حسين، **الرقيق والنشاط الحرفي ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام**، مجلة الإنسان والمجال، ع5، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير، البيض، 1439هـ/2017م.

500. مسعي عبد الحق، **دور منطقة سطيف في مقاومة الاحتلال الروماني خلال القرن الرابع الميلادي،** الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف، دار بهاء الدين، قسنطينة، 1432هـ/2011م.

501. المغراوي محمد، **الهجرة العربية الكبرى إلى المغرب الأقصى في عهد يعقوب المنصور الموحدي،** مقال ضمن كتاب: التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق افريقيا قبل ظهور الاسلام وبعد ظهوره، ط1، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، 1425هـ/2005م.

502. منصوري محمد الطاهر، **ملامح بعض الفئات الاجتماعية بإفريقية في العهد البيزنطي (533-709)،** مقال ضمن كتاب: المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1419هـ/ 1999م.

503. المنوني محمد، **ثقافة الصقالبة،** مجلة المناهل، ع31، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 1405هـ/1984م.

504. النوري نور الدين، **أرباض واحة نفطة خلال العصر الوسيط،** الحوار المتوسطي، مج 12، ع13، 1438هـ /2017م.

505. الهطاي علي، **الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي،** دراسة في تطور المجالات والمواقع، مجلة المواقف، ع12، 1438هـ/2017م.

506. وابل محمد وآخرون، **الطقوس والممارسات الدينية في مدينة أولاد ميمون (ألتافا) من القرن الثاني إلى السادس ميلاديين،** مجلة أنثروبولوجية الأديان، ج17، ع01، تلمسان، 2021/1442م.

507. يوسف عيبش، **مقاومة المور خلال القرن 6م دراسة نموذجية لأمرين نومديين،** مجلة المعالم، ع10، ربيع الأول 1430هـ/مارس2009م.

سادسا– الرسائل الجامعية:

508. بخوش زهير، **التركيبة البشرية لمجتمع الريف الأوراسي أثناء الاحتلال الروماني –دراسة تحليلية ومقاراناتية مع أسماء أفراد مجتمعات المراكز الحضرية الرومانية بـ"أوراس"**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد المصطفى فيلاح، جامعة الجزائر 2، 1438هـ/2017م.

509. بن النية رضا، **أشراف المغرب الأوسط خلال العصر الزياني 633-962هـ/1236-1555م،** أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة، 1439هـ/2018م.

510. بن الذيب عيسي، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (480-540هـ/ 1050-1145م)،** أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد شريفي، جامعة الجزائر، 1428هـ/2008م.

511. بن ساعو محمد، **الحضور الهلالي في المغرب الأوسط وأثره في النشاط الزراعي والحرفي والتجاري بين القرنين 5-7هـ/11-13م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: الطاهر بونابي، جامعة المسيلة، 1444هـ/2022م.

512. بن عميرة لطيفة بشاري، **الرق في بلاد المغرب الإسلامي من الفتح إلى رحيل الفاطميين (1-4هـ/7-10م)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: بوبة مجاني، جامعة الجزائر، 1428هـ/2008م.

513. بن فرج لطفي، **القيسية في القرنين الأول والثاني للهجرة**، أطروحة دكتوراه، إشراف: راضي دغفوس، جامعة تونس، 1420هـ/2000م.

514. بوبيدي حسين، **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي من ق:5-10هـ/11-16م دراسة في تفاعل المؤثرات السودانية والمغربية**، أطروحة دكتوراه، إشراف: إسماعيل سامعي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1441هـ/2020م.

515. خالدي عبد الرزاق، **دور الطرق التجارية في إنشاء المدن بالمغرب الأوسط في العهد الوسيط مدينة وارجلان أنموذجا**، رسالة ماجستير، إشراف: عز الدين بويحياوي ومحمد نجيب خالف، جامعة الجزائر، 1430هـ/2009م.

516. دحروج إلهام حسين، **مدينة قابس من الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية حوالي 442-665هـ/1051-1247م**، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد بركات البيلي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1421هـ/2000م.

517. دريسي سليم، **البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال والعمارة الدفاعية**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد البشير شنيتي، جامعة الجزائر، 1430هـ/2008م.

518. ساحلي آسيا، **مكانة التاريخ في الحقول المعرفية في بلاد المغرب الاسلامي في نهاية العصر الوسيط قـ8 - 10هـ/14-16م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1441هـ/2019م.

519. زياني الصادق، **الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من نهاية الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن 9هـ**، أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1440هـ/2019م.

520. طويل الطاهر، **الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط (ق 2-10هـ/8-16م) الأوراس أنموذجا – دراسة في المجال والعمران والمسالك**، أطروحة دكتوراه، إشراف: علاوة عمارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1441هـ/2020م.

521. طويل عماد، **المور والتحولات السياسية والعسكرية في المغرب القديم خلال الفترتين الوندالية والبيزنطية، أطروحة دكتوراه**، إشراف: بلقاسم رحماني، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، 1439هـ/2018م.

522. غرزول عفاف، **اللصوصية في المغرب الأوسط 5-9هـ/11-15م دراسة اجتماعية**، أطروحة دكتوراه، إشراف: إبراهيم بن مهية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، 1444هـ/2023م.

523. المجالي أحمد حامد عودة، **الصقالبة ودورهم السياسي والثقافي في الأندلس**، أطروحة دكتوراه، إشراف: تقي الدين عارف الدوري، جامعة مؤتة، الأردن، 1428هـ/2008م.

524. نوارة شرقي، **الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين (524-667هـ/1126-1267م)**، رسالة ماجستير، إشراف: عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، 1429هـ/2008م.

الفهارس

أولا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيا: فهرس الأحايث النبوية.

ثالثا: فهرس الأشعار.

رابعا: فهرس الأعلام.

خامسا: فهرس الأماكن.

سادسا: فهرس الطوائف.

سابعا: فهرس القبائل والمجموعات البشرية.

ثامنا: فهرس المحتويات.

أولا: فهرس الآيات القرآنية			
نص الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
"أَلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ".	الروم	01	115
"وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا".	الفرقان	38	175
"وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ".	يوسف	100	277
"يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا".	الأحزاب	20	277
"وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ".	التوبة	90	279
"الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".	التوبة	97	279
"وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".	التوبة	98	279
"وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".	التوبة	99	279
"وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ".	التوبة	101	279
"لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ".	التوبة	120	279
"يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا".	الأحزاب	20	279
"سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا".	الفتح	11	279
"قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا".	الفتح	16	279

"قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ".	الحجرات	14	279

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية	
نص الحديث	**الصفحة**
يا محمد أوصيك بتقوى الله وبالبربر، فهم الذين "يحيون دين الله بعد إذ يموت ويجددونه بعد إذ يبلى...	67
المنستير باب من أبواب الجنة يقال له الأنف ودونه قنطرة من قناطر الأولين...	68
سوف يقتل بها رجال من أمتي على الجهاد في سبيل الله، ثوابهم ثواب أهل بدر، وأهل أحد، والله ما بدلوا حتى ماتوا، واشوقاه إليهم...	75
قسّم الله تعالى الخبث على سبعين جزءا فجعل البربر تسعة وستين جزءا والثقلين جزءا واحدا	75
الْخُبْثُ سَبْعُونَ جُزْءًا، فَجُزْءٌ فِي الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَتِسْعَةٌ وَسِتُّونَ فِي الْبَرْبَرِ...	76
إنّ لله فرسانا في السماء...	81
إنّ لله أنصارا ولذريتي، فأنصاري الأنصار الذين آووا ونصروا، وأنصار ذريتي البربر آووهم وبروا وأكرموا...	81
لا تجاوزوا معد بن عدنان، كذب النسابون ثم تلا:" وقرونا بين ذلك كثيرا"...	175
من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل، ومن اتبع السلطان افتتن...	392
لا يبيعن حاضر لباد دعوا الناس يرزق بعضهم بعضا...	392

ثالثا: فهرس الأشعار	
صدر البيت	**الصفحة**
عبيـــــد قرلة شرّ البرايـــــا	74
يا سرت لا سُرَّت بك الأنفس	74
بربرت كنعـــان لمـا سقـــتا	86
أَفْرُسَانُ قَيْسٍ مِنْ هِلَالٍ بنِ عَامِـــرٍ	313

رابعا: فهرس الأعلام:

– حرف الألف –

- إبراهيم الأغلبي: 237.
- إبراهيم العربي: 108.

- إبراهيم بن الأغلب: 254-262.
- ابن أبي الصلت: 317.
- ابن الأغلب: 164.
- ابن الجارود: 162-214-236.
- ابن الزحامس: 312.
- ابن رشيق: 317-319.
- ابن زيان: 312.
- ابن شرف: 317-319.
- ابن معرف: 312.
- ابن ميسرة: 255.
- ابن وردة العجمي: 169.
- أبو إبراهيم الخراساني: 167.
- أبو إبراهيم بن العربي: 168.
- أبو إبراهيم بن العربي: 76.
- أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد: 254.
- أبو الخطاب بن عبد الأعلى بن السمح المعافري: 161-181-182.
- أبو الخطاب محمد علي الكندي: 186.
- أبو الفضل بن مخلد الفارسي الحذا: 168.
- أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي: 219.
- أبو المهاجر بن دينار: 166-179-190-195-196-197-198-199-234.
- أبو الهيثم اللؤلؤي خالد بن يزيد الفارسي: 167.
- أبو اليقظان: 156-262.
- أبو جعفر المنصور: 146.
- أبو جعفر الناصر: 160.
- أبو جعفر محمد بن خيرون: 255.

- أبو حاتم الإباضي: 161.
- أبو خنزير: 255.
- أبو ربيعة بن نهيك: 285-286.
- أبو زكريا يحيى بن سليمان الخراز الحفري الفارسي: 168.
- أبو زمعة البلوي: 192.
- أبو عامر: 262.
- أبو عبد الله الشيعي(المهدي): 255-256-262-264-272.
- أبو عبد الله بن محمد الأموي: 256.
- أبو عبد الله عكرمة: 166.
- أبو عبد الله مالك بن المنذر الكلبي: 179.
- أبو عبد الله محمد بن خراسان: 168.
- أبو عبد الملك الملشوني: 155-167.
- أبو عبيد عبد الحميد الجناوي: 182.
- أبو عرفة: 312.
- أبو علي الضرير: 255.
- أبو علي بن شقران: 168.
- أبو عمر ميمون: بن عمرو المغلوب: 255.
- أبو عياش أحمد بن موسى بن مخلد: 197.
- أبو عيينة بن عيينة بن المهلب: 179.
- أبو غانم بن بشر بن غانم الخراساني: 165-167.
- أبو قطران: 312.
- أبو كريب القاضي: 75-76.
- أبو محمد التجاني: 292.
- أبو مدين شعيب: 258.
- أبو هيثم اللؤلؤي: 165.

- أبو يزيد النكاري: 119.
- أبو يزيد النكاري: 272.
- أبو يعقوب بن يوسف: 268.
- أبو يعقوب عبد المؤمن: 313-314.
- أبو يوسف بن يعقوب: 270.
- أبو يوسف يعقوب الموحدي: 314.
- أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي: 168.
- إدريس بن عبد الله: 216.
- الأذفونش: 256.
- إسحاق بن إبراهيم بن عبدوس: 155-168.
- إسحاق بن عبد الملك الملشوني: 167.
- أسد بن الفرات الخراساني: 167.
- أسد بن الفرات: 158.
- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر: 166.
- أغاثوليكس: 6.
- الأغلب بن سالم التميمي: 216.
- أفريقش بن قيس بن صيفي: 39-53-57-86-96-103-104.
- أفلح بن عبد الوهاب: 271.
- الإمام المهدي: 264.
- أوريليوس: 18.
- إياد بن معد: 211.
- إيثار المنيذر الإفريقي: 177.
- أيمن: 261.
- باديس بن منصور بن يوسف بن بلكين بن زيري: 273.
- بر بن قيس بن عيلان: 39-53-58-72-82-89.

- بشر بن أرطأة: 207-229.
- بشر بن صفوان: 235.
- بلاغ: 261.
- بلكين بن زيري: 285.
- بلكين بن محمد: 300.
- بهاء الدين قراقوش المظفري: 268.
- بهتة بن سليم: 292-293.
- البهلول بن راشد: 77-108-167.
- بوخوس الأول: 10.
- تاغانيم: 20.
- تميم بن طابخة: 237.
- جالوت: 41-56-73-82-83-105.
- جان: 169.
- جبلة بن عمرو الأنصاري: 194.
- جريجوار: 54-129-133-225-227.
- جون تروقيليتا: 11.
- جيليمار: 101.
- الحارث بن تليد الحضرمي: 182.
- حام بن نوح: 41-54-56-79-81-266.
- حامد بن حمدان الهمذاني: 169.
- حباس بن الرومية: 312.
- حسان بن النعمان: 41-43.
- حسان بن النعمان: 64-114-133- 149- 187-189-190-201-202-203-204.
- الحسن بن أحمد بن علي بن كريب: 218.
- الحسن بن سرحان الدريدي: 301.

- الحسن بن سعيد: 292.
- حصين بن زغبة: 286.
- حضيض بن المنذر: 211.
- حميد بن عبد الله العكي: 182.
- حنش بن عبد الله الصنعاني: 192-196-205.
- خالد بن يزيد القيسي: 214.
- خلف بن السمح المعافري: 182.
- خلوف بن طاهر الباسومي الفارسي: 168.
- الخليفة المنصور: 161.
- داود بن يحي الصوفي: 168.
- ديفل بن ميمون: 312.
- ديون كاسيوس: 29.
- رباح بن يازيد: 255.
- روجار الصقلي: 137-310.
- رويفع بن ثابت الأنصاري: 192-195.
- ريان: 261.
- زاهر بن حرام: 281.
- زرعة بن أبي مدرك: 207.
- زغب بن نصر: 292.
- زهير بن قيس البلوي: 189-190-199-200-201-202.
- زيادة الله الأغلبي:
- زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب: 183-216-262-271.
- زين الدين يوزبا الغازي: 269.
- سام بن نوح: 53-54-56-79.
- سحنون: 281.

- سعيد بن صالح: 265.
- سلمان بن محمد الفارسي الفرياني: 167.
- سليم بن منصور: 289.
- سليمان بن عبد الملك: 236.
- سليمان بن عبد الملك: 263.
- سليمان بن يسار: 194.
- سيفاكس: 7-8.
- السيوري: 296.
- شاه مالك الغازي: 268.
- شعبة: 285.
- شفاء: 261.
- الشيخ ماكسن: 253.
- صابر: 261.
- صافي الإكريكي: 71.
- صالح بن منصور الحميري: 185.
- صقلاب بن زيد الهمذاني: 167.
- صندل الفتى: 256.
- طارق 261.
- طلق بن خابان الفارسي: 166.
- عامر بن نافع المذحجي: 183.
- عباس بن الوليد الفارسي المحدث: 167.
- عبد الجبار الخراساني: 168.
- عبد الجبار بن قيس المرادي: 182.
- عبد الرحمن الداخل: 101.
- عبد الرحمن السلمي القيسي: 235.
- عبد الرحمن بن حبيب الفهري: 165-182-213-214-215-246.

- عبد الرحمن بن رستم الفارسي: 166-182.
- عبد الرحمن بن عمر النفوسي: 253.
- عبد الرحمن بن محمد بن عمران: 166.
- عبد الرحمن بن يزيد التاجر الفارسي: 166.
- عبد الرحيم المستجاب: 168.
- عبد الرزاق بن عبدان المولود: 181.
- عبد العزيز بن مروان: 205.
- عبد الله بن الأغلب: 217.
- عبد الله بن الزبير: 193.
- عبد الله بن أمير: 254.
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح: 133-178-220-224-227-228-229.
- عبد الله بن سهل القبرياني: 166.
- عبد الله بن عباس: 226.
- عبد الله بن عطية الفارسي: 168.
- عبد الله بن علي: 288.
- عبد الله بن عمرو بن العاص: 226.
- عبد الله بن فروخ الفارسي: 165-167.
- عبد الله بن مسعود التجيبي: 177-182.
- عبد الله بن نافع بن الحصين: 228.
- عبد الملك بن أبي كريمة: 166.
- عبد الملك بن مروان: 192-193-199-202-203.
- عبد المؤمن بن علي: 258-310-312.
- عبد الوهاب بن أفلح: 77.
- عبد الوهاب بن رستم: 253.
- عبد بن عبد العزيز: 300.

- عبد مناف: 285.
- عبيد الله بن الحبحاب: 166.
- عبيد الله بن الحبحاب: 214-215.
- عبيد بن عبد الرحمن السلمي: 213.
- عثمان بن صالح: 127.
- عثمان بن عفان: 224.
- عدنان بن أد بن أدد: 175-210.
- عدي بن عمرو بن الحارث: 57.
- العزيز بالله نزار: 289.
- عطية الجماجري: 108.
- عقبة بن نافع: 41-75-142-194-195-197-199-214-220-222-228-230-231-233-234.
- علي بن زياد التونسي: 166.
- علي بن يوسف تاشفين: 256.
- عمر بن الخطاب: 156-222.
- عمر بن حفص بن قبيصة: 180.
- عمر بن عبد الله المرادي: 235.
- عمر بن علي بن قريش: 233.
- عمرو بن العاص: 42-68-111-114-189-214-220-221-222-223-228.
- عمرو بن معاوية: 217-238.
- عيسى بن مسكين بن منصور بن جريج: 168.
- عيسى بن موسى الخراساني: 165.
- غايا: 3-6.
- غسان بن سبأ: 58.
- فاروق بن بيصر بن حام بن نوح: 57-127-128.
- فاييم: 20.
- الفضل بن روح بن حاتم: 162-179.

- القاسم بن علناس:177.
- قحطان بن يشجب: 175.
- قراقش: 290.
- قنص بن معد: 211.
- قيس عيلان: 211.
- الكاهنة: 43.
- كلثوم بن عياض القشيري: 215.
- كليب أبي عثمان الفارسي: 166.
- كنعان بن حام: 57-58-72-82.
- كوتزيناس: 37.
- كيسان الفارسي: 169.
- مادغيس الأبتر: 88-92.
- ماريوس: 29.
- ماستياس: 35-36.
- ماسمول: 20.
- ماسونا: 33-34.
- ماسينيسا: 3-6-7-27-28.
- مالك بن أنس: 281.
- محمد بن الأشعث: 152-160-161.
- محمد بن الأقلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي: 157.
- محمد بن الفاسي: 162.
- محمد بن إبراهيم بن عبدوس: 168.
- محمد بن جعفر الفارسي الدراق: 168.
- محمد بن زرقون (ابن الطيارة): 168.
- محمد بن سعيد بن مرذنيش: 314.

- محمد بن عبد العزيز بن يحيى: 167.
- محمد بن يزيد الفارسي: 169.
- محمد بن يزيد القرشي: 214-235.
- مرداس بن رياح: 297.
- المستنصر: 306.
- مسعود: 261.
- مسلم بن مخلد الأنصاري: 191-195-196.
- مضر بن نزار بن معد بن عدنان: 175.
- مظفر: 264.
- معاوية بن أبي سفيان: 193-196.
- معاوية بن أبي سفيان: 230-232.
- معاوية بن حديج السكوني: 190-191-192-194-195.
- المعتضد بالله: 271.
- المعز بن باديس: 295-296-296-298-321.
- المعز بن زيري: 253.
- المعز لدين الله الفاطمي: 266-272.
- المغيرة بن بشر بن روح بن حاتم: 179.
- المنصور الطنبذي: 183-215-216-237.
- المنصور: 264-264.
- المنصور: 287-288-293-314.
- المهدي بن تومرت: 309.
- المهنا بن المخارق بن غافر الطائي: 165.
- موسى بن عباس القيسي: 218.
- موسى بن نصير: 64-166-189-190-206-207-208-209.
- موسى بن يحيى الصنبري: 287.

- مؤنس بن يحي: 297.
- ميسور: 261.
- ميمور: 18.
- نارافاس: 6.
- ناصر بن خفاف: 292.
- الناصر بن علناس: 298-299-300.
- نزار بن معد: 211.
- نفاث بن نصر: 77.
- نهيك: 285.
- نوح عليه السلام: 251-266.
- هادرياونس: 15-17.
- هارون الرشيد: 237.
- هانبيل: 24.
- هرثمة بن أعين: 216.
- هشام بن عبد الملك: 215.
- هشام بن عبد الملك: 235.
- هلال بن عامر: 285.
- واضح: 261.
- يابداس: 36.
- يافث بن حام: 266.
- يافث بن نوح: 56-79.
- يحي بن إسحاق الميورقي: 290.
- يحي بن تميم: 268.
- يحي بن عبد العزيز: 310.
- يحي بن علاق: 291.

- يزيد بن أبي مسلم دينار: 166-214.
- يزيد بن حاتم بن قبيصة: 152-165.
- يزيد بن زغبة: 285.
- يزيد بن صفوان المعافري: 182.
- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: 233.
- يعقوب المنصور: 315.
- يلماص: 6.
- يوسف بن تاشفين: 185-256-267.
- يوسف بن يعقوب: 269.
- يوشع بن نون: 53.
- يوغرطة: 27-28.

خامسا: فهرس الأماكن:

- حرف الألف -

- أجدابية: 142-222-293.
- أدرار: 244.
- أذنة: 233.
- الأربس: 201-298-299-300.
- أرزيو: 286.
- أرشقول: 323.
- أرغون: 265.
- أزغار: 288-293-315.
- أزمور: 15.
- الإسكندرية: 77-293.
- آسيا الوسطى: 248-267.
- الأطلس التلي: 308.

- الأطلس الصحراوي: 308.
- أغمات: 234-245-257.
- إفريقية:113-114-116-117-119-122-124-127-128-129-130-133-134-137-138-139-140.
- ألمانيا: 248-260-261.
- إمارة العلويين: 237.
- إمارة برج حمزة: 237.
- إمارة ترنانة: 237.
- إمارة جراوة أبي العيش: 237.
- إمارة متيجة: 237.
- إمارة هاز: 237.
- الأنبار: 205.
- الأندلس:15-54-67-73-85-94-101-102-186-205-249-256-260-261-265-313-315-316-325.
- أنزميرت: 246.
- أنطابلس: 41-113-221-222.
- أوثيبيكا: 122.
- أوجلة: 243-305.
- أودغشت: 245-246-257.
- أوراس: 179.
- الأوراس: 35-122-129-156-157.
- أورانيا: 15.
- أوروبا الغربية: 327.
- أوروبا: 240-246-248-249-250-261.
- أوزكا: 244.
- أوكولا: 122.

- أوليل: 245.
- إيجلي: 245.
- إيطاليا: 248.

- حرف الباء -

- باجة: 124-139-140-142-145-150-155-152-201-202-217-295-297-318.
- بادس: 234-244-300-309.
- باشوا: 300.
- باغاي:135-139-140-142-145-150-151-156-164-179-217-233-305-309-318.
- بجانة: 50.
- بجاية: 258-288-299-300-312.
- البحر الأحمر: 49-285.
- بحر الأدرياتيكي: 249.
- البحر الأسود: 248-249.
- البحر الرومي: 321.
- البحر المتوسط: 248-249-267.
- بحر إيجة: 249.
- البحرين: 289.
- بخارى: 248.
- براغ: 249.
- برقة:41-76-79-108-113-127-128-133-134-138-139-140-141-176-192-199-201-202-214-220-221-222-228-243-269-276-288-291-292-293-295-300-305-311-321.
- برك الغماد: 285.
- برنيق: 134.
- بسكرة: 155-288.
- بشرى: 243.

- البصرة: 161-249.
- البطحاء: 323.
- بطنيوس: 164.
- بعقوبة: 227.
- بغداد: 217-249.
- بغداد: 238.
- بلاد التكرور: 245-250.
- بلاد الروم: 192.
- بلاد الريف: 185-186.
- بلاد الزاب:116-126-130-135-136-137-142-144-151-155-160-163-164-165-179-180-185-199-214-233-243-244-238-288-289-297-298-300-301-309-321.
- بلاد السلاف: 248-259-260-261-265.
- بلاد السودان: 48-133-147-160-180-240-241-243-244-245-246-252-256-257-258-259-262-270-271-321.
- بلاد النوبة: 221-251.
- بلاد الهبط: 293.
- بلاد حاحة: 234.
- بلاد رجراجة: 234.
- بلاد سماطة: 244.
- بلاد فارس: 192.
- بلاد كنعان: 60.
- بلخ: 248.
- بلد التجبيين: 187.
- بلد العناب: 287-291-301.
- بلزمة: 185-217-238.
- بلغاريا: 248-249-260.

- بلنسية: 249.
- بلى: 188.
- البندقية: 248-249.
- بنزرت: 193-194.
- بنزرت: 202.
- بنطيوس: 185-218.
- بوصى: 178.
- بونة: 202-257-305-308.
- البيض:21-22.

- حرف التاء -

- تاجرا: 285.
- تادمكة: 243-245.
- تارودانت: 234.
- تازولت: 23.
- تافيلالت: 286.
- تامسنا: 15-207-287-294-314-315-316.
- تامولسة: 253.
- تاهرت: 125-139-140-142-153-156-157-182-233-244-253-262-271-323.
- تبسة: 27- 310.
- تبوك: 280.
- تربة: 285.
- تغازى: 244-245-246.
- تقيوس: 134-150.
- تكروان: 196.
- تلمسان: 125-33-158-197-198-286-289.
- تمبكت: 244-245.

- تندفس: 246.
- تهودة: 75-139-140-200-234-300.
- توات: 244.
- توزر: 27-117-126-133-134-150
- تونس: 114-180.
- تونس:160-161-180-188-291-192-217-272-298-300-305-307-318.
- تيجيس: 150.
- التيطري: 286.
- تيفاف: 307.
- تيكورارين: 286.
- تيماء: 289.
- تيميمون: 180-181.

- حرف الثاء -

- ثابورا: 122.

- حرف الجيم -

- جادو: 243.
- جبال الألب: 248.
- جبال الأورال: 248.
- جبال الظهرة: 19.
- جبال الونزة: 156.
- جبال بابور: 20.
- جبال سحاو: 308.
- جبال قرقور: 20.
- جبل أزوار: 246.
- جبل القرن: 194.

- جبل أوراس: 201-202-203-234.
- جبل أوراس: 286-288-301-309-310.
- جبل راشد: 289.
- جبل ممطور: 194-195.
- جبل نفوسة: 151-155-156-158-180-181-182.
- جبل وسلات: 307.
- جربة: 192.
- الجريد: 27-116-117-126-243-244-267-138-188-291.
- الجزائر: 36.
- الجزائر: 8-21.
- الجزيرة الإيبيرية: 151-316.
- الجزيرة الإيطالية: 137.
- الجزيرة العربية: 285.
- جزيرة شريك: 133-150-196-300.
- جزيرة فورنتاس: 27.
- جزيرة موكادور: 27.
- جلولاء: 139-140-193-194.
- جميلة: 27.
- جنى: 244.
- جيجل: 165.

- حرف الحاء -

- الحامة: 117-133-150.
- الحبشة: 104-251-252-258.
- الحجاز: 289.
- حرة النار: 289.

- حرة بني سليم: 289.
- حصن الأجم: 227.
- حصن الجوزات: 307.
- حصن الناظور: 309.
- حصن بشر: 305.
- حصن كلديس: 308.
- حضر موت: 181.
- الحضنة: 23.
- حوض النيجر: 244.
- حوض النيل: 289.
- حيدران: 276-284-296-306.
- حيدرة: 27-28.

- حرف الخاء -

- خراسان: 248.
- الخزر: 248-259-260.
- خيبر: 289.

- حرف الدال -

- دار إسماعيل: 307.
- درعة: 234.
- درنة: 293.
- دكالة: 314-315-316.
- دمشق: 205.
- الدوسن: 300.

- حرف الراء -

- رقادة: 217.

- الرياض: 285.
- رينيه: 285.

- حرف الزاي -

- زغوان: 206.
- زنجبار: 180.
- زويلة: 160-222-228-232-243-304-305-318.

- حرف السين -

- سبتة: 125-187.
- سبرت: 139-140-141-143.
- سبيبة: 276-298-308.
- سبيطلة: 91-129-139-140-193-200-225-227.
- سجلماسة: 15-186-207-243-248-262-269.
- سدراتة: 180-181-245.
- سرت: 23.
- سرت: 42-69-229-243-305-318.
- سردانية: 215.
- سرقسطة: 249.
- سطيف: 20-27-50-155-218-276-310-312.
- سلا: 15-28-293-312-314-315.
- سمرقند: 248.
- السند: 267.
- السنغال: 245.
- سواس: 122.
- السودان الغربي: 240-241-244-245-250-254-257.
- السوس الأدنى: 199-234.

- السوس الأقصى: 15-199-207-233-244-245-246-249.
- السوس: 41-42-43-54.
- سوسة: 193-194-219-281.
- سوق الخميس: 308-309.
- سيرتا: 4-7-8-27.
- سيقا: 5.

- حرف الشين -

- الشام: 60-72-83-87-161-162-164-210-289.
- شرشال: 21.
- شقبنارية: 139-140.

- حرف الشين -

- شلف: 286.

- حرف الصاد -

- صبراتة: 223.
- صبرة: 299-305.
- صطفورة: 202.
- صقلية: 137-205-215-248-260-316.

- حرف الطاء -

- طارف: 287-301.
- طبرقة: 305-307-318.
- طبنة: 136-137-145-150-151-155-164-165.
- طرابلس: 10-27.
- طرابلس:69-107-121-125-126-133-134-139-140-141-151-155-176-177-181-182-187-192-209-214-216-217-221-222-223-243-244-264-267-268-269-276-285-290-291-292-295-297-301-305-306.
- طنبذة: 180-216.

- طنجة: 128-142-197-199-207-209-234.
- طنجة: 293-315.
- طنجة: 50-53-79-107-139-140.
- طولقة: 181-214.

- حرف العين -

- عدن: 50.
- العقبة الصغرى: 293.
- عمان: 289.

- حرف الغين -

- غات: 243.
- غانة: 250-257.
- غاو: 244-245.
- غدامس: 243-229.
- غطفان: 293.

- حرف الفاء -

- فاردن: 249.
- فاس: 15-125-160-184-186-187-188-216-219-220-256-312.
- فحص أرطة: 133.
- فحص مرناق: 115.
- فرندة: 158.
- فزان: 243-245-258.
- فزان: 27-290.
- الفسطاط: 104-176-194-195-221-222-224-228-243-248.
- فلسطين: 42-43-45-53-54-55-58-80.

- حرف القاف -

- قابس: 115-126-130-134-135-244-267.
- قابس:141-144-145-149-155-203-217-285-290-291-292-298-325.
- قافز: 306.
- قالمة: 27.
- قرطاج: 122-123-204.
- قرطاجة:5-12-25.
- قرطاجنة: 114-133-138-196-202-203-227-307.
- قرطبة: 101-249.
- قرمونة: 314.
- قرية الأنصاريين: 187.
- قرية الجهنيين: 187.
- قرية الفهميين: 187.
- القسطنطينية: 223-225-248-260.
- قسطيلية: 116-203.
- قسطيلية: 130-141-144-145-288-300.
- قسطيلية: 133-134- 188.
- قسنطينة: 287-288-300-301-308.
- قشتالة: 265.
- قصر المنزل: 309.
- قصر طلميثة: 304-306.
- القصرين: 28-216-217.
- قفصة: 27-117-137-203-227-269-307-318-319.
- القل: 308.
- القل: 5.
- قلعة أبي الطويل: 318.

- قلعة بشر: 207.
- قلعة بني حماد: 286-299-300-301-304-308-323-325.
- قمودة: 225-227.
- قمونية: 194.
- قنطار: 273.
- القيروان:69-76-77-114-115-139-140-145-150-156-160-161-162-164-175-177-178-179-187-188-192-196-198-199-200-243-244-255-264.
- القيطنة: 307.
- قيطون بياضة: 244.

- حرف الكاف -

- كانم: 243-250.
- كوار: 243.
- الكوفة: 164-205-249.
- كوكو: 243-245.
- كييف: 248-249.

- حرف اللام -

- لامبيز: 27.
- لبدة: 41-222-318.
- لكة: 306.
- لمطة: 245.
- لوبية: 41-53- 228.
- ليبيا: 9-29.
- ليون: 249.

- حرف الميم -

- مارسيليا: 249.
- مارندا: 243.

- مجانة: 50-139-140-150-156-233-304-308.
- المحمدية: 180.
- مداوروش: 27.
- المدية: 286.
- المدينة المنورة: 289.
- مراقية: 41-53-222-228.
- مراكش: 312-314.
- مرماجنة: 139-140-227-309.
- المزاق: 10-125.
- المزاق: 227.
- المسيلة: 286-288.
- مصر: 276-285-289-292-301-306.
- مصر:43-48-49-53-54-55-72-104-127-160-175-189-177-191-205195-221-224-289-293-296-306.
- مقرة: 145-150-156-217.
- مكة: 285.
- ملشون: 155.
- ممس: 200-201.
- المنستير: 68-130-141-144-218-307.
- المهدية: 232-323.
- المهدية: 299-300.
- موريطانيا السطيفية: 20-21-22.
- موريطانيا الطنجية: 4-10-14-15-17-18-22-25-27.
- ميلة: 179-196-218-299-308.

- حرف النون -

- نابل: 188.

- نجد: 285-289.
- نفزاوة: 116-133-243.
- نفطة: 117-27-134-150.
- نفيس: 234.
- نكور: 265-266.
- نهر الفولجا: 248-260.
- نهر ملوية: 14-15-19.
- نوميديا: 38.

- حرف الهاء -

- هلّ: 177.
- الهند:48-60.

- حرف الواو -

- واد درعة: 245.
- واد ريغ: 244.
- واد نيسلي: 244.
- وادي القرى: 289.
- وادي بغراداس: 124.
- وادي درعا: 28.
- وادي سبو: 28.
- وادي ماسا: 28.
- وادي مجردة: 122.
- وادي مسكيانة: 203.
- وادي ملوية: 201.
- وادي مليان: 122.
- وادي مية: 180-181.

- وارجلان: 288-300.
- ودان: 178.
- ودان: 222-229.
- ولاتة: 245.
- وليلي: 14-15-19-21-234.
- ونشريس: 286.
- وهران: 21.

- حرف الياء -

- اليمن: 53-58-60-72-87-103-210.

سادسا: فهرس الطوائف:

- الإباضية:48-66-67-69-70-72-79-80-81-90-109-180-181-183-243-252-253-254.
- الإسماعيلية: 70.
- الصفرية: 48-79-109-125-160-161-180-186.
- العلوية: 125.
- المالكية: 65-70-78-108-109-119-125.

سابعا: فهرس القبائل والمجموعات البشرية:

- حرف الألف -

- الأثبج: 282-285-286-288-294-298-300-301-310-314.
- الإثيوبيون: 23-28.
- الأدارسة: 184-186-216-236.
- أزد: 183.
- أسلم: 280.
- أشجع: 280.
- الإغريق: 4.
- الأغزاز: 267-268-269-270.

- الأفارقة: 197.
- الأفارقة:32-42-49-63-74-91-93-94-95-96-109-110-111-113-114-115-116-117-118-119-120-121-122-123-124-125-126-127-128-129-130-131-132-133-134-135-136-137-138-139-140-141-142-143-144-145-146-148-149-150-151-153-154-155-156-158-159-160-165.
- أفاريس: 122.
- آفر:121.
- الإفرنج: 73-80.
- الأفري: 11-91-93-107.
- أنمار: 211.
- أهل خراسان: 135.
- أوربة: 197-198-201-206-207-234-236.
- أولاد أبي الليل: 292.
- أولاد حصين: 294.
- أولاد عيسى: 294.
- أولاد مهلهل: 292-294.
- أولاد نابت: 294.
- إيفرو: 121.
- إيفري: 121-122-123.

- حرف الباء -

- الباقواط: 15-16-17-18-19-20.
- البانيور: 28.
- الباوار: 2-13-14-15-17-18-19-20-21-22-.
- البتر: 42-88-94-107-110-118-121-202.
- البدو: 24.
- البرانس: 42-88-107-110-118-202.

- برغواطة: 14-15.
- برقجانة: 137-185.
- بلى: 175.
- بنو أحمد: 290.
- بنو العباس: 237.
- بنو تميم: 217-218-228-235-237.
- بنو حصن: 291.
- بنو حميد: 293.
- بنو زنداج: 217.
- بنو زياد: 307.
- بنو سارسة: 217.
- بنو شريد: 289.
- بنو عامر: 220-286.
- بنو عدي: 314.
- بنو علي: 291.
- بنو عوف: 291.
- بنو غانية: 285-287-288-292-314.
- بنو قرة: 285-288-310.
- بنو كعب: 294.
- بنو وشاح: 290-294.
- بنو يادين: 286.
- بنو يزيد: 290-294.
- بنو يعقوب: 294.
- بني إيفرن: 121-123.
- بني بهلول: 116.

- بني سليم: 276-290-293-295-296-297-298-304-307-308-315-320-321.
- بني صالح: 188.
- بني مدرار: 188.
- بهراء: 175.

- حرف التاء -

- تنوخ: 183.
- توبة: 286.

- حرف الجيم -

- الجالول: 28.
- جدالة: 12-28.
- جذام: 57-175.
- جراوة: 201-202.
- جزولة: 28.
- جشم: 217-237.
- جشم: 287-294-312—314-315-316.
- الجند: 165-157-162-164.
- الجهنيون: 178.
- جهينة: 280-175.
- الجيتول: 2-4-6-13-23-24-25-26-27-28-29-38-91-93-107.

- حرف الحاء -

- حضرميون: 178-184.
- حكيم: 291.
- الحماديون: 267-270.
- حمير: 54-58-72-103-175-176.

- حرف الخاء -

- الخراسانيون:144-145-148-150-151-152-154-156-157-159-160-161-162-163-164-165.
- الخزرج: 184.
- الخلط: 314.

- حرف الدال -

- دباب: 289-290.
- دريد: 286-301.

- حرف الذال -

- الذواودة: 288-294-300.

- حرف الراء -

- الرستميون: 262-271-244-253.
- الرقيق السوداني: 251.
- الرقيق: 240-243-246-248-250-253-257.
- رواحة: 293-305.
- الروم:32-42-49-50-63-91-93-94-95-96-109-110-111-113-114-115-116-117-118-119-120-124-125-126-127-128-129-130-131-132-133-134-135-136-137-138-139-140-141-142-143-144-145-146-148-149-150-151-153-154-155-156-158-159-160-164-165-179-193-202-203-205-221-223-224-227-231-233-234.
- الرومان: 4-122-123.
- رياح: 282-285-287-288-294-295-298-300-305-310-314-315-316.

- حرف الزاي -

- زغب: 292-298.
- زغبة: 282-285-286-288-295-298-300-310-314-315-316.
- زناتة:2-12-31-32-41-68-72-93-96-100-107-121-123-207-233-244-272-275-286-294-298-314.
- الزنج، الزنوج: 104-251-252.

- زواغة: 233.
- زواوة: 74.

– حرف السين –

- سراح: 286-300.
- سفيان: 314.
- السلاجقة: 50-267.
- السليمية:186-212-219-238-276-282-284-285-289-293-294-295-296-301-304-305-307-308-309-316-317-318-319-320-321-322-323-324-325-326.
- السناجرة: 50-218.
- سهميون: 178-220.
- السودان: 65-74-79-103-105.
- السويد: 282.

– حرف الشين –

- شكر: 288.

– حرف الصاد –

- الصدف: 184-187-188.
- الصقالبة: 66-248-249-254-259-260-261-262-263-264-265-266-270-271-272.
- صنهاجة:28-31-32-36-37-58-72-89-92-93-97-103-135-207-233-245-256-267-272.

– حرف الضاد –

- الضحاك: 286-301.

– حرف العين –

- العاصم: 286-287-294-301-314.
- العبيد الأبيض: 240-248-249-250-251.
- العبيد الأسود: 240-241-243-246-248-250-252-253-255-257.
- عبيد الحبشة: 250.

- عبيد النوبة: 250.
- العبيد: 65-74-241-244-250-252-253-261.
- عتبة: 294.
- العجم:50-69-90-108-134-135-136-113-118-120-143-144-145-146-148-149-150-151-153-154-155-156-158-159-164-179-198.
- العدنانية: 175-176-210-212-214-215-217-220-227-232-237.
- عدي: 288-298-300-314-315.
- عزيز: 288.
- علاق: 291.
- عميرة: 294.
- عنان: 288.
- عنز: 286.
- عوف: 289-291.
- عياض: 286-301.

- حرف الغين -

- الغرامنت: 13.
- الغساسنة: 58.
- غسان: 183.
- غمرة: 293.

- حرف الفاء -

- الفاطميون: 263-264-266.
- الفرس:24-60-66-98-105-144-145-146-147-148-149-150-151-152-153-154-155-156-158-159-160-161-162-163-164-165.
- فزارة: 293.
- الفهرية: 182-214-217-220-222-224-231-232.
- الفواطم: 255.

– حرف القاف –

- القبط: 74-79-105.
- القحطانية: 175-176-179-191-212-214-215-217.
- القرامطة: 289.
- قريش: 50-178-217-218-223-226-228-235.
- قضاعة: 175-176.
- قورة: 287-288.
- القيسية:13-135-180-181-182-183-184-185-188-210-212-213-214-215-217-218-219-220-221-222-223-224-228-230-233-234-235-236-237-238.

– حرف الكاف –

- كتامة: 12-31-32-37-58-72-89-93-97-103-107-165-175-207-238-288.
- كرفة: 286-301.
- كلب: 175.
- كنانة: 218-220.
- كندة: 175-179-191.
- الكنعانيون: 43-89-127.
- كهلان: 175.

– حرف اللام –

- لخم: 57-175-184-206.
- لمتونة: 55.
- لواتة:2-12-31-32-33-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-221-223-229-233.
- الليبيون: 3-23-24-93.

– حرف الميم –

- المازاكس: 20.
- المازايسيل: 3-4-5-7-8.

- المازيس: 14.
- مازيغ: 82-89-94.
- الماسيل: 3-4.
- المحاميد: 290.
- مرداس: 287-288-294-295-305.
- مرداس: 291.
- مزاتة: 49-69-72-74.
- مزينة: 280.
- مسوفة: 235.
- مسوفة: 245.
- المصامدة: 315.
- مصمودة: 207.
- المضرية: 175-179-211-214-217-218-220-227-228-237-238.
- مطماطة: 233.
- معافر: 175-184-188.
- مغيلة: 41.
- مقدم: 286-287-294-301-314.
- مكناسة: 233-312.
- المماليك: 268-269.
- المهالبة: 161.
- مهرة: 175.
- الموحدون: 258-265-268-269-270.
- المور:2-8-9-10-11-12-29-31-32-33-35-36-37-38-46-63-90-91-94-97-99-100-101-110-122-123.
- الموسولامي: 13.
- المولدون: 119.

- الميديون: 9.

- حرف النون -

- ناصرة: 293-305.
- نفزاوة: 2-12.
- نفوسة: 31-32-41-68-221-253-274.
- النوائل: 290.
- النوماد، النوميد: 2-3-4-5-6-10-22-27-29-38-91-93-97-107-122.

- حرف الهاء -

- هبيب: 289.
- الهلالية:186-187-188-212-219-238-272-276-282-284-285-286-289-293-294-295-297-298-299-300-301-304-305-307-308-309-310-312-313-314-315-316-317-318-319-320-321-322-323-324-325-326-327.
- همدان: 175.
- هوارة: 2-12-31-32-36-37-49-68-92-93-96-107-179-207-221.

- حرف الواو -

- ورفجومة: 161.

- حرف الياء -

- يحصب: 183-184.
- اليمانية:13-39-57-72-135-136-175-176-177-178-179-180-181-182-183-184-185-186-187-188-189-191-193-194-210-213-214-215-218-219-220-237.
- اليونانيون: 136.

فهرس الموضوعات

الموضوع		الصفحة
• الشكر والعرفان.		
• الإهداء.		
• قائمة المختصرات.		
• المقدمة.		أ- هـ
الفصل التمهيدي	مكونات التشكيلة الاجتماعية لبلاد المغرب خلال الفترة الما قبل الإسلامية.	2- 29
أولا	النوميد (Numide).	2
ثانيا	المور (Maures).	8
ثالثا	البقواط (Baquates).	13
رابعا	الباوار (Bauares).	18
خامسا	الجيتول (Gaetulii).	23
الفصل الأول	التصنيف السكاني للمجموعات البشرية الكبرى ببلاد المغرب: من المور إلى البربر – دراسة في التحول الإثني والإثنونيمي –	31- 111
أولا	المور والبربر: إشكالية التصنيف السكاني: أي غموض؟	31
1	التصنيف السكاني في المصادر المشرقية.	38
2	التصنيف السكاني في المصادر المغربية.	61
3	التصنيف السكاني في الدراسات الحديثة.	90
ثانيا	معايير التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي.	103
1	المعيار اللغوي.	103
2	المعيار الجغرافي.	104
3	المعيار السلالي.	105
4	المعيار الثقافي.	106
5	المعيار الديني.	107
6	المعيار الأنثروبولوجي.	109

الفصل الثاني	الجاليات القديمة والجماعات الفارسية والخراسانية ببلاد المغرب: الدلالات الإثنونيمية والخارطة المجالية.			113-172
أولا	الروم والأفارقة: الوضعية القانونية والتوطن الجغرافي بالمغرب بين القرنين (1-3هـ/7-9م).			113
1	إثنونيم الروم بين تعدد المصطلحات وتقارب المدلول.			115
2	الأفارقة بين جذور التسمية والأصول الإثنية.	1-2	مدلول المصطلح في الدراسات التاريخية.	121
		2-2	مدلول المصطلح في المصادر الإسلامية.	127
3	التوطن البشري للروم والأفارقة بالمجالات الشرقية لبلاد المغرب.	1-3	صورة التوطن البشري لجاليات الروم والأفارقة حسب المصادر الجغرافية.	130
		2-3	صورة التوطن البشري لجاليات الروم والأفارقة حسب المصادر الإخبارية.	139
ثانيا	الفرس.. الخراسانيون...العجم...العجم القدم...عودة إلى إشكالية التعدد الإثنونيمي.			144
1	صورة الإثنونيم في المصادر السنية والإباضية.			144
2	التوزيع الجغرافي للعجم والفرس والخراسانيين ببلاد المغرب الإسلامي.	1-2	التوطين والإسكان العجمي ببلاد المغرب.	154
		2-2	جغرافية انتشار الفرس والخراسانيين ببلاد المغرب.	160
		3-2	أنثروبونيمية الأعلام العجمية وملمح التوطين.	165
الفصل الثالث	هجرة المجموعات العربية إلى بلاد المغرب ومحاولات تحويز المجال الجغرافي خلال الثلاثة قرون الأولى للهجرة.			175-238
أولا	العنصر العربي اليماني من الدور العسكري إلى الامتداد المجالي.			175
1	الأصول العرقية – الجغرافية.			175
2	الإسكان والتوطين اليماني ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الأول إلى منتصف القرن الهجري الخامس/الحادي عشر الميلادي.			176
3	الأدوار والوظائف العسكرية والسياسية للعرب اليمانية ببلاد المغرب.			189
ثانيا	الهجرة القيسية وأثرها في السكان والمجال.			210

1	النسب والانتماء الإثنو- جغرافي.			210
2	الاستيطان العربي القيسي في البلاد الشرقية للمغرب الإسلامي.			212
3	الأدوار والوظائف العسكرية والسياسية للعرب القيسية ببلاد المغرب.			220
الفصل الرابع	**المسالك التجارية ودورها في إثراء النسيج الإثني المغاربي من الفتح حتى نهاية العهد الموحدي.**			**240-274**
أولا	**المسالك التجارية الصحراوية.**			240
1	المسالك الشرقية.			243
2	المسالك الوسطى.			244
3	المسالك الغربية.			245
ثانيا	**المسالك التجارية الأوروبية.**			246
1	المسالك الشرقية.			248
2	المسالك الوسطى.			248
3	المسالك الغربية.			249
ثالثا:	**التكوينات الإثنية لمجموعات العبيد بالمجالات المغاربية بين التنوع العرقي والتوطن الجغرافي.**			250
1	**العبيد السودان "الرقيق الأسود".**	**1-1**	إثنونيم السودان.	250
		2-1	العبيد السودان في بلاد المغرب.	252
2	**العبيد الصقالبة "الرقيق الأبيض".**	**1-2**	إثنونيم الصقالبة.	259
		2-2	العبيد الصقالبة من أوروبا إلى بلاد المغرب.	261
3	**العبيد الأغزاز.**	**1-3**	إثنونيم الأغزاز...الغز.	267
		2-3	الغز والأغزاز...كيف دخلوا إلى بلاد المغرب؟	267
رابعا	**الأقليات العرقية في بلاد المغرب...استمرارية أم اختفاء – العبيد أنموذجا –**			270
الفصل الخامس	**النزوح العربي الهلالي والسليمي وتحولات الخارطة الإثنو- جغرافية ببلاد المغرب من منتصف القرن الهجري الخامس إلى الربع الأول من القرن الهجري السابع/11-13م.**			**276-328**

أولا	العرب، الأعراب، العربان، البدو، لماذا تعددت التسميات؟		المعاجم اللغوية.	276
			القرآن الكريم.	279
			الحديث النبوي الشريف.	280
ثانيا	مكونات التركيب الاثني وتحولات التوطن البشري للعرب الهلالية والسليمية في بلاد المغرب الإسلامي.			284
1	المجموعات الهلالية: المعطيات الاثنية والجغرافية.	1-1	زغبة.	285
		2-1	الأثبج.	286
		3-1	رياح.	287
		4-1	بنو قرة.	288
2	المجموعات السليمية: المعطيات الاثنية والجغرافية.	1-2	دبّاب (ذيّاب).	290
		2-2	عوف.	291
		3-2	زغب.	292
		4-2	هيب (هبيب).	292
ثالثا	الحراك القبلي ببلاد المغرب بعد الانتشار الهلالي والسليمي...محاولة لإعادة تركيب المشهد الجغرافي.			295
1	مجالات طرابلس وبرقة.			305
2	مجالات إفريقية.			306
3	مجالات المغرب الأوسط.			307
4	الموحدون والتوطن الهلالي بالمغرب الأقصى بعد معركة سطيف 548هـ/1153م...أي علاقة بين السلطة وتعمير المجال؟			309
رابعا	جدلية الهجرة الهلالية والسليمية في الخطاب التاريخي بين إدانة الدور التخريبي وإبانة الدور الحضاري.			316
1	الهجرة الهلالية في النصوص التراثية.			317
2	الحضور الهلالي والسليمي وظاهرة خراب الاقتصاد والعمران المغاربي – قراءة في الخطاب الخلدوني–			320
3	الهجرة الهلالية في الدارسات التاريخية.	1-3	الدراسات الأوروبية.	322
		2-3	الدراسات العربية.	326

• الخاتمة.		330
• الملاحق.		337
• ثبت المصادر والمراجع.		348
• الفهارس.		
أولا	فهرس الآيات القرآنية.	
ثانيا	فهرس الأحاديث النبوية.	
ثالثا	فهرس الأشعار.	
رابعا	فهرس الأعلام.	
خامسا	فهرس الأماكن والقبائل والطوائف.	
سادسا	فهرس الخرائط والجداول والأشكال والصور.	
سابعا	فهرس الموضوعات.	

ملخص:

يهتم موضوع الدراسة الموسومة بـــ:"التصنيف السكاني في المغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية العهد الموحدي"، بالبحث في أسماء المجموعات البشرية وأصولها الإثنية ببلاد المغرب خلال مرحلة تمتد طيلة ستة قرون كاملة من العصر الوسيط، وذلك من خلال تتبع جذورها التاريخية بداية من الفترات القديمة ووصولا إلى المرحلة محل الدراسة، ويسلط البحث الضوء على مدى تأثير العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية اللغوية في صياغة أسماء المجموعات السكانية، مع رصد التحولات التي طرأت على المنظومة الإسمية لعناصر النسيج الاجتماعي المغاربي، لا سيما أنّ معظم الدراسات التاريخية المعاصرة قد تناقلت قائمة أسماء المجموعات البشرية المغاربية دون تنقيب عن أصولها التاريخية ودلالاتها الإثنونيمية، أو اعتبار للسياقات الزمانية المساهمة في تبلورها، متخذة من الحقول المصدرية الإسلامية مرجعية ثابتة تستمد منها أسماء السكان ببلاد المغرب، على الرغم مما أحدثته المعرفة الإخبارية والجغرافية والفقهية ونصوص أدب الأنساب العربية من تغييرات على الصيغ الإسمية الأصلية للساكنة المغاربية، ومتجاوزة لجدوى التعرف على وضعية الهياكل البشرية وأسماء مكوناتها خلال المرحلة القديمة، ومستبعدة لدور حركة الأسلمة والتعريب في التحول الإسمي لإثنونيميا المجموعات البشرية خلال المرحلة التي أعقبت حملات الفتح الإسلامي للمجالات المغاربية.

وتأسيسا على ذلك، فقد جاءت هذه الدراسة لترفع سقيفة الغموض عن مكونات البنية الاجتماعية في بلاد المغرب من بداية الفتح حتى نهاية العهد الموحدي، مركزة على المجموعات المحلية والوافدة، البدوية والحضرية، المستقرة والمتنقلة، ومحاولة في حدود ما تتضمنه النصوص الإخبارية والوصفية والفقهية والنتائج الأثرية رسم ملامح شبكات التوطين البشري، وتحديد الخارطة المجالية للسكان الأصليين والجاليات القديمة والجماعات الطارئة على بلاد المغرب الإسلامي، مع الكشف عن طبيعة التصنيفات السكانية والتقسيمات البشرية والتحولات الإسمية والاجتماعية التي مست التركيبة الإثنية المغاربية من خلال تجاوز الفواصل الزمنية بين العصرين القديم والوسيط، بغرض إبراز صورتها الحقيقة عبر الزمان والمكان، وتقديم محاولة في التاريخ السكاني الشمولي الذي يتقصى المسألة التصنيفية بداية من الحقبة القديمة ويتوغل في الفترة الإسلامية، مع سعيٍّ إلى وضع تفسيرات لخلفياتها وتشريح دوافعها ورصد أبعادها.

الكلمات المفتاحية: التصنيف السكاني– المغرب الإسلامي – الأصول الإثنية – المجموعات البشرية – الإثنونيم – التحولات السكانية – التوطن البشري.

Abstract

The study titled "Population Classification in The Islamic Maghreb from the Conquest to the End of the Almohad Era" examined the names and ethnic origins of human categorizations in Maghreb during a six-century period in the middle Ages. The latter is carried out by following their historical roots from ancient times to the current stage, as well as emphasizing the extent to which political, social, and cultural linguistic factors influence the formulation of population group names, Monitoring the transformation within the nominal system of elements of the Maghreb social fabric human groups. Particularly, since most contemporary historical studies have transmitted the list of names of Maghreb individuals groups without exploring their historical origins and ethnic connotations, additionally, regard time circumstances as contributing to their crystallization, using Islamic source fields as a constant reference for the names of Maghreb's inhabitants. Despite changes in the original nominal formulations of the Maghreb inhabitant, the news, geography, doctrine, and texts of Arabic genealogy, beyond identifying the status of human structures and the names of their components during the old phase, excluded the role of the Muslim movement and arabization in the nominal transformation of Names of population groups during the period following the Islamic conquest campaigns of Maghreb fields. This study aims to lift the veil of obscurity surrounding the components of the Maghreb's social structure from the time of the Arab invasion to the end of the Almohad era. Within the confines of what is covered in historical, descriptive, and jurisprudential writings as well as archeological results, it concentrates on native and immigrant populations, both nomadic and urban, sedentary and mobile, and strives to sketch the outlines of human settlement networks. In addition, the research aims to map out the geographical distribution of the native population, historical settlements, and migrant populations in the Islamic Maghreb. It also aims to shed light on the characteristics of population classifications, human divisions, and nominal and the ethnic makeup of the region social changes that influenced.

Keywords: Population Classification, Islamic Maghreb, Ethnic Origins, Human Groups, Ethnicity, Population Changes, Human Settlement.

Résumé:

Le sujet de l'étude, intitulé «Classification du la population dans le Maghreb islamique de la conquête à la fin de l'ère almohade», s'intéresse à la recherche des noms de groupes humains et de leurs origines ethniques au Maghreb au cours d'une période s'étendant sur six années complètes. siècles du Moyen Âge, en retraçant leurs racines historiques depuis les périodes antiques. En arrivant au stade étudié, la recherche met en lumière dans quelle mesure les facteurs politiques, sociaux, culturels et linguistiques influencent la formulation des noms des groupes de peuplement, tout en suivant les transformations survenues dans le système nominal des éléments du tissu social maghrébin, d'autant plus que la plupart des études historiques contemporaines ont transmis la liste des noms de groupes humains maghrébins sans explorer ses origines historiques et ses connotations ethnonymiques, ni considérer le temporel. contextes qui ont contribué à sa cristallisation, elle a pris les champs sources islamiques comme référence fixe à partir de laquelle dérivent les noms des habitants du Maghreb, malgré les changements apportés par l'actualité, les connaissances géographiques et jurisprudentielles et les textes de la littérature généalogique arabe. dans les formes nominales originelles de la population maghrébine. Elle dépasse la faisabilité d'une identification du statut des structures humaines et des noms de leurs composantes au cours de la période antique, et exclut le rôle du mouvement d'islamisation et d'arabisation dans la transformation nominale de l'ethnonymie. des groupes humains au cours de l'étape qui suivit les campagnes de conquête islamique des territoires maghrébins.

Partant de là, cette étude est venue lever le mystère sur les composantes de la structure sociale au Maghreb depuis le début de la conquête jusqu'à la fin de l'ère almohade, en se concentrant sur les groupes locaux et expatriés, nomades et urbains, sédentaires et mobiles, et essayer, dans les limites de ce qui est inclus dans l'actualité, des textes descriptifs et jurisprudentiels et des découvertes archéologiques, de dessiner les caractéristiques des réseaux d'établissements humains, définissant la carte spatiale des peuples autochtones, des communautés anciennes et des groupes présents au Maghreb islamique, tout en révélant la nature des classifications de peuplement, les divisions humaines et les transformations nominales et sociales qui ont affecté la composition ethnique du Maghreb en traversant les intervalles de temps entre les époques antique et médiévale, dans le but de mettre en valeur sa véritable image à travers le temps et le lieu, et de présenter une tentative d'histoire complète de la population qui étudie la question taxonomique depuis l'époque

antique jusqu'à la période islamique, avec un effort pour fournir des explications sur ses origines, disséquer ses motivations et surveiller ses dimensions.

Mots-clés: Classification de peuplement- Maghreb islamique- Origines ethniques- Les Groupes de population- Ethnonyme- Les Transformations du Population- Reconstruction de peuplement.

People's Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abd Elkader University for Islamic Sciences- Constantine

Faculty Arts and Islamic Civilization

Department of History.

Serial Number: ……...…

Registration Number:…….

Population Classification in The Islamic Maghreb from the Conquest to the End of the Almohad Era

Thesis Doctorat L M D Human Sciences – History

Specialty: Political and Civilizational History of Maghreb in the middle Ages

Presented by:

Mounir Bekrar

Supervision Professor:

Nacira Azroudi

Member of the Discussion Committee:

Name Surname	Rank	Original University	Character
Alloua Amara	Professor	Emir Abd Elkader University –Constantine-	President
Nacira Azroudi	Professor	Emir Abd Elkader University –Constantine-	Supervisor and rapporteur
Ibrahim Ben mehaia	Professor	Emir Abd Elkader University –Constantine-	Examiner
Bachir bougaada	Professor	Higher normal school of Bouzaréah	Examiner
Ridha bennia	Lecture-A-	Mohamed lamine Debaghin University -Setif 2-	Examiner
Hocine Boubidi	Lecture-A-	Constantine -2- University	Examiner

University Year:1444-1445H/2023-2024AD